الألف كتاب
الثانى

الهيئة المصرية العامة للكتاب



ديمترى ميكس
كريستين فافار ميكس

الحياة اليومية للآلهة الفرعونية

ترجمة: فاطمة عبد الله محمود

مراجعة: د. محمود ماهر طه

Dimitri Meeks
Christine Favard – Meeks

LA VIE QUOTIDIENNE DES DIEUX ÉGYPTIENS

ديمترى ميكس

كريستين فافار- ميكس

الحياة اليومية للآلهة الفرعونية

ترجمة

فاطمة عبد الله محمود

مراجعة

د. محمود ماهر طه



الهيئة المصرية العامة للكتاب

٢٠٠٠

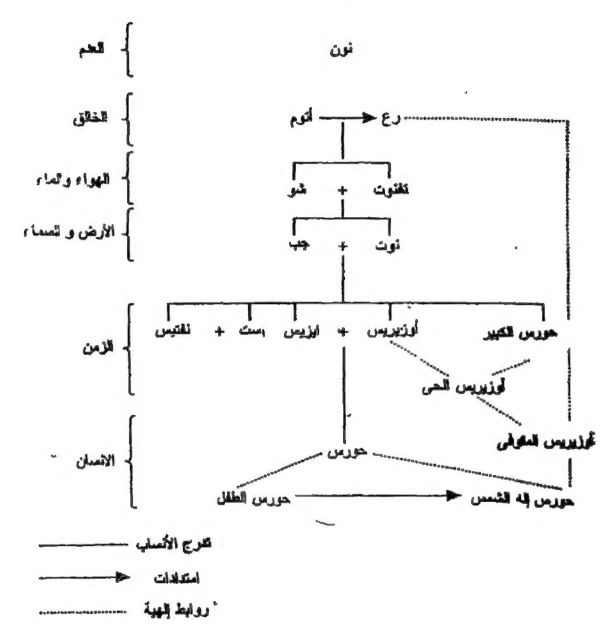
مشروع الألف كتاب الثاني

نافذة على الثقافة العالمية

الفهرس

الموضوع	الصفحة

عائلة أون (هليوبوليس) وتطورها



مقدمة

قبل قيام شامبليون بفك رموز الكتابة الهيروغليفية عام ١٨٢٢ ، كانت الديانة المصرية تثير دائما عوامل الدهشة والفضول . حقيقة ، لم يكن علماء القرنين السابع عشر والثامن عشر ، قد توصلوا بعد الى فهم معانى النصوص المصرية ، ولكنهم ، بالرغم من ذلك ، كانوا يلمون ببعض السمات المميزة لهذه الديانة ولأساطيرها .

فلا شك أن مهارتهم الفائقة فى فهم الكتاب الكلاسكيين أتاحت لهم الوصول الى المعارف التى نقلها هؤلاء الكتاب ، والتى تحتل فيها مصر بصفة عامة ومعتقداتها بصفة خاصة مكانة مهمة .

ان الأبحاث المعاصرة تكشف تدريجيا الكم الكبير من الكتاب الذين التزموا الدقة فى تناولهم أدب المعتقدات والشعائر فى كثير من الأحيان ، ولكنهم لم يلتزموا بالتمسك بروحها

وكانت العقلية الأوربية ترى أن الديانة المصرية لا تعدو أن تكون مجرد حشو خليط من كلام يفتقر الى مضمون محدد ، أو بالأحرى ، كم هائل من الخرافات . ومع ذلك ، فان عراقة مصر الراسخة ، جعلتها بمثابة مثال ثابت مستقر ، ومرجع نهائى لا يتوقف أبدا عن تقبديم لغزه للتفسير .

فمثل هذه العراقة قد تمخضت عن حكمة فائقة عظمى جعلت عقيدة تعدد الآلهة عند اليونانيين خاصة تبعث من جديد في قلب الديانة المصرية القديمة التي انصهرت بدورها في بوتقة الاسكندرية • وبذا ، فمن خلال كتابات « بلوتارخ» خاصة ، بدت هذه الديانة الجديدة ، وقد تجردت تماما من مظهرها « الهمجى » ، فى أجمل وأكمل سماتها • « فها هى قد تراءت عقيدة ما •• تتضمن في نطاقها « الها أوحد » ، يندرج تحته ، مبدأ الشرك ، وآلهة ثانوية أو بالتحديد « عدد من القوى » ، أو بالأخرى وزراء « الكائن » الأعلى ••• وكان الغرض هو التوصل الى آلهة تستطيع التحكم في المصير المجهول ، وتتمكن من خل لغز الموت، وتعمل على خلق التقارب الحميم بين البشر و «الاله»• ولقد استجابت أسطورة ايزيس بصفة خاصة لهذه المتطلبات» • وتكونت حول الثالوث « ايزيس ــ أوزيريس ــ حورس » ديانة محددة ، تبدلت فى اطارها الصور الغريبة الى ترجع الى أقدم عصور مصر لتصبح مجرد مظاهر تخفى وراءها فكرا رفيع الروحانية • بل ومهدت الطريق أيضا لاعتناق التوحيد الذى سرعان ما تألق وازدهر •

ولا شك أن هذه الرؤية الخاصة بالديانة المصرية ، التى تواترت عبر العصور ، هى التى حددت أول معالم علم المصريات الوليد • وخلال الحملة الفرنسية على مصر (١٧٩٩ ــ ١٨٠٢) ، ظن « فيفان دينون » أنه يلمح « الكائن الأعظم » من خلال أطلال معبد « دندرة » عند زيارته ، فيقول : «لقد شاهدت الجدران وقد غطيت بمناظر الطقوس الدينية ، وبأساليب هؤلاء المصريين القدماء فى

الزراعة والفنون ، وبتعاليمهم الأخلاقية والدينية . لقـد تراءى لى ، أن « الكائن الأعظم » ، أى الخـالق الأول ، قد مثل فى كل مكان من خلال الرموز الدالة عـلى صفاته » . وحال موت « شـامبليون » المفاجىء وهو فى مقتبل العمر دون تقـديم مفهومه عن الديانة المصرية . ويتراءى هـذا المفهوم مركبا للغاية ، ولكنه جعل من «آمون» الاله الأوحد ، وفى نفس الوقت لا يفصم عرى التواصل الجذرى بالأفكار الغابرة : « ان آمون رع ، هـو الكائن الأعظم الأول ، انه قد أنجب نفســه بنفســه ، وعرف بأنه زوج أمه . ان جزءه الأنثوى متضمن فى نفس جوهره الذكرى والأنثوى فى آن واحـد ... ان كافة الآلهـة المصرية ليست سـوى صـور لهذين المبدأين الأساسيين . انها ليست سوى مجردات للكائن الأعظم » . وبعد موت « شامبليون » مؤسس علم المصريات ، قام أخوه ، « شامبليون فيجياس » بتـلخيص رأيه بشـكل مقتضب : « ان الأمر لا يقتضى سوى بضع كلمـات قليلة لاعطاء فكـرة حقيقيـة وكاملة عن الديانة المصرية : كانت ديانة توحيد بكل معنى الكلمة ، تتراءى، ظاهريا ، من خلال عقيدة شرك رمزية ، أو بالأحرى ، هناك اله واحد تتجسـد كافة صفاته من خلال وكلاء فعالين أو آلهة خاضعة له » .

وفى أواخر القرن التاسع عشر ، بدأ التشكيك والنقد لسـمة التوحيد التى تتصف بهـا الديانة المصرية . وكان الاتجاه الذى بلوره عندئذ « أدولف ارمان »يعتمد قبل كل شىء على تقديم الوقائع ودراستها . ولـكن كانت تشـويه أحيانا ، بعض الأفكار المنبثقة من الماضى السحيق : « هناك شىء ما يعكر مجرى تقييمنا الصائب للديانة المصرية : انها تجر فى أذيالها ، كل ترهات بدايتها ، ومن المستحيل تماما ،

أن نجعل أى انسان يتحمس لمثل هذه الهمجية ، وتتراءى هذه الهمجية لنا عند الوهلة الأولى . ولكن بالنسبة للمصريين المنتمين لحقبة أكثر تطورا ، فهى لا تعدو أن تكون مجرد خلفية ، غير ذات أهمية فى تناق حياتهم الدينية الفعلية » . وتجد أن خلفاء « ارمان » قد فضلوا ألا يخوضوا فى هذا التضارب ، والتزموا من خلال ما قدموه من أعمال ، بمجرد الوصف ، وحققوا بذلك نتائج مرضية . واستمر أنصار ومعارضى مبدأ التوحيد فى مجابهة بعضهم بعضا ، ولم ينتبهوا الى ، انهم جميعا فى واقع الأمر ، ينهجون نفس نهج « ارمان » . فان كل ما تقدمه مصر لنا للدراسة ، ليس سوى خلفية ، يتألق أمامها تألقا كاملا ، الفكر المصرى المتعمق المتطور ، وفكر من يقوم بدراسته . ومع ذلك ، لم يعد الباحثون يقدمون دراسات وأبحاثا فعلية عن فكرة تعدد الآلهة . وأخذ البعض يتحدثون عن وحدة الوجود ، ويبتعدون ، فى كتاباتهم عن لب المشكلة . وفى هذا الصدد ، يقول «ايرك هورنونج» ، ان علم المصريات لم ينجح أبدا فى حل مشكلة التضارب والتعارض ، بين الرغبة فى دراسة حضارة ما ذات مستوى ثقافى وأدبى رفيع وبين الشعور بعدم ملاءمة العقيدة مع نفس هذا المستوى . ولا شك ، أننا نعتقد ، أن هذا التعارض لا وجود له ، وانه ينجم فقط من عدم ملاءمة تصوراتنا العقلية مع التحليل الخاص بالحضارة المصرية . وبذا ، نجد ، أن مصر لا تبدو مقبولة ومعقولة الا من خلال ما نضفيه عليها من تطابق مع أساليبنا ومفاهيمنا نحن ، فربما نحن لا نحاول التعرف على مصر ، بل نحاول التعرف على أنفسنا من خلالها .

وحتى يومنا هذا ، لم ينته الجدال بين المؤيدين لمذهب التوحيد وبين من يقتصرون على الوقائع اليقينية • وأصبح كل من أفراد الجبهتين يرتكز على التحليل الدقيق للنصوص، فيلمون الماما كاملا بهذه النصوص ، ويجيدون لغتها اجادة فائقة • وتكشف الجدال ، فى نهاية الأمر عن طبيعته الحقيقية : انه مجرد تحدى أيديولوجيات (أفكار ونظريات) لا اجيبتولوجيات (علوم المصريات) ، استعملت فى نطاقه أقوى عناصر البحث والدراسة • ولا شك ، أن الالتجاء فى المناقشات والمجادلات ، الى الأفكار والنظريات الفلسفية المعاصرة ، والى العلوم الحديثة ، يبين أن كل ذلك يتواءم قبل كل شيء مع الأسلوب الفكرى للباحث نفسه • ومع ذلك ، تبين أن نتيجة هذه المجادلات كانت مثمرة • ولا ريب أبدا أن معرفتنا بحقيقة الديانة المصرية قد تقدمت وتطورت كثيرا • وهناك العديد من الكتابات استطاعت أن تبتعد عن مشكلة التعارض بين مبدأ الشرك ومبدأ التوحيد، بل وعملت أيضا على تركيز الجدال • فنجد ، على سبيل المثال ، أن « فيليب ديرشان » ، من خلال الدراسة الأنثروبولوجية (علم دراسة الانسان) التى قدمها قد مهد الطريق لفكر مستقل ، وأن « اريك هورنونج » قد طبق على الديانة المصرية تحليلا يرتكز على منطق ذى معايير متعددة • وبذا ، فقد قام كلاهما باستجواب مصر ، ليس من أجل أن تجيبنا على أسئلتنا الخاصة ، ولكن من أجل أن تعطينا وجهة نظرها هى عن الوقائع •

لقد تركت مصر القديمة وراءها كما هائلا من الوثائق المادية ، بل ان مجموع ما عرف منها لم يتم فهرسته ونشره

كله حتى الآن . ويضاف الى كل ذلك الاكتشافات التى مازالت تعمل بصفة دورية على اثراء مراجعنا ووثائقنا . ولكن ، يتضح أن الانجاز الذى قدمه علم المصريات ، على مدى حوالى مائة وسبعين عاما ، يبدو فى آن واحد ضئيلا ، بالنسبة لضخامة عدد الآثار ، نظرا لعدد الباحثين الذين كرسوا جهدهم لدراساتهم . ولم يستطع علم المصريات أن يحصل على نسخ موثوق بها ، لبعض النصوص الدينية الشهيرة المهمة الا منذ حوالى عشرين عاما فقط . فها هو اذن ، قد آن الأوان لكى نقرأ النصوص ونعيد قراءتها ، ليس من أجل مواجهتها بتفسيراتنا الخاصة ، بل من أجل تفهم مضمونها الفعلى . علينا أن نفعل ذلك فعلا . فعلى عكس ما يعتقد ، لا تبدو معرفتنا باللغة المصرية القديمة كافية لدرجة تجعلنا متيقنين تماما من مضمون الكلمات . فمن خلال كل نص دينى ، بل بالأخرى من خلال كل سطر به ، يتراءى عدم اليقين والشك . وهذا الشك وانعدام اليقين لا يمكن أن يتلاشيا أبدا الا من خلال المقارنة بين النصوص المتعلقة بكافة الحقبات ، حيث يعمل كل دليل على تقوية غيره . ولا شك مطلقا ، أن هذه النصوص تعتبر بمثابة المصدر الأول لكل بحث وكل تساؤلات ، بالرغم من اختلاف طبيعتها وتباين التصور التى كتبت خلالها . ولعلنا نذكر أن أولى النصوص الدينية ، أى « متون الأهرام » (حوالى ٢٣٥٠ ق.م) ، لم تظهر الا بعد مرور حوالى سبعة قرون على ظهور الكتابة بمصر . انها تتناول موضوع مصير الملك بعد وفاته . وبذا ، فهى ، فى البداية ، لم تكن تتعلق الا بالفرعون وأفراد عائلته المقربين . وبعد مرور بضعة

قرون ، جاءت « نصوص التوابيت » (حوالى ٢٠٠٠ ق٠م) واستعانت بحصيلة «متون الأهرام» ، ولكنها فصلتها تفصيلا واسع المدى ، وبالتالى سمحت للجميع بأن يستفيدوا من مزايا الخلود فى العالم الآخر ٠ وخلال الدولة الوسطى ، ظهرت أيضا أولى القصص والحكايات الميثولوجية (الأسطورية) ، وأول النصوص السحرية ، وأول النصوص الشعائرية ٠ وعندئذ ، بدأ الفكر الديني يتراءى لنا بمزيد من الوضوح٠ وخلال الدولة الحديثة ، ظهر « كتاب الموتى » الشهير ، الذى استعان بجزء من كتاب « نصوص التوابيت » وأضاف اليه نصوصا جديدة ٠ وخلال نفس تلك الحقبة ، دونت بعض النصوص الأصلية ، حيث نقشت فى بداية الأمر ، فوق جدران المقابر الملكية ٠ وحاول كل منها ، بطريقته ، أن يقدم تصورا عن طبيعة العالم ٠ ولقد استنسخت هذه النصوص لمرات عديدة ، وتم تعديلها أيضا ٠ وهى تستوعب كافة المعلومات المتعلقة بالآلهة ، وبوجودها ، وبالآمال التى تعتمل فى قلوب البشر فى حياة ما بعد الموت ، وبالأساطير والشعائر ٠ وأمام كل هذا التنوع فى المضمون ، لا شك أن أى باحث تعود دائما على اعتبار الكتابات الدينية بمثابة « كتب مقدسة » ، سوف يتساءل عن مدى صحة وأصالة العقيدة المتضمنة بالنص ٠ والجدير بالذكر هنا ، أن الحضارة المصرية لا تعتبر بمثابة « حضارة الكتاب » ، ولكنها ، بالرغم من ذلك ، هى بمثابة « حضارة الكتابة » ٠ انها لم تعرف أبدا النصوص المنزلة بالمعنى المفهوم فى اطار للديانات الكبرى المعاصرة ، أى النصوص القاطعة الجازمة التى لا يجب المساس بها ٠ ومع ذلك ، ففى نطاق مصر ، نجد أن الكتابة هى التى تضمنت العقيدة ...

ان كل علامة من علامات الكتابة الهيروغليفية هي بمثابة بصمة وسمة لكائن ما ، لشيء ما ، وللعـــالم الذى أرادته الآلهة أن يكون • فالكتابة اذن ، ليست شـيئا متحجرا أو جامدا ، ولا محدود العلامات ، ان الهيروغليفية ، هى بمثابة « الكلمات المقدسة » ، وفقا للتعبير المصرى • انهـا تمثـل معرفة الهية نقلت الى البشر • وبالتالى ، فان كافة الكتابات قد أوحت بها الآلهة • انها تعطى صورة كاملة ومتماسـكة عن الآلهة • ومع ذلك ، فان الأعمال التمهيدية هى فقط التى تتغير • ان الكتابة هى ، فى آن واحد ، سرد لأحوال العـالم وتفسير له ، انها ، فى نفس الـوقت ، توضحه وتفسره • وبذا ، فان كافة النصوص الدينية ، والقصص الأسطورية ، تتحدث جميعها عن حقيقة واحدة ثابتة • وربما قد تتباين من خلال الروايات المختلفة ، ولكن هذا الاختلاف الظاهرى فى العبارات والأساليب على مدى العصور لا يعنى أن فكرة جديدة طارئة قد تراءت ، أو أن هناك تغييرا ما فى المضمون العقائدى •

وهذه الكتابة ، من خلال طبيعتها نفسها ، هى بمثـابة صورة تعمل على إتساع مجال النص • « هناك وحدة قامت منذ الأزل بين الفن المصرى والكتابة • فكلاهما قد انبثقا معا ، فى نفس الوقت ، عند بداية الأسرة الأولى • وبذا ، نسـتطيع أن نجـزم بأن « الفن المصرى بأكمله هـــو فن هيروغليفى » • فهذا ما أكده « هنرى فيشر » الذى كرس بحثا شيقا للغاية من أجل توضيح هـذا المبدأ • فالمنـاظر والأشكال لا يمكن اذن أن تنفصل أبدا عن النص : فالصورة هى أيضا عبارة عن سرد يصف بعض أحوال الآلهة • انهـا

بمثابة وصف للشعائر والطقوس · انها تساهم فى تفسير الفكر الدينى ·

ها نحن اذن قد حذرنا من مخاولة الاغراء لاستخدام مصر كمرآة · وها نحن قد تسلحنا بالمعلومات التى قدمتها هى نفسها الينا · وبذا ، فعلينا الآن مجابهة « الحياة اليومية للآلهة » بكل ما تتضمنه من غموض · ونحن نجد أن عبارة « الحياة اليومية » ، فى حد ذاتها ، لن يكون لها معنى فى اطار ديانة ترتكز على وجود اله واحد فقط · ولكنها بالأحرى تبين عن نطاق زمنى حيث تعيش مجموعة من الكائنات · بل هى تومىء ، بوضوح ، الى وجود أكثر من اله واحد · وخلاف ذلك ، فهى لا تتضمن فى طياتها أية اشارة عن وجود البشر كاشخاص ذوى أهمية ما · ترى ، هل يفصح ذلك عن مظهر أساسى فى اطار الفكرالدينى المصرى؟·

وكبداية ، وقبل كل شىء ، هل لهذه الآلهة « حياة يومية » ؟ فها هى آلهة مصر ، مازالت ماثلة أمامنا حتى اليوم ، لم تتغير صورتها على مدى آلاف السنين ، ولا تتأثر بمرور الزمن · ولكن نفس هذه الصور قد صنعها البشر أنفسهم · ولا شك أنها قد امتزجت بحياتهم اليومية امتزاجا قويا وذا معنى ، وعاشت من بعدهم · فبالنسبة لقدماء المصريين ، كانت الآلهة أمرا واقعا وفعليا ، ولقد أرادت أن تترك آثارا تدل على وجودها · وها هى تلك الآثار ماثلة أمامنا حتى الآن · لقد أراد قدماء المصريين ، أن يجعلونا ، فى حاضرنا هذا ، نشعر بكل ثقل ووطء هذا اليقين · ولكن لم توجد الآلهة فقط من أجل أن تعيش بين البشر · فهى تكون فيما بينها مجتمعاً خاصاً بها ، لا يمثل البشر فى

نطاقـه ، الا فى أحـوال طـارئة ونادرة حسب ارادة رب الأرباب • وفوق الارض ، كيف عساها كانت حياتها فيما بينها ، تلك التى نتخيلها جامدة متحجرة مثل تماثيلها او مثلما نقشت بالنقش البارز على جدران المعابد؟ لعلنا نعترف أنها فعالة ، ولكن هذه الفعالية تتم بشكل خفى • ولا تتراءى نتيجة أنشطتها الا من خلال بعض التغييرات الطبيعية . أو بما تشعر به حواسـنا ، أو بما نحس به فى أجسـامنا فى هيئة عقاب أو فى صـورة خـلاص • اذن ، فالأمر يتعلق بحياتنا اليومية نحن وليس بحياتها اليومية هى • ولكن ، كيف عسانا نحيط بأفعالها الخفية التى نجهلها تماما ؟ كيف ترانا نستطيع أن نلم بحقيقة مشاعرها ، هذا اذا كان لديها مشاعر ؟ وكيف نستطيع أن نتبين أنها قد تغير من سلوكهـا وأحوالها ، تبعا لتواجدها فى عالمها الخاص أو فى عالمنـا نحن ؟ ••• لقد وصلت الى أيدينا العديد من الكتابات • وتسرد من خلالها بعض فقرات حياتها أو بعض الأحداث فى حياتها اليومية • ومع ذلك ، لم تفسر أبدا بكل وضـوح ، كيفية توصل البشر الى معرفة عادات الآلهـة وطباعهـا • ولعلنا نذكر ، بالرغم من ذلك ، ان البشر ، خلال « العصر الذهبى » ، قد عاشـوا مع الآلهة ، وبالتالى ، اسـتطاعوا ، من خلال هذه المعايشة ، أن يحصلوا منها على بعض المعارف • ولذا ، نجد أن بعض الممارسات التى يقوم بها البشر تبـدو وكأنها امتداد ، صامت ، للأنشطة الالهية • وخلاف ذلك ، ففى بعض الأحوال الاستثنائية ، يستطيع أحـد البشر أن يدخل فى عالم الموتى ثم يرجع منه ، وبالتالى ، وبدون أدنى شك يحصل على العديد من المعلومات النادرة القيمة • وعلى ما يبدو ، فقد توارثت الأجيال روايات شـفهية حـول هذا

الموضوع منذ أقدم العصور . وخلاف ذلك ، فأن محفوظات المكتبات ، تتضمن نصوصا عظيمة نادرة : كتابات الاله « تحوت » التى استنسخت على مدى العصور والأجيال . اذن، هناك عدد ضخم من النصوص قد تركها هذا الاله فوق الأرض فى أماكن غامضة . وربما يستطيع أحد الحكماء ، بفضل صبره ومثابرته ، أن يعثر عليها فى نهاية الأمر . كما أن بعض الكتب ، التى استعان بها المصريون ، مثل : « كتاب الموتى » ، و « كتاب فتح الفم » ، قد كتبها الاله « تحوت » خصيصا من أجلهم . وهناك كتاب كان مخبأ تحت ظهر الاله « خنوم » ، ولا أحد يعرف ، كيف وصل مضمون هذا الكتاب الى متناول البشر . بل ان الآلهة نفسها تحاول ، بين وقت وآخر ، أن تنقل بعض أسرارها الى البشر . فتسقط عليهم من السماء أحد كتبها الالهية ، فالكتابة هى أداة الدين وتسمح بولوج عالم الآلهة .

ان النصوص السحرية والنصوص الأسطورية ، هى ، بصفة خاصة ، التى تحدثنا عن عالم الآلهة . فهى تشير الى أوجه نشاطها ، بل وتذكر لنا ، خاصة ، العديد من الأحداث الخارقة للمألوف . فهناك بعض القصص تصفها وهى فى عالمها الخاص . ولم يتبق الكثير من هذه القصص حتى الآن . ولكن ، على ما يبدو ، كانت تعتبر نمطا قصصيا راقيا وواسع الانتشار للغاية منذ أقدم العصور . والبعض الذى تبقى من الآداب الديموطيقية يبين أنه كان يلقى اقبالا كبيرا خلال العصر المتأخر . وسواء أكان الأمر يتعلق بقصص أسطورية أم حكايات سحرية ، فانها جميعا كانت تتعدى نطاق عالم الكهنة المحدود ، لتنتشر بين الطبقات المثقفة . بل وتنتشر

أيضا ، شفهيا بين العامة من الناس • ومن خلال القصص الأسطورية أو النصوص السحرية ، يلاحظ ان الأساطير تتجرد تماما من هالتها المقدسة لتتخذ طابعا عاديا ودارجا للغاية • بل ان قانون الكتابة نفسه كان يسمح ، بكل سهولة ويسر ، بأن يحول النص المقدس الى نص عادى دنيوى • وربما قد يتحول ذلك الى مجرد لعبة أدبية ممتعة • فقد قام أحد الكتاب ذات يوم ، من أجل التسلية فقط لا غير ، باعادة كتابة مشهد « وزن قلب المتوفى » بعبارات دنيوية • وبذا ، فقد حوله ، الى مجرد عملية تقنية بحتة ، حيث لعبت المقاييس والموازين ، والحسابات التجارية ، الدور الأساسى • وبخلاف القصص والحكايات ، نجد أن النصوص الأخرى قلما تقدم سردا كاملا • وبذا تستدعى الضرورة ، فى أغلب الأحيان ، القيام بعملية تجميع لأجزاء صغيرة متفرقة ، من أجل اعادة تكوين سياق احدى الأساطير • ولا شك أن كل ما نعرفه عن الآلهة وعن أسلوب حياتها ، من خلال تلك المصادر المختلفة ، يتعلق أساسا بالفترة التى سبقت انفصالها عن البشر • فلقد انتهى « العصر الذهبى » عندما تمرد البشر ، وتغير مجرى حياة الآلهة • ومنذ ذلك الحين ، أصبحت الممارسة السحرية هى فقط التى تسمح مباشرة ، بدخول عالم الآلهة ، بل وبمعرفة أدق أسراره الدفينة •

وتبين لنا الطقوس ، الآلهة وهى بداخل معابدها • وربما يوحى تعبد الكهنة بالمعبد ، بأنه يتيح المكان المناسب للبشر ، من أجل الاتصال بآلهتهم • وليس ذلك بصحيح • فمن خلال النقوش البارزة ، التى تهدف أساسا لتوضيح المضمون الفعلى للطقوس ، والمنحوتة فى الصخر ، من أجل

أن تبقى على الدوام ، نجد أن الملك فقط هو الممثل أثناء تأدية الطقوس للآلهة ، وأيضا وهو يقدم القرابين من أجلها • أما البشر ، والكهنة ، فليس لهم سوى وجود دنيوى زائل وعابر فى نطاق المعابد ، حيث لم يتركوا وراءهم أى أثر • وحتى عندما يمثلون ، فانهم يبدون غالبا ، كمجرد حاملين لأدوات الطقوس ، وليس مؤدين فعليين لها • ولقد أشارت النصوص الى ذلك بكل وضوح حيث قالت : انهم ليسوا سوى مبعوثى الملك • وعندما لا يستطيع الملك التواجد فى كل مكان بصفته الشخصية ، فهو يعمل على تواجده الكلى الدائم من خلال النقوش البارزة • وكذلك ، فان عامة المؤمنين ، لم يكن يسمح لهم ، هم أيضا ، بدخول ساحة المعابد • واستطاع البشر أن يتغلبوا على هذه التنحية والاقصاء ، فعملوا على اقامة محاريب خاصة بهم عند أطراف المعابد ، أو فى منازلهم أو بمقابرهم • عموما ، فان تدرج الكهنة والرعايا المؤمنون داخل النطاق الاجتماعى الدينى ، يستحق دراسة منفردة ، وليس له مجال هنا • ونحن اذا دققنا فى النصوص والصور والتماثيل بالمعنى الحرفى الدقيق ، فلن ننظر الى الدين بنفس نظرة البشر له ، وبالتالى، سوف نستطيع التعرف على حقيقته الميثولوجية الجوهرية • ولا شك أن هذه الأولوية التى أضفيت على الكتابة ، قد سمحت بتحديد القائمين الفعليين بالطقوس والشعائر • وبذاء فان الملك والآلهة الممثلين بواسطة الكهنة ، يستطيعون ، بداخل المكان المناسب أن يتقابلوا على الدوام • وهناك يصبح الملك ، ابن الآلهة ، بمثابة الوسيط بين عالم الآلهة وعالم البشر • وفى نطاق الأسطورة ، يتسم كل حدث ، وكل حركة ، وكل عبارة بمعنى جوهرى • وتعمل الطقوس بداخل

المعابد ، أى الأماكن الالهية المغلقة فوق الأرض ، على تكرارها بواسطة الملك أو من أجل الملك . ان الأحداث الأولية لا تتوقف أبدا عن التكرار فى هذا العالم . ولا شك ان هذه الاعادة تعمل على ثبات التوازن الكونى ، بل وتبين أيضا ما قد يصيبه من تصدع أو نقائص . وتعمل الطقوس على تعضيد التوازن وتقويته ، وأيضا على محو ذلك الصدع والنقائص .

فها هو اذن نظام ما تتحدد معالمه ، وفى اطاره تتبلور المفاهيم فى هيئة وظائف محددة . وهنا ، نجد أن الآلهة لا تبدو فى هيئة « أشخاص » ، ولكن فى هيئة تجسيد وتوضيح لهذه المفاهيم الوظيفية . ونجد ، أن كل اله ، فى وقت محدد ، يقوم بدور ما . ونجد ، أن كل دور ، وفقا لكل وقت ، يمكن أن تقوم به آلهة متباينة . ان الآلهة قد ساهمت بدور مهم فى بناء العالم . وبالتالى ، فهى تستطيع ، بل ويجب ، أن تمثل ثانيا من خلال الطقوس بالمعابد ، ان اقامة هذه الطقوس هى دليل على الاعتراف والاقرار بالألوهية . والهوية لا توجد فى الاله نفسه ولكن فى وظيفته . وربما تبدو وظائف الآلهة قليلة العدد عند الوهلة الأولى ، ولكنها ، مع ذلك ، تعمل على تعضيد وتقوية عقيدة التعدد المصرية . انها تتجسد بأجلى معانيها من خلال أسطورة التاسوع المقدس بهليوبوليس . وسوف نولى هذه الأسطورة اهتمامنا الأول . فهى التى سطرت قصة العالم التى يجب أن يعاد تمثيلها بشكل صامت من خلال الطقوس الدينية .

وسوف نقص هنا « الحياة اليومية للآلهة » ، فيما بينها أو فى مواجهة الملك الوسيط · وبذا ، سوف نلقى الضوء على حبكة الأسطورة ، ليس كأمر خيالى ، ولكن كأمر واقع فعلى يستمد بقاءه الدائم من أداء الطقوس · بل اننا ، كذلك نحاول مقابلة الآلهة وجها لوجه وبدون وسيط · اذن، فها هى دعوة للقارىء للدخول كلية فى نطاق ادراك لعالم غير مألوف يختلف تماما عن ادراكه الشخصى · وربما ، من خلال قراءته لهذه الصفحات قد يتبين المنطق الحميم الذى يتضمنه سلوك الآلهة · بل ربما قد يعتقد ، مثل قدماء المصريين ، أن للآلهة حياة يومية فعلا ·

الجزء الأول

الآلهة فيما بينها

المنشأ ، والمصير ، والتاريخ

لم يكن وجود الآلهة المصرية سرمديا • فلقد أشارت النصوص الدينية ، لمرات عديدة ، أنها قد تولد ثم تموت ، وأن الأزمنة لها بداية ونهاية بالنسبة لها • فحقيقة ، ان نشأة العالم قد وصلت الى علمنا من خلال العديد من الكتابات ، بشكل ضمني فى أغلب الأحيان ، ومجزءا أحيانا ، ومقتضبا الى حد ما فى تعبيراته • وحقيقة ، ان نهاية العالم قد ذكرت بكل وضوح من خلال فصل « بكتاب الموتى » ، ومع ذلك لا يوجد بحث أو دراسة فعلية تستطيع أن تصف لنا بشكل مترابط ، وموضح وشامل حياة الآلهة • ان منشأها ، وتاريخها لم يصل الى علمنا الا على هيئة مجموعات ، وبشكل غير مباشر في أغلب الأحيان • كما أن النصوص المذكورة في هذا البحث ، وهى مصدر علمنا الوحيد ، تطرح مع ذلك أسئلة أساسية حاولت كل حضارة من الحضارات أن تجيب عليها ، بطريقتها الخاصة • ولقد أوضحت لنا أن الآلهة تعيش فى اطار الزمن ؛ وأن لها قدرا ومصيرا •

المنشأ والنهايات الأخيرة

فلنبحث فى هيئة العالم قبل عملية الخلق • ان مفهوم العدم ، الفراغ التام ، واللا وجود المطلق لم تعرفه مصر • هذه الحضارة العريقة التى ظلت غريبة جدا

من العالم المادى المحسوس ، فلم تستطع التأمل والتفكير فى مثل هذه المجردات . فقد قيل لنا انه لم يكن يوجد أى شىء على الاطلاق . ولكن صعوبة تصور مثل هذه الحال ، تقتضى بعض التحديد ، خاصة أن الجميع كانوا يعرفون أنه قبل عملية الخلق كان يوجد فراغ لا حدود له ، فضاء مائى مياهه ساكنة وخاملة ، لا حراك فيهما مطلقا ، تحيط به ظلمات مطبقة . ولكنها لم تكن بظلمات الليل ، لأن الليل والنهار لم يكونا قد خلقا بعد .

ومن أجل وصف هذه الحالة الغريبة جدا ، بدأت النصوص تستهل الكتابة عنها بتبعة أسلوب النفى ، فقدمت قوائم بكل ما هو غير موجود . وكل قائمة من هذه القوائم كانت بالقطع محددة تماما ، وتلك التى بين أيدينا كانت مختصرة بصفة عامة (١) ، ولكنها تصور لنا العناصير الأساسية لخلق العالم فى مفهوم المصريين من خلال نفى وجودها . فلم يكن هناك أى وجود للسماء والأرض، ولم يكن هناك وجود أيضا للآلهة وللبشر ، كما أن عوامل الغضب ، والضوضاء ، والصراع لم يكن لها وجود ، ولم يكن هناك وجود للخوف مما قد يحدث لعين حورس ، ولم يكن للموت وجـــود .

واذا كان من المنطق أن يكون وجود الأرض، والسماء ، والكائنات الحية والآلهة هو بمثابة الدليل القاطع على خلق العالم ، فان العناصر الأخرى المذكورة تلقى ضوءا خاصا على حالة الخلق منذ النشأة الأولى بطريقة غير متوقعة . فالعالم الذى خلق يتميز « بالضوضاء والغضب » ، وبوجود الموت ، وبالخوف من أن يحدث شىء ما لعين حورس . فان عين

حورس ، ليست فقط هى كوكب الشمس الموزع للحياة ، ولكنها أيضا وبشكل تدريجى أصبحت فى مفهوم المصريين تمثل مجموع ما خلق بما فيه مصر نفسها ، أى العالم المنظم · وأما عن الموت ، والخوف من نهاية العالم فهى من مسئولية العمل الخلاق وتنبثق من خلاله ·

ولكن ماذا عن الحياة ؟ هناك فقرة فى « نصوص التوابيت » تقدم لنا بعض العناصر للاجابة على هذا السؤال · فها هو رب الأرباب الخالق يحكى عما حدث قبل عملية الخلق : « كنت بمفردى فى المحيط الأزلى ، جامدا وبدون حراك ، ولا أجد مكانا أقيم به ··· ولم يكن (أرباب) الجيل الأول قد وجدوا بعد (ولكنهم) كانوا معى » · ثم قال رب الأرباب الخالق للمحيط الأزلى : «لقد كنت أطفو بين مياهك بدون حراك تماما ··· وانه « شو » ولدى « الحياة » ، هو الذى أوقد ذهنى ، الذى جعل الحياة تدب فى قلبى وجمع أعضائى « الخامدة » · فقال المحيط الأزلى لرب الأرباب الخالق :« استنشق ابنتك ماعت » وقربها من خياشيمك حتى ينتعش قلبك بالحياة · ولا يجب أن تبعد عنك ، ابنتك « ماعت » وابنك « شو » ، واسمه هو « الحياة » ! (٢) ·

ان هذا النص الرائع ، الذى تتراءى الحياة من خلاله، يصف ثلاث مراحل : فى البداية ، وهو فى وحدته ، ها هو رب الأرباب الخالق يفكر · أما الآلهة الأولى ، التى سوف تتكاثر بعد عملية الخلق ، فلم تكن قد وجدت بعد، ولكنها، بشكل ما ، متضمنة داخل الخالق نفسه · وبدون أى سبب محدد ، ها هى الحياة تظهر تلقائيا بداخل رب الأرباب الخالق ، وقد قيل لنا إن الأمر يتعلق بـ « شو » ، أى الله

الهواء - وعلى الفور ، وهذه هي المرحلة الثانية ، أخذ الخالق يتكلم : فالكلمة ... هي الاستتباع القاطع لظهور الحياة في كيانه - وقد قيل لنا ان الأمر يتعلق بـ «شو»، أى اله الهواء . وفى هذه اللحظة بالذات ، لم يكن المحيط الأزلى قد اكتسب وعيه ، فهو فى حقيقة الأمر غير موجـود (٣) - : انه لا يعرف أن رب الأرباب الخالق قد صـحا من جمـوده وسكونه وأصبح موجودا ، لقد تمت هذه العملية دون أن يتمكن من رؤيتها (٤) . وبمثل هذه الطريقة ، انفصل رب الأرباب الخالق وتفرد عن المحيط الأولى ، الذى يطلق عليه المصريون اسم « نون » والذى ربما يعنى اسمه « العدم » . وبذا استطاع رب الأرباب الخالق أن يوجه كلامه للمحيط الأزلى ، ويعطى له بشكل ما تقريرا عما حدث له . واستتبع هذا الوصف المختصر اجابة من المحيط الأزلى ، وصحوته ، وهذه هى المرحلة الثالثة . ان الحيـاة تستنفر الكلمة ، والكلمة يتولد عنها الحوار . ان هذا الحـوار ، بواسـطة عملية الخلق ، يفصح فى آن واحد عن محركات وضمانات عملية الخلق المقبلة : الحياة التى يمثلها شو ، رب الهواء ، وماعت التى يستنشقها الخالق والتى من جراء ذلك تعتبر عمليا مشاركة فى الجوهر مع الهواء . ان ماعت ليست فى واقع الأمر سوى القانون والمعيار الذى سوف يسوس ويدير تناسق الظواهر الكونية ، وكذلك القـواعد الاجتماعيـة والاحترام اللازم لها - اذن فالهواء ، والحياة ، بواسـطة الجهاز التنفسى للخالق ، سوف يزفران ويعملان على مولد الكائنات الأخرى (٥) .

وفى هـذه اللحظـة ، لم يكن الخلق قد بدأ بكل معنى الكلمة ، فان رب الأرباب الخالق لم يتحرك بعد . فها نحن

مازلنا فى مرحلة تمهيدية • ونفس هذه المرحلة سوف تمر ببعض التطورات ، التى تسمح لنا بعض النصوص الأخرى بالتعرف عليها •

وهنا نجد آن الخالق هو الذى مازال يتكلم : « لقد جعلت الحياة تدب فى جسدى بواسطة فعاليتى ، أنا الذى خلق نفسه ، لقد صنعت نفسى وفقا لرغبتى (٦) • لقد جئت الى الوجود بصفتى من أوجدنى • لقد خلقت كافة الكائنات بعد أن جئت أنا الى الحياة • فالكثيرون هم من خلقوا وانبثقوا من فمى • فى الوقت الذى لم يكن هناك وجود للسماء ، ولا وجود للأرض ، ولم تكن التربة الصلبة قد خلقت بعد ، ولا الثعابين القائمة فى هذا المكان ، فخلقت البعض منها فى المحيط الأولى ، فى حالة جمود ، حينما كنت لا أجد مكانا أقيم فيه » (٧) • وقبل عملية الخلق نفسها ، وبواسطة هذه الكلمة التى اعتبرت بمثابة أولى المظاهرالدالة على حياته ، قام رب الأرباب الخالق بصنع جسده ، ثم بضعة ثعابين • ولقد رافقته هذه الثعابين خلال بقية عملية الخلق ، فى حين آن البيضة التى انبثقت منها الشمس قد ظهرت ، اما من أعماق المحيط الأولى ، واما قد سقطت من السماء وفقا لما أوردته لنا الروايات (٨) • وهذه الثعابين هى مخلوقات غامضة ، لا تعرف سوى الظلمات ، بما أن الايقاع النهارى والليلى لم يكن قد خلق بعد ، وسبب وجودها الوحيد هو أن توجد « فى هذا المكان » ، فوق هذا المكان من الأرض الصلبة الذى كان رب الأرباب الخالق سوف يبدأ خلق الضوء من بدايته ، ثم يخلق من بعده كافة الكائنات • • هذه الثعابين هى كائنات تعيش تحت الأرض ، وهى تتبع

يالأكمة التى سوف تنبثق من قلب المياه ، انها أول من سيسكنها . انها تمهد للخلق ولكنها ليست جزءا منه .
وباعتبارها غير سابقة الوجود مثل المحيط الأولى أو رب الأرباب الخالق ، وبما أنها كانت قائمة قبل الخلق نفسه ، فقد بقيت هذه الثعابين حبيسة داخل فجوة . فقد وضع الخالق في مجابهتها حاجزا ما لا تستطيع تخطيه . وبعد اتمام عملية الخلق ، أتمت هذه الثعابين الوقت المخصص لها، وفقا لما تقوله النصوص ، ثم ماتت . انها أول الأموات فى هذا العالم . ولكن ، قيل أيضا ، انه اذا كان مصيرها قد حدده الخالق نفسه ، «فان ذريتها فوق الأرض لا تنتهى(٩)» .
وهذه الذرية ليست سوى العالم الذى خلق ، والكائنات التى تتعاقب فيه . ويبدو أن هذا الموت الاضطرارى لهؤلاء الرواد الأوائل قد أحزن رب الأرباب الخالق كثيرا ، الذى قرر تحنيطهم وأن يحضر كل عام ، في موعد محدد من أجل وضع قرابين فوق قبرهم . وتعمل هذه القرابين « على جعل صدورهم تتنفس وهى مفعمة بالحياة ، حتى يجيء موعد قدومه التالى (١٠) » . انهم اذن أول الأموات ، وأول من حنطوا ، ثم هم أيضا أول من أقيمت من أجلهم طقوس جنازية ، وهى طقوس الأقدمين . وسوف نلاحظ أن نفس الأمر ينطبق على كافة الأجداد السابقين .

وبعد أن تم خلق العالم ، استقر به الأرباب والبشر .
وحكمت الآلهة فوق الأرض بشكل متعاقب . فها هو « العصر الذهبى » . ولكن سرعان ما تمرد البشر وثاروا وانسحبت الآلهة الى أعالى السماء . وآلت الملكية فوق الأرض عندئذ الى خلفاء حورس الذين استهلوا ومهدوا لسلالة الفراعنة

من البشر . وعرفوا ، هم أيضا ، مصير قدماء الخلق واختلطت شعائرهم مع شعائر هؤلاء الأقدمين (١١) . ونفس هذه الحقبة المتعلقة بحكم الأرباب فوق الأرض ، المفعمة بمختلف الأحداث ، هي التي توفر المادة اللازمة للجزء الأول من هذا الكتاب . وسوف نرى أن هناك أيضا من يموتون ميتة غير طبيعية ، حتى في محيط الآلهة . فان الغضب ، والصراع ، اللذين على ما يبدو قد وجدا منذ اللحظة الأولى لخلق العالم ، يستتبعهما الموت . وهناك كذلك قد يقتل البرىء ، أو يعاقب من يهدد « القانون » .

وبمجرد أن يتم البشر مصيرهم فوق الأرض ، تأتي النهاية ؛ وتلازم هذه النهاية نهاية « الضوضاء والغضب (١٢) » . ومع ذلك ، ومثلما كان الوضع قبل الخلق فلن يكون هناك « الفراغ » ، و « العدم » فان نهاية العالم لن تكون بمثابة نهاية لكل شيء . لان الذى لم يخلق لا يمكن أن يدمر . وبذا ، فان المحيط الأزلى ورب الأرباب الخالق اللذين سبقا عملية الخلق ، يبقيان بعد نهاية العالم حتى يتلاقيا . فان عملية الخلق كانت قد فصلت بينهما فعلا . ان رب الأرباب الخالق ، والآلهة ، والبشر ، وكافة الكائنات تعيش في نطاق المجال الذى خلق . وسوف يلتقى بالمحيط الأزلى عند أطراف هذا النطاق (١٣) . ولكن عملية الخلق ، ورحيل رب الأرباب الخالق منه ، وموت الثعابين الأقدمين ، لم تجعله ، على عكس ما قد يعتقد ، خاويا وخامدا . فهناك بعض التحركات الدورية التى تجعله يضطرب ، وبعض الكائنات التى تعيش به . ويعتبر فيضان النيل المنتظم بمثابة أحد علامات نشوره ، وفيضان النيل

يعتبر ذا فائدة لأنه يسمح بزراعة الأرض • وسـواء أكان هـذا الفيضان عارما قويا أم ضـعيفا مضمحلا ، فانه مثير للقلق • فعند نقطة الالتقاء بين المحيط الأزلى والعالم الذى خلق ، تغوص الشمس عنـد غروبها فى هـذه الآفاق التى تقوم باحيائها مرة أخرى • ولكن فى نفس هذا المكان أيضا يوجد ثعبان عملاق يتربص بها ، ويقـوم ، كل صـباح ، عندما تشرق الشمس ، بمهاجمة المركب التى تستقلها • وفى كل صباح يدحر الثعبان العملاق ويهزم (١٤) •

ويقال لنا ان هذا الشيطان « يحوم فى الجوار ، بحيث لا تحـدد الفصـول أبدا وبحيث لا يمـكن تبين حـدود الظلال (١٥) » • ويمكننا أن نطالع العبارات التى تصف الظلال ، وغياب النهار والليل ، والفصـول كعناصر مميزة لحـالة العـدم والتى تعتبر أيضا كدلالات سـابقة لنهـاية العالم • ان المحيط الأولى الذى تفعم مياهه بقوة الاحياء ، يتضمن أيضا قوة منـذرة بدمار نظـام العالم الذى خلق • وتفصح هذه القوى عن الرغبة الملحة من جانب الفراغ، لكى يسترجع الفضاء الذى سلب منه بواسطة عملية الخلق • ومن خلال أحد النصوص الأدبية ، نجد احدى الفقرات التى تشيد بصفات رب الأرباب الخالق : « ان البشر ، قطيع الاله قد أنعم عليهم جيدا ، فلقد خلق الاله من أجلهم السماء والأرض، وحد من طغيان الميـاه ، وخلق الهـواء من أجـل احيـاء خياشيمهم(١٦)» • ان هذا الحقد ، وهذا الجشع والشراهة ، وهذه الثورة المتخلفة من جانب المحيط الأولى (١٧) ، يتم دحرها كل صباح من خلال الثعبان العملاق ، ويتم قمعهـا عند أطراف العالم بواسطة مفعول الشمس المفيد • ان عودة

الشمس يوميا هى فقط التى تسمح بابعاد هـذا الجشـع والشراهة ، ونفس هذه العودة ترتبط « بالقانون » . فان احترام هذا القانون ، الذى يجب أن يلتزم الجميع به ، هو الضمان الأفضل من أجل استتباب التوازن الذى تجسده .

ولكن بما أن المحيط الأولى لا يتوقف عن تهديد الخلق، وبما أن رب الأرباب الخالق لا يلحقه أى ضرر ، فهل يعتبر دمار الخلق ، مهما فعل من أجل تلافيه ، بمثابة أمر محتم ؟ عمـوما ، « فسوف يتنبأ « طائر البجع » بأن الدمار سـوف يحدث ، وسوف يهب « العظيم » قائمـا وينطلق التاسـوع هائجا ، وسوف يحجز الوادى ، وسوف يضـم الطرفين عـلى بعضهما بعضا ، وتلتقى الضفتان معا ، وتصير وعرة أمام المسافرين، وتحطم المنحدرات أمام من يودون الهرب(١٨)» .

ان طائر البجع ، هذا الطائر الشمسى يجسد بواسـطة منقاره الضخم الباب الذى تدخل وتخرج منه الشـمس الى عالمنا . انه يعيش عند أطراف العالم ، وبذا ، فهـو يعرف ما سوف يحدث به فى يوم من الأيام . ان أطراف العـالم سوف تطوى عـلى بعضها ، وتمتلى بعضها بعضـا ، وتدمر المجال الذى خلق وتسد كل الطرقات أمام كل من يود الهرب . ألا يعنى ذلك أن الفراغ هو الذى سينتصر فى نهاية الأمر، أم أن رب الأرباب الخالق سـيصيبه الكلل والتعب ؟ ومن خلال أحد الفصول الشهيرة « بكتاب الموتى » (١٩) ، يبـدو رب الأرباب الخالق وهو يشكو للاله تحوت ، رب الحـكمة قائلا : « أيا تحوت ، ماذا عساى أن أفعل بأبناء نوت ؟ لقـد دبروا للحرب ، وأثاروا الصراعات ، وتسببوا فى الفوضى ، وتآمروا من أجل التمرد ، وقتلوا ، وقاموا بعدة اعتقالات،

جملة القول ، ان كل شيء عظيم جعلوه ، ضئيلا ، في نطاق كل ما خلقته » •

فمن عساهم يكونون أبنـاء نوت ؟ انهـم أوزيريس ، وايزيس ، وست ، ونفتيس ، وكذلك حورس القديم ، الذي انتهت صراعاته الدائمة ، كمـا سنرى ، بسـفك الدماء ، واغتيال أوزيريس • انها هي الآلهـة التي قدمت المثـال السيء للبشر الذين قاموا في النهاية بالتمرد ضد السلطة العليا • ان أبناء نوت ، هم في الـواقع ، الذين ينسـاقون دائما لغرائزهم السيئة ، ويفسدون العالم • وأمام شـكوى رب الأرباب الخالق ، أجاب تحوت ، الذي يعتبر أيضا بمثابة الاله المسئول عن حساب الزمن : « عليك أن تتحمل الخطأ ، ولا يجب أن تقبل (ذلك) ! اختصر سـنواتهم ، اقتطع من شهورهم ، بما أنهم قد قاموا سرا بالتمرد على كل ما خلقته»! اذن ، فان التـوازن الذي يحقق ترابط الخلق وعمـرهم ، لا يمكن أن يقاوم الخطر الأكثر فداحة ، بما أن هذا الخطر ينبثق من داخل هذا الخلق نفسه •

ان الميت ، الذي يسمع أثناء وجوده في العالم الآخـر الحوار بين رب الأرباب الخالق وتحوت ، قد يصيبه القلق • فهو لم يرتكب خطأ ، وهو ليس من أبناء نوت ، وهذا ما يبرر وجوده بين الأبرار ، وها هو يسأل : « وماذا عن الفترة التي سأقضيها حيا ؟ » وحقا ، ماذا ، عن الأبدية التي وعد بها ؟ لقد أجابه رب الأرباب الخالق قائلا : « سوف تعيش لملايين ملايين السنين ، ولكني أنا ، سـوف أدمر كل ما خلقتـه ، وسوف تعود الدنيا الى حالتها الأولى بالمحيط الأزلي ، أي حالة المياه والمـوج • وأنا الذي سأبقى مع أوزيريس ، عنـدما

يتحول مرة أخرى الى ثعبان ، لا يستطيع البشر التعرف عليه ولا تستطيع الآلهة رؤيتى » • اذن ، فان الموتى ، مثلهم مثل الآلهة أنفسها ، ينعمون بفترة حياة محـددة (٢٠) ولا أمل لهم الا فى أن ينصهروا ، فى يوم ما ، بداخل ذاك الذى يمثلهم جميعا • وفى نطاق عالم يعود مرة أخرى الى حالته الأصلية ، يتقمص رب الأرباب الخالق ثانيا شكل الثعبان ويهمد فى مياه المحيط الأزلى • وبالرغم من أن مومياوات الآلهة يجب ، كما قيل ، أن تبقى « لمئـات الملايين من السـنين (٢١) » ، فقد خصص من أجلها فترة مرقمة ، أى محددة وذات نهاية •

وها نحن نعود اذن للثعبـان ، الذى يستوعب بداخله الآخرين جميعا ، وهو الصورة العقلية لرب الأرباب الخالق الذى لم يخلقه أحد ، والذى يختلط بداخله الفراغ وقوى الحياة اختلاطا تاما • فبداخله يكمن الثعبان الذى يحيط بالعالم ، ويهدد الشمس ، والثعبان الراقد ملتفا على نفسه مغطيا أرض المغارة التى يفترض أن فيضـان النيـل ينبثق منها (٢٢) ، وهو فيضان طيب حميد عندما يكون محددا ، والذى يعتبر فى عالمنـا هـذا ، بمثـابة امتـداد للمحيط الأزلى •

ان هذا الثعبان الذى يعمل عـلى ارتفـاع الفيضـان وانحساره ـ بحركة دورية ومنتظمة تماما ، والذى يسـند رأسه فوق ذيله ، يقترح لنـا مخرجا لنهـاية العـالم • ان «كلوديان»، هذا الشاعر الاغريقى الذى عاش بالاسكندرية ، فى مصر ، حوالى ثلاثة أرباع قرن قبل أن يستولى على روما (نهاية العالم ؟) ، يصف لنا هذا الثعبان وعرينه من خلال بحثه المعنون : « Hommage a Stilichon » (٢٣) فيقول :

« توجد في مكان ما ، غير معروف ، وبعيد ، لا يستطيع أن يصل اليه بشر ، وربما محرم على الآلهة أنفسها الاقتراب منه ، مغارة ما · انها مغارة الأبدية العظمى ، أم الليـالى المظلمة ، التي تلد العصور وتستدعيها الى صـدرها الواسع المدى · وحول هذه المغارة ، يلتف ثعبان ضخم ، ويبتلع كل شيء بارادة هادئة ، وتبقى قشرة جسمه شـابة دائمـا · وحلقه يتجه الى الخلف ليأكل ذيله نفسه ، وبحركة هادئة ، يستعيد ثانيا كل ما يفعله » ·

اذن ، فمن المستحيل أن يصل اليه البشر ، وغير مسموح للآلهة الاقتراب منه · ان هذا يتوافق تماما مع العبـارات التي قالها رب أ.رباب الخالق وهو يصف الثعبان ، وهيئته النهائية بالفقرة التي ذكرناها من « كتاب المـوتى » منـذ قليل · ففي واقع الأمر ، كلا النصين لا يصفان سوى جوهر واحد ، وبذا فان الثعبانالذى يلتهم ذيله، أى الأوروبوروس لدى الاغريق ، هو نفسه رمز الأبدية ، و ، بوجه خاص ، عودة الشباب الدائم للزمن « الذى يعود من حيث بدأ » ، وفقا لما قاله كلوديان (٢٤) · وربما يحق لنا آن نتمنى أن رب الآرباب الخالق بعد آن غفا ونام فى قلب المحيط الأزلى، سوف يستيقظ ثانيا من آجل خلق عالم جديد ، نأمل فى أن يكون آفضل ·

كان المصريون يتصورون الأبدية فى هيئـة ثنائيـة ، تتكون من فترة خطية ، ومن فترة آخـرى دورية ، الأولى تشير الى الماضى ، والثانية تشير الى المستقبل (٢٥) ، ومن منطلق هذا المنظور ، يعتبر رب الأرباب الخالق بمثابة « من جاء الى الوجـود بعـد انتهـاء الفترة الدورية ولا يختفى

أبدا (٢٦) » • وتتطابق هذه الفترة الدورية مع الزمن الخاص بالبشر وتستمر «حتى رجوع الفترة الخطية»(٢٧) ، وهى فترة « العصر الذهبى » الجديد المنبثق من عملية خلق جديدة ، اذن فالعالم ينتهي ويولد من جديد في هيئة دائرة لا نهائية وفقا لايقاع شبيه بتنفس كونى هائل ، حيث تعتبر كل من الحقبات الكبرى ، بالنسبة لرب الأرباب ، كمجرد يوم ينقضى (٢٨) •

أعداء الكون • صراع من أجل التوازن

منذ أن خلق العالم ، تهدده قوى لم يخلقها أحد وكان وجوده سببا لابعادها نحو الأطراف • وبالرغم من أن وجود هذه القوى كان يتلاشى تدريجيا كلما اتسعت رقعة ما خلقه رب الأرباب ، فلم يكن من الممكن تحاشى ذلك • وبما أن هذه القوى لم تتولد من عملية الخلق ، فانها كانت بمنأى عن الدمار النهائي - ولا يمكن سوى دحرها بشكل دورى وتستلزم هجماتها المتكررة خوض معارك دائمة من أجل الحفاظ على توازن واستقامة الخلق • ففى نفس اللحظة التى كان يحاول فيها رب الأرباب الخالق أن يستقر لأول مرة ، فوق الأكمة المنبثقة من المياه الأولية ، وجد نفسه فى مواجهة ثعبان يهدده (٢٩) • وهذا الثعبان ، هو بمثابة تجسيد لكل ما ينبذه العالم المخلوق ، يقوم بشن أول معركة من أجل استعادة المجال الذى أخذ منه • ويتواجه المتصارعان فى معركة غريبة الشأن يخرج منها الخالق منتصرا •

وتقول بعض المصادر ان هذه المعركة قد وقعت على أرض هليوبوليس ، عاصمة اله الشمس ، وتصورها على أنها كانت بسبب خلاف يتعلق بتقسيمها • ويسمى الثعبان

« المقيم داخل نيرانه » ، ويقـود التمرد على رأس عشرين ثائرا(٣٠)٠ ويبدو الثعبان وقد تسلح بحربة ، ويهاجم رع الذى يدافع عن نفسه بمفرده ، على الأقل فى بداية المعركة٠ ومن أجل ردع هذا الهجوم ، قام اله الشمس بوضع سد من الصوارى ، ولكن العدو استطاع أن يقفز عليه ويفاجئه ٠ ثم ها هى امرأة شابة تخرج من مكان وقد زينت رأسـها بجديلة وبدت على هيئة طعم ، من أجل لفت انتباه الشيطان٠ وربما كانت هذه المرأة الشابة هى تجسـيد لـيـد الاله رب الأرباب الخالق ، الذى استعان بها من أجـل عملية انجـاب منفرد (٣١) ٠ ولا علم لنـا بتفاصـيل هـذه الأحداث ، ولكن يبدو أن شخصا ما حليق الرأس ، ذا سلطات عليا ، قد تدخل من أجل تحقيق الانتصار لرع٠ وهذا يفسر لنا السبب الذى جعل رئيس كهنة هليوبوليس ، يبدو فيما بعد ، حليق الرأس ويرتدى حلقة (٣٢) ٠ ومن خلال هذا الصراع الذى يتكرر الى الأبد ، يمثل الثعبـان غالبـا باعتبـاره انبثـاقا لأبوبيس ، أو هو أبوبيس نفسه ، ذلك الجوهر الذى سـوف نتحدث عنه فيما بعد ٠ وتقول بعض المصـادر ، ان رع قد استفاد من مساعدة آتوم ، وتذكر بعض المصـادر الأخرى ، أن آتوم بمفرده ، وقد تسلح بقوس وعدة سهام ، هـو الذى واجه الوحش ٠ وباعتبار هذا الوحش ثعبانا ، فقـد اتخذ الاله عندئذ مظهر حيـوان النمس من أجـل أن يصـارعه بفاعلية ويهزمه (٣٣) ٠

وكان هذا الحدث منذ البداية يعد أول عمليات الردع وأول عمليات العقاب ٠ وبذا فقـد أنشأت الآلهـة مسـلخ الأفق الشرقى من أجل تعذيب وتدمير الأعداء المهزومين ،

ولم تكن أهميته قد وضحت قبل ذلك ، ولكن ، حالما بدأ العمل فيه فانه لم يعان مطلقا من الفراغ ، وأخذ يقدم خدماته بشكل دائم ومستمر • وقبل ذبح المهزومين ، كانوا ، كما يقال ، يحولون الى مخلوقات آدمية ، مما يجعلهم أكثر قابلية للقتل • انهم « البشر القطيع » الذين ثار أحفادهم أيضا ضد الآلهة ، حيث أسدل الستار بذلك على « العصر الذهبي » ، وكونوا ، فيما بعد ، في نطاق عالم البشر ، أول كتيبة من المجرمين وطريدى المجتمع • وأما عن زعيمهم ، فقد أصبح كتلة من الحجر استعملت من أجل تغطية جثث الأعداء المذبوحين • وفى صحراء هليوبوليس ، غير بعيد من القاهرة ، يعتقد أن « الجبل الأحمر » المكون من حجر الصوان ذى اللون الصدىء أو الأسمر ، يعيد ذكرى المعركة الدامية التي وقعت في تلك الأماكن ، فى حين أن أجزاء الخشب المتحجرة والمنغرسة فى الصخور تمثل بقايا هيكل عظمى هائل متكلس •

على أى حال ، فان أكثر المعارك استمرارية ، تلك التى تتكرر عند كل شروق للشمس ، وهى المعركة التي يشنها رع على الثعبان العملاق أبوبيس ، الذى يتضمن فى كيانه كافة الثعابين المهددة للنظام الكونى • وتتعارض الآراء فيما يختص بمنشأ هذا الوحش • فالبعض يقول أنه ربما قد تولد من أحد الانبعاثات الجسدية لرب الأرباب الخالق ، أو انه بمثابة بصقة ، قد بصقتها الآلهة الأولى (٣٤) ، ليحكم عليه بذلك بثورة دائمة • وهنا يطالعنا مفهوم الاقصاء والنبذ الذى تتركز عليه المنازعات الكونية • ولقد ذكرت هذه المعركة اليومية للشمس من خلال العديد من التراتيل

الموجهة لكوكب النهار هذا ، بل وذكرت أيضا بمختلف النصوص التى تحكى عن رحلتها(٣٥) • ولقد عرفنا الكثير من الأحداث الأخرى الغامضة المتعلقة بمختلف تلك المعارك الشمسية • وبصفة عامة ، يبدو الأمر بمثابة اشارات مبهمة وغامضة لا تسمح مطلقا بتوضيح حقيقة الصراع أو الدور المحدد لكل من المتنازعين • ونفس الوضع بالنسبة لهذه المجموعة الصغيرة المكونة من أربعة متمردين ينحدرون من احدى الضياع الواقعة شمال هرموبوليس (الأشمونين) ، موطن الاله تحوت ، الذين كانوا يعملون على المطالبة لأنفسهم ، بسلطة رع الهيلوبوليتانية (٣٦) • وفيما عدا هذه التحديدات الجغرافية ، التى تبين أن المنازعين قادرون على الظهور فى كل مكان ، نعلم أيضا أن هناك بضعة ثعابين أحرقت أو أغرقت فى المياه بعد هزيمتها • وفى أحوال أخرى ، يضطر رع لمجابهة قطيع من الحمر الوحشية ، على ما يبدو شديدة الحقد والشراسة(٣٧) • انها بدون شك ، هذه الحمر السبعة والسبعون التى تنازعت مع رب الأرباب الخالق فوق التل الأزلى (٣٨) ، وكان الصراع حاميا • واذا كان الأعداء قد ذبحوا فى نهاية الأمر ، فان رع نفسه قد جرح خلال المعركة • وكان جرحه غائرا تسيل منه الدماء بغزارة • وأخذت الدماء تنساب وتغمر الأرض ، لدرجة أن الأرض قد انزعجت لما يحدث له ، فطلبت النجدة • وتسارع عنات ، الربة المحاربة التى كانت قد ساندت الاله فى المعركة ، لاحضار سبعة أحواض من الفضة وثمانية أحواض من البرونز من أجل جمع دمائه • وحالما امتلأت هذه الأحواض ، فقد توقف نزيف الدم على ما يبدو ، من تلقاء نفسه دون لزوم

لأى علاج • وعندئذ قدمت الأحواض ومحتواها الى رع الذى استرجع دماءه المفقودة ، بفضل هذا القربان •

ولا يتحتم أن يكون العدو الكونى مرئيا دائما ، وليس بالضرورة أن يقوم بهجماته بشكل واضح للعيان • وبهذه المناسبة علينا أن نذكر هنا أن الظلام هو أحـد العنـاصر المكونة للفراغ ، فالليل يعبر عن رجـوع دورى للظلمـات الأولية ، ويتضمن فى طياته كل غموضها وابهامها • ففى غياهب الظلمات فرخت البيضـة التى انبثق منهـا الطائر الشمسى بأول صباح أشرق على العالم (٣٩) ، وأثناء الليل تقع الأحـداث التى تعيد ذكرى عملية الحمـل الأوليـة • لقـد دفن أوزيريس ليـلا (٤٠) ، وكذلك ولد حـورس أثناء الليل (٤١) • ولكن الليل يعد ملجأ للقـوى السلبية ، التى تعيش على سجيتها تماما فى الظلام • فخلاله تتربص العقارب (٤٢) عند مفترق الطرق ، بضحيتها • لقد لدغ حورس أثناء الليل ، مثل زوجه حورس القديم (٤٣) • وكذلك ، فان الأحداث المشئومة التى تهدد النظام (العام) تقع خـلال هـذا الوقت : لقد تصارع حورس مع ست أثناء الليل (٤٤) • ان الحدث الليلى [illegible] حيث تكون الظلمات مهيئة لحماية [illegible] أى اله يخرج ليلا ، تحيط به [illegible] وقوية الشكيمة (٤٥) [illegible]

ان العالم الذى أراده رب الأرباب الخالق انما [illegible] (٤٦) وضعيف منذ النشأة الأولى لأن ارادته لا يمكن أن تستوعب اللامخلوق ، وأيضا لأن هذه الارادة تعتبر بمثابة فرع • ان

المرفوضين فى نطاق الكون يحقدون على العالم المنظم ، ليس عن مكر وخبث غبى، بل لأن هذا العالم قد قلل من أراضيهم • اذن ، فهم يصارعون من أجل استرجاع ما يعتقدون انه سلب منهم • فرب الأرباب الشمسى وكل الخلق الذين يتبعون طريقه المتألق يصارعون من ناحيتهم من أجل الحفاظ على ما اكتسبوه ، أى بمعنى أدق : وجودهم • وانبثاقا من هذه المواجهة الدائمة بين هاتين الارادتين تولد التوازن • ولكن سواء أرضى أم لم يرض ، فان الخلق يتضمن فى طياته دائما أبدا بصمات الليل •

ثورات الهية ، وصراع من أجل الانفصال

ان الشر فى حد ذاته لم يكن الخالق يرغبه • فها هو رب الأرباب يصف ما أنجزه للمحيطين به ، فيقول : « لقد خلقت كل انسان متساويا بغيره ، ولم أصدر أوامر بأن يرتكبوا أخطاء ، ان قلوبهم هي التى أضرت بما عبرت عنهم (٤٦) » • لقد أخذ البشر فعلا يتمردون ضد السلطة الالهية ، كما سبق أن ذكر • ولكن قبل أن يحدث ذلك ، سوف نشاهد بعض الآلهة وهى تطالب بالسلطة العليا • ففى الواقع ، ان الفترة التى عاشت الآلهة خلالها فوق الأرض لم تكن تخلو من الحروب الأهلية ، أو ، على الأقل من معارك تقاربها شبها • اذن ، فبالاضافة لهؤلاء الأعداء الكونيين التقليديين ، كان على رب الأرباب أن يجابه بعض الأعداء من بين الآلهة (٤٧) •

فبعد انقضاء بعض الوقت من عملية الخلق ، قامت مجموعة من الآلهة ، لم تتحدد طبيعتها ، بتدبير مؤامرة ضد

الخالق (٤٨) • وبالرغم من السرية التى راعتها الآلهة المتآمرة ، فقد أحيط الخالق علما بذلك • وكانت هذه الآلهة قد اختبأت في مكان ما ، ومع ذلك فقد بدأ البحث عنها • ولكن رب الأرباب الخالق المسن قد راعى وهنه وضعفه ولم يستطع مواجهة حقد أعدائه ، الذين مع ذلك يعتبرون أبناءه • فاضطر أن يختبىء من أجل تلافى أية هجمات ضارة • ومن أجل أن يعرف جيدا مقدار القوى المعادية له ، قرر من خلال مجلس تم انعقاده ، أن يبعث برسول يكون أيضا بمثابة جاسوس له • وبسرعة استطاع هذا الرسول أن يعرف مكان المتآمرين وتبين له أن عددهم لا يقل عن مائتين وسبعة وخمسين متآمرا وثمانية قادة ، يحيط بهم جيش كامل العتاد • وازداد الجاسوس اقترابا من أجل أن يسمع عباراتهم الافترائية التى يتبادلونها ضد ملك الأرباب • وعلى ما يبدو، كشف أمر وجوده ، لأن المتمردين قد استداروا نحوه وهم يخرجون ألسنتهم • وفى نطاق المفهوم المصرى ، لا يعتبر مثل هذا التصرف علامة من علامات الجنون أو التحدي البسيط ، ولكنه يعتبر بمثابة تحد فعلى ، جاد للغاية ، هدفه إثارة الرعب في قلب العدو وجعله لا يفكر فى الاقتراب (٤٩) • ولذا ، فإن المردة الطيبة متعودة على اخراج ألسنتها من أجل أن تجعل الجان الأشرار تفر من أمامها • واستطاع الرسول أن ينسحب سالما ، وعاد ليقدم تقريره للاله الأعظم • وهنا ثارت مجادلة بين رب الأرباب الخالق وبين تحوت ، مستشاره المخلص • ولم يكن هناك مجال ، فى هذه المرة من أجل أن يتوجه رب الأرباب لكى يصارع المتآمرين بنفسه • بل لقد تطلب الأمر اختيار بطل

جسور من أجل أن يذهب لمواجهتهم بمفرده • وكان هذا البطل هو حورس القديم ، مقاتل رفيع القدر، أعطيت له الأسلحة ، وجهز ، وأعد جواده ، ولم يكن هذا المحارب يستطيع كبح جماح غضبه فانطلق نحو الأعـداء • ولم يكن أمام هـؤلاء الأعداء لا الوقت ولا الامكانات من أجل أن يردوا عليـه ، وكانت مذبحة فعلية ، ولم يستطع المهزومون سوى الفرار طلبا للخلاص • ومن اجـل أن يكونوا بعيـدين تماما عن متناول البطل ، تحول بعضهم الى طيور وانطلقوا هاربين في الأجواء ، أما الآخرون فقد أصبحوا أسماكا واختبأوا في أعماق المياه • ولكن البطل تحول أيضا في كل مرة الى اتشكل المتطابق وأباد الهاربين في مخابئهم المختلفة • وفي النهاية عاد كل شيء الى نظامه وكوفيء حـورس القـديم عـلى ذلك بميزة اعتباره الأعظم ، والأكثر أهمية عن الآلهة الأخرى • أذن فها هو ، « مصادفة » ، نجد أن أحد الآلهة قد اسـتحق الترقية في نطاق التدرج الوظيفي الالهي مقابل خدمات قدمها لرب الأرباب الخالق •

وهناك نص عنوانه « أسطورة حورس » يقدم لنا نفس تلك الأحداث على هيئة قصة متواصلة (٥٠) ، ولكنه يستبعد بشكل واضح نسبة العناصر السيئة عن الآلهة • فمن خلاله يلاحظ أن المتمردين ليسوا « أبناء » رب الأرباب ، بل هم أنصار «ست» ، المزعج الأبدي • ويسيطر الاله الأعلى ، بكل تألقه ، على الموقف من أوله الى نهايته ولا يتراءى في أية لحظة من اللحظات الشعور بالتهديد ، وبوجه عام يمكن فهم ان موقف المتمردين هو موقف تافه وليس أمامهم أية فرصـة للنجاح • ولا توجد هنا أية اشارة عن جاسوس خفي ، أما

الأعـداء الذين كشـف عن مخبئهم ببسـاطة ، أو تقريبـا بالمصادفة ، فقد هوجموا بدون هوادة • ولم يضـع البطل المقاتل وقته فى تفاصيل ضئيلة وقتل مثيرى القلاقل • ولم يذكر عدد الأعداء هنا الا بعـد آسرهم أو قتلهم • وينتقل مركز القصة نحو زعيم المتآمرين ، الذى قبض عليـه وقد تحول الى صورة لحيوان فرس النهر ، وتم قتله وفقا لمراسم طقسية • وقد خصص جزء كبير من النص من أجل الوصف الدقيق لهذه العملية • فهناك حرص يشوبه الدهاء ، عنـد ذكر الضربات الموجهة الى هذا الحيوان المهزوم والمقيـد ، وذكر تقطيع أوصـاله التى وزعت عـلى الجمع الالهى فى هيئة ربطات •

وبقية هـذه الأحداث ، التى تتناول بالذكر معـركة أخرى لا يمكن جمعها الا عن طريق معلومات ضئيلة ومقتضبة عثر عليها مصادفة من خلال بعض النصوص • ولا يوجـد نص مفصل وشامل لهذه الثـورة ولقمعها ، بالرغم من أن العديد من الايماءات قد ذكرت ، على مدى كافة العصـور ، لما عرف باسم « ثورة أبناء رع » أو «ثورة أبناء نوت»(٥١)• وبالرغم من ذلك ، يمكننا تحديد بعض النقاط • ففى نهاية مختلف المجابهـات كان يتم قتـل معظم المتمردين • أما المتزعمون لحركة التمرد فهم بكل وضوح من الآلهة ، ولم يذكر شيء مطلقا عن المصير الذى لاقوه فى نهاية الأمر • ولـكن هناك أحد التفاصيل التى يمكن أن تكشف عن أحـد أركان الحقيقة • ان حورس القديم ، البطل الذى صارع من أجل رب الأرباب وتدخل فى مختلف الأحداث ، هو نفس الـكائن الذى تعتبر عيناه بمثابة الشمس والقمر • وحينما لا يرى

هذان الكوكبان ، خلال الليل المظلم كان يفقد بصره مؤقتا ، ويصبح بمثابة « من فقد عينيه » • ولكن فترات العمى الكلى هذه لم تمنعه مطلقا من القتال ، ولكنه فى هذه الحال يصبح غير دقيق بشكل خطير عند توجيه ضرباته • وبذا ، فخلال احدى المعارك التى شنها على الثائرين ، كان يقتل كيفما كان ويقطع دون أن يدرى ، ليس فقط رؤوس الأعداء ، ولكن أيضا رؤوس عدد لا يستهان به من الآلهة (٥٢) • وهناك العديد من المصادر التى تحيطنا علما بأنه خلال فترة القلاقل والاضطرابات التى ذكرت آنفا ، فقدت الآلهة رؤوسها ولم تعثر عليها ولم تثبت فوق أعناقها الا بعد انتهاء هذه الأحداث (٥٣) • ولقد تسبب قطع الرؤوس الشامل فى حالة من الاضطراب الفائق ، فسارعت الآلهة بالهرب (٥٤) ، وتوقفت المركب الشمسية بدون حراك وبدا العالم على شفا كارثة ، لأن أحد الأعمدة الأربعة التى تسند السماء قد سقط فى المياه خارج نطاق العالم (٥٥) • بل ان رع نفسه فقد حيويته الجنسية ، وهذا دليل على عجز عن بث الطاقة اللازمة من أجل تحقيق توازن الخلق(٥٦) • حقيقة ان كافة هذه الظواهر تبين أن فقدان هذه الرؤوس لا يجب أن ينظر اليه باعتباره ميتة ، بل باعتباره غيابا أو عدم ظهور كوكبى قد أصاب مجموع الآلهة (٥٧) • وخلال هذه الفترة تمت عملية ما ، ساعدت على اعادة مولد العالم وكافة مكوناته • وعندئذ استعاد الاله المحارب نظره وتحول الى « من له عينان » (٥٨) ، وانتهى الأمر بعودة ظهور الآلهة ، وقد ثبتت رؤوسها فوق أعناقها • وبعد أن انتهى هذا الحدث ، انتقلت الآلهة الى حالة

جسدية جديدة ، حيث أنبأ تجديد أعضائها واعادة خلقها عن مولد الدورة التالية ·

وهناك رواية أخرى عن تلك الوقائع تعمل على مزج وخلط مغامرات المعركة الأولى بالمعركة الثانية ، فتقدم لنا رؤية غير منتظرة ولكن أكثر شاعرية لهذه الدرامة · فتحكى أن رع قد قام فى ذات يوم باستدعاء كافة الآلهة والالهات ، وبمجرد اجتماعها امامه قام بابتلاعها فى بطنه · ويعتبر ذلك بمثابة وسيلة لعقابها كما بينت ذلك بعض النصوص الأخرى (٥٩) · وقد يرجع ذلك الى حدث اختفاء الآلهة · وبداخل مثل هذا المكان الضيق (بطنه) ، سرعان ما نشبت المعارك والخلافات · وتمخضت عن ذلك معركة عامة تقاتلت الآلهة خلالها فيما بينها ولم يتبق أحد منها على قيد الحياة ، وعندئذ بصقها رع ثانيا من فمه ، وشكلها ، كما قيل ، على هيئة الطيور والأسماك (٦٠) · فها هنا نجد مرة أخرى تلك الحيوانات ، التى ساعدت في الأحداث الأولى على هروب الأعداء مؤقتا من المذبحة · ومع ذلك ، ففى أثر هذه الأحداث لم تختف الآلهة من الوجود واستمرت تهتم بمشاغلها وكأن شيئا لم يحدث · ولا شك أنها بذلك ، من خلال هذه المغامرة ، قد نقلت الى الأنواع الحيوانية بهذه الكيفية التى خلقت بها قسطا الهيا ، بل وأيضا صفاتها المشاغبة ، وهذا يبرر أن الأسماك والطيور ربما تعتبر في آن واحد مقدسة ، أو بالأحرى البعض منها ، وتشكل الناحية السلبية التى تخلصت منها الآلهة من خلال هذا التحول ، وفى هذه الحالة الأخيرة ، تصبح أعداء ، تقليدية يمكن طردها ، أو التضحية بها أو تقديمها كقربان (٦١) ، ومجموع هذه

الممارسات يبدو اذن كوسيلة سهلة ، من أجل محو أعداء النظام القائم من الوجود بدون خسائر ٠

وتتشابك كل من المعركة الثانية للآلهة وثورة البشر من خلال سلسلة من الأحداث غير الواضحة تماما ٠ ولا ريب أن هذه الثورة الجديدة ، قد استتبعها رد فعل من ناحية رب الأرباب الخالق فأضيفت عواقبها الى عواقب الثورة الالهية٠ وهنا أيضا ، وبالرغم من أن المتآمرين كانوا يلتزمون بالسرية ، فقد أحيط ملك الأرباب علما بهذا الوضع وقام باستدعاء مجمع الآلهة ٠ وتقرر معاقبة البشر بأن يطلق عليهم الالهة المفترسة اللبؤة سخمت ، التى تعتبر أيضا بمثابة عين الشمس ٠ وكانت الآلهة تريد فقط التقليل من عدد البشر وليس ابادتهم تماما (٦٢) ٠ ولكن اللبؤة ، وقد أسكرتها رائحة الدماء ، انفلتت من كل سيطرة ، لدرجة أن ملك الآلهة قد اضطر الى اللجوء لخطة ما من أجل منع ابادتها الشاملة للبشرية ، فأمر بصناعة كميات هائلة من الجعة ، لونت بطمى أحمر اللون لتبدو وكأنها دماء ٠ ثم أمر بسكب كل ذلك فوق الأرض ، غير بعيد من المكان الذى تقبع به الالهة المفترسة ٠ وأخذت اللبؤة تعب شربا وسكرت حتى الثمالة ، الى درجة أنها لم تعد تتعرف على البشر ونسيت ثورتها المدمرة ٠ واذا كانت البشرية قد أنقذت بذلك ، فان الالهة اللبؤة ، بعدما أفاقت من سكرتها ، رأت أنها قد غرر بها وأهينت ٠ وثارت ثورتها ، وأشاعت الهلع فى محيط الآلهة (٦٣) ، ثم هربت ونفت نفسها فى أعماق النوبة ٠ ولقد تسبب هروب العين هذا فى حرمان رب الأرباب الشمسى من احدى صفاته الأساسية ، وغياب هذه الصفة يقتطع

من سلطته (٦٤) ويجعل الآلهة وكأنها بدون رئيس (٦٥) .
وغرقت البلاد فى حزن مبرح . ومن أجل أن يعود النظام الى ما كان عليه ، استوجبت الضرورة ارجاع عين الشمس من منفاها الاختيارى . ولم يكن ذلك ، بدون أدنى شك ، أمرا هينا : فالربة مرعبة ، وتتصف بسرعة الثورة والغضب ، ولا يستطيع أحد مطلقا أن يلجأ لاستعمال القوة معها . وأوكل بهذه المهمة الى الاله « شو » متخذا اسم « أنوريس » ، أى «الذى يعيد الغائبة(٦٦)»، فى حين اتخذ الاله تحوت شكل قرد صغير ماكر ، واستطاع ، بالكثير من المديح والتملق والحجج أن يقنع الربة الخطرة بالرجوع الى موطنها الأصلى ، والتى اعترفت بأنها بالفعل تشعر بالحنين نحوه (٦٧) . وشملها الهدوء ، وتخلت عن مظهرها المرعب كلبؤة من أجل أن تتحول الى مظهر أكثر جاذبية ، كقطة أو حتى «حتحور» ربة الحب ، ورجعت الى مصر . وفى «الفنتين» ، وهو المكان الذى يفصل الحدود بين مصر والنوبة ، استقبلها الجميع ، خاصة أن عودتها تزامنت مع عودة فيضان النيل . وبعد أن استعاد رب الأرباب الشمسى رمز قوته ، أصابه الكلل والضجر من الصراعات ومن عدم عرفان البشر بالجميل ، فطلب من الالهة « نوت » أن تتحول الى سماء ، وأن تحمله فوق ظهرها وترفعه الى أعاليها .

ولقد استتبعت الصراعات الالهية ، وثورة البشر وما تلاها من أحداث بعض الانشقاقات التى استهلت دورة جديدة . ولا شك أن مجموع هذه الصراعات قد أضر بأحوال العالم ضررا كبيرا وعمل فى نهاية الأمر على اضمحلال نفوذ الآلهة . فمن المعروف تماما أن الفترة التى لم يكن قد وقع

بها اى صراع بعد هى الفترة « التى كان فيها التاسوع لايزال متمتعا بنفوذه الأول(٦٨)» . ومر العالم بحالة اعادة تأسيس . فانفصلت الآلهة عن البشر وتركت لهم المجال الدنيوى ، ويعد هذا الانفصال بمثابة تأريخ مهم وأساسى ويعمل على تشكيل العالم الجديد (٦٩) . وقبل أن يرتفع الى الآبد فى السماء ، أكمل رب الارباب عملية الخلق . فخلق الزمن الدورى الذى حل مكان الزمن الخطى « الذى كان قائما من قبل » ، فهذا ما يذكره لنا أحد النصوص بشكل مقتضب : « لقد تسببت الثورات فى احداث الاضطراب والقلقلة فى هذا اليوم ، وعندئذ خلق اليوم الأول لأول مرة (٧٠) » . ويعنى ذلك ان الوقت المنظم ، والتقويم بيومه الأول ، لم يبدأ الا من تلك اللحظة .

معارك بين الأفراد وصراعات على الشرعيه

بخلاف الصراعات التى قد أقحم فيها التوازن الكونى وتضامن مجموعاته ، نجد أن الآلهة غالبا ما تخوض فى حياتها اليومية ، بعض الصراعات من أجل تحقيق بعض الفوائد ، أو خلافات أقل أهمية ، ولكنها ذات نهايات مأساوية فى معظم الأحيان . وتنبثق حالات النزاع هذه من خلال أحداث مشئومة سوف يذكر البعض منها فيما بعد . ايزيس، على سبيل المثال ، ستجد لذة ماكرة فى معاندة ابنها حورس خلال بعض التدخلات فى شئون البشر(٧١) . ويبدو الأمر، دون ريب ، بالنسبة لها ، كمحاولة لتذكيره بأعمال العنف التى مارسها ضدها . ولحسن الحظ ، انتهى الخلاف بين الأم والابن الى المصالحة (٧٢) . وسوف يقوم أيضا صراع غامض ما بين « جب » و « نوت » ، يحطم خلاله رأس نوت .

ويشير النص الذى ذكر هذا الحدث ايمائيا اشارة قوية بعدم نشر أو اذاعة ذلك ، حتى لا يترتب عليه ، كما يعتقد ، اضطرابات كونية (٧٣) .

ولا شك أن أكثر هذه النزاعات وضوحا ، والذى يشار اليه فى أغلب الأحيان ، هو النزاع الذى ثار بين أوزيريس وست ، من ناحية ، وبين ست وحورس من ناحية أخرى . ويحتل كل من مقتل أوزيريس ، وطفولة حورس المستترة وانتصاره على عمه القاتل ، أوسع النطاق مدى فى اهتمامات الآلهة . ولقد مرت الصراعات التى تولدت عنها بالكثير من الاسترجاع وجعلت من هذا النزاع قصة لا نهائية ، من المحتمل دائما أن يطرأ بها حدث جديد . والنص الوحيد المفصل الشامل الذى نملكه لهذه المأساة هو الذى قدمه لنا بلوتارخ باللغة اليونانية . ولا تقدم النصوص المصرية ، من ناحيتها ، سوى وقائع مبهمة مفاجئة ، تتناثر على مدى العصور . أما عن تسلسل الأحداث ، والعلاقات ما بين الشخصيات (أحيانا يتراءى ست بمثابة أخ لحورس ، وأحيانا أخرى بمثابة عمه) ، فهو للوهلة الأولى ، لا يبدو شديد الوضوح . ويعمل التحليل الدقيق لأكثر النصوص قدما ، مثل «متون الأهرام» ، على التمييز ما بين ثلاث مراحل أساسية فى نطاق تسلسل الأحداث (٧٤) . فمن خلال المرحلة الأولى ، يتراءى حورس القديم ، وهو ملك على عرشه ، فى نزاع مع أخيه ست . وعلى ما يبدو ، يدور الصراع على ممارسة السلطة الملكية التى يريد ست أن يحتكرها لنفسه بالقوة . وخلال المعركة الحاسمة التى يتجابهان فيها ، يفقد حورس احدى عينيه ويفقد ست خصيتيه (٧٥) .

ويحتفظ كل منهما ، كغنيمة حرب بالجزء الذى اقتطعه من جسد عدوه • وخلال مرحلة ثانية ، يقتل ست حورس القديم ، الذى يتحول الى أوزيريس أو « حورس بداخل أوزيريس » (٧٦) نتيجة لهذا القتل نفسه • وانبثاقا من اللقاء الجسدى الذى تم ما بين ايزيس وأوزيريس ، يولد حورس جديد ، حورس بن ايزيس ، وبمجرد وصول حورس الجديد الى سن البلوغ ، عمل على الانتقام لأبيه بمساعدة ايزيس التى أمدته بالأسلحة اللازمة لذلك(٧٧)• وكان الهدف هو استعادة العين المفقودة ووضع حد للتشويه المتبادل ، الذى سببته المعركة الأولى ، ويعتبر ذلك أيضا طريقة من الطرائق ، من أجل الاستعادة ، الرمزية ، للسلطة الملكية التى سلبها ست لارجاعها الى حورس ، بصفته ملكا حيا من ناحية ، والى أوزيريس بصفته ، من ناحية أخرى ، ملكا متوفى •

واقترنت المشاحنات والمجابهات الجسدية بخلافات قضائية ، انتهت باستعادة كل من الالهين الجزء الذى كان يفتقده من جسده • ولا شك أن استعادة ست لخصيتيه قد فاض عليه بالراحة والرضا(٧٨) • واما عن ايزيس ، من ناحيتها ، فقد سعدت بنتيجة الحكم ، كما قيل ، « برجوع السلطة الملكية الى صاحبها الشرعى (٧٩) » • وبالنسبة للمصير المقدر لست ، بعد هذه الصراعات ، فقد بقى مبهما، مثله مثل المشاعر المتشابكة التى تعتمل بداخل أكثر الأعضاء أهمية بمجمع الآلهة ، وسوف نرى فيما بعد أن رب الأرباب الخالق يشعر بميل ناحية ست ، وأن ايزيس تجد نفسها موزعة ما بين حبها لابنها وارتباطها بأخيها • وبذا ،

فان ترددها أحيانا فى اتخاذ الموقف المناسب (٨٠) قد أسهم الى حد كبير ، فى سوء العلاقات ، أحيانا ، بينها وبين ابنها . وأخيرا ، فبخارج حدود أى تنافس على السلطة ، عرف عن حورس القديم وأخيه ست لحظات تفاهم ومساعدة أخوية متبادلة (٨١) .

ولم يتم ايجاد حلول لهذا النزاع الا بشكل تدريجى . فبعد أن قسمت الملكية فى البداية بين حورس وست ، ضمت فى نهاية الأمر تحت سلطة حورس بمفرده . ولقد عملت هذه الوحدة على وضع حد لنزاع وصراع وضع بصماته الى الأبد على مصر : فحتى أواخر العصر الرومانى ، بقيت مصر رسميا ، فى النصوص الهيروغليفية ، « كقطر مزدوج » . وسواء فى نطاق حياة الآلهة أو فى حياة البشر ، فان هذا الشرخ لم يمح تماما الى أبد الدهر . وفيما وراء العلاقات الوجدانية والعائلية ، فان الممارسات العنيفة من جانب ست ، عملت على طرح مشكلة الخلافة الملكية بين الآلهة وطرح سؤال عن شرعيتها . ولا شك أن صعوبة التوصل الى حل نهائى يفصح عن تردد الآلهة فى تقديم الاجابة اللازمة . وحالما حسم الأمر لصالح حورس وأعوانه ، وافق الجميع فى نهاية الأمر على هذه الشرعية التى تأكدت مرة أخرى . ومع ذلك ، فقد أصر ست على عناده ، وتتابعت أعماله السيئة الواحد تلو الآخر، وهى كثيرة وخطيرة . وضجر منه أقرانه فى نهاية الأمر وفقد مشاعر المحبة والمساندة التى كان يحوزها . وكانت أعماله المدمرة تتضمن كافة ضروب الشر ، بدءا من تدنيس كل ما هو فائق القداسة بالنسبة لأقرانه ، وحتى محاولة ابعاد الشاب حورس عن أمه بواسطة بعض

الافتراءات (٨٢) • وبمرور الوقت ، عزيت فى نهاية الأمر كافة الشرور والأحداث السيئة التى وقعت فى نطاق العالم الالهى الى فعله هو (٨٣) • وتقرر اتخاذ حكم بالنفى ضده من أجل طرده خارج نطاق المجموعة الالهية ، بل وأيضا خارج الاراضى المصرية ، نواة الخلق - ولا شك أن هـذا النبذ ، كما يتراءى ، يشـبهه بالأعداء الكونيين الأصـليين الذين ارتبط بهم منذ ذاك الحين فى مجال صراعهم الدائم ضدالنظام القائم • وانتهى الأمر بأن نوت ، أم ست نفسها ، قد أنكرت بنوته وانضمت الى بقيـة الآلهـة من أجـل العمـل عـلى تدميره (٨٤) • بل ويقال انه بدلا من ابعاد ست أو نفيه ، تقرر ارغامه على الانتحار (٨٥) •

حكم الآلهة على الأرض

قبل أن تترك الآلهة العالم للبشر ، حكمت على الأرض حكما يتسم بالوراثة والتتابع الأسرى غير المتقطع • وتقدم إحدى الوثائق التى تبدو مع الأسف مهلهلة للغاية ، والمسماة « بالقانون الملكى » المحفوظة بمتحف تورين بايطاليا ، قائمة بجميع الملوك الذين حـكموا منذ بداية الخلق للعـالم وحتى أوائل الأسرة الثامنة عشرة ، أي حتى حوالى القرن الخامس عشر قبل الميلاد (٨٦) • وبالرغم من ضياع بداية النص ، يتراءى أنه من المفروض ان الآلهة التى تولت الحكم ، كانت تنتمى أساسا الى ما يضمنى بتاسـوع هليوبولس وهى السلالة العائلية المنبثقة من آتوم ، رب الأرباب الذى كان يقيم فى هذه المدينة مع مثيله الشمسى ، رع • ويفصح لنا « القانون الملكى » عن أسماء هذه الآلهة ومدى فترة حكمهـا ، ولـكن

لا يمكن قراءة سوى بضعة أرقام قليلة ، فنعرف أن تحوت قد حكم طوال (٧٧٢٦ عاماً) ، وأن حورس لم تتعد فترة حكمه ثلاثمائة عام • ودعمت مصادر أخرى عديدة وجود السلالة الالهية بهليوبولس (٨٧) • ولقد رويت الكثير من الروايات المتضاربة ، لدرجة تجعل كل اله من الآلهة بمثابة الملك المحتمل • وتقول بعض المصادر ، ان آمون رب مدينة سخا ، على سبيل المثال، قد حكم طوال سبعة آلاف عام(٨٨) • ومهما كان الأمر ، فان مجرد تسجيل هذه السلالات كتابة على مر العصور يبين أن الآلهة نفسها كانت تعمل بحرص على استيفاء الحوليات الخاصة بحكمها ، وهذا ما ورد ذكره فى كتابات مانيتون المؤرخ المصرى الذى عمل فى خدمة الملوك البطالمة خلال القرن الثالث قبل الميلاد • ومن المعروف أن الاله تحوت كان يقوم بتدوين حوليات الآلهة تحت مسئولية الاله الخالق ، وكانت تسجل على أوراق شجرة مقدسة توجد فى هليوبوليس (٨٩) •

وحيث ان الآلهة كانت خالدة ، فمن المنطقى أن يكون أحدها ملكا يمارس سلطته دون أية مشاركة وبشكل دائم ، ولكن الآلهة تتابعت فى الحكم ، مما يدعونا الى السؤال عن سبب ترك كل اله حاكم لمكانه ، ووضعه حدا لحكمه ، بكل رغبته على ما يبدو ، وما صار اليه بعد تنحيته عن العرش ، وبخلاف المنازعات التى سبق ذكرها ، لا نعرف بالتفصيل ما الذى حدث بصفة خاصة خلال كل فترة من فترات حكمه • وهناك قصة تغطى أحداثها العديد من فترات الحكم الالهى (٩٠) وبعض الإشارات التلميحية الى حد ما ،

المتناثرة عبر النصوص ، تسمح بتقديم بعض الاجابات للأسئلة المطروحة ·

. . . .

أن كل اله يخلف أباه ، ويجتهد فى تنفيذ القوانين القائمة (٩١) · وكل واحد يتلقى ممن سبقه الشارات الدالة على وظيفته ووثيقة مكتوبة بمثابة مرسوم تنازل عن العرش ، يسمح له بتولى الحكم بدون مشاركة وبشرعية مطلقة (٩٢) · وتعتبر الخلافة من الأب للابن هى القاعدة ، واستثناؤها الوحيد هو عملية الاغتصاب التى قام بها ست كما سبق أن ذكر آنفا · وتمارس السلطة الملكية على كافة عناصر العالم الذى خلق : الآلهة ، والبشر ، والحيوانات ، والسماء ، والأرض ، والعالم الآخر ، والماء ، والهواء ، والجبال (٩٣) · وتلك هى الفترة التى كان فيها « الحكم الملكى على البشر وعلى الآلهة عبارة عن شىء واحد » (٩٤) ·

وعند منشأ العالم ، قام المحيط الأولى « نون » ، الملقب « بأبى الآلهة » ، بخلق «جلالته» ، أى الشمس الأعظم (٩٥) · وهو لا يحكم ، وان كان انفصام رب الأرباب عن مياهه قد خلق فى داخل كيانه مفهوم التنظيم ، أى مفهوم الملك · وكان أتوم هو أول من مارس هذه المهام ، التى تسمى «بوظيفة أتوم» (٩٦) · وخلال فترة حكمه، برد الهواء وجفت الأراضى · وبالفعل ، فان بعض الروايات تقول ان الأراضى المنبثقة قد خلقت عن طريق التسخين ·· وباطلاقها لنيرانها كونت الشمس عين رب الأرباب الخالق احدى أشكال أتوم ، وهى من العناصر التى كونت التربة الأولى (٩٧) ·

بعد ذلك ، اجتمعت الأرباب والبشر معا من أجل أن يكونوا أتباعا للاله الملك ، مؤكدين بذلك مرحلة جديدة فى نطاق تكوين العالم (٩٨) • ولكن سرعان ما تظاهر الأعداء الكونيون بعد أن دبروا مؤامرة للقيام بثورة • ويبــدو أن شو بن آتوم ، هو الذى قادهم بعد أن ورث العرش ولا يعرف أحد الأسلوب الذى انتقلت به السلطة اليه (٩٩) •

وبعد فترة حكم شو خلالها حكما مستقرا ، بدأ يصطدم هو أيضا بالقوى المعادية التى تقبع عنــد أطراف الخلق • وهاجمت هذه القوى المعادية مصر ، وأحرزت نصرا مؤقتا ، وبعــد تخــريب قصره الالهى فوق الأرض بأيدى القــوى المعادية ، صعد شو وأتباعه الى السماء ، بعد أن هزم الغزاة فى نهاية الأمر • وترك على ما يبدو زوجتــه تفنوت وصية على العرش فوق الأرض • ولكن جب قام بخداع أمه وحاول أن يستولى على الحية الحامية بن شو (١٠٠) • ولم يستطع سوى أن يصاب بحروق جسيمة ، واضطر الى أن يلجأ لمعاونة رع من أجل معالجته • وخلال فترة خلو العرش طوال تسعة أيام ، ثارت العناصر على العالم ، ثم عاد كل ذلك الى نظامه • وعندئذ توج جب بن شو ملكا مكان أبيه (١٠١) • وربما تبين هذه الأحداث المختلفة أن جب لم يكن بريئا تماما ، وأنه ساهم مساهمة فعالة فى حركات التحرر التى ثارت فى أواخر الحكم الذى سبقه •

ومع ذلك ، فبالنسبة لسلالته اعتبر حكم جب بمثــابة حكم رمزى وحمل العرش الملكى والسلطة المنبثقة منه لقب « جب » ، بل ان الملكية نفسها اعتبرت غالبا بمثابة « ميراث جب » • ووفقا لما تذكره احدى الأساطير الغريبة الشأن وغير الموثقة تماما : اتسمت فترة أواخر حــكمه بتمرد ابنــه

أوزيريس ضد سلطته (١٠٢) . ومن أجـل أن يدافع عن نفسه ، اضطر الأب الى أن يقتل ابنه . ولكنه ، وقد أصابه الهلع من جراء فعلته ، أسرع باعادته مرة أخرى الى الحياة . ولقد عملت هذه العودة الى الحياة على اعادة ضم أوزيريس الى العالم المعتاد ، ولكن جريمة القتل التى ارتكبها ضده ست بعد ذلك عملت على سجنه الآبدى فى عالم الموتى . ولو عاد أوزيريس الى الحياة ، لخلف أبيه وأصبح ملكا .

ولا نعرف الكثير عن حكمه الدنيوى (١٠٣) . ولـكن بلوتارخ وهو الوحيد الذى تحدث عنه فعلا ، قال انها فترة مستقرة وسعيدة . ويقال ، ان أوزيريس الملك الجـديد ، قام بتلقين أسس الـزراعة للبشر وأفاض عـلى العـالم بحسناته . أما ما حدث بعد ذلك فهـو معروف لنا جيـدا . وكان ست ، أخوه ، يشعر بالغيرة تجاهه ويميل الى الصراع . لطمعه فى الاستيلاء على السلطة ، فعمل على استدراج أخيه أوزيريس الى فخ وقام بقتله . وبعد أن قطع جسده الى عدة أجزاء ، ألقى بهذه الأجـزاء فى ميـاه النيـل . وانطلقت ايزيس زوجة أوزيريس من أجـل البحث عنهـا ، حتى وجدتها وجمعتها ثم أحاطتهـا بلفائف ، وبهـذه العمليـة الأخيرة ، عادت الحياة الى جسد أوزيريس الذى استطاع أن يلتقى جنسيا بزوجته لتنجب له ابنا ، هو جورس . وفى إطار المصادر المصرية ، يعتبر موت الاله بالنسبة له بمثابة مجـال للبعث وللوجود ، ان موت أوزيريس هـو حيـاته الحقيقية ، لقد حوله بواسطة نوع من قلب المعنى الارادي ذى المغزى ، الى « اله حى » (١٠٤) ، وأيضـا الى شـخصية « تفوق فى أهميتها جميع الآلهة الأخرى (١٠٥) » . وانبثاقا

مع ذلك ، وبالنسبة لأقرانه ، يتمتع أوزيريس الميت بنوع من الرفعة والعظمة الدائمة ، وانهم يجب أن يولوا عنـاية بجثمانه أكثر من عنايتهم بجسـيده الذي كان حيـا من قبل (١٠٦) ٠

ويعتبر حادث مقتله بمثابة شرخ في اطار سياق الملكية الالهية ٠ ولم يستحوز ست على الملكية بأسرها ، ولم يحـكم سوى جنوب البلاد ٠ واستمر حورس الصغير الذى لجأ الى مكان سرى في مستنقعات الدلتا ، يحمل لقب ملك الشمال (١٠٧) ٠ ان فترة حكم ست لا تعدو أن تكون سوى فترة تتبع وبحث دائم ٠ كان يريد بأى ثمن أن يجد الوريث الشرعى ويقتله من أجل أن يجمع في قبضته السلطة الملكية بأكملها ٠ ولكن، وبالرغم من بحثه ، ومكره ، استمر الجزء الذى ينقصه من المملكة بعيدا عن تناوله ، لعجزه عن العثـور على غريمه ٠ واستطاع حورس أن يشب وينمو ، كما سنرى ، بشيء من الصعوبات ٠ وعندما وصل الى طور البلوغ ، وضـع حدا لحكم ست ٠ وانتهى ست بهزيمته الجسدية ، وعزله بطريقة قاسية عن الحكم بعد محاكمة علنية (١٠٨) ٠

وبالنسبة لوضع أوزيريس وست ، فقـد انتهى الأول بالموت والثاني بالهزيمة ، ولكن حورس تبوأ العرش ونال التتويج ٠ ويبدو أن كافة أحداث العالم قد استغلت من أجل التمهيد لهذه اللحظة ٠ ان حياة حورس ليست سـوى تتويج مستمر ، ولذا فان فترة حكمه لا تتضـمن أحـداثا نادرة ، وليس بها ما يمكن حكايته ، اننا نكاد نعرف فقط أن ايزيس كانت تقوم بدور المستشـارة لابنهـا في اطار ممارسـته

للسلطة (١٠٩) . ان كل شيء ، لدى حورس ، يعتبر ذا فائدة من اجل أن يتحدد النموذج الملكى كنهاية للصراعات الالهية التى هدأت فى نهاية الأمر . وها قد جاء الدور على البشر ليستهلوا انشقاقهم عن الآلهة ولقد قيل بشكل مقتضب من خلال أحد النصوص ، ان تمردهم قد حدث « بعد حورس » (١١٠) . واذا كانت الملكية الالهية قد استمرت منذ ذاك الحين بدون أية انقلابات أو مغامرات فى اطار الكون الالهى ، فان سلالة الفراعنة الدنيوية الطويلة الأمد ، لم تعدو أن تكون سوى تتابع لحورس الذى يكرر دائما وأبدا .

اذن ، فان كل فترة حكم الهى كانت تنتهى بتصادم أو مواجهة بين الأب وابنه يتسبب فى تصدع السلطة القائمة . وكل نزاع ، اتسم بظهور بعض القلاقل الكونية ، يبين عن ضعف الملك القائم الذى يجب أن يترك مكانه لخليفة مكتمل القوى . ولم يحدد بالضبط أسلوب انتقال السلطة من ملك الى آخر . ومع ذلك فنحن نعرف ، أن الملك ومرسوم امتلاك العالم ، كان يقوم جب اله الأرض بتسجيلهما فى الماضى ، فى وثيقة خاصة (١١١) . ونفس هذه الوثيقة هى التى تؤكد فى آن واحد الشرعية والاستمرارية الأسرية ، بانتقالها من ملك الى آخر . وبدت الملكية الدنيوية بعد ذلك شديدة الشبه بهذا النموذج . ان كل قلاقل سياسية تعيد وتمثل ذكرى رحيل الآلهة بعيداً عن البشر (١١٢) ، وكل ملك هو ابن لمن سبقه ، مهما كانت صلات الدم الحقيقية . وكل موت لأحد الملوك هو بمثابة كارثة ، وكل ملك جديد هو بمثابة

منقذ يعيد تعديل النظام الكونى (١١٣) . ويسمح هذا الأسلوب فى نهاية الأمر سواء بالخلافة من أب لابنه أو بشرعية أى منازع على العرش ، ويتيح فى مجال البشر ، أن يتتابع الاله مع نفسه من حورس الى حورس آخر ، فى ملكية فردية تتجدد دائما .

تدرجات ، وسـلطات ، وفئات

لا نعرف عدد الآلهة معرفة فعلية • وليس هناك ما يدل على أنه قد يحدد هذا العدد بواسطة أية ارادة أو قاعدة ، حتى اذا حدث فى بعض الأحيان ، أن تباهى أحد المتدينين بأنه يستطيع أن يسرد جميع أسمائهم عن ظهر قلب (١) • ويلقب رب الأرباب الخـالق عادة بأنه « الواحـد الذى أصبح مليـونا (٢) » • ويقال ان مقـامه يقع أمام المـلايين من خلقه (٣) ، « فالمليون » اعتبر ، فى اللغة المصرية ، وسيلة معتادة للتعبير عن العدد اللا نهـائى • ولا ريب أن هـذا النمط من التعبير يهدف الى استيعاب مجموع الكائنات التى خلقت ، سواء أكانت آلهة ، أم بشرا أم حيوانات• وفى نطاق هذا الجمع ، لا شك أن الآلهة تكون طائفـة أكثر تحـديدا • وفى بعض الأحوال ، يتحـدث ، عن « عشرات الآلاف وآلاف من الآلهة » التى انبثقت من رب الأرباب (٤) • وبالنسـبة للكائنات الأخرى ، فان الآلهة لم تخلق كآلهة الا بارادة رب الأرباب • ولقد رأينا ، من خلال قراءة الفصل الأول ، كيف امتزجت واختلطت عمليـات الخلق المتتابعـة لمختلف فئـات الكائنات • وفيما عدا رب الأرباب الخالق والآلهة الأولى، فان تكوين مختلف الفئات الأخرى قد تم عن طريق الصـدفة ، وفقا للأحوال والظروف •

ووفقا لبعض الروايات ، يحتمل أن يكـون البشر قد خلقوا قبل معظم الآلهة • اذن ، فان تدرج فئات الكائنات يرتكز على سمات خاصة بكل فئة • ان الآلهة بطبيعتها الخاصة قد خلقت ، كما قيل لنا ، « أكثر طولا من البشر (٥) » • ومع ذلك ، فلا تمثل كل واحدة من الفئات مجمـوعة مقفلة على نفسها ، لا تستطيع أن تنفذ اليها الفئات الأخرى ، فلقد رأينا خلال الفصل الأول ، أن الآلهة الثائرة قد تحولت الى بشر من أجل عقابها ، بل لقد تحولت أيضـا الى « بشر من القطيع » ، أى مجرد حيوانات مخصصة للتضحية ، وبشكل عكسى ، وفى بعض الأحوال ، يستطيع البشر أن يتحولوا الى آلهة ، وقد ترتقى بعض الحيوانات الى المرتبة الالهية (٦) • كما أن تقهقر الآلهة المتصارعة يتطلب وجود مقياس للقيم ، يمكن بواسطته أن تخضع كل فئـة للمجمـوعة التى تتفوق عليها • ومثل هذا الارتباط قد أراده الخالق بالفعل : «يعيش الصقور على الطيور (الأصغر حجما) ، وتعيش بنات آوى على سرقة الفواكه ، والخنازير عـلى ما تجـده بالبـوادى ، وحيوانات فرس النهر على المقصبات ، والبشر على البقوليات والحبوب ، والتماسيح على الأسـماك ، والأسماك عـلى مياه النيل ، مثلما أمر آتوم (رب الأرباب) بذلك(٧)» • وفى نطاق هذه السلسلة التى تعمل عـلى أن تتساند كافة الكائنات ، نجد أن الرباط الذى يجمع الآلهة بالبشر هو بدون أدنى شك الأقوى ، ويعمل على التبادل الذى يفرضه حسن مسيرة العالم ، مثلما سنرى فى الجزء الثانى • وأخيرا ، فبداخل اطار كل فئة من الفئات تتكون أيضا بعض التكوينات وبعض مراكز القوى الواضحة تماما ، والخاصة بالحيوانات ، من خـلال النص الذى ذكر آنفا • وهكذا الأمر أيضا بالنسبة للآلهة •

مجتمع الآلهة وتدرجاته

للوهلة الأولى ، يلاحظ أن التكوينات الخاصـة بعـالم الآلهة تتشكل وفقا لنوعين من التدرجات المستقلة ، ولكنها ، متنافسة فى نهاية الأمر • ويراعى التـدرج الأول ، وهـو ما يمكن أن نصفه بالتدرج انطبيعى ، وضع كل اله فى اطار الخلق ، ومرتبته « البيولوجية » • أما التدرج الثانى فهـو يرتكز على تناسب القوى الذى يستطيع كل منها أن يثبتـه دون أى ارتباط بالتدرج السابق ذكره • وينبثق تنـاسب القوى هذا من النشاط النوعى لكل اله ، ومن وظيفته التى تضفى عليه فى مجال معين ، نوعا من التفـوق عـلى جميع أقرانه • ويستطيع كل بدوره أن يعتبر بمثابة الأكثر أهمية وفقا لاختلاف الامكانيات • ونجد فى التدرج الطبيعى للتعبير عن توافق القوى نوعا من الموازنة ، تسمح لكل اله بأن يؤكد ذاتيته • ان التفـاعل بين هاتين الحقيقتين يجعـل المجتمع الالهي بمثابة مجموعة غير جامدة ، تتحول النزاعات وحلولها فى نطاقها الى عوامل تطور وتنوع أيضا •

وفى اطار التعبير عنها ، تتعلق النسب التدرجية بأسلوب بسيط للغاية ، فالآلهة تنقسم الى «كبرى» «وصغرى» وأحيانا توجد أيضا « متوسطة » (٨) • وتختلف الآلهة الكبرى عن العامة ، فهى تتميز ببعض الامتيازات ، الغامضة والمبهمـة الى حد ما ، والمحددة أوليا ، والتى تتجلى بكل وضوح فى مجال أصول آداب البلاط السـائدة فى اطار من يحيط « بملك الآلهة » • ولقد ذكر بالفعل فى بعض الأحيان وجود مثـل هذه القواعد البروتوكولية ، التى يهيمن عليها تحوت (٩) • وأمام من هو أعلى منها مرتبة ، تمثل الآلهة وهى واقفة بكل

أدب ، في حين أن صغارها يجب أن تسجد منبطحة على بطونها • وخلاف ذلك ، هناك بعض التمييز فيما بين «المسنين» و «الشباب» ، بين اعضاء مختلف الأجيال الالهية : من عاصرت خلق العالم والأجيال الأخرى (١٠) • ولكن السبق لا يحتم دائما تفوقا خاصا • وبذا فان تحوت قد عرف عنه أنه يراس ويبعث بمبعوثين « أكثر منه قدما » (١١)• فان وظائفه كساعد أيمن للاله الأعظم ، ورئيس وزراء ـ وفقا للتعبير الحديث ـ اللازمة من أجل حسن مسيرة العالم تبرر كفاءته الخاصة في توجيه الآخرين ، مهما كانت مراتبهم (١٢) فى مجالات أخرى • وفيما وراء نوع من التدرج الذى يرتكز على صلة الدماء ، وهذا تعبير متصلب ويستحيل تغييره ، فان مجتمع الالهة يقدم لكل اله امكانية التقدم وفقا لاستحقاقاته وسلطاته الخاصة ، واذا كان اى

« اله كبير » بمجمع الآلهة ، يرى بكل شرعية أنه « أكبر من » أقرانه دون أى تبرير سوى الواقع الذى يفرض على الجميع، فان البعض منها يرتقى هذه المرتبة فى أثر بعض الأحداث المعينة • ولقد رأينا كيف استطاع حورس القديم أن يحصل على شهادة (ترقية) « كاله أعظم من الجميع » • عموما ، فالعبارة تفصح عما يتضمنه اللقب من غرابة ، وبشكل ما عن سمتها المحدودة • فالعظمة هنا لا قيمة لها الا فى حدود معينة من مجالات أوجه النشاط • انها فى أغلب الأحيان آلهة متميزة بقوة جسمانية خارج المألوف ، وبمقدرة تدمير غير عادية ، فهى التى تدفع بأقرانها لكى يصفونها ببعض أوصاف التملق • وهكذا ، فان منتو وهو مقاتل جسور آخر، كان بسبب طبيعته نفسها يدخل الخوف فى نفوس من هم

أكثر ضخامة منه ، ويجعلهم بذلك يطيعون أوامره (١٣)٠ وبالنسبة للسيدات، فان الالهات التي عرفت بأنها «خطيرات»، مثل سخمت ، وباستت تعتبر حالات خاصة ٠ ان غضبها قد يبلغ حدا يخشى منه لدرجة أن ملك الآلهة نفسه ، قد يتعرض للمخاطر ، لو اقترب منها (١٤) ٠ وليس الخوف هو الوسيلة الوحيدة لكي يقدر الاله من الجميع : فان تحوت يحترم بسبب كفاءته ، في حين أن أوزيريس قد اكتسب ، بسبب موته هو نفسه ، أهمية ونفوذا لم يكن يتمتع بهما أثناء وجوده على قيد الحياة ٠

ان التزامات التدرج لا تتعلق مع ذلك سوى بجزء من المجتمع الالهى ، ولا يمكن أن يخضع لها معظمه ٠ ان لكل لحظة ، ولكل فصل ، ولكل شهر ، ولكل يوم، ولكل ساعة الهها المخصص لها (١٥) ، بل ولكل مكان أيضا (١٦) ٠ ان هذه الآلهة المحصورة بداخل نطاق لحظة ما ، أو مكان ما ، تعد أيضا « سجينة لوظيفة » ضيقة ومحدودة لا يرتبط بها سوى قدر ضئيل من الاستحقاق ، ولا تعتبر صغار الآلهة أو المردة، أو الشياطين سوى معاونين ، أو عمال مبتدئين مجهولين فى أغلب الأحيان تابعين « للكبار » ، ولكنهم بمثابة مرءوسين يقومون كلية بالخدمة من أجل تنفيذ القرارات العليا ٠

ان الصورة وقد رسمت هكذا تبين عن وجود جماعة معينة لا تفرض فى نطاقها العناصر المركبة ، رغما عن وجود التدرجات المختلفة التى قد يعتقد أنها محيرة ٠ وتبين النصوص التى ذكرت آنفا أن هذه التدرجات ترضخ غالبا أمام الميل الى اتباع النزوات أو الأهواء الفردية ٠

ان رب الأرباب الشمسى الذى تجسد غالبا فى شخصية رع ، يمثل بالفعل نقطة المرسى الفعلية الوحيدة بالنسبة للمجتمع الالهى بأسره • ولكونه لم يخلقه أحد وإنه قام لأول مرة بتوزيع الضوء على العالم كله ، فهو يعد بمثابة مصدر لكل حياة • ولأنه هو الوحيد الذى يستطيع أن يقضى على الخلق ، فهو يعد بمثابة السلطة الوحيدة التى لا تجادل، انه « زعيم كل ما قام بخلقه » ، « والرب العالمى » (١٧) • واختلافا عن أقرانه ، يستطيع هو أن يزهو بلقب « الملك » بوجه عام ، وبدون التقيد بأى زمن • انه « الأول » ، والملك عن جدارة ، و « رب الأرباب » ، و « أعظم العظماء » (١٨)• ولقد رأينا أن هذا التفوق القاطع بالرغم من ذلك يمكن ان يحدد ، بل وينازع ، بواسطة تراكب وتداخل التدرجات والسلطات • ولا شك أن نفس ازدواجية الوظيفة الملكية ، التى تسمح لآلهة أخرى غير رب الأرباب بارتقاء هذه المنزلة الرفيعة ، على الأقل مؤقتا ، تعمل أحيانا على اثارة خلافات تتعلق بالحق فى التصدر ، وعموما لا تعزى هذه الصلات التنازعية بالضرورة لأكثر الآلهة عدوانية • ولذا نجد أن رب الأرباب وأوزيريس قد تنازعا ، من خلال عدة مراسلات لا نهائية ، بخصوص امتيازات وسلطات كل منهما (١٩) •

ولكل من رب الأرباب ، والملك الحاكم بلاط خاص به ، وحاشية الهية تسوسها ؛ قواعد آداب البروتوكول التى ذكرت آنفا ، وباعتباره مجموعة ، فهذا البلاط لا تحده حدود معينة • ولكن « طائفة » هليوبوليس فقط ، وهى طائفة عائلية تستوعب فى اطارها الآلهة التسعة المنتمية الى الأجيال الثلاثة الأولى المنبثقة من رب الأرباب (٢٠) ، هى

التى تتمتع بنوع من التجديد ، وهى تسمى عادة بالتاسوع .
وبالرغم من أن رب الأرباب الخالق يعتبر ضمن هذه الفئة ،
فهو غير مدرج بالحساب ويعتبر « خارج العدد » ، انه فى
آن واحد الأوحد ، بصفته أول الآلهة والعاشر ، أى خارج
المجموعة الكلية التى يمثلها الرقم تسعة وبذلك فهو مسئول
عن كل دورة جديدة (٢١) . وتقدم هذه المجموعة العائلية
نموذجا يبدو ذا جاذبية ما على المجموعة الالهية كلها .
وانتهى الأمر بأن أصبحت عبارة التاسوع تتضمن مجموعات
متباينة الأهمية ، تزيد كثيرا عن تسعة أعضاء ، وغدت تشير
الى مجموعة طائفة الأرباب باعتبارها حاشية منظمة خاصة
بزعيمها (٢٢) . اذن فالسلالة ، والخلية العائلية تفرضان
فى مجال الآلهة باعتبارها وحدات طبيعية من أجل التجمع ،
لا تثقل عليها غالبا البنيات الأكثر اتساعا ، والأكثر شمولا
الا بقدر ضئيل . وبمرور الزمن ، ازداد التفوق العائلى ،
بأضيق معانيه . فان أحد الآلهة الذى تصاحبه زوجته
وابنه ، يمثل ما يسمى بالثالوث ، الذى يصبح بمثابة
نموذج شبه مطلق (٢٣) . ويعتبر الثالوث الذى يمثله
أوزيريس ، وايزيس ، وحورس بمثابة المثال النموذجى
للغاية . وينظم كل معبد بمصر حول عائلة ما حيث يحتل
الاله الأب الدور الرئيسى ، وحيث يبدو الاله الابن فى هيئة
طفل ، مع وجود بعض الاختلافات أحيانا . وفى مثل هذا
الاطار ، تصبح مجموعة الآلهة الأخرى بمثابة بلاط تتتابع
تدرجاته بداخل المعبد تبعا لشخصية صاحب المكان نفسها .

وعموما ، فان روابط الدم أو تناسب السلطات
لا تتطلب التزام الاخلاص أو التبجيل على النمط الدنيوى

فحسب • فان الصلاة أو الشعائر فيما بين الآلهة نفسها ، قبل أن يمارسها البشر ، تعتبر ضرورية من أجل تحقيق التوازن لعملية خلق لوحظ تماما كيف أسيء اليها منــذ نشـاتها • ان توجيه الدعاء الى رب الأرباب ، على سبيل المثال (٢٤) ، لا يعتبر فقط ، بالنسبة للآلهة ، بمثابة وسيلة لتحقق أمانيها الشخصية ، ولكن أيضا ، من خلال تحقيقها ، كوسيلة للاسهام في اعادة تنظيم ما سبق اصابته بالاضطراب بأفعالها هي • ان موت ودفن الآلهة الاولى قد تطلب أن يقــدم رب الأرباب الخالق نفسه بعض الشعائر • ولقد عمل اغتيال أوزيريس على توسيع مدى هذه الممارسة وأضفى عليها بعدا جديدا • والى الشعائر الخاصة بالآلهة الأولى ، التى انضــم اليهـــا أوزيريس ، أضيفت كل مراحل التحنيط التى سوف تسمح بتجديد الجثمان الميت ومولد الاله من جـديد فى نهــايه الأمر • وتعمل هذه الطقوس التي تصاحب هــذا التحـول بالجسد على ضمان الحياة الأخرى ، وتساعد على ضم مجموع الآلهة بداخل هــذا التجديد (٢٥) • وبذا ، فان أية شـعيرة بسيطة هدفها تخليد الذكرى تتطور بعــد ذلك الى شـعيرة هدفها تخليد الحياة •

تتم الشعائر فى ذاك المـكان المقدس ، أى فى المعبــد الأوحد ، الذى أقامه الخالق فوق أول أكمــة انبثقت بعــد هزيمة الأعداء الكونيين ، والتي تعتبر كافة معــابد مصر بمثابة انعكاسات له • وبداخل المعبد ، كانت تقدم القرابين باعتبارها تكملة ضرورية للشعائر • انها تضــع نوعا من الطقوس تعمل على صياغة تدرجات أخرى قد تصبح بعض الآلهة بواسطتها أكثر «قدسية» من غيرها (٢٦) • ومع ذلك ،

فان مثل هذه الحال ، تعتبر الى حد ما ، بمثابة وهم مرجعه الى عدم توافر المطابقة الفعلية لترجماتنا الحديثة مع المضمون الدال الفعلى للكلمات القـديمة · فان لفظـة « اله » التى نسـتعين بها من أجل ترجمة الكلمة المصرية « نتر » تمحـو الطبيعة الالهية الفعلية كما كان يراها المصريون · ان لفظة « نتر » تشير الى جوهر متكامل ، يخرج عن المألوف البشرى، فيعبد وتقدم من أجله الطقوس (٢٧) · ومثل الآلهة تماما ، يعتبر الموتى ، والملك خلال ممارسـتهم للشـعائر بمثـابة « نتر » وبذا ، فان أى اله قد يكـون « اكثر الوهيـة » عن الآلهة الأخرى ، لأنه (نتر) أكثر منها ، أى أنه يتلقى عبادة اكثر رسوخا وقوة ، وأكثر أهمية عن غـيره · ويدرج اله الشمس ، مصدر الحياة ، بوجه خاص داخل هذا الاطار ، بل وفى نهاية الأمر ، كل اله قائم بالمعبد الذى يهيمن عليه هو · وتعتبر هذه الطقوس بالمعنى الفعلى للكلمة مجـددة لحيوية أوزيريس ، كما أن الطقوس الباعثـة للحيـاة التى قامت بها ايزيس هى التى سمحت له بأن يصبح «الها»(٢٨) من جديد ، تلك الصفة التى كان الموت على ما يبدو قد سلبها منـه ·

ممارسـة السـلطة

فيما عدا العصـور التى تتخللهـا بعض الأزمات والتى كانت تتطلب تدخله وتفصح أحيانا عن وهنه وضعفه ، كان الاله الأعلى يبدو قليل الفاعلية · انه تحوت ، رب الحكمة ، الذى ، كان فى معظم الأحيان يحث الاله الأعظم على العمل أو يشجعه على اتخاذ القرار حيث يذكره بأنه السيد ، وبأنه قد

اتخذ فى بعض المناسبات قراره ويتحتم العمل على أن يحترم (٢٩) • وفى حالة نشوب منازعات ، فان رأى ملك الآلهة لا ينتصر بالضرورة وقد يخالف آراء بعض الشخصيات، التي قد تتغاير في مدى أهميتها ، في نطاق مجمع الآلهة •

ومن ضمن ما يتصف به العالم الالهى المصرى من تفرد، هو أن السلطة العليا لا تفرض في نطاقه بواسطة تعسف فرد واحد • انها لا تخضع لأية رقابة ، بل تدرج في اطار احترام بعض الاتفاقات • واذا تجاهلنا المصطلحات القضائية الحديثة ، التي لا تتطابق مع الأحوال المشار اليها هنا ، يمكننا أن نقول : انه لم تكن هناك « قوانين » بكل معنى الكلمة ، فعلى الأقل كانت هناك تدابير تنظيمية تعمل على تنظيم نواحى الحياة المشتركة بين الآلهة • وتقول احدى الروايات ان هذه التنظيمات قد طبقت للمرة الأولى يوم مولد ست (٣٠) ، ففى هذا اليوم بالذات تراءت أولى علاقات الاضطرابات بداخل نطاق طائفة الآلهة نفسها • ويتبين من خلال ذلك أن جزءا على الأقل من هذه التنظيمات كان يوجد قبل نشوب آية نزاعات ، وأنها قد وضعت من أجل تحقيق هدف تحفظى ، كما أن الحالة النوعية ، أو الحدث الفردى لا تفرض بالضرورة هذه التنظيمات التى أوجدها رب الأربات الخالق من وحيه هو أو من بصيرته •

ونظريا ، يعتبر ملك الآلهة ، بمثابة المصدر الوحيد لهذا « القانون » • انه بالقطع يستطيع أن يتخذ قراراته بمفرده ولكن ، وفى معظم الأحيان ، يتم اصدار هذه القرارات بعد عدة محاولات ومباحثات • ولكنه لا يستطيع اصدارها وجعلها تطبق الا بمفاوضة تحوت • ويتبين بوضوح أن تحوت

هو المحور الأساسى لكافة أعمال الادارة الالهية • انه يعتبر « رئيس وزراء » بكل معنى الكلمة أو « وزيرا » أيضا ، وفقا لاحدى الصيغ اللغوية الدارجة لدى علماء المصريات ؛ وهو قائم دائما بجوار ملكه • انه يسدى اليه النصح، ويجيب على أسئلته ، ويقترح حلولا للمشاكل التى يعرضها عليه • ووظيفة المستشار هذه قد انبثقت من بعض الامتيازات التى منحها له رب الأرباب ، الذى اختاره من بين الجميع من أجل القيام بهذه المهمة (٣١) • وفى لحظة بدء عمله ، يقوم تحوت على ما يبدو ، بقسم يمين الاخلاص والتبجيل ازاء التزاماته (٣٢) •

وكبداية ، يجب أن تملى قرارات الاله الأعلى على تحوت حتى تصير فعالة ، ويقوم تحوت بتحرير نسخة منها ويتولى اصدارها (٣٣) • ومن أجل ألا يجهلها أحد ، يمكن اعادة تسجيل نص الوثيقة الأصلية فوق احدى اللوحات بحيث يراه الجميع (٣٤) • وحالما يتم تسجيل قرار ما كتابة ، يعمل تحوت شخصيا على تطبيقه ، اما بتوصيل مضمونه شفهيا الى علم المرسل اليه ، اذا كان الأمر يتعلق بحالة نوعية ، واما باعلام مجمع الآلهة بنفس الوسيلة ، اذا كان الأمر خاصا بموضوع أوسع مدى •

ولا شك أن مثل هذه الطريقة تتطلب الكثير من الذهاب والاياب ، وهذا ما يفسر قيام تحوت أيضا بمهمة الوسيط الملزم فيما بين الإلهة الأخرى ككل أو بشكل فردى ، وبين ملكها ، أو يقوم أيضا بدور المبعوث ، وجميعها ليست سوى وظائف متفرعة من وظيفته الأساسية • وتشمل المراسيم الالهية كافة مظاهر الحياة اليومية للأرباب والبشر الذين

يعيشون بصحبتهم ، وبالفعل ، تعتبر كافة مراسيم رب الأرباب بمثابة مراسيم خلاقة وتكون ما يمكن أن يوصف بالقوانين • ولا تبدو هذه المراسيم في بداية الأمر الا في صورة بيانات • وتسجل ، هي كذلك ، بواسطة تحوت الذى يقوم هو أيضا بتكرارها شفويا • وبفضل كفاءته في الكتابة والتسجيل والتوصيل، يقوم تحوت بالتحكم في النظام القائم ويعمل على تثبيته (٣٥) • ومن منطلق قرارات رب الأرباب الخالق ، يملى قواعد السلوك التى يجب أن تنتهجها الآلهة(٣٦) ويجعل من نفسه الناطق بلسان شكواها(٣٧) •

وربما قد تستطيع بعض الآلهة أن تصدر مراسيم ، مثل ما يفعل رب الأرباب ، ولكنها تعتبر بمثابة تكرار واعادة ، لأن هذه الالهة لها نطاقها الخاص بها بالنسبة لمسئوليتها ، حيث تلتزم من ناحيتها باجادة ادارة الأعمال (٣٨) • وبالنسبة لأوزيريس فهو يمثل حالة قائمة بذاتها • فالمجال الذى يسود عليه ، وهو العالم الآخر ، يخرج تماما عن نطاق أية سلطة بعالم الأحياء ، ولا يتوانى إله الموتى عن التذكير بذلك في بعض الأحوال ، فان المجادلات التى تثار بين رب الأرباب وبين أوزيريس فيما يتعلق بحقوق كل منهما قد أشير اليها أنفا • ان العالم الآخر يتعلق بتشريع آخر ، فهذا ما يمكن أن نقوله حاليا • فمن أجل أن يقبل بقاء شخص ما في العالم الآخر ، ومن أجل دخوله أو الخروج منه ، تستلزم الضرورة الحصول على قرار ، أو مرسوم من أوزيريس (٣٩) ، ويتخذ أوزيريس كافة القرارات النافعة من أجل توفير الرفاهية لرعاياه ، بشكل مستقل تماما (٤٠) •

حقيقة، ان هناك ملكا يعاونه «وزير» فى نطاق الآلهة . ولكن ذلك لا يحتم بالضرورة أن يكون التكوين منظما ، وفقا لتصميم ما أو لتدرج ما خاص بادارة دولة ، متمركزة السلطات ، حيث يحمل كل فرد فى آن واحد وظيفة ولقبا ذا طبيعة ادارية . ولقد أقرت وثيقة واحدة فقط ترجع الى العصر الرومانى وجود مثل هذا التكوين فى اطار الآلهة (٤١) اذن ، فبصفة أساسية ، تتحدد السلطة الإدارية عند الشخصين اللذين ذكرا آنفا ، وهذا يبين بدون أدنى ريب أنهما كفيلان بالمهمة الملقاة على عاتقهما ، بل ويبين أيضا أن مجتمع الآلهة لا يمثل مجتمعا متباينا يتطلب وضع تناوب أكثر اعدادا من أجل توصيل الأوامر الالهية . وسواء فرديا أم جماعيا، فان الآلهة هى أول وآخر من تنقل اليها هذه الأوامر المقدسة . فها هنا موقف يضفى كل قيمة وكل أهمية للدور الوحيد الذى يقوم به تحوت كهمزة وصل . وخارج نطاق الأحوال التى ذكرت آنفا ، فان الاستعانة بالألقاب الادارية سوف تعتبر اذن استثناء . ومع ذلك فليس من المستغرب أن نجد حورس القديم يحمل، فى احدى المناسبات، لقب « رئيس الجيش » الخاص بآلهة السماء ، لكفاءته بدون شك فى قيادة جيوش رب الأرباب خلال المعركة (٤٢) .

المجالس والمحاكم

يشغل تحوت ضمن وظائفه الهامة مهمة استدعاء الآلهة كلما استدعى الأمر ذلك . وبالفعل ، فخلال فترات القلاقل الكبرى ، يلتمس رب الأرباب رأى أقرانه الآلهة ، حيث يجمعها فى هيئة جمعية غير عادية . وهو يعرض عليها المشكلة

المطروحة ، ويستمع الى مختلف الآراء التى تقولها • وتتخذ القرارات اجماعيا بعد بعض المناقشات • وربما قد لا تتفق هذه القرارات مع ما أراده رب الأرباب فى البداية • وهـذا هو نفس ما حدث خلال القضية التى تصارع فيهـا كل من حورس وست ، كما سنرى • وهذا أيضا هو عين ما حـدث خلال تمرد البشر • لقـد تخلى رب الأرباب عن فكرة تدمير العالم كلية ، وقرر أن يعيد صياغة القرار ، وفقا لما نصحه به (٤٣) أقرانه • ويلاحظ بخلاف ذلك ، انه عندما فكر فى البدء فى تدمير البشرية ، لجأ الى اخوانه الآلهة أيضا •

واذا كانت النزاعات البسيطة يتم حلها وتهدئتها بفضل عبارات تحوت الحكيمة (٤٤) ، فان أكثر الخلافات خطورة التى يتعارض فيها أعضاء مجمع الآلهة ، كانت تحسم من خلال الاجتماعات أو الجمعيات التى تقوم بدور المحكمة • وعادة ، يقوم رب الأرباب الخالق برئاستها فى حين يقـوم تحـوت بوظيفة القاضى (٤٥) • ولكن الالهة «ماعت» ، وهى بمثابة تجسيد للنظام الكونى، تستطيع أن تحل محل «تحوت»(٤٦) • وأية شكوى ، أو أى اتهام ضد أى من أعضـــاء مجمع الآلهــة يرفع الى رع (٤٧) ، الذى قد يقرر أولا أن يســتجيب أو لا يستجيب لها • ولا يعتبر أى اله بمنأى عن اللوم ، حتى الآلهة التى قد ينظر اليها باعتبارها أرفع من مستوى الشك • وقد يوجه بعض اللوم الى أى واحد منها ، بما فيها أوزيريس أو ماعت (٤٨) •

وأكثر الدعاوى شهرة هى تلك التى تتعلق بالشـكوى المقدمة من جانب ايزيس وحورس بعد مقتل أوزيريس(٤٩) •

فلقد احتكر ست ، القاتل مملكة أوزيريس لنفسه ، ويحاول مقدمو الشكوى اظهار حقهم • ويرتكز هذا الحق ، طبيعيا ، على قاعدة معتادة للخلافة من الأب للابن ، لا يجب ان يتدخل فيها شقيق المتوفى • ويبدو الموقف الذى أوجدته المأساة متشابكا ومعقدا ، بما أن الملكية قد قسمت الى جزءين ، على حد ذكرنا • فوقع الجنوب تحت سلطة ست ، أما الشمال فتحت سيطرة حورس • ولم يراع هذا الحل لا حق الوريث فى العرش ولا الجريمة التى ارتكبت ، فقد تركه بدون عقاب • ولم تمهل المعارك الغريبة الشأن التى تقابل فيها المتنازعان بعد ذلك على الوصول لأى حل • •

وبذا ، فقد تم استدعاء التاسوع من أجل أن يقوم مقام المحكمة ، واجتمع تحت رئاسة ملك العالم ، وعمل تحوت على قيادة المناقشات • وقام تحوت وهو جالس أمام الآلهة باعتبارها هيئة القضاة ، بسرد التهم الموجهة لست • وأخذ ست يتكلم ، وبدون شك ، بدأ ينفى اقترافه لتلك الأفعال ، بل لقد اتهم ، بكل تحديد ، أوزيريس بأنه المعتدى واستمان فى دفاعه بحجة الدفاع عن النفس : « لم أفعل ذلك ••• انه هو الذى أمسك بى ••• هو الذى هاجمنى(٥٠) » • ولقد رأى العديد من الآلهة أن الحق يجب أن يسود على تناسب القوى ، وأن حورس هو بالقطع الوريث الشرعى للعرش • ووافق تحوت على ذلك وفرحت ايزيس ، معتقدة أن ابنها قد انتصر • ولم يوضع فى الحسبان حساسية ملك الآلهة ، الذى رأى ، بشىء من الامتعاض ، أن المشكلة قد لاقت مخرجا قبل أن يعبر هو نفسه عن رأيه ، وعبر عن ضيقه فى غضب ثائر : « ماذا يعنى أن تقوموا أنتم بمفردكم

باتخاذ قرار (٥١) » ، وانتهز «ست» فرصة هذا التدخل غير المتوقع من أجل أن يقترح قيام معركة غير عادية تسمح بمنح الوراثة للأكثر قوة ، وفكر فى أن الشاب حورس لن يستطيع بداهة أن يقاوم هجمـاته كمقاتل محنك • ولم يخف هـذا التقدير عن«تحوت» الذى وجه سؤاله عندئذ فى تعقل واضح: « ألن نتحقق من معرفة من الذى أخطأ ؟ » وأثارت هـذه الملاحظة غضب ملك الآلهة مرة أخرى ، الذى لم يكن يهتم كثيرا بوضـوح الحق ، ولـكن يرغب فى أن يحتفظ ست بالسلطة التى اكتسبها بواسطة جريمته ، لأنه يضع ثقته فى قوة وجسارة واقدام هذا القاتل من أجل أن يعاونه فى ادارة شئون العالم • فأبدت مجموعة الالهة اعتراضها وتم الاتفاق على ضرورة الالتجاء لرأى خارجى ، وبذا تم استدعاء الاله الكبش رب منـدس والاله بتـاح • ولكنهما ، فى شىء من الجبن ، أدعيا بأنهما يجهلان تفاصيل الدعوى وطالبا بمزيد من المعلومات • ويعتبر ذلك بمثـابة موقف مثير للدهشـة ، بما أنه قد عرف عرضا أن القضية قد استمرت طوال ثمانين عاما • وخلاف ذلك ، فان لب المشكلة معروف تماما للجميع• وبذا فقد توارى هذان الخبيران بقدر ما يستطيعان ، بدون شك من أجل ألا يضطرا للانحياز الى جانب معين• فتقرر اذن أن يلتمس الرأى من الالهة نيت ربة سايس • ولكن بما أن الأمر كان متعلقا بشخصية ذات أهمية ، فلم يفكر أحـد فى استدعائها : وتقرر كتابة رسالة لها يقوم رب الأرباب الخالق باملائها عـلى تحوت • وبدأ ملك الآلهة يشـكو ويتـذمر ، وقال : حيث أن سـوبك بن نيت ، لا يتسـبب فى أى قلق لأمه ، فانه هو ، ملك الأرباب ، له ابن واتته فكـرة مزعجة

بأن يقتل ، وهذا يسبب له الكثير من الحيرة ازاء عملية الخلافة على العرش • والتمس راى الآلهة قائلا : « اعرض علينا اذن ما يجب أن نفعله » • وكانت الاجابة فى هذه المرة ، مجردة من كل غموض وابهام : يجب احترام الحق الفعلى ويجب أن يعاد الى حورس ارث أبيه • ومع ذلك ، فقد اقترحت في شيء من الدهاء قائلة انه يجب ، من أجل ألا يستمر النزاع ، أن يتم تعويض ست ، فانها تشعر بأنه سوف يرى أنه قد أوذى ، وعند قراءة هذه الرسالة ابتهج مجمع الآلهة كثيرا ، فلقد رأى فيها حلا لاتفاق مقبول من الجميع • ومع ذلك فان رب الأرباب الخالق ، وقد رأى ان رغبته في محاباة ست مهما كان الأمر ، قد أعيقت ، تملكه الغضب ، من جديد • فاتهم حورس الشاب بأنه ضعيف جدا ، ورخو للغاية ، لكى يتحمل عبء المسئولية التى يطمع فيها • وعندئذ بلغ الاضطراب مداه ، وثارت الآلهة ، ونسى أحدها نفسه ، وهو «باجا» ، الذى سوف نقابله بعد ذلك ، للدرجة أنه وجه سبابا مقذعا لملك العالم • وبالقطع جرح هذا الآخر في كرامته ، وانزوى مستاء فى مسكنه وبذلك أجلت الجلسة الى أجل غير مسمى ، وتفرقت ، حيث عاد كل آله الى مشاغله • ومنذ ذاك الحين توقف سير الاجراءات توقفا تاما ، على الأقل طالما أن ملك الأرباب قد بقى متقوقعا فى بيته •

وكان من الممكن أن يستمر الوضع هكذا الى الأبد ، وقررت حتحور التدخل ، فذهبت الى أبيها ورفعت ذيل ثوبها لاضحاكه وادخال السرور على قلبه • وكان لهذه الحركة التى تعرف بميزاتها العلاجية لحالات الاكتئاب

النفسى لدى الآلهة ، مفعـول فورى (٥٢) • ورجـع ملك الأرباب مرة أخرى واستؤنف سياق الدعوى • ولم يطرأ أى تغيير عـلى وضع كل طـرف من الأطراف ، واستمر ست فى ابراز قوته ، وقد عرف أن رب الأرباب يميل الى هذه الحجة • وتمسكت معظم الآلهة بمبدأ الحق الفعلى ، فى حين أن بعضها كان يجامل الملك وأثيره ببعض الاطراء والتملق ، وخلال محاولة الآلهة التغلب على اصرار ملكها ، تقـابل حـورس وست ، خارج المحـكمة ، فى صراع غريب الشـأن ، دون الوصول الى حل عمـلى للنزاع • وربما أن المشـكلة لم تكن لتصل أبدا الى نهاية ، اذ لم يكن تحوت قد اقترح ، الالتجاء الى أوزيريس ، والد حورس • وقبل رب العالم هذا الالتماس واستقرت المشاورة ، مرة أخرى ، على تبادل المراسلة • ومن المعروف أن العالم الآخر لا يسهل الوصول اليه ، فالخطابات تتنقل فيه بكل بطء • ولكن وصل الرد فى نهـاية الأمر ، ويتبادر الى الذهن بكل سهولة ، أن أوزيريس قد انحاز بكل حرارة الى جانب ابنه وأبدى دهشته من الحاق الأذى بابن إله قوى النفوذ مثله • وبدون شك عامله رب الأرباب بتعجرف وذكـره بأنه هـو فقط الخـالق لـكل شىء • ولم يضطرب أوزيريس وقال ساخرا : « انه رائع حقا كل الذى فعلته ، يا خالق التاسوع! ومع ذلك، فقد سمحت بأن تضيع العدالة فى العالم السفلى » • ولقد دلت الأحداث كثيرا أن العدالة قد غادرت عالم الآلهة • ولكى يعطيها الآلهة أكثر مما تستحق ، هدد أوزيريس جميع الأرباب بأنه سيرسل عليهـا مبعـوثى الموت ، الذين لا يستطيع أى شىء مقاومتهم ، ان لم يرضخوا لمبدأ الحق الفعلى • وكان التهديد مرعبا الى أقصى حد لدرجة،

أنه جعل الجميع يوافقون فى الحال • حقيقة ، ان هؤلاء المبعوثين المشار اليهم كان لهم تأثير كبير على من يقترف الظلم ، مهما كان • وها نحن اذن أمام تبدل للموقف يتميز بالغرابة ، فقد أخذ اله العالم يوجه «توبيخا» عنيفا لـ «ست»، بعد أن كان يدافع عنه منذ قليل ، قائلا له : « لماذا تعارض فكرة محاكمتكما وتحاول أن تستولى على وظيفة حورس ؟»• وفى اطار حملة الدهاء والخبث هذه ، قام ست أيضا بدوره وتصنع الدهشة قائلا : « لم يحدث ذلك أبدا يا سيدى الجليل ! فليناد على حورس ، ابن ايزيس ، وليمنح وظيفة أبيه أوزيريس » • وسمعت الدعوى ومنح حورس التاج الأبيض الذى كان قد فقده ، ليسمح له بحكم قطرى البلد اللذين توحدا فى النهاية (٥٣) •

واذا كانت الآلهة منذ بداية المناقشات قد خطأت ست الذى أذنب بقتل أخيه ، فان الحق لم ينتصر اذن الا بصعوبة، وتحت تهديد رهيب عمل هو بمفرده على رضوخ ملك الآلهة، ولم يستسلم رب الأرباب تماما، وطالب بأن يسلم المتهم له من أجل أن يساعده ، فى اطار مركب الشمس ، لمصارعة أعداء الكون ـ ولقد رأينا من قبل أن ضغينة ست لم تهدأ بالرغم من ذلك •

ولقد عادت عليه اعتداءاته وأعماله الضارة بطرده من مصر • ولا شك أن هذه المغامرة برمتها تفصح عن سمات التردد وسرائر العشيرة الالهية ، المؤثرة جميعها تأثيرا قويا على مسيرة أية محكمة حيث يلاحظ أن المصالح الشخصية ، المرتبطة بالتدرج الوظيفى لكل واحد ، تتقدم على أبسط

قواعد العدالة • كما أن التحيز من جانب ملك الآلهة ، الذى أبرز هنـا بكل وضـوح ، لا يعتبر من مميزات مركزه • وتحيز الآلهة عامة سوف نجده في مجالات أخرى (٥٤) • انه يصل حتى الى من يجب أن يقـوم بدور الوسـيط المحـايد والعادل عادة : تحوت شخصيا • وسوف تسمح لنا احداث قضية أخرى بالتيقن من ذلك •

لقد ثار نزاع ما لم تحدد طبيعته بالضبط بين كل من «تحوت» و «بابا»(٥٥) • و «بابا» هذا له سمعة غير طيبة تماما فى نطاق مجمع الآلهة • انه عنيف ، وفاسـق ، وفظ ـ ولقد شوهد منذ فترة وهو يسب رب العالم • وهو يشغل وظيفة لا تدعو للاطمئنان وهى « جلاد الهالكين » • ومن أجل التوصل الى حل للمشكلة ، استدعى كل من التاسوع الأصغر والتاسوع الأكبر (عائلة هليوبوليس وبقية الآلهة) • وكان أعضاؤهما سيقومون بمهمة القضاة ، وأيضا شهود الاثبات في نفس الـوقت • وأدخلهم تحـوت الى ملك الآلهـة الذى سألهم المشـــورة ، ولكن ، مما يثير العجب انهـم قد لزموا الصمت • ولكن « بابا » اتخذ عندئذ موقف المهاجم واتهم « تحوت » بأنه يسرق القرابين الخاصة برع • وكان تحوت يقوم بالفعل بمهمة تقسيم هذه القرابين فيما بين الالهـة ، واعتبر الاتهام خطيرا لأنه يتعلق بموضوع حيوى • بل هـو يوحى أيضا بأن تحوت ليس عـديم التحيز وبذا لا يجب أن يقوم بمهام الحكم • وعند سماع هـذه الكلمات ، استعادت آلهة التاسوعين أصـواتها ، فنـددت صارخة بأن ذلك هـو مجرد تشهير وافتراء وأكدت بأنها لم تر شـيئا مطلقـا • وسمح ذلك لتحوت بأن يعلن خطأ بابا ، فى حين أن شـكوى

الطرفين لم تكن قد نظرت ، أو حتى أعلن عنها بكل بساطة . وبذلك تفادى تحوت الاجابة على الاتهام المقـدم ضـده من المدعى . وبعد أن قام تحوت بنفسه بالنطق بالحـكم ضـد الخصم ، قام رب الأرباب بالتصديق عليه : « ان تحوت لعلى حق ، و «بابا» هو المخطىء » . ولا ريب أن الموضوع برمته مزور . فيلاحظ أن تحوت هو فى آن واحد القاضى والخصم الاقوى بكل معنى الكلمة . ورع الاله الأعلى ، لا يتدخل فى المناقشات ويسترشد بالرأى العام . أما التاسوعان فيفصحان عن انتهازيتهما تبعا للقوىالقائمة . ومن المعروف، أن تحوت يعتبر عضوا ذا نفوذ كبير فى اطار مجمع الآلهة ، انه الساعد الأيمن لرب الأرباب . أما بابا ، فبـالرغم من سـلطاته ، فلا يتمتع الا بقدر ضئيل من الثقة . ولقد فصل فى أمـره بواسـطة محـاكمة خيـالية ، ومن المؤكد أنه اسـتمر فى اتهاماته ، « وأن يقول أشياء سيئة عن تحوت » . ومن أجل اسكاته ، لم يتردد تحوت فى اللجـوء الى قدراته السـحرية ليجعل منه أضحوكة باهانته علنا . ويبدو هنا اقناع القاضى بالحكم واضحا ، وكذلك الاتهام الموجه ضـد تحـوت من « بابا » يرتكز على اثبات واضح ـ وسـوف يعرف ذلك فى مجال آخر ـ وأن الحقيقة يعرفها تماما أعضاء التاسوعين .

وتستحق هذه القصة أن تروى (٥٦) . فلقد رغب أحد المتوفين العالمين ببواطن الأمور فى أن يحصل من تحوت على رعاية خاصة . ومن أجل ارغام الإله على منحه هذه الميزة ، هدده بأنه سوف يفشى سرا رهيبا ان لم يمتثل لرغبته : « ان لم تسـتمع الى ما أقول ، فسـوف أضطر أن أقول انك قد سرقت القرابين الخاصة بآلهة التاسوع في يوم عيدها ، فى

هذه الليلة التى اختفى فيها تحوت تمــاما ، أى عنـد بزوغ القمر » • فان تحوت اله الليل ، قد عالج الزمن الفعلى بحيث يكون الشهر القمرى اقصر من الشهر المعتاد المكون من ثلاثين يوما • وبمثل هــذه الوسيلة ، يستطيع أن يختلس لصالحه القرابين غير المخصصة خلال فترة الزمن التى تعادل الفرق بين الاثنين • وقد علم أيضا أن الموضوع يعتبر أكثر خطورة مما يبدو عليه • فربما أن تحوت قد اشترك مع ست من اجل اخفاء بعض أجزاء من جسد أوزيريس ، الذى قطعت أجزاء منه ، بدون شــك ، من أجــل تأخير عملية اعادة تكوينــه ، وبالضبط ، من أجل اعاقة مسيرة الزمن ، وبذا فان بابا لم يخترع شيئا ، وبالاضافة لذلك فان التاسوع لم يكن ليجهل ما اقترفه تحوت من اثم •

وبالرغم من بعض الحالات الخاصة ، تبدو قواعد العمل بالمحــكمة الالهيــة واضــحة تمــاما على الأقل فى ســماتها الأساسية ، والتاسوع الذى يكون المجمع ، لا يتضمن كافة الآلهة ، ويتمتع أعضاؤه ، من وجهة نظر فعلية ، بمميزات واسعة المدى • انهم يقومون فى آن واحد بمهمة القضاة ، والمحلفين أو شهود ــ النفى أو الاثبات ــ وفقــا لاختــلاف الأحوال • كما أن رب الأرباب الذى يتولى الرئاسة وتحــوت الذى يقوم بدور كاتب المحكمة والحكم يستطيع كل منهما أن يقــوم بنفس الأدوار • وبدون هاتين الشــخصيتين ، لا يمكن على ما يبــدو ، أن تتحقق شرعية انعقاد جلســات المحــكمة • وفى حالة الضرورة ، قد يلجــأ الى الشــهادات الخارجيــة • ويتم اســتدعاء الشــهود أمام المحــكمة أو استشارتهم من بعيد بواسطة تبادل الرسائل • ولا شك أن

هذا التباين فى التعامل مع الشهود يعتمد سواء على اعتبارات تدرجيـة أو عـلى بعـد المسـافة بالنسـبة للأفـراد الذين يستشارون • ويقوم كل من المدعي والمدعى عليـه بتقديم البراهين •

ولكن ، وفقا لما تقـوله بعض المصـادر ، فان كليهما يستطيع أن يلجأ الى طلب المشورة (٥٧) • وعلى ما يبدو ، من أجل أن يصدر قرار ما ، تحتم الضرورة أن يتفق رئيس المحكمة والحـكم عـلى نفس الراى ، وان لم يتحقق هـذا الاتفاق ، فان الاجراءات قد يطول مداها • وليست هناك أية ميكانيكية أو آلية يستعان بها كبديل من أجل التغلب عـلى الصعوبات التى تتولد عن مثل هذا الموقف • ويصدر الحكم بواسطة تحوت مع موافقة رب الأرباب (٥٨) • وربما قد يتحول الى مرسوم ملكى يدون كتـابة ، ويحتمـل فى بعض الأحيان ، أن يسجل فوق احدى اللوحات لكى يستطيع الجميع قراءته ، ومن خلال أحد النصوص نعرف أنه فى المحاكمة عندما يدان المتهم ، فانه يقف ويغطي وجهه بيديه عند النطق بالحكم (٥٩) • ولا يعرف عما اذا كانت هذه مجرد ملحوظة جذابة أو ممارسة عادية فى مثـل هـذا المـوقف • ولو اننا صدقنا الروايات التي ذكرت آنفا فى هـذا المجـال ، فان الخاسر ، بصفة عامة ، يترك تحت رحمة الفائز ، وتقول الروايات ، ان ست قد حكم عليه ، بأن يحمل أوزيريس وهو ميت فوق ظهره الى الأبد أو يلقى حتفه بيد حورس • ولقد أشير فى الكثير من الأحوال ، الى مبدأ ترك المحـكوم عليه ، وأقاربه وعائلته أيضا ، تحت رحمة من انتصر عليه (٦٠)•

ولقد حدثتنا النصوص عن العديد من المحاكم الالهية ، ولكن ليس هنـاك ما يدل عـلى أنه توجد فى كل مرة نظم مختلفة . وفى واقع الأمر ، ان كل واحدة من هذه المحاكم ، تتميز عن غيرها باسم مكان مقـرها (٦١) . فربما يتعلق الأمر اذن بنفس المحكمة التى تنتقل من مكان الى آخر تبعا للأحوال التى تتناولها . وبذا ، فان محكمة هليوبوليس ، التى تتولى مشكلة حورس وست ، لا تتردد في الانتقال من مقرها من أجل اجراء مناقشاتها فى أماكن متباينة تماما ، بل وأحيانا كانت تنعقد فى قلب الطبيعة نفسها (٦٢) . واذا حدث في بعض الأحوال ، أن برر هـذا الانتقـال بضرورة التواجد فى مكان أكثر هدوءا لتوفير صـفاء المناقشـات ، فلا يعرف فى كافة الظروف الأخـرى أسباب هـذا التنقل الادارى .

ولا تنحصر وظيفة المجالس فى مجرد توفير العـدالة . فهنا بعض الاجتماعات التى تتم بمبادرة من الملك ، فقـد يتعلق الأمر ، مثلا باحاطة الأرباب علما بأحداث ما يجرى فى العالم أو أحواله . وعـلى ما يبدو ، فان الذين عاونوا الخالق عند منشأ الخلق هم أيضا الذين يساهمون فى مثـل هذه الاجتماعات (٦٣) . وفى نطاق مختلف النظم الالهية ، هناك نظام يستحق اهتماما خاصا : انه يعرف باسم «المجلس الذى يسوس شئون الماء» . ففى مثل هذا البلد الذى تعتمد كافة اقتصادياته على فيضان النيـل ، يتم تنظيمه بواسـطة مجموعة من الآلهة تكون ما يشبه المعهد (٦٤) ، تقيم عنـد أطراف العالم ، قرب أطراف السماء أو فى ناحية تقع جنوب هليوبوليس . وهى مكلفة بالاشراف على العودة المنتظمة للمياه

فى وقت الفيضان، وعلى مدى ارتفاعه ، وعلى توزيعه العادل على كافة الأراضى • بل ان أحد الآلهة يتوجه الى احضاره من النوبة من أجل توصيله الى مصر ويقوده حتى الدلتا • وأهم مهمة أوكلت الى الآلهة هى قياس ارتفاع المياه بكل دقة ، من أجل الوصول الى ارتفاعها المثالى ، لا أكثر و لاأقل لتحقيق رى مثالى للأراضى وانتاج أفضل المحاصيل •

خـــدم ومســـاعدون

يقوم بعض المعاونين بمساعدة الآلهة فى مختلف مهامها، وأيضا مجموعات من الخدم الذين يطلق عليهم بصفة عامة اسم الزمرة أو الفوج (٦٥) • وبالقطع هناك شغالون فى معظم الأحيان ، يقومون بتوفير المتطلبات اليومية البسيطة جدا • وعلينا أن نتصور مجموعة « العمال المبتدئين » وهم يقومون بالأعمال المتواضعة ، ربما قد يشار اليهم بكلمة « الناس أو بعضهم » : فيقال « بعضهم » فعل هذا أو ذاك من أجل أحد الآلهة (٦٦) • ولكن الوحدات الأحسن تأسيسا تتكون من قوى أدنى هيئت من أجل أن تطيع طاعة عمياء وتستعين بها الآلهة من أجل اظهار نفوذها وارادتها ، سواء فى نطاق الآلهة الأخرى أو فى مجال البشر ، وغالبا يتسلح أفراد هذه القوى بالخناجر المستطيلة ، وأقواس وسهام ، وتشكل بذلك نوعا من الحرس الخاص المكلف بحماية سيدها ضد أعدائه • فأوزيريس ، مثلا ، الذى أصابه الوهن بسبب الموت ، كان بصفة خاصة فى أشد الحاجة لحرس قوى ومتيقظ(٦٧) • وهؤلاء الأفراد المدججون تماما بالسلاح ، لا تنحصر أوجه نشاطهم عند مجرد المهام الدفاعية • فقد يصبحون بمثابة « مبعوثين » مرهوبى الجانب بشكل خاص•

والذين يقومون بحراسة أوزيريس، «ذوو الأصابع المعقوفة والخناجر المؤلمة» مكلفون بامداد العالم الآخر بالملعونين(٦٨)، ولقد عرف آنفا أن مجــرد التهديد بتــدخلهم قد ذكره رب الأرباب الخالق وهو فى قمة غضبه خلال محــاكمة حورس وست • وأكثر هذه المجموعات شهرة وغموضــا أيضــا هى مجموعة المبعوثين العاملين تحت قيــادة الالهة « الخطــرة » (سخمت) ، مهما كانت الهيئة التى تبدو عليهــا ـ غالبا • وانهم مرتبطون ارتباطا وثيقــا بالمظهر المنتقــم والمعــاقب المنبثق من عين الشمس ويعتقد أنهم قد تولدوا منه (٦٩)، أن عددهم هو سبعة أفراد ، وهم يجســدون فى نفس الحين الكلمات السبع الخلاقة التى نطقت عند بداية نشأة العالم ، والسهام السبعة التى تطلقها الالهة الخطرة ضد أعداء الكون، وهى ليست ســـوى درجات البروج الســبعة المصــاحبة للشمس (٧٠) ، وبالتــالى كان يتحتــم رجــوعها الدورى ، وطبيعيا كانت كاملة الوجود • وأى مثير للقلاقل لا يمكن أن ينجو من بين أيديها لسرعتها القصوى ، ولمهــارة تصــويب السهام التى تطلقها أو تبصقها من أفواهها (٧١) •

ومن المؤكد أن المبعوثين يستطيعون أن يقوموا بأعمال سلمية أو يكونوا مراسلين أو سـعاة لنقــل البريد • وكان أوزيريس يستعين بمبعوثيه من أجل اعلان العالم الخارجى بالأنباء الآتية من العالم الآخر (٧٢) • وقد تكون مهــامهم غير منتظرة تماما • وبذا نجد أن مبعوثى حورس قد أعادوا الى سيدهم سلطته السحرية ، التى كان قد تركها تتســكع بعيدا عن كيانه (٧٣) • وهذه السلطة هى نفسها المتعلقــة بالعين التى كان ست قد اقتلعها منه (٧٤) ، ولذا علينا أن

تتخيل لماذا تطلب الأمر مجموعة كاملة من أجل استرجاعها، ولا يعرف عما اذا كانت هذه المجموعة هى نفسها مجموعة «المتحدين» التى ساعدت حورس فى معاركه ضد ست(٧٥)٠ ومن أجل أن يرتكب آثامه ، كان ست يستعين بمعونة بعض المساعدين ذكروا دائما من خلال النصوص ، ولكن بعضهم نر هاربا ، بعد هزيمته ، ليلتحقوا بخدمة حورس (٧٦) ٠

ويعيش كل هذا الحشد في نهاية الأمر حياة كلها حركة وتنقل ويقوم بمهام فائقة التنوع ، ولكن قد لا ينطبق ذلك على كافة الفئات ٠ فالبعض منهم يوكل اليهم بدور محدد تماما ، ودقيق المواعيد ، فهذا هو الحال بالنسبة للحرس المكلف بالمجال المقدس الذى خلق عند منشأ العالم والذى يقوم فوقه المعبد المتالى ٠ انه يحرس هذا المجال المحدد ، الذى يجب أن يبقى بعيدا عن الدنس والقوى المعادية ، بشكل توازنى ٠ ان دوره يرتكز خاصة على عدم مغادرة موقعه ٠ وهو يتكون من خمس فئات ، كل واحدة منها تقوم بحراسة الجهات الأصلية ، مكونة ما يشبه السور الذى لا يمكن تخطيه والثابت آبدا (٧٧) ٠ والطاقم القائم بالمركب التى تبحر بها الشمس هو أيضا ضمن هؤلاء المتخصصين ، فدوره لا يعتمد أساسا ، على المحاربة ، حتى لو تصورنا أنه يقوم بقسط فعال في المعركة ضد الوحش آبوبيس ٠ فعليه أن يقوم ، بدون أى خطأ ، « وبدون أن يعرف للراحة طعما » (٧٨) ، بانجاز عمله كمحكوم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة بكل رضاء ، والى الأبد يكمل المسافة اليومية التى تسمح للشمس بالتألق على التوالى على كافة أنحاء هذا العالم

والعالم الآخر • وهـو يختلف فى ذلك عن طاقـم مـركب المتحدين مع ست والذين يستترون بين الآلهة (٧٩) •

ويستطيع المبعوثون الذين يقومون بمهام متعددة أن يتخـذوا كافة المظاهر الممكنـة ، سـواء أكانت بشرية أم حيوانية • وبذا ، يحلو ل « بابا » أن يتنقل وفى معيته سبعة وسبعون كلبا ليست فى حقيقة الأمر سوى مساعدة له (٨٠)• وهى حقيقة لا تتمتع بفردية خاصة ، كما ان ارادتها تمتزج مع ارادة سـيدها ، وبذا يحق أن يقال انها ليست سـوى انبعاثات ، متعددة حسب الرغبة ، لسيدها هذا • ولقـد تولد مبعوثو أوزيريس من سـيلانه المرضى ، أما مبعـوثو سخمت ، فكما سبق أن ذكر ، قد انبثقوا من عين الشمس ، أى من الالهـة نفسـها • وربما ان المتحـدين مع ست هم الاستثناء وليسوا مجرد انبثاقات من سيدهم • ويبدو فى بعض الأحيـان ، ان المجمـوعة وزعيمهـا لهـا آراؤها المتعارضة (٨١) •

وبالاضافة لهذه الفئـات ، وهـذه المجمـوعات ، فمن المحتمل أن كل ركن من أركان العالم يأوى المردة المنعزلة ، التى تقوم بمهام متخصصة للغاية ، كما أن مجالها المحدود يضعها أسفل سلم درجات الكائنات الالهية • ومن المعلـوم ان البعض منها قد تقوم الآلهة بخلقـه حسب الطلب ، وفى أية لحظـة من اللحظات • وهى المسـماة « الأوريتس » ، وتقيم غالبا فى الأماكن المائيـة أو الرطبـة ، وقد خلقت ليكون لكل واحد منها هدف محدد • ان مكانتها بسيطة للغاية لدرجة أن أى كائن بشرى يستطيع ، اذا لزم الأمر ، أن يحوز على أحدها لاستعماله الشخصى (٨٢) •

المنشقون والأرباب الأجانب

ان تنظيم العالم الالهى ، بالرغم من سمات ذاتيته وانفصاله ، لا يخلو بالرغم من ذلك من المنشقين اللاجين اليه • وبالرغم من انتمائها الى مناطق أخرى غير مصر ، حيث تثير الكثير من عدم الثقة ، فلقد استطاعت الآلهة الأجنبية فى نهاية الأمر أن تتأقلم ، دون صعوبة تذكر، ببلد الفراعنة • وبداية من الدولة القديمة ، استطاع اله يدعى « خمى تاو » ، وافد على ما يبدو من مدينة جبيل ، أن يجد له مكانا ضئيلا بين متون الأهرام بصفته حارسا للأبواب السماوية • ثم حل محله بعد ذلك زميله « رشف » (٨٣) • وربما أن الربة « بعلت » قد ظهرت ظهورا متواضعا من خلال نصوص التوابيت ، حيث تقوم بدور أحد المردة المعادية للموتى (٨٤) • ولقد عاشت هذه الاستعارات أزهى فتراتها خلال الدولة الحديثة ، حينما كان الملوك الفراعنة يقتطعون ملكا بالشرق الأوسط (٨٥)• ومع ذلك ، فان هذا الاقتباس لا يتعلق الا بعدد ضئيل من الآلهة الأجنبية • وأهم ما يثير الانتباه بخصوص هذه الالهة الوافدة حديثا ، هو أنها تهاجر الى مصر بكل كفاءتها الأصلية ومحيطها الأسطورى الخاص بها (٨٦) •

وفى احدى البرديات ــ وهى لسوء الحظ مهلهلة ــ نجد صورة الالهة عشتارت التى جاء ذكرها عرضا ، ومنها نتعرف كيف استطاعت أن تجد لها مكانا فى مجمع الآلهة المصرى (٨٧) • كانت آلهة مصر قد تعارضت ، لأسباب نجهلها ، مع « يام » ، اله البحر • وكان هذا الأخير يتصف

بسرعة الغضب ، ويميل للسيطرة • وقرر أن يسيطر عليها ، مسببا لها خسارة كبيرة ، ويفرض عليها فدية ، واذا لم تطع مطالبه فقد هددها«يام» يسجنها جميعا • وعلى ما يبدو، كانت لديه السبل من أجل تنفيذ هذا التهديد ، أما الآلهة المصرية فلم تهتم كثيرا بأن تقارن نفسها بهذا الدخيل البالغ القوة ، والتى لا تعرف كيف تواجهه ، فقررت أن تسوف معه وتقر طلبه • فكلفت الالهة « رننوتت » ربة الحصاد ، بأن تحضر له ما أمر به، ولكن هذه الهبات لم تف بالحاجة• ولم تعرف الآلهة ماذا تفعل، فأرسلت بمبعوث الى الالهة عشتارت• وتوجه هذا المبعوث ، على حد فهمنا ، الى بلاد الأسيويين ، وعند وصوله أمام بيت الآلهة ، ناداها من وراء نافذة حجرتها ، حيث، على ما يبدو ، كانت نائمة • وبداية من هذه اللحظة ، نجد أن القصة تصفها بأنها « ابنة بتاح » ، الذى يقوم ، فى هـــذا النص ، بدور رب الأرباب • ووافقت عشتارت على مساعدة الآلهة و ، بدون أى انتقال ، نشاهدها وهى تتنزه على أحد الشواطىء ، تغنى وتضحك • ومع ذلك ، فان السفر الى مثل هذا المكان لابد أن يكون طويلا وشاقا ، بما أنه قد ذكر أن خفيها قد ثقبتا وأن ملابسها قد تمزقت • وبالرغم من مثل هذا الهندام ، الذى كان يتأسى « يام » من أجله ، فقد سقط، ووقع فورا فى هواها • ووعد بأنه سوف يمتنع عن مطالبه لو قدمت له هذه الآلهة زوجة ، وخلال هذا الوقت، استقبلت عشتارت فى داخل التاسوع من جانب الآلهـة التى اعترفت بجميلها فى فخامة وأبهة ، تليق بأكبر شخصيات مجمع الآلهة ولكن ها هو الأمر يستلزم اعداد جهاز العـروس : وكانت هذه فرصة لـ « يام » ، الذى لم يكن ليحترم كلمتـه ، لـكى

يعبر من جديد عن ميله الفائق الحد لتلقى الهدايا ٠ واضطرت « نوت » ، ربة السماء الى أن تضحى بقلادتها اللؤلئية ، و «جب» ، رب الأرض ، بخاتمه ، وكل هذه الأشياء تم وزنها بكل عناية فى ميزان ، وتبدو نهاية القصة مقطعة للغاية ، ولكن يمكن استخلاص حدثين مهمين هما استمرار « يام » فى المزايدة ، وتهديده باغراق الأرض والجبال ٠ وربما انه كان لا يريد سوى أن يكون ملكا على جميع الآلهة ٠ وأخيرا ظهر ست، على ما يبدو ، للمقاتلة ٠ ومعروف عن ست أنه كان قد روض المياه الثائرة قبل ذلك ، وربما من المعتقد أنه تمكن فى نهاية الأمر من التغلب على ذلك المتعجرف المزهو بنفسه ، ويعيد بذلك السلام فى نطاق المجموعة الالهية ٠

وهناك قصة أخرى ، عرفت خلال بعض المصادر وتبدو مهلهلة للغاية هى أيضا ، وتبرز دور الربة «عنات»(٨٨) ، حيث قدمت لنا فى هيئة امرأة «تسلك سلوك المحارب وترتدى ملابس الرجال » ٠ ويعتبر ذلك من السمات الموروثة عن أصلها غير المصرى ٠ ومع ذلك ، فان هذه الخاصية هى التى سمحت لها بالانضمام الى مجمع الآلهة المصرى باعتبارها زوجة لست، فمن المعروف عن ست ميوله الجنسية الشاذة ، ومثل هذه الزوجة المسترجلة ، الثائرة والعدوانية ، لابد أن تتوافق مع مزاجه ٠ وخلاف ذلك، فان «ست» يتطابق بكل سهولة مع «بعل» الذى قد يكون شقيق أو زوج «عنات» ٠ والدور الذى عزى اليه لا يبدو كامل الوضوح ، فعلى ما يبدو أن «ست» قد غرر بالهة تسمى « اللقاح » أو « السم » (فالكلمتان متطابقتان باللغة المصرية) ٠ فاندفعت هذه الالهة فى وجهه واخترقت جبهته ٠ ومما يثير الدهشة أن عنات قد أظهرت بعض الود

والمبادرة فى حين أنها قد خدعت ، فتوجهت الى رع لتتشفع عنده من أجل أن يخلص زوجها من هذا السم الذى يحمله بداخله والذى يتسبب فى تعذيبه . ويبدو أن الأمر هنــا هو رواية أخرى لأسطورة ست الذى عذب بواسطة لقاح حورس، وسوف نعود لتناولها بعد ذلك (٨٩) . وربما تعتبر «عنات» هنا بمثابة بديل لـ « نفتيس » ، الزوجة المصرية التى لم تنجب لست أبناء .

ان الكثير من الآلهة الأخرى قد أسـعدها الحظ بشــكل أو بآخر لتدخــل فى اطار الميثولوجيــا . وبذا فها هـــو « كاثار » ، المعروف فى اطار الديانة الأوجاريتية بأنه هو المهندس المعمارى الذى أشرف على بناء قصر الاله « بعل » ، ووضع مواهبه فى خـدمة الآلهة المصرية من أجـل تشـييد مقاصيرها ، ويصبح بمثابة الخادم بها (٩٠) . بل ان له أيضا بعض المساعدين ، وهم عبارة عن الجلادين المكلفين بمهمة تنفيذ الاعدام فى المحكوم عليهم (٩١) .

ولا تعتبر معايير الاختيار التى تسمح بدخول أفــراد جدد فى اطار مجمع الآلهة المصرية مؤكدة دائما ، بالاضافة الى أن الآلهة الأجنبية ليست جميعا مدرجة بالبيان الأسطورى، على الأقل بالنسبة لحالة الوثائق الحالية (٩٢) . ولا شــك أن مقارنة القصص المصرية مع تلك التى تتضمنها ديانات الشرق الأوسط ، تتحدث عن نفس الآلهة وتبين أن الديانة المصرية لم تكتف باستعارة بعض الآلهة ، بل انها قد أضفت عليها مفهوما يتطابق مع متطلباتها : بل لقد اقتبست أيضا بعض السمات ، وبعض النماذج على قدر من الأهمية بسبب

وظيفتها هى نفسها • ولقـد وضعت فى الحسـبان البيئـة الأسطورية الأصلية لكل منها • لأنه توجد فى اطار هذه‌البيئة عناصر تتشابه مع بعض الأساطير المصرية بكل معنى الكلمة ، لجعل الاله الأجنبى يمكنه أن يتعايش مع الآلهة المصرية • كما انه لا يشغل فى نطاق هذه‌البيئة مكانا ترك فارغا ولا يزدوج أو يتراكب تماما على شخصية قائمة أصلا • انه يقوم بمجرد تقليد شكل ، ومظهر أحد الآلهة ، خاصة التى ترتبط بالبلدان الخارجية • ولذلك ، قلما يكون دوره رفيع المستوى ، ولـكن بعض هذه الآلهة ربما قد تشغل فى نطاق التدرجات مكانا مرموقا ، وتتطلب عملية الاندماج نوعا من تطابق الثقافات المعنية مع أسلوب الفكر المصرى • ومن هذا المنطلق ، نجـد أن هذه الظاهرة ، بالرغم من المظاهر السطحية ، تختلف عن تلك التى عرفت فى العصر اليونانى الرومانى بعد ذلك • فخلال تلك الحقبة ، لم يعمل الاتصال بالحضارة الخارجية على ادخال أية شخصيات جديدة بمجمع الآلهة المصرى الأصيل • لقد بقيت الآلهة المصرية بدون أى تبدل ، ولكنهـا فى نفس الوقت تعرضت لتأثيرات مزدوجة • الأولى تتعلق بالاسـم وتسمح للفكر الأجنبى غير المصرى بتفهم هوية أى اله تبدو صعبة ومبهمة تماما • وبذا ، فان تحوت يستطيع أن يتخـذ اسم هرمز ، والثانية تتعلق بالشخصية المتعمقة وأسـاليب تسجيلها الشخصية • انها تعمل بالفعل على خلق اله جديد يختلط بداخله بواسـطة الاندماج ، بضع سمات أسـاسية خاصة بالثقافتين الاثنتين • ولقد ساعد هـذا التولد عـلى اجتياز الاله للثقافة الخارجية وهيأ لتصديره • وبذا ، لم يصبح أبدا ملكا للحضارة المصرية بكل معنى الكلمة •

ومن الوجهة التاريخية البحتة ، فان الاستمارات من ديانات الشرق الأوسط تدخل فى اطار العلاقات السياسية والاقتصادية الوثيقة التى خلقتها مصر مع جيرانها · وبصفة خاصة خلال الدولة الحديثة · ومن المؤكد أن المواطنين المصريين الذين مكثوا بالخارج ، وأيضا الجاليات الأجنبية المهاجرة التى استقرت بمصر ، والعبيد ، والعمال الحرفيين، والتجار ، يعتبرون عناصر ناقلة لهذا الاستيطان · ولكن اندماج الآلهة الأجنبية فى نطاق الطقوس الشعائرية لم يتم بدون موافقة بل وأيضا مساندة ، السلطة الملكية · انه يتعلق بتاريخ البشر ، فان ادراجهم فى النصوص الأسطورية كان يعمل بالأحرى على صهرهم بالحياة اليومية لآلهة مصر · انهم يتصرفون بداخل هذا الاطار وكأنهم كانوا دائما حاضرين، ويكتشفون لأنفسهم بعض الروابط العائلية، التى تعمل بشكل ما على انكار سماتهم الدخيلة ، ولفترات طويلة عمل اسما «ست وحتحور» ، كمذكر ومؤنث ، بمفردهما على تجسيد الوجود الخارجى فى مجمع الآلهة المصرى · وذلك الدور الذى أوكل اليهما لم يكن ليخلو من الغموض · ان الابهام المحيط بالعالم الخارجى ، بمظاهره السلبية والايجابية فى آن واحد ، كان يكمن فى داخلهما ، أى فى نفس نطاق آلهة مصر ، ويطيح بأى انتقال ما بين العالم المنظم والخواء بخارجه · ولقد عمل حضور الآلهة الأجانب على حدوث فصل فى هذا الاجتياز للخارج ، وساعد على توضيح اختصاصات كل منها · ورجعت حتحور الى ميولها للرقة والحب ، حيث لم يمح الجنس ، بل جرد بشكل أو بآخر من افراطه · وتركت الى حد ما المغالاة الشهوانية والاحتدام

الحربى لنظيرتها الوافدة من أماكن أخرى ، ووجد ست نفسه سجينا رويدا رويدا فى اطار دور المنفى والدخيل ، بل والأجنبى أيضا ، فى حين قام الوافدون الجدد بتجسيد القيم الايجابية التى يحملها هو أيضا • ولا شك أن تمكن الآلهة الأجنبية من مساعدة الآلهة المصرية من أجل خوض المعركة ضده ، قد جعلها بمثابة مجموعة من الممثلين تقوم بدورها فى مجال استتباب النظام بالعالم (٩٣) • ومن هذا المنطلق ، أقرت بأن هذا النظام يمكن أن يمتد الى مدى أبعد من هذا الخلق المثالى أى مصر ، وأن حدود الخواء ربما تقع أبعد مما يتصور • وتواجدت منذ ذلك الحين وصاعدا بين الخلق المثالى والخواء مسافة ما ، قابلة دائما للتقلص ، وتتباين مع احتمالات التاريخ • وعبرت الآلهة الأجنبية عن انبثاق تاريخ البشر من عالم الآلهة ، ولم يقوموا فقط باقتراح نموذج للتاريخ ، بل لقد خضعوا له • ولقد لوحظ أن المصريين لم يحضروا أبدا ، ضمن الغنائم الثمينة التى جمعوها خلال معاركهم ، آية أشكال لآلهة أجنبية ، فى حين أن غزاة مصر لم يكونوا ليمتنعوا أبدا عن أن يأخذوا معهم التماثيل التى انتزعوها من معابد المهزومين (٩٤) • ولقد عمل هذا السلب ، الذى يعتبر أيضا بمثابة نصر من منظور آخر للعالم ، على بداية تشتت متأخر ، وارادى فى هذه المرة ، للأرباب المصريين من خلال حوض البحر الأبيض المتوسط • ولقد عملت هذه الهجرة خارج مهد الخلق على تبدلهم الحتمى ، وعلى اخضاعهم لشعائر تختلف عن تلك التى كانوا يعرفونها فى مصر ، ونبأت بموتهم (٩٥) •

التجســـيد

تتمارف الآلهة فيما بينها ، وتسـمى وتتحـدث • اذن توجد حقيقة تفرق بين بعضها بعضا ويعبر عنها طبيعيا فى تعبيرات مادية • ومن المفروض أن للاله جسدا، ووجها يمنحه هوية مرئية وتوفر نقاط الاستدلال اللازمة فى اطار «الحياة الجماعية » ولهذا الجسد شيء من المادية ، بما أنه يمكن أن يجرح ، وان يبتر ويشوه وأن صاحبه ربما قد يموت عنـد تدميره • وكما هو الحال بالنسبة للبشر ، يقوم الجســد بمهمة التناسل النوعى ، ويمكن ، فى بعض الأحوال ، أن يتطور ، ويمر ببعض التغييرات التى تفرضها مختلف سنوات الحياة • ولكن هذه الصفات العادية ، لا تعدو أن تكون سوى مظاهر قصيرة الأمد ، مادام الهدف هو تحديد الجسم كحالته هذه • وتنتشر وحدانية هذا الجسد في مظاهر عديدة لا تمثل زيادتها اجماله الكلى • والآلام التى قد يعانى منها لا تشمله كله ، وفي اطار كل ما يعتقد انه قد أدرك كله يبقى جزء يتعذر وصفه • ان جسم كل اله يشكل بمقدار ما ، يفرضـه عليه مصيره وبرغبته الحرة أيضا •

أجســاد لا يمكن وصفها وأجساد لها مظهر

ان ضرورة وجود هوية جسدية يتعرف عليها ، تعتبر من الأمور المفروضة على الأرباب منذ النشأة الأولى ، وحينما

كان لا يزال مغمورا في المحيط الأولى ، اهتم رب الأرباب بأن يجعل وجوه الكائنات الأوائل (١) متباينة عن بعضها بعضا • وتنتقل السمات الأساسية لكل منها بواسطة الجينات الوراثية بما أن ابن أى اله يمكن أن يتشابه مع أبيه (٢) • وبصفة عامة ، فان عملية تكوين شكل الآلهة وكذلك البشر أو الحيوانات تعتبر مسئولية الاله خنوم الفخرانى • ويتصور أنها جميعا قد شكلت بيديه وعلى مخرطته ، بنفسه من فمه ، دون معرفة طبيعة الطينة التى (٣) صنعت منها • وتساعده مقدرته الخاصة على تدمير جسد العدو الكونى أبوبيس وسلالته (٤) ، ان الشكل الالهى بخلقه هذا يعتبر كلا لا يمكن الاحاطة به فى حد ذاته ، بما أنه يتطابق مع وجود الاله • انه لا يمكن التعرف عليه أو وصفه ولا يمكن الامساك به ، الا بشكل ناقص ، ومن خلال انعكاساته • وهذه الانعكاسات تمثل « الخبرو » ، التى تتطابق مع تسلسل الفرديات المؤقتة ، غير المحددة العدد ، التى يستطيع الاله أن يضطلع بها • ولا يمكن لكل واحدة من هذه الفرديات أن تشمل اجمالى الاله بأكمله • كما أن الانتقال من فردية الى أخرى ، الذى يعتبر علامة لوجوده الدائم ، لا يمثل مع ذلك أى تحول لوجوده • ويعتبر الأمر ، فى كل مرة من المرات ، بمثابة واجهة خاصة بالاله نفسه تتضمن ما بداخله كاملا • ان الاله عندما يتقمص أحد مظاهر « الخبرو » ، فانه يتيح الفرصة لنفسه أن يعنى حالة ما وأن يصف فعلا ما من خلال تميزها • ان عملية تنفيذ هذه الحالة ، وهذا الفعل ،تضع «الخبرو»فى اطار الواقع المرئى• ويمثل هذا الانعكاس الجديد ، أو الـ « ارو » ، شكلا ،

ومظهرا للاله يمكن أن يرى ويميز ، وعادة ما يميز بواسطة بعض الصفات المادية (٥) • فخلال رحلتها في السماء ، بداية من وقت الشروق وحتى الغروب ، تمر الشمس بمراحل مختلفة تعتبر بمثابة « خبرو » • والأصل منها « رع خبرى » « وآتوم » • وفي سياق النص الذى يحكى عن النزاعات القائمة بين حورس وست ، سمى اله العالم باسم رع ، ورع حور آختى ، واتوم ، ورع ـ آتوم أو خبرى • ولم يجعل ذلك الآلهة تخطىء بالنسبة لهويته الوحيدة المعروفة(٦)• وربما قد تستطيع الآلهة ذات الأهمية أن يكون كل واحد منها بمثابة خبرو بالنسبة للآخرين ، ولكن يجب أن يفوقها الجوهر الالهى «الاله الشمسى» جميعا ، وهو لا يمكن ادراكه والاحاطة به الا على وجه التقريب • وبكل واحدة من هذه المراحل تتطابق بعض ال « ارو » ، وهي علامات ملموسة ويمكن للشمس التعرف عليها خلال تحركها : الجعران ، والصقر ، والرجل المسن ذو رأس الكبش • وفي حقيقة الأمر ، ان « الخبرو » ، و « الارو » لا تنفصلان عن بعضهما بعضا ، لدرجة أن اللفظتين قد تستعملان في اطار النصوص باعتبارهما شبه مترادفتين • ولا يمكن أن يعزى أى شكل لأى اله دون سواه • فان الهوية المعروفة تماما لكل اله يمكن أن يتقمصها مؤقتا اله آخر ، من أجل أغراض شتى • فان ايزيس تتقمص شكل سخمت من أجل أن تتمكن تماما من تدمير أعداء زوجها ، واتخذ ست مظهر أنوبيس من أجل أن يخدع الحرس القائمين على مقبرة أوزيريس (٧) •

واذا كان واضحا أن البشر كانوا يتعرفون أساسا على أحد الآلهة وهو في شكل «الارو» الخاصة به ، ولا يستطيعون

تبين «الخبرو» الا من خلال الممارسات الدينية والروحية(٨)، فان السؤال المطروح يريد معرفة المظهر الذى ترى الآلهة من خلاله بعضها بعضا وتتعرف فيما بينها من خلاله • ويجدر الاشارة هنا الى أن التباين فى أشكال الوجوه الذى أشير اليه آنفا يخص أساسا « الارو »(٩) • وعموما ، فان كل اله يمكن أن يكون له عدة « خبرو » أو « ارو » سرية ، غير معلومة للآخرين(١٠)• ويستلزم هذا أن يكون كلا المستويين مدركا حسيا فى نطاق العالم الالهى ، ولكن فقط اذا كان المعنى يريد ذلك • وطبيعة هذه التجليات نفسها مثلها مثل لعبة التخفى التى تحاكيها تؤكد أن جسد الآلهة لا يمكن تبينه الا اذا وقع عليه النظر • فلأنها قد خلقت من أجل أن تشاهد تلجأ الآلهة الى الاختفاء • كما أن عدم التعرف على اله ما عند ظهوره قد يعمل فقط على تأخير تحديد هويته ، ويهيىء تأثيرا بالدهشة يضفى مهابة على المعنى ويصبح بمثابة تجل • ولذلك فقد حضر أحد الآلهة فى أبهة وفخامة كبيرة ، حيث أخذ الآخرون يتساءلون بصدده : «من هو الاله الذى يتجلى هنا ؟»• فوضح لهم القادم الجديد قائلا : « لقد انتزعت حبلى السرى واكتسبت لحية مجدولة ، وأنا أتجلى فى هيئة «حابى» (١١) ، أى اله فيضان النيل • والأمر لا يبدو مؤكدا تماما بالنسبة للجميع • ولكن قيل لنا بكل تحديد ان رع « قد جعل شكله مختلفا عن (بقية) الأرباب (١٢) » •

وعلى حد تفهمنا ، يبدو الأمر هنا ، باعتباره مولد شكل الهى يستطيع الآخرون من خلاله أن يعرفوا الاله المعنى (١٣) • والوسيلة هى نفسها فى حالة ايزيس عندما اقتلعت رأسها بيد ابنها • فعندما رأى رب الأرباب هذه الالهة وقد تحولت

الى تمثال بدون رأس سأل تحوت : « من هي هـذه القادمة الجديدة التى لا رأس لها ؟ » • فأجابه تحـوت : « سـيدى الرحيم انها ايزيس • • ان حورس ، ابنها، قد قطع رأسها» • وفى كلتا الحكايتين ، يبدو التخطيط متطابقا • فالرب ، وقد اعتبر بمثابة قادم جديد ، آثار نوعا من الاستفهام • وتحمل اجابة ما على تحديد هويته بواسطة الوصف للسمات الجديدة التى تميزه • وبواسطة هذا الحوار الذى يخلق رباطا ما بين خصائصه واسمه يدخل الرب فى « مجال معرفة » الطائفـة كلها (١٤) •

وفى الحالات المذكورة ، يلاحظ أن الاله المعنى يرغب فى أن يتعرف عليه أو هو فى حاجة لأن يعرف ، وهذا ما يبرر الالتجاء الى هذه الوسيلة التى تماثل تقديم بطاقة الهوية • ويكفى الأمر مجرد عدم اتبـاع هـذه الطريقـة من أجـل ألا يستطيع أقرانه أنفسهم التعرف على شكله • وربما يساعد مثل هذا التصرف على الاحتماء فى حالة الخطـر ، ولكنـه يساعد أيضا على تضليل من يعيشون معه • وتعتبر ايزيس بصفة خاصة ماهرة فى مثل هذا النمط من الأعمال • والآلهة الأخرى لا تجهل ذلك وتحيط نفسها بالاحتياطات الواجبـة التى تبدو غالبا دون فائدة ، لعدم التقرير بربهم • وعـلى سبيل المثال ، يذكر ما حدث خلال المحاكمة التى تجابه خلالها كل من جورس وست (١٥) • فمن أجل مراعاة جساسـية ست ومن أجل ألا تحـاول ايزيس التاثير عـلى المجلس الذى كان يميل مسبقا للانضمام الى قضيتها هى ، تم الاتفـاق على انعقاد المحكمة فوق جزيرة لا يسمح لايزيس بدخولها • ولم يكن يوجد سوى معدية ليتمكن المجلس بها من الاتصال

بالخارج(١٦) . وتلقى نوتى المعدية «نيمتى» ، بصفة مشددة الأمر بألا يسمح بعبور أية امرأة تشبه الالهة ايزيس . وركز الاهتمام على تقارب الشبه وعلى امكان الالهة اتخاذ هيئات مختلفة . وبذا تقدمت ايزيس في هيئة امرأة فقيرة مسنة . وبالقطع ، ارتاب « نيمتى » فى الأمر ، وأوضح لها أنه قد منع من توصيل أية امرأة مهما كانت . ويلاحظ هنا التزلق الذى يحدث في وصف الممنوع . فقد بدأ من مجرد الشـبه بايزيس ، ثم انتهى الى تطبيقه على النساء جميعا ، وكأنما نوتى المعدية لا يجهل مطلقا ان الالهة تستطيع أن تتجلى فى أية هيئة أو شكل أنثوى . ولكن ايزيس كانت تعرف جيدا جشع نوتى المعدية وقامت برشــوته بخاتم ذهبى . وربما كان عــلى « نيمتى » أن يكــون أكثر حرصا ، لأن الجميع يعرفون أن « المرأة المســنة » هو المظهــر ــ « الارو » الذى تتخذه من أجل التعبير عن حالتها كأرملة ، وأيضا عن مقدرتها كساحرة (١٧) ، وحالما وصلت الى أماكن المداولة ، تخلت ايزيس عن هذا المظهر المتواضع وتحولت الى فتاة جميلة . وبما أنه يعتقد أن الآلهة تبدو جميعا شبابا وعلى وسامة ، فان هذه السمة ليست هى التى عملت على صعوبة التعرف عليها ، ولكن وبدون شك لأن هذا المظهر الجديد لم يكن ضمن المظاهر المعروفة عن الالهة . وبما أنه كان من المعروف عن ست بأنه «زير نساء» متمكن ، فسرعان ، وهو يشاهدها من بعيد ، ما وقع فى غرامها بجنــون . وانتهزت ايزيس هذه الفرصة من أجل أن تهزأ به أمام أقرانه ، ومن أجــل أن تضعف من موقفه فى القضية المتداولة . وأما عن نوتى المركب « نيمتى » ، فقد عوقب بعد ذلك عقابا عنيفا لعــدم

طاعته • فقد قطعت أصابع قدميه وأرغم على أن يرجع الذهب سبب خطيئته(١٨) • وربما تكون مثل هذه المعاملة زائدة عن الحد لو أن غلطته كانت مجرد عدم اكتشافه شخصا يصعب التعرف عليه • ان اللوم الموجه اليه هو انصياعه للفساد ، بما أنه كان من الممكن أن يتعرف على هوية ايزيس •

ويعتبر هذا الحدث ذا مغزى ، فهو يبين أن الشكل الطبيعي ، المعتاد للآلهة هو شكل بشرى بحت ، اعتمادا على ما جاء بعبارات النص (١٩) • ومع ذلك ، تجدر المراعاة عكسيا أنه عند وصف أحد البشر أو أحد الملوك بانه شبيه باله أو أنه بمثابة نسخة مكررة من اله ما ، فان الأمر لا يعدو أن يكون وظيفيا بحتا وليس جسمانيا ، وليس من المؤكد أبدا ، بالنسبة للمصريين ، أن المخلوقات قد خلقت على نفس صورة رب الأرباب (٢٠) • ويلاحظ أيضا أن ايزيس لم تتخذ سوى مظاهر أنثوية ، كما أن منع دخول مكان اجتماع الآلهة لم ينصب ، الا على تلك المظاهر الأنثوية • وهذا يوضح أن هناك حاجزا لا يجب أن تتعداه التحولات الالهية : انه حاجز الجنس •

وفيما وراء المظهر الشكلى وطرائق التعرف عليه ، فقد بقيت مادية الأجساد الالهية على ما هى عليه من تناقض • فخلال بداية نشأة العالم الأولى ، لم يكن هناك أثر لمادة الأجسام نفسها : فلم تخلق الا عند الاستيلاء على الأرض الأولى المنبثقة (٢١) • وسوف نرى فيما بعد أن هذا الجسد يمكن أن يشوه ويدمى ، وقد يجعلنا ذلك نعتقد أنه من لحم •

وعموما ، فان كلمة « لحم » تستعمل بشكل دارج فيما يختص بجسد الآلهة • ولكن مقدرة هذا الجسد على التغلب على أقدح الأضرار ، يبين فى الحقيقة أن اللحم الالهى ليس ذا طبيعة بشرية •

ان السمة الجسدية ، بل بالأحرى اللحمية للجسد الالهى لم يعبر عنها بكل وضوح الا عندما يتعلق الأمر بالأعداء الالهية أثناء تعذيبها • يضاف الى ذلك أن هذه الأعداء يتم تحويلها ، بحيث تتشابه بالبشر أو بالحيوانات المضحى بها فى لحظة الذبح •

وبخلاف هذه الحال ، فلقد وصف جسد الآلهة عادة باعتباره قد خلق من المعادن الثمينة • فاللحم من الذهب ، والعظام من الفضة ، والشعيرات الدقيقة من اللازورد (٢٢) • ويحقق ذلك لهم شيئا من التألق ، ويضفى عليهم هالة من القداسة ، ليصبح الاله بمثابة كائن « يتدثر بالتألق ويحاط بالفيروز » (٢٣) • ان تألق اله الشمس هو نفس حالته للاختفاء من أبنائه (٢٤) •

ووفقا للمفهوم المصرى ، فان الأحجار لا تشيخ وتعيش الى مالا نهاية (٢٥) •

ومن هذا المنطلق ، تصبح الأجساد الالهية غير قابلة للفساد : وهذا هو السبب فى أن جسد أوزيريس لا يمكن فى واقع الأمر أن يعفن أو يتحلل (٢٦) • وبواسطة طبيعتها، ولونها ، تمثل المعادن مجموعة سمات تسمح لنا بتبين نوعية بنية الآلهة •

وبما أن لحمها من ذهب ، فربما أن لونها نحاسي ، لأن الذهب المصرى لم يكن أصفر اللون ، ولكنه اصفر مائل للاحمرار (٢٧) • ومن المؤكد أن شعورها اللازوردية اللون، كانت سوداء ذات انعكاسات مائلة للزرقة ، المعروفة فى وقتنا الحالى بلون « جناح الغراب » (٢٨) •

وتعتبر ايزيس عن جدارة « ذات الشعر الأسود والبشرة النحاسية » (٢٩) • والأمر يتعلق هنا بنوع من النقل الشاعرى عن السمات الجسدية المعتادة للانسان المصرى ، خلال العصور القديمة واليوم على السواء •

واذا كانت الالهة لا تتطابق مع هذا النموذج ، فلكى تبدو على كفاءة خاصة • فالتى تتمتع ببشرة لونها أسود أو أزرق ، على سبيل المثال ، فانها تعبر بواسطة هذا اللون عن كفاءة فى التجدد (٣٠) •

ومع ذلك فان لون العيون ، سواء أكان يتشابه ام لا مع لون المعادن ، فهو الذى يعبر أوضح تعبير عن بعض السمات الخلقية أو بعض المميزات الخاصة بالاله • وكانت عينا حورس تبدوان بلون اللازورد ، أى الأزرق الغامق جدا (٣١) •

وبقيت على نفس لونها ، ولكن بشكل غير مباشر ، بعد أن قام ست باقتلاعها ودفنها • ووفقا لاحدى روايات هذه الأسطورة فقد أخذت تنبت وانبثقت منها بعض نباتات اللوتس (٣٢) (أزرق فاتح) ، ووفقا لرواية أخرى ، فقد انبثقت منها بعض عناقيد العنب (٣٣) (أزرق داكن) ويرجع كل هذا التنوع اللونى الى ما تبدو عليه السماء من

ألوان (٣٤) . أما عين الشمس ، عندما تسطع ، فهى من الالكتروم (٣٥) . وتكشف عيون ست السوداء عن ارتباطه بالظلام ، فى حين أن عيون آتوم الخضراء (٣٦) تذكرنا بأنه كان ثعبانا فى الأصل . والعيون الحمراء ، أو العيون المتقدة التى تلمع فى الظلمات ، تتميز بها الربات اللبؤات أو الكواسر (٣٧) .

وبما أن جسم الاله يتمتع بالشكل والمادة ، فانه يستطيع أن يعبر عن وجوده بأسلوب متغاير ، وفقا لظهوره اما بعيون آلهة أو بعيون بشر . وبالنسبة للبشر ، يعتبر الاله كلى الوجود ، يرى ويسمع كل شىء فى كل مكان . ومن المعتاد أن يقال ان للاله سبعا وسبعين عينا وسبعا وسبعين أذنا (٣٨) . وبالقطع ، يتعلق الأمر هنا بنوع من المبالغة التى لا تصف أية صفة كانت من الصفات الجسدية ، ونفس الأمر ينطبق على العبارة التى تقول ان اله الشمس هو رجل طوله مليون ذراع .

ومن المفروض حقا أن جسد رب الأرباب يحتضن الخلق بأسره ، بما أن هذا الخلق قد انبثق منه (٣٩) .

وعندما يتجلى أحد الآلهة مباشرة أمام عيون البشر ، فانه يتخذ الشكل الذى يناسبه ، دون أن يعبر هذا الشكل عن هيئته الحقيقية ، والذى قد نشك بأنه من الممكن أن يكون فى متناول البشر . وبذا فقد تجلى ايمحتب فى شكل جعران (٤٠) . واله الجزيرة التى رسا عليها أحد الغرقى قد اتخذ شكل ثعبان (٤١) .

وعندما يحدث اتصال مباشر بمثل هذا الشكل ، يقوم البشر بتغطية وجوههم حتى لا يصابوا بالعمى (٤٢) ، والارادة الالهية وحدها ، هى التى تسمح بحدوث هذه المواجهة بدون وقوع أى ضرر (٤٣) • ولكن ، وبالعكس ، اذا وجه أحد الكائنات نظرة نحو أحد الآلهة دون أن يسمح هذا الاله بذلك ، فانه يشتعل ، ويلقى حتفه ويحترق قلبه (٤٤) •

وفى بعض الأحيان ، يتخذ الاله شكلا انسانيا تماما ، ولكن ذلك يحدث فقط لكى يستطيع أن يندمج بالبشر دون أن يتعرف عليه (٤٥) • وحتى فى هذه الحال ، قد يعمل شىء ما غير محدد على جذب انتباه البشر ، ويسبب فى نفس الوقت شعورا بعدم الارتياح (٤٦) •

وفيما وراء طائفتها ، فان الآلهة ، اذا استطاعت أن تتجلى فى كامل أبهتها ، فهى لا تستطيع أن تفرض على الآخرين وجودها الكلى • وهذا ما يؤكده أنها تستعين بمراسلين ، وسعاه من أجل التعامل بين بعضها بعضا • كما أن ماديتها يجب أن تتناسق مع مادية أقرانها ، وبالنسبة لقامتها وبنيتها وفقا لادراكها هى ، يمكن قياسها ، فمن المعتقد أن قامة الملك أوزيريس كانت حوالى ثمانى أذرع ، وستة أشبار ، وثلاث أصابع (٤٧) ، أى ما يعادل أربعة أمتار وستة وستين سنتيمترا •

ولا شك أن الدقة المتناهية لهذه الملحوظة ، التى وصلتنا من مصدر واحد ، تذكرنا بملاحظة أبداها ديودور ، تقول

ان محفوظات الكهنة سجلت فيها بكل دقة وعناية مقاييس قامة كافة الملوك الذين حكموا مصر ٠

ولقد عرف أيضا أن المتوفى سعيد الحظ الذى يرتقى الى العالم الالهى قد يصل طول قامته الى تسع أذرع ، أى حوالى أربعة أمتار وستة وستين سنتيمترا (٤٩) ٠ وأخيرا ، فان حورس المحارب قد وصف لنا بأن قامته تبلغ ثمانى أذرع ، اى أكثر من اربعة أمتار (٥٠) ٠ وتتضمن هذه الأرقام شيئا من المنطق ، يؤكده ما أثبت عن نطاق العين الشمسية ، التى يبلغ عرضها سبع أذرع ومقدار طول قزحيتها ثلاث أذرع (٥١) ٠

ويبين تماثل هذه الأطوال مع المقاييس الالهية ، أن العين لا تدرك باعتبارها جزءا من الجسم ينفصل مؤقتا عنه ، ولكن باعتبارها كائنا قائما بذاته يتمتع بقامة الفرد المكتمل ٠

ومع ذلك ، فلا يجب أن ننخدع بهذا التناسق (٥٢) ٠ فان النصوص التى تتحدث عن حورس المحارب ، تؤكد لنا أيضا ان الاله قد « اتخذ مظهرا لأحد البشر طوله ثمانى أذرع » ، فى حين تحدثت احدى الفقرات « بنصوص التوابيت » عن مراسل مكلف بالاعلان عن « عدد أذرع قامة رع باعتباره ، خبرى » (٥٣) ٠

وهذا يعنى أن أى اله لا يتسم بقامة ثابتة ، لأن هذه القامة يمكن أن تتغير تبعا للمظاهر التى يمكن أن يتخذها، وبدون أن يغير من طبيعته ، فان أى اله يبلغ طوله سبع

أذرع يستطيع أن يقيم فى مقصورة لا يزيد طولها عن ذراع ونصف فقط لا غير (٥٤) ٠

ويتسم الجسـد المقدس أيضا « برائحة الاله » التى تميزه ، ولكن لا يعرف عنها سوى القليل (٥٥) ٠ وتتقـدم هذه الرائحة الاله وتنبىء عن وجوده ، ويسمح ذلك للآلهة الأخـرى بالاسـتدلال عـلى أى واحد منها بواسـطة هـذه العلامة (٥٦) ٠ ومن المعروف أن حتحور كانت تفوح منهـا رائحة تعمل على التهدئة ٠

وفى نطاق عالم البشر ، يعتقد أن الخلاصات العطرية مثل البخـور أو راتنج البطم العطـرى تتطابق مـع هـذه الرائحة الخاصة ، واستعمالها ، فى صورة تبخير ، يضفى على المستفيد منها حالة الهية فعلية (٥٧) ٠

ويوضح التفوق والتغير الكبير للجسم الالهى ، ومقدرته على الانفلات ، عن عدم وجود أية اشارات محـددة للملامح الجسدية لكل اله ، وتعبر النقوش البارزة بالمعابد عن افتقاد ذلك بكل وضوح ٠ ففى نطاق كل معبد من المعابد ، تبـدو الآلهة الممثلة بوجـوه متشـابهة لا يميزها شىء مطلقـا ٠ والملابس نفسها لا تخضع لتغيرات الطراز ، وبقيت على مدى التاريخ كله ، هى نفسها التى عرفت من قبل خلال العصور الموغلة فى القدم (٥٨) ٠

ولم يشر اليها الا مصادفة فى اطار الحيـاة اليوميـة للآلهة ولا يبدو أنها كانت تخضع لمفهوم خاص ٠ ولا يعرف سوى ان الالهات كانت ترتدى ملابس ذات لون أحمر (٥٩)،

أو ان هذه الملابس قد تستهلك أو تتمزق (٦٠) • وحتى عندما تذكر ، يكون واضحا أن الأمر يتعلق عندئذ بأوصاف تعمل على تحديد هوية شكل أو وظيفة ما (ارو) • ان الرداء الذى خلع على آتوم (٦١) قد لا يكون الغرض منه هو الباسه بكل ما تدل عليه الكلمة من معنى ، بل ليسمح له باعلان ملكيته ، من خلال ارتدائه لثوب مميز • انه مجرد نقبة وليست هناك حاجة لوصفها • ومن هذا المنطلق ، فان الشارات التى ترتديها الآلهة ، والتيجان ، والصولجانات ، أى رموز سلطتها ونفوذها فى اطار وظيفة خاصة ، هى التى يشار اليها غالبا • ان صولجان البردى الذى تمسك به عادة الالهات ، أو الذى تقبض عليه الآلهة يرجع الى البردى باعتباره دعامة للكتابة ، والى المستند باعتباره الدليل على سيطرتها على البلد (٦٢) • وهذا ما يوضحه خاصة موضوع حورس • فلأنه قد استعاد ارث أبيه أوزيريس ، تبدو التيجان ، رموز سلطته الجديدة ، وهى « تنبت » تلقائيا فوق رأسه (٦٣) • اذن ، فان الشارات ، والرموز هى التى تسمح لكل اله بأن يعبر عن أحد مظاهره وكأنها جزء مكمل ومتمم لجسده ، انها هى التى قدمتها التغييرات لملامح الشخصية ، فى عالم البشر ، بكل أمانة •

وبدوره ، أصبح « عدم ارتداء الملابس » ، والعرى سمة ذات مغزى • انه كبداية علامة ، على الطفولة • فحورس الصغير يبدو عاريا • وتجسد صورته ، فى رواياته المختلفة العديدةالتولد الجسمانى المتجددالىالأبد وبصفة عامة، يوضح العرى عن الصبا والغرارة(٦٤) • وبذا ، فان الآلهة الأولى التى ساعدت رب الأرباب في الظلمات ، كانت مجردة من

الملابس ومن الشعر (٦٥) · كانت عارية وصلعاء ، وبذا فقد كانت مجردة من الدنس لأنها منبثقة من المحيط الأولى · ومن هذا المنطلق ، فهى تجسد أيضا طفولة العالم · وفى نفس هذا السياق ، فان عرى ، اله الأرض ، يفصح عن قوى تناسلية كامنة على وشك التجلى(٦٦) · وفى اطار الالهات ، يبدو أن انعرى لم يكن يخص سوى الالهات السماويات ، وهذا يسمح بالتصور ان هذه الخاصية لا تهدف فقط الى مجرد تحديد سماتها الجنسية · ان نوت ، ربة السماء ، ذات الجسد المرقط بالنجوم ، وحتحور وقادش تلك الالهة التى تنحدر من أصل سورى ، كلها « سيدات النجوم » وتعبر بصفة خاصة عن سماء ليلية تحمل الشمس المقبلة (٦٧) : وفى كافة الأحوال ، يعزى العرى الى حمل واعد بمولد جديد ·

الأشكال الحيوانية

لا شك أن الذى يكسر رتابة الوجوه المتشابهة ، هى الصور الالهية الحيوانية أو ذات الرؤوس الحيوانية ، التى تعيش فى خيال البشر ، وتعكس أيضا حقيقة ما بالعالم ·

ومع ذلك لم تكن الحيوانات تصور لذاتها ، ولكن القصص فقط هى التى أعطتها هذه المكانة واتصالها قليلا أو كثيرا بالآلهة · وفى اطار الواقعة التى أشير اليها آنفا ، حيث غررت ايزيس بست بتحولها الى فتاة شابة ، اختارت الآلهة أن تتخذ شكل طائر الحدأة من أجل أن تجعل ست وقد أصابه الذهول يتعرف عليها · ان الحدأة ، هى طائر يرمز لايزيس ، وهو

يشير الى دورها كناحبة تنوح على أوزيريس الميت · وهناك رباط دقيق بين مظهر الالهة هذا ، الذى يعرفه الجميع ، وبين النص الكلى ، فان ست قد أخزى وانخرط فى البكاء ·

وبخلاف مظهره على هيئة حيوان معين ، لا شك أن أى اله يستطيع أن يتخذ أشكالا عديدة أخرى ، لمجرد الا يتعرف عليه أحد (٦٩) · وفى هذه الحالة الأخيرة ، يتم ذلك من أجل تفادى خطر ما (٧٠) · اذن ، ففائدة الأشكال الحيوانية هو أن تكون حائلا ، أو قناعا فعليا يسمح أيضا باحباط فضول أى اله آخر · ولقد ذكر هيرودوت كيف ان آمون ، وقد لاحقه خنسو ، ابنه ، لكى يفصح عن طبيعته الحقيقية ، فتجلى أو بالأحرى تستر وراء رأس كبش (٧١) · والكبش يصور هنا قوة الشمس الخلاقة والعظمة التى تنبثق منها (٧٢) ، ولقد سمح ذلك لآمون بأن يجيب فقط على نصف السؤال الفضولى الذى وجهه له ابنه · وبذا ، فان كل حيوان يطوع مظهره لحالة الهية تبعا لسماته وصفاته الأكثر وضوحا · فالتمساح والخنزير ، على سبيل المثال ، يجسدان عادة الشراهة الفائقة الحد والنهم · ولأن نوت ، ربة السماء ، تلتهم أبناءها يوميا ــ النجوم ــ ، فقد مثلت فى هيئة خنزيرة (٧٣) · وست بعد أن اختطف عين حورس وابتلعها ، فقد اتخذ مظهر خنزير أسود (٧٤) · ومع ذلك ، فان الحيوانات لا تذكر هنا لذاتها فقط · والنصوص الوحيدة التى تعطى فكرة عن وضعها ، ترتبط بشكل أو بآخر مباشرة بالنزاعات الالهية وبثورة البشر · ويمكننا أن نتذكر الواقعة التى قام رب الأرباب خلالها بلفظ الآلهة التى كان قد ابتلعها على هيئة أسماك

وطيور ، وبعد هذا الحدث ، عملت الآلهة مع استمرارها على قيد الحياة بهذا الشكل ، على نقل جزء من كيانها الى الأنواع الحيوانية التى خلقت على هذه الشاكلة · ولكن هذا الجزء ، هو الجزء السلبي ، الذى تجردت منه بعد احد النزاعات · وعندما تم ردع ثورة البشر يقال ، ان آكثرها انشقاقا قد هربت في الصحارى ، متخذة شكل الحيوانات التى تعيش فيها · وهناك أيضا الكثير من النصوص التى تبين الآلهة وقد اتخذت الشكل الحيوانى · وبما انها قابلة للامتزاج سواء بالقوى السلبية الفائقة العداء للآلهة أم بالآلهة نفسها ، فان الأشكال الحيوانية تعد محايدة ومتفتحة تماما أمام من يريد أن يسكنها · ولطبيعتها نفسها ، تعتبر أكثر سهولة للتعرف عليها ، واقل تسترا من الأشكال الأخرى التى تتشكل بها الآلهة · ان كل حيوان ، سواء بتصرفه الطبيعى أم بعاداته ، يجسد مقدرة خاصة أو قوة تفوق عادة الامكانات البشرية · وبتقمصه للطبيعة الحيوانية ، نجد أن الاله يملك هذه القوة ويمارسها · ومن هذا المنطلق ، تستطيع الآلهة أن تمتزج بأشكال حيوانات فائقة التنوع ، ولكن الكثير منها يرتبط برابطة متميزة مع حيوان بعينه · وتعبر هذه الرابطة عن أولوية مظهر محدد فى اطار شخصية الاله ، فعندما يقال لنا ، على سبيل المثال ، ان حورس الشاب أثناء حمله في بطن أمه كان صقرا (٦٨) ، فان الهدف هنا بكل وضوح هو اعلان بعض التصرفات التى تبدو مميزة لدرجة أن المختصين بالديانة المصرية قد استطاعوا أن يتحدثوا عن المظهر التمساحى أو المظهر الخنزيرى للآلهة(٧٥) · ويبين الانتقال من حيوان الى حيوان آخر عن تغيير الحال · فيقال عن الشمس انها «الجعران

الذى اصبح صقرا » (٧٦) ، من أجل أن يبين أنها قد تعدت مرحلتها كوليد ، خارج أحشاء الأرض (الجعران) ، لتصل الى أعظم قوة لتألقها ، عند الذروة (الصقر) ويصبح الشكل الحيوانى بمثابة الملتقى العــام ، حيث تتقابل الآلهـة التى تتشارك فى خاصية واحدة • وبذا ، فان « القرد وهــو اسم القمر (٧٧) عادة ما يعبر مظهره للكائنات التى لم تكتمل فترة حملها ولا تزال على هيئة جنين • وهذا هو الحال بالنسبة للطفل حورس المبتسر (٧٨) ، ولكن أيضا بالنسبة للقــرد الذى اكتشفه منتهكو المقصورة المذخرة بهليوبولس ، حيث كان من الطبيعى أن يوجد جثمان أوزيريس ، والقرد الذى تبدى لأعينهم (٧٩) ، ليس سوى الاله نفسه وهو يولد من جديد ولم يكتمل تحوله • فيــلاحظ اذن أن حيــوان ما قد لا يكون له أية صلة بالمظهر المعتاد للاله ، فان أوزيريس لم يعرف أبدا الا فى هيئة بشرية • وبذا ، فان الآلهة تستطيع أن تتجسد فى شكل أى حيوان يختلف عن ذاك الذى ارتبط بها بصفة خاصة • فعلى سبيل المثال كان أنوبيس ، الاله الكلب ، يستطيع أن يتحول حسب رغبتــه الى ثعبان أو الى صقر (٨٠) •

اذن فللصورة الحيوانية وضع خاص بها • وتوضــح لنا بعض النصوص بعض الروابط التى يمكن أن تقوم بين اله ما وحيوان ما بوصفها لهذا الحيوان بأنه « تجسيد » لهذا الاله أو ذاك (٨١) ، وبالقطــع يجعله ذلك كشىء مســتقل وخارجى عمن جاء للسكن به • ومن الأهمية هنا أن يبين أن هذا التجسيد والحضور المحتمل يتعلق سواء بحيوانات العالم

الالهى أو بحيوانات الواقع البشرى • وفى هذه الحال، لا يمكن التحدث عن تجسيد ، بكل معنى الكلمة بما أن الحيوان يبدو بمثابة مكان للاقامة الوقتية • فبعض أنواع الثعابين تكون « تجسيدا » لبعض الآلهة وفقا لاختلاف فصول السنة وشدة سميتها (٨٢) • وفضلا عن ذلك ، فان حيوانا واحدا من أحد أنواع الحيوانات ، يستطيع أن يأوى على التوالى او فى نفس الوقت العديد من الآلهة • وهذا هو نفس حال احد الكلاب الذى اوى فى وقت واحد كلا من اوزيريس ورع(٨٣) ، دون حدوث أى نزاع • ولأنه قام على التوالى بايواء أنوبيس وست ، فقد لاقى الكلب مصيرا مزدوجا • فلقد ضحى به ، وشرح جسمه لأنه جسد ست ، وبعد ذلك استعاد اعتباره وكرم بجوار اله الموتى بسبب ألفته ازاء أنوبيس (٨٤) •

وتبين القراءة المتعمقة للوقائع المذكورة سابقا عن الفارق الدقيق القائم بين الحيوان ـ « ارو » ، أحد المظاهر العديدة للتجلى الالهى ، وبين الحيوان ـ المضيف ، أى مجرد جسم قابل للاصابة وعرضة للموت • ويبدو هذا الاختلاف محسوسا تماما فى عالم البشر ، حيث يتم التمييز بين الصورة وبين الحيوان الحقيقى بدون أية صعوبة ، مثل التمييز بين الحيوان الأوحد ، اقنوم أحد الآلهة ، وبين باقى أمثاله من نفس النوع (٨٥) • وعلى عكس ذلك ، لا يبدو هذا التمييز محددا بشكل واضح فى اطار عالم الآلهة • فبواسطة مقاييسه ، ينافس الجسم الحيوانى فى عالم الآلهة الأجسام الالهية الأخرى • فقد يصل طول صقر حورس الى حوالى ألف

ذراع(٨٦) أو ربما سبع أذرع (٨٧)، أما النسر الذى تجلى رع من خلاله ، فطوله لا يقل عن ست وأربعين ذراعا ، أو سبعة فقط (٨٨) . ولكن قد يصل الحيوان الى درجة هائلة من الضخامة ، لا تسمح للاله نفسه برؤيته وهو أمامه (٨٩) . وبالرغم من قدراته فوق الطبيعية ، فان الجسم الحيوانى يتذبذب ما بين عدم التمكن من لمسه أو اصابته . وتبين لنا احدى الروايات كل ما يكتنف هذا الحال من غموض . فلقد طالب أحد الآلهة انسانا من البشر بأن يقوم من أجله بمهمة دقيقة . وكان الأمر يتعلق بقتل الصقر الالهى واخفاء جسمه لأسباب لم يأت ذكرها (٩٠) . والأسلوب الذى ذكر به الحيوان يبين أن الأمر يتعلق بكائن فريد ، لا بمجرد فرد أيا كان من هذا النوع . ولديه قدرات خاصة ، فقد كانت الضرورة تتطلب مراعاة بعض الحذر عند الاقتراب منه حتى لا يصاب بالعمى . كما أن عملية قتله لا يمكن أن تتم ، الا بسلاح من نوع خاص صنع وفقا لارشادات الاله الشريك الموصى . وسوف يقتل ويدفن بدون أية مراسم ، بعد الاطاحة برأسه . ومثل هذه الممارسة لا تطبق فى مصر الا على طيور الشؤم وتبدو فى أجلى معانيها فى هذا النص . وبالرغم من كونه الهيا ، فلا يبدو أن الحيوان يمثل هنا بالفعل الاله نفسه بشكل ذاتى . ولاقى نهاية أقل ما يقال عنها انها مزرية ، دمرته تماما ككائن حى .

الغـــذاء

عندما تشاهد ، فوق النقوش البارزة بالمعابد ، صورا لأكوام من المؤن المكدسة على هيئة قرابين أمام الآلهة ، وعندما نطالع القوائم والبيانات الخاصة بأكثر الغلات

تنوعا التى تخصص لها ، نعتقد أن الآلهـة تقيم المآدب فى اطار من الرخاء والرفاهية .

ولكن الأمر ليس كذلك . فهناك فرق كبير بين الولائم الفخمة التى يقدمها البشر ، والتى يلتهمها رجال الدين فى نهاية الأمر ، وبين العادات الغذائية الدارجة فى نطاق عالم الآلهـة . فعادة يتسم غذاء الآلهـة بالبسـاطة وينـأى عن المغالاة . وخلال المحاكمة الطويلة الأمد التى تنازع خلالهـا حورس وست ، والتى استلزمت الضرورة خلالها تناول بعض الغذاء ، اقتصر غذاء الآلهة على الخبز (٩١) .

بل ان النص نفسه يثير العجب فى هذا الصدد. فقد كان من المنتظر ، أن المجمع الالهى ، وقد غرق لأذنيه فى مناقشات تتعلق بالميراث وبالحق العادل ، يمتنع عن تناول بعض الغذاء خلال الجلسات .

ولـكن ها هى ملحوظة ما أبداها رب الأرباب ، وقـد أرهقته الخلافات والنقاش الممل ، تعنى مع ذلك أن الشراب والغذاء يعتبران من الأشياء المفضلة لدى الآلهـة عنـدما تكون فى حالة من الطمأنينة التامة (٩٢) ، ويتكون الغـذاء عادة من الخبز والمياه العذبة (٩٣) ، ولا مانع مع ذلك من وجود بعض الأطعمة الأخرى الأعلى فى قيمتها الغذائية (٩٤) .

وكاجابة على سؤال وجهه رع ، عبرت احدى المجموعات ، وهى الهية على ما يعتقد ، عن تفضيلها للحـوم المطهيـة ، المجزأة تجزيئا جيدا (٩٥) ، ومعها بعض البقول ، ويؤكل كل ذلك بدون اضافة ملح . وتناول اللحوم بكثرة غير محبذ ويثير عدم الرضاء . وبمناسبة أحـد النزاعات التى قلقلت

عالم الآلهة ، فاجأ سوبك ، التمساح ، مجموعة من الاعداء وقضى عليهم • وبسبب ميوله الطبيعية ، لم يتردد عن التهامهم جميعا، ولكنه أخذ معه رءوسهم دليلا على انتصاره • واندفعت الآلهة لاستقباله وهى تصيح : « امنعوه من التهامها (الرؤوس) ، أعطوه بعض الخبز ! (٩٦) » • وعلينا أن نتصور سيماء سوبك المسكين • وحاول الاله بصعوبة ، أن يسيطر على نهمه لوجبات اللحم • وتنتابه ، أحيانا ، حالات من السعار والشراهة المفاجئة •

وعندما قطعت أجزاء جسد أوزيريس والقى بها فى المياه ، لم يستطع سوبك أن يقاوم رغبته وابتلع جزءا من جسمه • ولقد عوقب لهذا الخطأ الفاحش ، الذى يرجع الى شراهته التى لا حدود لها ، لا رغبته فى الاضرار بجثة زميله، بقطع لسانه • ويقال ، ان التماسيح لهذا السبب ، لا لسان لها (٩٧) • ان جميع الآلهة ذوى الميول الضارية ، التى اعتادت على التهام جثث أعداء الآلهة ، تثير حولها مشاعر الحذر أو بالأحرى الرعب • ومثال لذلك منتو المحارب، الذى عرف عنه أن « خبزه هو القلوب ومياهه هى الدماء (٩٨)»، أو اللبوءات أيضا التى تأكل « النيىء والمطهى (٩٩) » ، ويتبين أن اللحم النيىء لا يعتبر ضمن النظام الغذائى المعتاد للآلهة •

وليس من المعتاد أيضا افراطها فى تناول المشروبات ، ولا يتصف بذلك سوى ست : عندما يقرر أن يشرب ، فلا شىء يمنعه (١٠٠) • بل ان اسمه نفسه يمكن بكل سهولة أن يتحول الى «مسخ» ، أى «السكير» • وعن حتحور ، ربة الحب، فهى تقبل هى الأخرى على الشراب • ويسمح القليل من

السكر للمؤمنين بها بأن يتناولوا القربان معها ، لدرجة أنهم لا يترددون عن أن يضيفوا ، كميات طفيفة جدا ، من المواد المخدرة فى مشروباتهم (١٠١) . ولقد بينت الكتابات التى تركها اعضاء الحملات الى محاجر سيناء ، والتى كانت تخضع لرعايتهـا ، ان كميـات الخمر التى كان يتناولهـا البشر تقل بكثير عن تلك التى كانوا يقدمونها لهذه الآلهة . أما حورس المحارب ، فمن ناحية ، كان يفضل مشروبا من عصير العنب المخلـوط بالمياه ، ويتميز هـذا المشروب بانه يروى العطش دون أن يسكر ، ويمنح الشجاعة عند خوض المعارك ويمحو آثار الألم (١٠٣) .

ولا يعرف عمليا شيء مطلقـا عن كيفيـة تقـديم تلك الوجبات ، ومن هم الخدم المكلفون بهذه المهمة . ولكن الفرد المكلف بالاشراف على تحضير الطعام وطلب « الوجبات » هـو فقط المعروف . وهذا « النديم » ، كما يسمى عادة ، بالرغم من أن اختصاصاته قد تتشابه مع تلك التى يكلف بهـا « المسئول الاكبر عن الوجبات » ، يشغل على ما يبدو درجة عاليةالى حد ما فى مجال التدرجات(١٠٤) . انه يقترب كثيرا من كبار الآلهة ويعتبر أيضا بمثابة مصدر ثقة لها . وتؤهله وظيفته لان يكون وسيطا مثاليا ، يستطيع التوسط لدى سيده لصالح العديد من السائلين الذين يلتمسون منه ذلك . وربما أن بعض التسيب والاهمال من جانب صغار الخدم فى اطار عمله قد ينال من همته ويقظته . فها هى باستت ـ سخمت تشكو من أنها قد ابتلعت فى غفلة عظمـة صـغيرة مدببـة تركت فى بعض اللحوم المشوية . وبالقطع ، اعتبر هـذا الحادث أمرا سيئا ، مما سبب لها سعالا شديدا (١٠٥) .

وكما هو الحال بالنسبة للبشر ، يهضم الطعام وتخرج بقاياه عن طريق المنافذ الطبيعية ، ولا تلح النصوص كثيرا فى هذا الأمر · ويؤكد المتوفى فى العالم الاخر انه يستطيع أن يتغوط كما يفعل شو ، رب الهواء . فبدون شك أن هذا الاله قد عـرف عنـه أنه يقضى حاجتـه الطبيعيـة ، بكل سهولة(١٠٦) · أما عن بول ايزيس ، فمن المعروف أن له آثارا شافية · انه يستحث الأمطار أو يهدىء آلام حـورس الطفل (١٠٧) · ونقص الطعام لا يعتبر أمرا دارجا ، عـلى ما يبدو ، لدى الآلهة · ومع ذلك فقد تعانى هذه الآلهة أحيانا من الجوع والعطش (١٠٨) · ويكون السبب فى ذلك أحيانا هو المرض ، والألم الذى يفقد الشهية بل وأيضا الابتعاد الى أماكن معزولة · وهكذا حال حورس عندما كان مسافرا فى الصحراء فكان يلوك لب القرع ، من أجل أن يخفف من حدة عطشه (١٠٩) · وعانى الاله الطفل ، ابن ايزيس من غياب أمه · فلم يكن قد أخذ رضعته ، ودهمه الجوع لدرجة أنه قد وهن ولم يسـتطع البـكاء · ورجعت أمـه مسرعة وطالب بثديها (١١٠) رافضا البديل عنه ·

وربما تشعر الآلهة بنفور من بعض الأغذية ، ولـكن ذلك لا يتعلق الا ببعض الحقائق التى تتضمن مأكولات غـير معتادة · ويبرر هذا النفور اذن بسبب بعض السوابق الدينية أو المنازعات التى لا تنمحى أبدا · ويتفرست نفورا شديدا مع العين التى اقتلعها من حورس ولم يأكلها أبدا (١١١) · ورع لا يستطيع ابتلاع آية سـلحفاة لأنهـا تجسـد عـدوه اللدود(١١٢)· وبصفة خاصة، فان الاله لا يأكل ما يتعارض معه أساسا · وعلى عكس ذلك ، لا تتردد المخلوقات الضـارة

فى التهام ما تعافه الآلهة وتنفر منه • وبذا ، فان الثعبان الشيطان عدو الشمس يبتلع الفئران ويلتهم عظام القطط المتعفنة (١١٣) • ووحش آخر غيره لا يتغذى الا بالقاذورات المتعفنة • وعلينا الاشارة مع ذلك ، الى أنه بالنسبة للانسان المصرى فى العصور القديمة ، لا يعتبر كل ما جاء ذكره غير صالح بالضرورة للأكل أو مثيرا للتقزز • وبالنسبة لسلاحف الأنهار كان يمكن أن تؤكل أحيانا • والمعروف حقيقة أن الفئران ليست من الأصناف الغذائية المعهودة ، ولكنها كانت تدمج أحيانا مع الغذاء ، وأخيرا ، فهناك فرق بين الآلهة الحية والآلهة المقيمة فى العالم الآخر • وبموجب نمط من أنماط عكس القيم فيما بين العالمين ، فان ما يعتبر جيدا أو لطيفا بالنسبة للآلهة الحية يبدو منفرا ومقززا لآلهة العالم الآخر • فبالنسبة للأوائل ، يعتبر العسل نوعا من السعادة تتطابق حلاوة طعمه مع طعم الحقيقة نفسها أى الالهة « ماعت » (١١٤) ، وبالنسبة للآخرين فهو ليس سوى مرارة (١١٥) • وكذلك يشعرون أيضا بنفور مؤكد تجاه البصل، مثلهم مثل جميع الكائنات الجوفية الأخرى (١١٦) ، ولا يقبلون مطلقا على نوع من النبات يسمى (جيس)(١١٧)، لا تعرف طبيعته • وهكذا ، فان المأكولات الدنيوية النوع تثير التقزز والنفور لدى سكان العالم الآخر من الذين يمتنعون عن تناولها (١١٨) •

ان الآلهة لا تكتفى بتناول المأكولات البشرية فقط ، فان طبيعتها المعدنية الى حد ما تسمح لها أيضا بتناول بعض الأحجار النادرة (١١٩) • ولكن ، بصفة خاصة ، تتعلق حياتها بالالهة ماعت : انها تتغذى بها من أجل أن تتمكن ،

من توفير الوقاية « للقانون » والعناية به ، وهو النظام الكونى الذى تمثله (١٢٠) · ويرجع نظام المؤاكلة هذا الى النظام الكونى فعندما يقال ، على سبيل المثال ، ان حابى . رب فيضان النيل ، قائم فى السماء ويتغذى بماعت ، فى حين أن رع قائم فى المياه ويتغذى بالأسماك ، فكأنما ترسم صورة لعالم مقلوب (١٢١) · وتعتبر الانبعاثات الجسدية هى أيضا مغذية وتستطيع الآلهة أن تعيش على الرائحة المعطرة المنبعثة من جسم رب الأرباب (١٢٢) · بل ويضاف الى ذلك ، أن القوى الحيوية التى تكمن داخل أى اله تستمد جوهرها من تساقط دموع عينيه وعرق شعيرات ابطيه (١٢٣) · فيمكن أن يقال اذن ان الآلهة تتغذى من داخلها ·

الجنس عند الآلهة

فى واقع الأمر ، تعتبر الآلهة بمثابة كائنات شقية . ذكرية أو أنثوية · والازدواجية ليست دارجة مطلقا · وحيث ان رب الأرباب قد أنجب كافة الكائنات مهما اختلف جنسها ، فهو طبيعيا يعتبر خنثى (١٢٤) · ومع ذلك ، فان حالته كخنثى لا تؤثر على ما يبدو على مظهره الأساسى ، الذى بقى مذكرا سواء من خلال علاقاته مع الآلهة الأخرى أو من خلال مختلف تجلياته (١٢٥) · وتتأثر العادات الجنسية للآلهة تأثرا كبيرا بتكوينها لأسرة كبيرة يرتبط فيها الجميع بشكل أو بآخر ، ببعضهم بعضا بروابط قرابة وثيقة · والزواج هو القاعدة · وخلاف ذلك ، فاذا كان عدد الآلهة قد تزايد فى الارتفاع ، فانها تنبثق من واحد فقط :رب الأرباب ، « الواحد الذى أصبح متعددا(١٢٦) » ، وفى نطاق وحدته ».

لم يستطع رب الأرباب سوى أن يلجأ الى الاستمناء الذاتى من أجل أن ينجب أول زوجين الهيين(١٢٧)٠ ولم يجد نفس هذين الزوجين ، الأخ وأخته ، سبيلا سوى أن يتحدا معا من أجل أن ينجبا هما بدورهما ٠ ولقد جعل هذا الموقف الخاص من الزواج بين الأخ وأخته بمثابة قاعدة تقريبـا ولا ينظر اليه باعتباره ارتباطا محرما٠ ولقد تسبب التفريق الجسدى الذى فرض على جب الأرض وعلى نوت ، السماء ، اللذين لا يستطيعان التلاقى فى ظروف عادية ، الى جعـل جب يقع فى الـ auto-fellation(١٢٨) ٠

وتميل الآلهة الى تكوين أسرة ، وعادة لا يرتبط الاله الا بزوجة واحدة ٠ وكلما كان يزداد عددها ، لم تعد تسود تماما الشروط المقيدة التى كانت قائمـة فى بداية الأمر ، وتنوعت الأحوال وتبـدلت الاغراءات والميـول ٠ وظهـرت المظاهر المتعلقـة بالزوجات المتعددات ، فبخلاف نفتيس ، الزوجة الشرعيـة لست كانت له رفيقتـان أخريان ، هما عنات وعشتارت ، والجـدير بالذكر الاشـارة الى أن هاتين الاثنتين قد منحتـا له بصـفة رسـمية ، كتعويض عن ارث أوزيريس الذى كان يضـع يده عليه والذى ألزم بارجاعه لحورس (١٢٩)٠ وكان لحـورس سـبع عشـيقات الى جانب حتحور ، وربما كان يعمل مثل هذا الموقف على خلق مشاعر الغيرة ومشاحنات أسرية(١٣٠)٠ فاحدى عشيقات الاله كانت تبدى تبجحا ازاء حتحور ، ولوثوقها من قوة تأثير فتنتهـا ، اعتقدت تماما أن تأثيرها على حورس سيدوم بالرغم من ثورة الالهة العظيمة ٠ وأثارت المشاحنة ضجة كبيرة لدرجة أن

الهة أخرى ، لم يذكر اسمها ، تدخلت فى المشكلة ونصحت الزوج بأن يعيد النظر فى تنظيم أحوال أسرته ·

ومع ذلك تجدر الاشارة هنا ، الى أنه اذا كانت بعض أشكال تعدد الزوجات تقبل فى نطاق الآلهة ، فلم توجد أية حالة لتعدد الأزواج · وخلاف ذلك ، فان المجموعة المكونة من الزوجة والرفيقات الثانويات المحتمل وجودها تحدد العلاقات الشرعية وتعتبر اية علاقة خارجية عن هذه المجموعة بمثابة خيانة زوجية · ولا يتضمن مفهوم الخيانة الزوجية ، وكذلك الزواج المحرم دائما نفس السمة المأساوية التى قد نعتقدها· وربما كانت علاقة نفتيس مع أوزيريس (١٣١) قد أوجدت لدى ايزيس شيئا من الأسى والمرارة ، لكنها لم تعكر ، فى نهاية الأمر ، صفو التفاهم بين الأختين ·· فبعد فترة من المشاحنات ، تصالحت الالهتان ، بفضل تدخل تحوت وطلب أوزيريس نفسه (١٣٢) · ولم يكن الاغتصاب مجهولا ، ولكنه يعزى عادة الى العنصر السيىء بالعائلة العظمى : «ست» · والفعل المجرم الذى ارتكبه جب بالعنف ضد آمه قد اعتبر بمثابة عمل خطير، ولكن لا يتبين جيدا الاستتباعات الأدبية التى سببها فى اطار طائفة الآلهة : لم تبين الواقعة الا عن استيلاء الاله بعنف على السلطة الملكية · ومن المعروف أيضا أن حورس قد تصرف بعنف وضراوة ضد آمه (١٣٤) · ومع ذلك ، ففى هذه الحال ، لا يبدو حورس أن يكون سوى مظهر من مظاهر الاله « مين المنتصب » ، الذى عرف ارتباطه بأمه ، وهى علاقة ذات قيمة خلاقة أساسية ، فمنها انبثقت الشمس (١٣٥) · وهذه العلاقات التى نراها فى يومنا هذا ضد الطبيعة لها اذن قيمة خلاقة لتحديد بعض

العناصر الأساسية بالعالم . وهي . وفقا لترتيب احالات المشاراليها سابقا : شرعية السلطة الملكية ، والمولد الشمسى، وهى فى النهاية ، مطابقة للتقويم ، الذى سوف نعود اليه ثانيا فيما بعد • ويعتبر أحد كتب تفسير الاحلام ، التى كانت دارجة فى القرن الثالث عشر قبل عصرنا الحالى ، آن المرء اذا رأى نفسه فى الحلم وهو يضاجع آمه أو آخته فان ذلك يعتبر بصفة عامة فألا حسنا (١٣٦) • ويبرر هذا الوضع العام ان حتحور قد عمدت الى التجرد من كل ملابسها أمام أبيها لمجرد ادخال السرور الى نفسه (١٣٧) •

وبخلاف ميله الواضح للنساء ، يعتبر الشذوذ الجنسى من السمات الواضحة فى سلوك «ست» ، ويشير اليه فى مختلف الروايات الخاصة باسطورة حورس وست ، من خلال بعض النصوص القيمة • ومع ذلك ، اذا كان مخدع حورس على سبيل المثال (١٣٨) ، يبدو مريحا بصفة خاصة ، فان هذه المشاركة لا تبدو اصلا ، بمثابة تحريض على قيام علاقات جنسية • فعندما اقترح ست على حورس ان يذهب معه ليستلقيا فى سرير واحد ، وافق حورس بكل تاكيد لان هذا الاقتراح لم يبد له أنه يتضمن شيئا غير عادى (١٣٩) . ومع ذلك فمن الواضح ، أن ست فى هذه الحال بالذات لم يكن متجردا من النوايا السيئة التى كلفت حورس بعض الأحداث السوء • فمن خلال أحداث القصة ، نجد آن حورس قد اغتصب بالفعل على حين غرة ، ولكن هناك رواية اكثر قدما ، لسوء الحظ أنها مجزأة (١٤٠) ، تصف خطوات الاقتراب التى انتهجها ست • فبدأ يتغزل فى جمال أسفل ظهر حورس ، الذى بدأ ينتابه القلق من مثل هذا الاطراء •

واسر حورس الى أمه ايزيس بما يستشعره من نوايا ست • ويبدو رد فعل الالهة مثيرا للدهشة فى ايامنا هذه • فوجهت اليه النصح برفض ما يطلبه منه ست . متعللة بأن جسده ضعيف لدرجة لا تجعله يحتمل هجماته • وقد يكون لهذا العمل استتباعات مؤلمة . كما عرف حورس بعد ذلك (١٤١). وأضافت قائلة : واذا اصر «ست» بالرغم من ذلك وبدأ يفعل ما يريد ، فعليه أن يجمع منيه فى راحتى يديه • ويتوقف النص عند هذا الحد • ولكن الرواية الاقدم تسمح لنا بان نعرف التكملة (١٤٢) • وتمكن حورس من ان يفعل ما كانت قد نصحته به أمه ، على ما يبدو ، دون أن يتنبه ست لذلك • وعلى الفور قطعت ايزيس يدى ابنها ورمتهما فى الماء ، حيث مرتا ببعض المغامرات التى سوف نعود اليها ، وتتباين الروايات فيما يختص بتكملة ذلك ، وحسب ما تقوله القصة الأكثر قدما ، ينتهى الأمر بأن يرد حورس بالمثل على ست ، ليظهر بذلك سيادته عليه (١٤٣) ، ووفقا للأكثر حداثة ، قامت ايزيس باستمناء ابنها من أجل أن تجمع منيه فى اناء • ولم يتسبب ذلك فى أية معارضة خاصة ولا يعتبر على ما يبدو خادشا للحياء • ثم سكبت هذا المنى بعد ذلك فوق الطعام الذى يأكله ست عادة حتى يبتلعه دون أن يدرى • ولاقتناع ست بأنه قد سيطر جنسيا على حورس ، فقد جعله بمثابة حجة أمام مجمع الآلهة من اجل أن يطالب بميراث أوزيريس كاملا ، بما أنه هو الأقوى ، واعتبرت الحجة مقبولة من جانب المجمع الذى أبدى سخريته من حورس • ولكن حورس اعترض على ذلك وبين أنه هو ، على عكس ذلك ، الذى فرض سيطرته على ست • ومن اجل

أن ينفصل بينهما ، أمر بظهور منى كل من الالهين حتى يعرف مكانهما • وأجاب منى ست ، من أعماق المياه حيث كان قد التقى ، في حين تجلى منى حورس في جسد ست الذى اصابه اضطراب بالغ • وخرج من جبهته في هيئة قرص ذهبى استعمله تحوت منذ ذلك الحين تاجا باعتباره اله القمر •

اذن ، فالشذوذ الجنسى يبدو ، على وجه الخصوص ، بمثابة تأكيد للسيادة على من هو أقل منزلة أو تابع ، انه بمثابة مزيد من القوى التناسلية لمن يمارسه وخنوع لمن يخضع له (١٤٤) • وتسمح لنا بعض الدلائل بالاعتقاد بأن هناك ما هو غير ذلك • فاللواط الذى يمارسه أب ما من الآلهة مع ابنه ووريثه في العرش قد يعتبر بمثابة عمل موجه وحسن(١٤٥) • ويتعلق الأمر هنا برواية واضحة الفجاجة، عما ذكرته بعد ذلك النصوص المتأخرة ، باعتباره اتحاد قلب وعقل بين أب وابن ، اتحاد يؤدى الى المولد الجديد أو اعادة خلق اله وريث • ووفقا لأساطير كوم أمبو ، يعتبر ذلك متطابقا مع حالة أوزيريس ، الذى اعتبرت اعادة مولده كنتيجة للاتحاد بين الهين ذكرين ، هما جب وشو (١٤٦) • فالأول ، اله الأرض ، هو بالفعل أبو أوزيريس الطبيعى في حين أن الثانى ، اله الهواء ، هو جده • وبذا فقد تمت عملية الانبثاق بواسطة تلقيح الأرض بواسطة الهواء ، نفثة الحياة ، وكذلك الأمر بالنسبة للاله خنوم رب اسنا ، الذى تولد من الارتباط الروحى لاله الشمس رع وشو (١٤٧) • وفى كافة الأحوال ، يعتبر الاله الوليد في العالم بمثابة ضمان للتولد الجديد للطبيعة •

وفى اطار الممارسة الجنسية يقوم الذكر عادة بالمبادرة ، كما يتبين من خلال النزاع بين حورس وست على السيطرة الجنسية • والربات التى « تقوم بدور الذكر » هى غالبا ربات محاربة أو عدوانية • ويذكرنا ذلك بالالهة عنات عشيقة ست ، التى تسلك سلوك الرجال (١٤٨) ، وأيضا سخمت الخطيرة (١٤٩) • وتعتبر حالة ايزيس التى اضطرت الى أن « تنتحل شخصية رجل » (١٥٠) بمثابة حالة خاصة ، وتبررها صعوبة قصوى ، فان آوزيريس وهو ميت لم يكن يستطيع أن يقوم طبيعيا بحقوقه الزوجية ، وحقيقة ان زواجهما كان قصير الأمد ، لدرجة أنهما لم يتمكنا من أن يتما لقاءهما معا عندما كان آوزيريس على قيد الحياة • « تعال الى أيها الوجه الفاتن الذى توارى قبل أن أستطيع رؤيته » ، فهكذا قالت ايزيس بعد موت زوجها (١٥٦) ، فيعتقد أنه قد اغتيل قبل ليلة زفافهما •

الانبعاثات الجسدية والقوى الخلاقة

تتشابه السوائل الجسدية ، لدى الآلهة ، مع مثيلتها لدى الانسان • فالدماء ، على سبيل المثال ، حمراء اللون (١٥٢) ، سواء أكانت دماء كبار آلهة المجمع ، أم دماء صغار الآلهة أو حتى دماء مسببى القلاقل الكونية • ومع ذلك ، فان لهذه السوائل والانبعاثات قوى خاصة • وبصفة عامة ، يعتبر كل ما ينبثق من الجسد الالهى ويلامس الأرض شيئا فعالا (١٥٣) • وبذا فان موت آوزيريس ، والصدمة والانفعالية اللذين سببهما ذاك الحدث لمجتمع الآلهة ، يعملان على توضيح طبيعة القوى الخلاقة بالانبعاثات الالهية ومبرر

وجودها • وبسبب انفعال حورس عاطفيا ، «انخرط باكيا»، وانسابت المياه من عينه الى الأرض ، وأنبتت ، وهكذا تسبب في وجود البخور الجاف •

ولقد أصيب « جب » ببعض الألم ، بسبب موت أوزيريس ميتة قاسية ، فانسابت الدماء من أنفه وسقطت على الأرض، وأنبتت ، وانبثقت بذلك بعض أشجار الصنوبر • ومن هنا انبثق الراتنج العطرى المستمد من رحيقها • ولقد بكى شو وتفنوت كثيرا ، وسقطت دموعهما على الأرض ، فأخرجت نباتا أنتج راتنج التربنتين • ولقد بكى رع مرة أخرى ، وسقطت مياه عينيه أرضا ، وتحولت الى نحلة • وعندما خلقت النحلة ، بين زهور كافة الأشجار بدأت أنشطتها • وهكذا أنتج الشمع ، فى حين أن العسل قد استخرج من مياهه • وشعر رع بالتعب ؛ وتساقط العرق من جسده فوق الأرض ، وأنبت وتحول الى كتان ، وهكذا أنتج النسيج •• وبصق ، وتقيأ ، وهكذا خلق القار (٥١٤) • وقد يمتد النص الى أكثر من ذلك • وبذا نرى أن المزاجات الالهية وهى تعبر عن انفعال ما ، أو عن شعور تسببت فيه بعض الأحداث المؤثرة ، يتولد منها تدريجيا بعض العناصر التى قد تتصل مباشرة بعملية تطييب جسد أوزيريس وتحنيطه • ولكن نفس عملية الخلق هذه ليست لها حدود محصورة الى هذه الدرجة • فان انبثاقات رب الأرباب تتولد عنها المزروعات بصفة عامة (١٥٥) ، والحالات المرضية لدى أوزيريس يتولد من جانبها فيضان النيل والحبوب(١٥٦) • انها تملأ القنوات بمياه وتضفى أسماء على روافد النيل (١٥٧) • والسائل المنوى ، الذى يستغله « ست »

بدرجة فائقة الى حد اثارة عدم الرضا ، يعمل على انبات وانتاج مزروعات على الهضبة الصحراوية (١٥٨) ، وحتى دماء الخونة والعصاة يتولد عنها بحيرة من النيران (١٥٩) ٠

ان الدماء ، والعرق ، والدموع ومختلف أنواع التنخع لا تذهب أبدا سدى ، وتعمل فى بعض الأحوال التى لا تعتبر بالضرورة بمثابة أحوال مأساوية ، على الامتداد بالفعل الأولى الذى قام به رب الأرباب ، وتقوم بتحسين ، وتهذيب عملية الخلق بمطابقتها بمتطلبات اللحظة القائمة «ان حدث النشأة الأولى قد جر فى أعقابه تكملة للخلق وأدرجت فى اطار الزمن وأدمجته ، بشكل ما ، فيما أصبح عليه العالم فى نهاية الأمر » ٠ ولا شك أن حياة الآلهة المفعمة بالقلاقل تتيح كثيرا من الفرص للبكاء ، وللتصبب عرقا ، ولسيل الدماء ٠ ولا ينبع أسلوب الخلق هذا من مجرد الخصائص الخلاقة المتضمنة فى كل ما ينبثق من الجسد الالهى ـ بل هو ينبع أيضا فى الحسبان ، فى كثير من الأحوال ، بعض الاتصالات السمعية بين الشىء المنبثق والشىء المخلوق ٠ وبذا ، فوفقا لأحداث أسطورة معروفة جيدا ، أن البشر (رومى) قد تولدوا من دموع (ريمى) الخالق (١٦٠) ٠ ان السيلان الالهى لا يساعد فقط على مجرد اضفاء المادية على حقيقة جديدة ، بل يعمل أيضا على تبرير اسمها وتوضيحه ٠ وسوف نرى أن أجزاء الجسم التى قد تنفصل عن اله ما لسبب أو لآخر ، وخروج الكلمة بل والكتابات أيضا ، هى بمثابة نخامات ، وانبعاثات الهية ، وهى من هذا المنطلق ، مفعمة هى أيضا بقوى خلاقة ٠

ومثل هذه الأريحية الحيوية التى تحول كل اله الى جهاز خلاق فى كل مرة يتحدث فيها ، أو يتحرك أو ينفصل عن أحد أجزاء جسده ، مهما كانت ضئيلة او متدنية ، تبين انه مفعم بطاقة معينة ، هى «الكا»(١٦١)٠ ويتمتع رب الأرباب بالملايين من هذه الطاقات ٠ ويسمح له ذلك ، فيما بعد نشأة الكون الأولى ، بأن يعيد خلق العالم بشكل دائم خلال رحلاته اليومية التى تتجدد الى الابد فى السماء(١٦٢)٠ ان الخلق يعتبر اذن بمثابة القوة الحيوية للاله (١٦٣) ، فهى معا واحدة ويمكن أن تتجزأ الى ما لا نهاية ٠ ولهذا السبب يمكن أن يكون للاله عدد متباين من « الكا » يتطابق مع نفس عدد خصائص قواها الخلاقة ٠ وتستطيع هذه « الكا » أن تتجمع فيما بينها بواسطة تلائمها ، لتكون تجمعات فعلية من الحقائق قد تتباين فى مدى استقلالها ، والتى تعتبر بمثابة « هبات » كافية من الآلهة للعالم وللبشر (١٦٤) ٠ ويقوم الثعبان « نحب كاو » ، بتحقيق الحفاظ على الترابط لمجموع طاقات العالم(١٦٥)، والذى بصفته من الزواحف ، يعتبر بمثابة جوهر أولى ، ولطبيعته فهو لا يمكن تدميره ، ولا تناله الأعمال السحرية وبصفة عامة فهو محصن ضد أى عمل ضار (١٦٦) ٠ وعلى العكس ، فان الثعبان الذى يمثل القوى غير المخلوقة التى تهدد العالم يحمل اسم « الذى يدمر الطاقات (١٦٧) » ٠

التوعك ، والأمراض والآلام

ان الآلهة وهى فى أعماق مقاصيرها ، تحيط بها على ما يعتقد عوامل السكينة ، وان كانت لا تنعم دائما بكل الهدوء الضرورى ، وحتى وهى داخل هذا المكان ، فهى

معرضة لقلاقل العالم ولبعض المشاعر مثل الخوف والأسى (١٦٨) . ويعتبر ارتقاء العرش بالنسبة لبعضها بمثابة لحظة دقيقة للغاية، كما أن القيام بتغطية الرأس بتاج ما لا يخلو من الخطر بالنسبة لأى اله . فلقد شاهدنا من قبل جب وهو يتصارع مع حيات أبيه شو . فعندما فتح الصندوق الذى تكمن به ، بصقت الربة الثعبان النيران من فمها ، وقتلت جميع من كانوا بصحبة الاله وأحرقته هو نفسه حروقا بالغة (١٦٩) . وتطلب الأمر الاستعانة بالشعر المستعار الخاص برع نفسه من أجل معالجة الاصابة . وربما أن هذا العدوان يرجع الى تعدى جب لحقوقه فى مثل هذه المناسبة . ولكن هناك اخطارا مماثلة تتربص بكل مرشح شرعى للملكية . فعندما ارتدى أوزيريس التاج ، رمز السلطة ، تولدت من هذا التاج حرارة شديدة لدرجة أنها قد أصابته بالتعب وتسببت فى ظهور بعض الأورام على وجهه ، لحسن الحظ لم تستمر طويلا (١٧٠) . وهنا أيضا ، تستلزم الضرورة ، تدخل رب الأرباب من أجل أن يحقق له الشفاء ويعالجه ، بواسطة نوع من الفصد .

وبصفة عامة ، تتأثر الآلهة بالأمراض والتوعك . فهى تصاب بأوجاع الرأس أو البطن (١٧١) . ولا يفلت رع ، ملك الآلهة من ذلك فهى ترجع فى أغلب الأحيان ، على ما يبدو ، الى خبث ومكر أقرانه . وفى كافة الأحوال ، فبعد مرحلة من الهلع حيث يضطرب الجميع ويطلقون الصرخات ، تنتظم الأحوال ثانية . وسوف يلاحظ أن الصرخات ، وجلبة الأصوات ، العالية دائما فى مجتمع الآلهة ، تعتبر علامة على أحداث شؤم (١٧٢) . وبالاضافة

لذلك فان الحيوانات الضـارية ، والعقـارب والثعـابين ، لا تترك الآلهة وشأنها • فلقد أصيب رع نفسه بالاغماء ، بعد أن داس وهو غافل على عقرب (١٧٣) • ولاقت القطة ، ابنة رع ، الحريصة عادة ، نفس المصير ، واسـتعان أبوها بكل سطوته من أجل شفائها (١٧٤) •

وتعتبر العيون ضمن أجهزة الجسم كلها لدى الآلهة ، الاكثر تعرضا للاصابة ، وسواء أكانت تمثـل الشمس أم القمر ، فانها تعاني دائما من الاذلال الذى قد يتبـاين فى قسوته • ان التشوهات المختلفة ، والعمى سرعان ما تنقضى فى أغلب الأحيان بشكل أو بآخر ، ليعود الاكتمال الجسدى الذى كان قد شوه ، والذى قيل لنا عنه انه يلزم لحسن مسيرة العالم • وتعداد كل هـذه الأضرار قد يكون مملا • ويكفى الاشارة الى بعض الأمثلة • فان عين حـورس ، التى لم تكن قد شفيت من الجروح التى أصابها بها ست خـلال المعارك التى جابهتهما ، قد تعرضت لمتاعب جديدة لخطأ ارتكبه رع ، فقد حاول هذا الأخير أن يأخذ فكرة عن الأضرار التى لحقت بالعين المجروحة ، فقام باجراء تجربة لا يبـدو أنهـا كانت مناسبة • فطلب من حورس أن ينظر لخنزير أسود اللون ، يعتبر تجسـيدا لصـورة ست نفسـه ، وفى ذات الـوقت أخفى عينه السليمة • وفى البـداية ، رأى حـورس أمامه حيوانا أبيض اللون ، وبتدقيقه النظر مرة أخرى ، تبين له أنه الخنزير عدوه اللدود • ولقد بلغ به الألم حدا فائقـا لدرجة أنه أغمى عليه واسـتدعى الأمر أن ينقـل فورا الى سريره • أما رع ، الذى كان ينتظر منه المزيد من الادراك ، فقد لاحظ فورا وبدون أن يتأثر بأنه هو « الخنزير المكروه

من حورس » (١٧٥) • وقد يصبح رع لوقت ما فاقد النظر وفى حاجة لمرشد يرشـده (١٧٦) • وفى بعض المناسـبات يشــار أيضا الى حالات العمى المـؤقت التى اصـيب بهــا حورس القديم • ويرى البعض ، أنه ربما قد ولد وهـــو مصاب بنقطة على عينيه (١٧٧) • ولقـد بلغت استتباعات هذا المرض أشدها لدرجة أن الكهنة كما نعلم ، لم يترددوا عن الأمر بحفر نقوش بارزة تمثـل مجمـوعة من الادوات الطبية والجراحية ، من ضمنها الأدوات الخاصة بأطباء العيون في مكان بارز ، بمعبـد كوم أمبـو (١٧٨) • ولا ريب أن الهدف من ذلك هو تلافى أية احتمالات وألا تتكرر مصـائب الماضى • ويبدو أن أمراض العيـون كانت منتشرة تقريبـا لدى الآلهة والمصريين القدماء على حد سواء • فمن خـلال هذا النص أو ذاك ، لا يستبعد الالتقاء بأحدها وهو يعانى من تشـوهات ما أو من أى مرض من الأمـراض (١٧٩) • والبعض منها يعتبر من أغرب الحـالات • وربما قد نتـوه بذلك في العديد من التخمينات من أجل ان نعرف سبب وجود بعض الديدان فى عين آتوم ، خاصة ان الأمر لا يتعلق بأى حادث أو بأى مرض ولـكن بافراز من العين وفقـا لارادة الاله (١٨٠) • فهذه العين المصابة بوجه آتون ليست سوى كوكب الليل (١٨١) ، فيجعلنا ذلك نتساءل عما اذا كانت البقع القمرية ــ « البحار » المعروفة ــ لا يرجع سببها الا الى بعض الديدان التي ربما تكون قد التهمت سطحه فى حقبات سحيقة •

قبل أن يصبح حورس « شابا فتيا قويا » ، وقد تغلب ، كما قيل لنا ، على المرض (١٨٢) وهو طفل ، فهو أكثر من

جميع الكائنات الالهية التى عانت من الاضطرابات المختلفة . انه مثال لكافة الاطفال التعساء ، انه ضعيف البنية ، مهجور ويعانى من المرض ، وليس بمنأى عن اى حادث . وكلما كانت ايزيس تترك ابنها بمفرده في مخبئه ، كان يتعرض للدغ بعض العقارب . واجتاحته الحمى ، وأغرق الأرض بدموعه وبلعابه ، ووهن جسده ، وثقب قلبه وتوقفت أوردته عن النبض (١٨٣) . وتطلب الأمر كل ما تملكه أمه من علم ومعاونة العديد من المهارات الالهية لانقاذ طفلها . ولانه رخص العود وحظه تعس ، فلقد عانى في وقت ما من الديدان المعوية (١٨٤) . انه لم يسلم من شيء ، بل لقد ابتلع فى ذات مرة أحد المردة وهو يرضع من ثدى امه ايزيس ، دون أن تدرى شيئا (١٨٥) . ولا ريب ، أن بعض المصائب قد وقعت ، بسبب براءة وعدم دراية هذا الطفل الذى كان يحاول لمس كل شيء . وخلال تنزهه على ضفاف احدى المجارى المائية ، فكر فى الامساك بسمكة رع المقدسة وابتلاعها . ويعتبر ذلك من جانب أحد البالغين بمثابة تدنيس وانتهاك ، ولكن الطفل كان بريئا وجاهلا . ولذلك فسرعان ما شفى آلم البطن الناجم من هذه الفعلة السيئة (١٨٦) . وآمام مثل هذه المحن ، لم يكتف الطفل الصغير بالتوجع والبكاء الدائم . فعندما ارهقته الآلام ، بادر باسداء النصح لأمه ولعمته نفتيس . وجعلهما تلجآن للاستشارة ولتذهبا من آجل آن تتبينا عما اذا كانت مربيات نوت ، اللاتى واجهن فى الماضى مواقف مشابهة لموقفه يعرفن مصادفة علاجا لأمراضه (١٨٧) . وطلب آيضا من أبه الالتجاء الى البشر لأجل الحصول على نجدة (١٨٨) .

تعتبر الطفولة صورة محتملة الاصابة . وليس من العجب أن يرى الطفل حورس ، حتى لو كان الها ، وهو يقع ضحية لمثل هذه العثرات . وبالرغم من الشرور المحيطة بها ، فلا تبدو الآلهة الأخرى ضعيفة الا فى بعض الأحوال المحددة نسبيا . وأهم ما يجب خشيته ، هى لحظات التتويج . وهى لحظات الانشقاق فى نطاق التدرج الالهى ، والحيوانات التى تعتبر بمثابة دعامة للأعداء الكونيين ، والمراحل المتغيرة لكوكب النهار وكوكب الليل . ان أمراضها تبين عن النقاط الضعيفة فى العالم :

أجساد مشوهة ، وأجساد مقطعة

على ما يبدو أن الأجساد الالهية لا يمكن أن تفنى ، حتى ولو بفعل الآلهة نفسها ، وتدل على ذلك عمليات التعذيب اللانهائية ، والقتل المتكرر الذى تعرض له ست الذى كان بالرغم من ذلك يظهر فى كامل قدراته من أجل أن يرتكب شرورا جديدة (١٨٩) . ويحكى على سبيل المثال انه بعد احدى معاركه مع حورس ، تم تحنيطه كما يحنط أى متوفى (١٩٠) . ولكنه ظهر بعد ذلك بقليل وكأن شيئا لم يحدث، وأخذ يتحدى حورس من جديد . ولقد هزم بعد ذلك مرة أخرى ، وقطع اربا ، ولكنه عاد ثانية الى ما كان عليه . وفى الواقع ، ان تقطيع أوصال أى اله لا يمكن أى يقضى عليه « ان الليونة وعدم القابلية للاصابة تفسرها طبيعة الجسم الالهى الذى يبقى ، فى كافة الأحوال ، منيعا ولا يمس فى حقيقته الغامضة . وكما سبق أن ذكر ، يملك كل اله من الآلهة ، أشكالا ، وتجليات ، و « ارو » ، وأسماء عديدة ،

يتحتم تدميرها كلها من أجل القضاء عليه تماما (١٩١) ، وربما لا يتحقق النجاح فى ذلك ·

اذن ، فان التشوهات لا تلحق بأجسام الآلهة باعتبارها أجساما ولكن تلحق فقط بجزء من تكوينها ، وقد تبين ذلك من المغامرات التى واجهتها يدا حورس · لقد وقع ضحيه لاعتداء جنسى من جانب «ست» ، ولم يجد حورس خلاصه الا بجمع السائل المنوى من المغتصب فى يديه · وهرعت اليه ايزيس ، ورأت ما حدث ، فقطعت يدى ابنها حتى لا ينتشر الدنس فى جسده ورمتهما فى مياه النهر حيث ابتلعتهما المياه واختفتا (١٩٢) · ولكى تتاكد من انها قد تخلصت منهما، فقد أنبتتهما وقالت لهما انهما سوف تستمران منفصلتين عن جسد ابنها حتى لو عثر عليهما · ولا شك ، أن الموقف بالنسبة لحورس كان غير مريح ولقد اضطر رع أن يلجأ الى كفاءة سوبك ، الاله التمساح ، من أجل ان يغوص ، فى أعماق المياه ، للبحث عن اليدين ، وكان الغرض كما أمر رع بالتحديد ، اعادة زرعهما فى مكانهما الأصلى، عكسا لما أرادته ايزيس · وبعد أن أصبحت اليدان عبارة عن تجسيد لابنين لحورس ، فقد بدأتا تعيشان حياة مستقلة وأصبح من الصعب الامساك بهما · ولكن سوبك لمعرفته الجيدة بمجالات المياه ، استطاع فى نهاية الأمر أن يقتنصهما بشبكة صيد · وهنا طالب حورس بملكيته من رع · وحتى لا تهربا ثانيا ، قرر رع أن يحبسهما كذخيرة نفيسة فى مدينة « نخن » وفى نفس الوقت ، يعيدهما لصاحبهما · ولقد ساعد هذا النوع من الازدواج الطبيعى جدا على اشباع الرغبات المتعارضة ظاهريا من جانب

ايزيس وحورس • ووفقا لرواية أخرى ، اكتفت ايزيس بمد ابنها بيدين ممتثتين (١٩٣)• ويبين مجرى الأحداث أن حورس في واقع الأمر لم يحرم تماما في أية لحظة من اللحظات من يديه ، ولكنه حرم فقط من هاتين اليدين اللتين قطعتا • فحالما انفصلتا عن الجسد الأصلي ، سرعان ما تحولتا الى الهة قائمة بذاتها ، وتكرمان بعد ذلك تبعا لهذه الصفة •

ان بنيان القصة ، والعلاقات ما بين المتنازعين تتراءى عمليا وبكل دقة في النص ، الذي يسرد احدى المغامرات العديدة التي مرت بها عينا حورس • ومن المعروف انهما قد انتزعتا بيد ست وتم دفنهما • ولكن هناك رواية أخرى أكثر تفصيلا بالنسبة للأحداث (١٩٤) • تذكر أنه بعد انتزاع العينين من مكانيهما، وضعتا أولا بكل عناية ، كل على حدة في صندوق ، لحفظهما من أي هجوم ، وأصبحتا ، منذ تلك اللحظة ، هدفا للعديد من الطامعين ، وبدأ ست باخفاء العليتين ، حيث اخفاهما بأحد الجبال الواقعة على جانب وادي النيل • ولكن أنوبيس اكتشف هذا المخبأ وفي حلكة الليل ، قام بنزع قاع الصندوقين ، وآخذ العينين وحملهما داخل سلتين من البردي • ولا يسعنا هنا سوى أن نقرب بين الدور الذي قام به أنوبيس ودور سوبك في قصة اليدين ، ولا يسعنا أيضا سوى أن نقارن سلة الصيد في الرواية الأولى بالسلتين في القصة الثانية ، ويؤكد تتابع الأحداث هذا التشابه • واكتسبت العينان هوية خاصة بهما ولم تعودا بمثابة ملكية كاملة لصاحبهما الأصلي • وانبثقت منهما كرمة نصحت ايزيس ابنها بامتلاكها • ثم طلبت الالهة من

رع اعادة العينين الى حورس ، ووافق رب الأرباب على ذلك بكل ترحيب ، ومنذ ذاك الحين ، استمرت « العينان الكرمة » فى ازدهارهما ، وكانت ايزيس تقوم بالعناية بهما وبريهما، فى حين أن حورس قد استعاد ثانية ، بواسطة نوع من الازدواج ، « العينين المستبصرتين » وهما بمثابة علامة على سلطته الملكية (١٩٥) ٠

اذن ، فان التشوهات التى تتم على وجه السرعة أو للضرورة ليست دارجة ٠ ففى أغلب الأحيان يحكم بها كعقاب أو تنتج من جراء عدوان متعمد ٠ ان «أبناء أبيهم»، وهى طريقة ملتوية للاشارة الى مجموعة من الآلهة لا ترغب فى تسميتها بالتحديد ، هى أيضا ، قد قطعت ايديها ٠ والأمر يتعلق فى هذه المرة باستئصال من أجل عقوبة على عمل مدنس ، وهو جنى اللوتس الزهرة التى تتفتح فى الصباح ، لتسمح للشمس بأن تنطلق فى مسيرتها اليومية (١٩٦) ، فعمل ذلك على اعاقة المجرى الطبيعى للعالم ٠ ولعلنا مازلنا نذكر « نيمتى » ، المعد الخاص بالآلهة ، الذى قدمت له ايزيس رشوة فى هيئة خاتم ذهبى، فسمح لها بالعبور بالرغم من أنه كان قد منع من عمل ذلك ٠ وطالب ست ، باعتباره الضحية الرئيسية لهذا العصيان ، بأقصى عقوبة ٠ وحكم على النوتى بقطع أصابع قدميه ، والابتعاد تماما عن الذهب ، أى المعدن الذى سحره وأصبح الذهب بمثابة مصدر مقت شديد فى نفس مدينة النوتى (١٩٧) ٠ وتقول رواية أخرى انه لم يكتف باستئصال أصابع قدميه ، باعتبار أن الذهب هو لحم الآلهة ، فنزع عنه جلده ولحمه أيضا ، ولم يترك له سوى عظامه ، وهى من

الفضة (١٩٨) • ومهما كان الامر ، فقد استمر النوتى البائس على قيد الحياة ، بالرغم مما أصابه من تشوه ، فى مجتمع الآلهة •

وفى حالات أخرى ، يتسبب الغضب أو الشراسة العادية فى مآس ذات استتباعات دامية • فقد أصابت ايزيس حورس بدون قصد بجرح عند محاولتها نجدته ، فقام حورس ، فى ثورة غضبه بقطع راسها ثم هرب • وتطلب هذا العنف غير المتبصر فرض عقوبة من جانب رب الأرباب (١٩٩) ، وسبق ست الجميع : حيث انتهز فرصة نوم حورس تحت احدى الأشجار ، فانتزع عينيه ودفنهما • ويتعلق الأمر هنا ، برواية مختلفة ، كما يتراءى بالنسبة للنص الذى سرد آنفا• وفى نهاية الأمر ينتظم كل شىء بشكل تدريجى ، وعملت بضع قطرات من لبن الغزلان وضعتها له حتحور على استعادة عينيه وبصره • وتذرعت ايزيس من ناحيتها بالصبر ، وهى مذهولة وقد فقدت رأسها • ووضع تحوت حدا لهذا الموقف بأن وضع لها رأس بقرة مكان رأسها المفقود (٢٠٠) • وتسمح هذه المقدرة من جانب الآلهة على عدم المعاناة من أكثر الجراح خطورة بأن تعير تفضلا ، جزءا من أجسادها من اجل الباعث الطيب • فقد قدم أحد الآلهة رأسه لحورس بمثابة قطعة غيار حتى يشفى من الصداع (٢٠١) • وقبل جب أن يستعمل التدفق الدموى لنخاعه الشوكى ، باعتباره دواء فعالا لتهدئة ثورة ست (٢٠٢) ، وخلاف ذلك ، تسافر أجزاء الجسم الالهى أسفارا عديدة ، دون أن يكون هناك أى دخل لارادة مالكها فى أغلب الأحيان • وهذا هو الحال بالنسبة ليدى حورس

اللتين ذكرتا آنفا أو العين الشمسية التى أشير اليها فى الفصل الأول • وضمن أجزاء الجسم جميعها ، فلا شك ان هذه العين الشمسية هي التى تبين بكل وضوح عن تحررها • انها دائما غائبة ، تقوم بمهمة المبعوث سواء فى عمليات المراقبة أو فى الأعمال التأديبية • فعندما استدعى رع مجموعة الآلهة لعقد مجلس ما ، انضمت اليها العين المتسكعة (٢٠٣) • وفى واقع الأمر ، آن الاله من حقه آن يكون حاضرا فى المكان الذى يريده • فبالرغم من آن شو ، اله الهواء ، يقوم برفع السماء ، فانه يستطيع ان ينطلق من أجل البحث عن العين التى نفيت ، ان طبيعته نفسها تسمح له بآن يتواجد فى كل مكان وأن يعرف المكان الذى لجأت اليه الالهة • ان الجسد الالهى قابل لأن يشع أجساما ثانوية، متطابقة أو مختلفة عن الجسم الأساسى فهى تتبعه وتكون له بمثابة مساعد (٢٠٤) • وسواء شوه ، أو قطع ، فان الجسد الالهى يعلن عن كلية وجوده وفقا لهواه وفى نفس الوقت يخفى سر طبيعته الحقيقية •

المولد ، والحياة والموت

يتضمن مولد الآلهة فى اطار التخطيط العام لعملية الخلق • وبذا ، فغالبا ما يشار اليه باعتباره حدثا يتعلق بها جميعا • ومع ذلك ، فبتدقيق النظر ، يلاحظ آن عددا من الآلهة لها مكان ، وتاريخ ميلاد (٢٠٥) ، وكما لوحظ أيضا لها تاريخ شخصى • ومهما كانت الأحوال ، فان مولد آحد الآلهة يبدو دائما أمرا غير عادى • ان عملية الوضع الطبيعية لأي اله لا يمكن آن تتحقق الا اذا كان عدد الأشهر

كافيا ٠ والمثال التقليدى على ذلك هو مولد حورس الطفل ، ابن ايزيس وأوزيريس ٠ لقد تمت ولادته بأسلوب بشرى تماما . وبالتالى تعتبر ، بمثابة استثناء للقـاعدة ، فلقـد شعرت ايزيس بآلام الوضع . بل واضـطرت الى أن تهـدد مجموع الآلهة من أجل نزول وليدها (٢٠٦)، الذى وضعته فى نهاية عشرة أشهر ، وهى فترة غير عادية ولكنها على ما يعتقد ضرورية ، من أجـل تكـوين أى كائن الهى مكتمـل ، ثم أرضعت طفلها طوال ثلاث سنوات (٢٠٧) ٠ ومع ذلك فلم يتواءم الحمل فى حورس مع الأسس البشرية ٠ فلقـد مات أوزيريس واضطرت ايزيس الى أن تلجأ الى وسائلها السحرية لاعادته الى الحياة من أجل تحقيق اتحـادهما معا ٠ ويبـدو الحدث غير عادى تماما ، حتى فى نطاق الآلهة ، وبذا فقـد أثار بعض الشكوك ٠ فعندما أعلنت ايزيس لرب الارباب عن فرحها بأنهـا حامل من أوزيريس ، قال لهـا ناصحا : « اكبحى جماح قلبك يا امرأة ! فكيف عساك تعرفين (انك حامل) فى اله ووريث للتاسوع ؟ » ٠ ولم تضطرب الربة بل أجابته بكل افتخار : « انتى أنا ايزيس ، أكثر الآلهة مهارة وطهرا ٠ يوجـد بالفعـل اله فى أحشـائى ، وهـو لقـاح أوزيريس (٢٠٨)» ٠ وكان هذا الاعلان غير الملتوى كافيا للاقناع : لن يضع أحد كلامها موضـع الشـك ٠ وخـلال طفولته ، عانى حـورس من مشاكل النمو الخاصة بسنه ، ففقد أسنانه اللبنية ، على سبيل المثال (٢٠٩) ٠ وكأى مراهق فى مجتمع راق ، تم ختان الاله الصبى (٢١٠) ٠ وبعـد أن كان مختبئا بعيدا عن متناول ست الذى يطارده ، عاد ، بين ذويه ، وقد قويت أعضـاؤه ، ونضـجت قواه (٢١١) من .

أجل الانتقام لأبيه • وفي فترة انتظاره ، كان الطفل يتخذ مظاهر متباينة من أجل ألا يتعرف عليه أحد • بل ان ايزيس لم تتعرف على أحد هـذه المظاهر ، واضطرت الى أن تلجأ ، بمعاونة تحوت ، الى أسلوب المطابقة الذى أشير اليه آنفا ــ سؤال ، وجواب ، وتسمية ، وتعريف صفة مميزة ــ من أجل التعرف عـلى « ارو » ابنهـا (٢١٢) • بعـد ذلك ، جزئت شخصية الاله بشكل تدريجي • فلقد كان من المقرر لحورس ابن ايزيس أن يكبر ، وأن يتقدم فى السن وينتقم لأبيه ، فى حين أن حورس الطفل الذى عرف فى نهاية الأمر تحت اسم حربوقراط ، كان دوره الأساسى أن يظل طفلا الى الأبد، كمرجع ونموذج لكافة الأطفال المقبلين •

ان أبنـاء نوت ، وهم أوزيريس وحـورس القـديم ، وست ، وايزيس ونفتيس قد ولدتهم فى ظروف خاصـة ، يستطيع بلوتارخ فقط أن يحكى لنا عنها (٢١٣) • وبسبب بعـدهما عن بعض ، لم يكن كل من جب ونوت بالرغم من كونهما زوجين شـرعيين ، يسـتطيعان أن يتلاقيا معـا بكل حرية واضطرا الى أن يتضاجعا سرا • وعندما علم رع بذلك، عمل سحرا ضد نوت لمنعها من ولادة الأبناء التى تحملهم فى أية لحظة من لحظات العام • ومن أجل مساعدتها ، لعب تحوت لعبة النرد ضـد القمر وكسب جزءا من الـوقت الذى كان القمر يملكه • ويمثل هذا الوقت خمسة أيام ، أضيفت الى السنة المعتادة • وبذا سمح لنوت بأن تلد أبناءها الخمسة • ولا تتحـدث النصـوص المصرية نفسـها أبدا عن هـذا الحدث (٢١٤) • وهناك ايماء غامض عن حمل نوت الذى تسبب فيه أبوها نفسه(٢١٥)، لأن زوجها كما ذكر بلوتارخ،

قد يرتبط بهذا الحدث ويبرر سبب رفض رع لولادة أبنائها رفضا تاما • وبشكل أكثر تحديدا ، ولكن في تحفظ أيضا، أشارت بعض النصوص الأخرى الى هـذه اللحظة ، « في الوقت التي كانت فيه السـماء حاملا في الآلهـة دون علم البشر، في حين كان التاسوع الأعظم يغط في النوم»(٢١٦)، وتبين أن الحـدث قد تم في نطـاق الأفق ، أى عنـد هامش العالم ، فيما بين الظلام والضـوء (٢١٧) • ومن الممـكن تفصيل القائمة الخاصة بالولادات الخارقة أو الغريبة الشأن ولـكن يكفي الاشـارة الى البعض منهـا ، التي لم تتطلب لا عملية وضع ولا أمومة • فان حتحور ، على سبيل المثال ، قد ولدت من بعض الانسيابات من عيني اله الشمس عنـد وقوعها فوق رمال الأكمة الأولى التي انبثقت ، عند ظهوره خارج المحيط الأولى (٢١٨) • أما بالنسـبة لتحـوت ، فان الروايات تختلف عن بعضها بعضا : فالدارج منها ، يقـول انه قد ولد من مخ ست (٢١٩) • والبعض الآخر يقول ، انه قد ولد من قلب الخـالق في لحظـة من لحظات الشـعور بالمرارة (٢٢٠) •

ومن طبيعة الآلهة ، أن وجود كل منها على حدة ، يدرج في نطاقَ الزُمن • فهي تعيش فترة حياة محدودة ، حتى اذا امتدت الى عصور مترامية (٢٢١) • ومع ذلك ، فان هـذا الزمن أو هذه الفترة لا يمكن مقارنتهـا بما يعـرفه البشر عنها •

فلقد ولد أوزيريس في اليـوم الثـاني عشر من أول أشهر العام ، وكان ما يزال مراهقا صغيرا في اليوم السادس

عشر ثم مات مقتولا فى اليوم السابع عشر (٢٢٢) • وعن طفولته ، ليس هناك سوى ذكرى عن السن اللبنية التى فقدها (٢٢٣) ، وحتى لو أقر بأن أوزيريس قد مات وقد وصل لتوه الى سن البلوغ (٢٢٤) ، فان فترة حياته لا يمكن مقارنتها بفترة الحياة البشرية ، هكذا الأمر بالنسبة للزمن الخاص بالآلهة • وكان حورس قد أصبح بالكاد شابا يافعا عند قيام المحاكمة ضد ست لقتله أبيه : ونفس هذه المحاكمة كان قد مضى عليها ثمانون عاما (٢٢٥) • ان كل يوم فى حياة البشر ، لا يعدو أن يكون على أكثر تقدير ، سوى لحظة عابرة (٢٢٦) • وبذا ، فان الاله يعبر ، « ويخترق » الفترة الزمنية دون أى تغيير ، فهذا ما جاء بالفعل بأحد النصوص المصرية (٢٢٧) •

ولا تصاب الآلهة عادة بالشيخوخة • فهذا ينطبق خاصة على تحوت وست (٢٢٨) ، ويؤكد ذلك أن الأمر لا يتعلق بمبدأ عام • ومع ذلك فلقد رأينا أن الشيخوخة التى تقمصتها ايزيس ليست سوى مظهر ما أى « ارو » ، للتعبير فى آن واحد عن ترملها وعن قدراتها كساحرة • وهكذا الأمر ، على ما يبدو ، بالنسبة لنفتيس ، شقيقتها (٢٢٩) أو أيضا بالنسبة للنساء العجائز بالقوصية التابعات لحتحور (٢٣٠) ، وهن بمثابة كائنات يتنبأن بأقدار البشر • وربما كن على صلة ما بالكلمات السبع التى خلقت العالم • ان الآلهة التى نراها مسنة تتسم فى الواقع بسمات الحكمة والوقار (٢٣١) • ولقد عرف أيضا أن الآلهة الأولى التى عاونت رب الأرباب قد ماتت ، لأنها قد وجدت نفسها سجينة فى فجوة واقعة ما بين اللا مخلوق والمخلوق • وعلى ما يبدو هناك فئة من الآلهة

الأصغر سنا قد خلقت خصيصا من أجل معاونة بعض الآلهة الأكثر قوة في بعض المهام الخاصة ، ثم تموت حالما تتم هذه المهمة · وهذا هو الحال بالنسبة للآلهة التي قامت بتجهيز جنازات أوزيريس (٢٣٢) · ان تاريخ العالم الالهى تكثر فى أجوائه حالات من الموت الجماعى بهذا الشكل (٢٣٣) · وحتى عندما تتوفى هذه الآلهة فان مقدرتها لا تنعدم ومن الممكن التوجه اليها ، حتى ان لم تكن قائمة لا فى السماء ، ولا فى الأرض، وحتى ان لم يكن الضوء يسطع فوقها(٢٣٤) · وهى تدفن فى توابيت داخل جبانات خاصة (٢٣٥) ·

ولا يمكن أن نفسر شيخوخة رع الا لكونه طبيعيا الها أوليا · انه خالق، ولكنه منبثق من اللاخلق، فهو بذلك يحمل السمة القابلة للموت لمرحلة التكوين · لقد بدأ شيخوخته وهو مايزال فى المحيط الأولى (٢٣٦) ويتصف بأنه دائم (٢٣٧) وانه بالفعل المسن الوحيد فى نطاق مجموعة الآلهة ، على الأقل ظاهريا · ولكن شيخوخة الخالق هذه تنتقل الى الخلق بأكمله ، التى تعضل القلاقل والثورات المستمرة على اضمحلاله · ويضطر رع للخضوع · ولذلك فمن أجل مواجهة هذه الحالة الجديدة ، يلزم اعادة تأسيس العالم وفقا لنموذج جديد حيث لا تعيش الآلهة مع البشر مطلقا · بعد ذلك ، وحيث توفر الجولة الدورية للشمس بعثا دائما للعالم الالهى (٢٣٨)، حيث يسمح لرع بأن يعبر على الدوام وبدون أية أضرار كافة مراحل الحياة (٢٣٩) · وبما أن الأمر يتعلق بخلق جديد ، فقد كان على الآلهة أن تخضع للقانون الذى كان يسود خلال الخلق الأول ، ومرت بنوع من الازدواج فلقد مات جزء من تكوينها كان يتعلق

بالعالم السابق ، فى حين أن الجزء الآخر ، الذى بعث ، قد بدأ يعيش حياة جديدة ومستقلة • وبذا يستطيع أى اله ، بدون آية صعوبة ، أن يقوم بزيارة جثمانه هو نفسه المبجل بأحد القبور ، ويبكى على موته هو نفسه ، وفى نفس الوقت يمارس أوجه نشاطه (٢٤٠) المقدس •

ولكن أوزيريس ، هو الوحيد بين الآلهة الذى مات تماما متأثرا بما لحق به من تشوهات وأوصدت أمامه الى الأبد أبواب عالم الأحياء • وربما قد يبدو ذلك الى حد ما غريب الشأن ، حيث ان أوزيريس كان قد قتل قبل ذلك ، بدون قصد ، بيد أبيه وأرجع الى الحياة فى هذا العالم (٢٤١) • اذن فان موته الثانى ، الذى نجم عن عدوان ست عليه ، يتسم بسمة خاصة تمنعه من ان يحيا فى الحاضر ، وتلقى به نهائيا فى الماضى أى فى مملكة الموتى • وكبداية ، فقد أصاب الموت أوزيريس فى صميم واقعه ، بما أن الضرورة قد استلزمت أن يعاد تكوينه وهو فى هيئة أشلاء • وبالرغم من أن كل واحد من هذه الأشلاء مازال يتضمن رمقا من الحياة ، مثل الرأس الذى يستطيع أن يتحدث من أجل أن يفصح عن مكان بقية الجسد (٢٤٢) ، فان اعادة التشكيل هذه لم ترجع أوزيريس الى الحياة • ومن أجل أن يتحقق ذلك ، استلزم الأمر الاستعانة بكل ما يملكه تحوت من علم وبما تعرفه ايزيس من سحر (٢٤٣) • ولكن الكائن الالهى الذى انبثق بمثل هذه الطريقة لا يرتبط بالحاضر ، انه ليس سوى نسخة مكررة لما كان عليه فى الماضى • ان أوزيريس كما قيل لنا هو بالتحديد ، « الأمس » (٢٤٤) • أما الوقت الحاضر ، فهو حورس ، الذى أنجب من لقاء ايزيس

بأوزيريس · ومثله مثـل جميع الآلهــة المـكتملة ، بدأ أوزيريس متــذ ذاك الحين يتلقى شــعائر كانت ايزيس تمارسها من أجله (٢٤٥) · لقد انعزل أوزيريس فى العالم الآخر ، وبالتالى مر هو أيضا بنوع من الازدواج الذى يماثل ما مرت به الآلهة التي بعثت مرة أخرى من خلال عملية الخلق الثانية · انه فى آن واحد بمثابة جثمان على وشك أن يولد من جديد بشكل مستمر ، وكائن حي يســوس العالم الآخـر بممارسته الأنشطة كملك ، ولكل منهما حيــاته المستقلة عن الآخر · فأوزيريس يعتبر حرا فيما يفعله في حدود مملكته، في حين أن جثمانه يتحرك على فترات متباعدة ، فيعمل بذلك على احداث بعض الهزات الأرضية فى عالمنا هذا (٢٤٦) ·

الفضـــاء والأماكن

من السهل جدا أن نتصور الآلهة وهي تعيش في قصور رائعة تحيط بها بيئة طبيعية فخمة وملونة · ولكن مما يثير العجب ، أن الفضاءات والأماكن الخاصة بالآلهة المصرية لم توح بمثل هذه الأوصاف ، التي عرفت في اطار حضـارات أخرى ، والتي تشدو بجمال الطبيعة الفائق الحد والثراء الخارق الوصف بداخل القصـور · ان البيئـة باعتبـارها بيئة ، ربما لا تبدو غائبة تماما، ولكنها لا تتحدث عن نفسها وتكتفي بتواجدها من أجل المنفعة · انها تبدو ، سـواء من خلال النصوص أم من خلال النقوش ، بمثـابة عنصر يكاد لا يذكر من عناصر الزخرفة ، وكأن الطبيعة ، التي يعرفها الجميع ، لا تتطلب كلاما زائدا عن الحد · ولا يسمح مثـل هذا التحفظ بأن تتبين دائما بوضوح العلاقات التي قد تقوم بين أسرار الكون المختلفة · ولذا ، فان العلاقات القائمة بين السماء والأرض قبل أن ينفصلا عن بعضهما بعضا ، مازالت غامضة · ففي حين كانت الآلهة والبشر يعيشان معا ، كانت السماء تعيش حياة مستقلة وتسمح للشـمس بأن تتواجـد فيها من أجل أن تتألق على مجموع الخلق · ويقال ان « با » الاله ، أي انعكاسه المرئي ، يوجـد بهـا (١) · واذا كانت السماء تعتبر بمثابة مقر طبيعي للآلهة الكوكبيـة ، كمثـل الشمس أو القمر ، فان بعض الدلائل تبين أنها ليست بمثابة

مكان الاقامة الدائم لكافة الآلهــة • ان الآلهـة تتفرق فى الفضاء وفقا لوظيفة كل منها • فطبيعي ان يمضى رع، الشمس، وقتا أطول من بقية الآلهة في السماء ، أما جب فهو يقيم فى الأرض تبعا لوظيفته نفسها (٢) • اذن فهنــاك تمييز قائم على ما يبدو ، منذ القــدم ، ما بين « التى تقيم فوق والتى تقيم تحت » (٣) • وتبدو هذه الفئات غير واضحة تماما ، وهى على أية حال ترجع الى تنظيم طبيعى • ومنذ بداية خلق العالم خصص الفضاء من أجل الكائنات المقــدر لها العيش فى الأعالي : الطيور ، والنجوم : والكائنـــات المقــدر لهــا العيش فوق الأرض : البشر وبقية الكائنات الحية ، خصصت لها الأرض • وتعتبر الآلهة بدون شك ضمن الفئة الأولى، ولكن وجودها فى الأعالى يتسم بقيم تدرجية سامية • وتمثل هذه الاعالى مكان التبجيل • وتنزل الارادة الالهية من السماء الى الأرض حيث تنتشر بواسطة الكلمة والمكتوب (٤) • وتقيم الآلهة فى السماء ولكنها تقتات فوق الأرض (٥) ، وبذا فهى تتنقــل بكل ســهولة من الســماء الى المجـــالات الأرضــية والمائية (٦) • وبالرغم من ذلك ، فمن الملاحظ أن الأحداث والمغامرات التى تقلقــل عالم الآلهة يكــون اطارها البيئــة الأرضية فى أغلب الأحيان •

ويبدو مجال السماء أكثر هدوءا أو أقل تعرضا للقلاقل المختلفة • والأرض يجب أن تكون دائما موضــع مراقبــة وانضباط (٧) • ولذلك ، يرتبط كل من عالم الأرض وعالم السماء بعلاقات دائمة • وتســتطيع المركب الشــمسية أن تتوقف فى وسط السماء من أجل أن تراقب وهى فى عليائها احداث عمل ما ، ثم تعاود مسيرتها حالما ينتهى هذا العمــل

النهاية المرغوبة • وهـذا هـو ما حدث عندما نادت ايزيس رع ، من أعماق مستنقعات الدلتا ، من أجل أن تحيطه علما بالآلام التى يعانيها ابنها الصغير والتى لا تستطيع تخفيفها عنه • وسمعها الاله الأعلى وأسرع بارسال تحوت من أجـل نجدتها (٨) • وبفضل مقدرته ، استطاع تحوت أن يشفى الطفل ثم عاودت المركب مسيرتها • ومع ذلك تبقى كل من منطقـة الآلهـة ومنطقة الأحيـاء منفصـلتين عن بعضهما بعضا (٩) • والأجدر أن نفهم من خلال ذلك ، انهما ليستا بمثـابة منطقتين مختلفتين عن بعضهما ، بل هما مجـالان خاضعان لمستويات مختلفة من الادراك • وان الآلهة تتواجد عند مستوى معين لا تستطيع الكائنات الحية أن ترتاده ، حتى لو تواجدوا فى نفس «المكان» • وتعتبر الآلهة فى آن واحد قريبة جدا وبعيدة الى ما لا نهاية • فخلال جولتها اليومية ، تقطـع الشـمس على ما يبـدو ملايين ومئـات الآلاف من « Schenes » (١٠) ، وال Schene يعادل حـوالى اثنى عشر كيلومترا •

ينظم المجال الأرضى الخاص بالآلهة بشـكل متراكز • وتحتل فيه مصر ، أو بالتحديد وادى النيل مكانا مركزيا • ويوجد عند أطراف الدلتا ، أحراش مترامية الأطراف لهـا دور خاص يرتبط بطفولة حورس ، وفيما حول كل ذلك ، لا يعدو بقية العالم أن يكون سوى جزء خارجى يقـع فى نطاق الغريب الشاذ، أو بالأحرى «الخارج» ، وفقا للأحوال ، قد يجاور اللانظام المرتبط بالعدم أو يختلط به • وأخيرا يعتبر العالم السفلى ، أى العالم الآخر ، بمثابة مكان نوعى

لا يدخل فى نطاق هذه التشعبات ، ولكنه يشغل بال الجميع دائما أبدا ٠

مصر والآلهة

لو حدث واقتحمنا على الآلهة حياتها الخاصة ، فسوف نجدها منهمكة فى أعمالها فى اطار عالم دنيوى خاص ، تتطابق جغرافيته مع جغرافية وادى النيل والمجالات المحيطة به ٠ وليس من المستغرب أبدا أن يحتل النهر ، والمجارى المائية مكانا مهما فى اطار المنظر الطبيعى الخاص بالآلهة ٠ بل ربما قد تكون بمثابة عوائق ، فخلال المحاكمة التى تجابه فيها ست وحورس ، اضطرت ايزيس الى أن تلجأ الى الدهاء تجاه نوتى المركبة من أجل أن تتمكن من الوصول الى الجزيرة التى تتم فيها المناقشات (١١) ٠ وفى ظروف مشابهة تماما، لم يكن نفس هذا النوتى ليتردد عن الحصول ثانيا على بعض الذهب، فى مقابل خدماته التى لا تعدو أن تكون سوى العبور نحو الضفة القريبة (١٢) ٠ ان مشهد ايزيس وهى تنوح لكونها لا تستطيع العثور على معبر تعبر به الى الجزيرة ، هو بمثابة موضوع دارج فى اطار النصوص الأسطورية (١٣)، حتى اذا كانت الالهة تستطيع ، فى بعض الظروف الاستثنائية أن تسير فوق سطح الماء (١٤) ٠ وتبدو المركب بمثابة وسيلة الانتقال الدارجة دائما : لأنها الأكثر ملاءمة فى نطاق منطقة لا تساعد أراضيها المزروعة ، القابلة للغرق بالفيضان ، والرمال على ضمان استعمال العربات ذات العجلات ، وينتقل حورس بواسطة المركب ، سواء من أجل السفر أم من أجل محاربة أعدائه (١٥) ٠ ورع لا يلجأ لوسيلة أخرى غيرها ، حتى لو كان الأمر لا يعدو أن يكون

سوى زيارة بعض الآلهة الأخرى (١٦) • ان مركبه لا تشاهد دائما ، وهى تمخر عباب السماء الزرقاء ، انها قد ترسو فى أماكن نائية ، على سبيل المثال فى واد موحل ، لا زرع فيه ولا نبات ، وبعيدا عن الطرق المأهولة ، ربما من أجل أن يمد يد المساعدة لراعى بقر بسيط يعمل فى خدمة الاله (١٧) • ولكن يتم السير والجرى خاصة فى اطار مواقف النزاع التى يتعلق الأمر فيها باللحاق بأحد الهاربين الذى قد يكون اقترف بعض الأعمال السيئة (١٨) • ويعتبر الشياطين والمبعوثون الالهيون الآخرون ، هم فقط الذين يتخذون الجرى سبيلا معتادا للتنقل • بل ويخشى كثيرا من سرعتهم القصوى • وتشمئز الآلهة المصرية أيضا من ركوب أية دابة ، فان امتطاء ظهر أى حيوان لا يتفق مع مفهوم الوقار عندها (١٩) • والاله الذى يبدو وقد امتطى جوادا هو اله أجنبى • ولا يمكن تخيل أى اله وهو راكب عربة الا اذا تجسد فى صورة الفرعون وهو يخوض احدى المعارك أو فى بعض النصوص الخاصة بالصيد ، حيث يندفع الاله مصوبا سهامه على الحيوانات التى تعتبر أعداء كونيين • وعموما ، فان الذى يمارس هذه الأنشطة ، هو الاله « شد » الذى أتى هو نفسه بالمؤثرات الأجنبية (٢٠) • وفى معظم الأحيان يتنقل الآلهة من مكان الى آخر ، دون أى تحديد للوسيلة المستعملة من أجل ذلك •

وتعمل الأنشطة التى تمارسها الآلهة على تنظيم المجال الدنيوى والظهور التدريجى لأصل أسماء المواقع الجغرافية ، بالاضافة الى عناصر الجغرافيا الفيزيائية ، وكافة الأمور التى سوف يرثها البشر • ان هذه الادارة الخاصة بالأماكن

قد وصفت وصفا دقيقا من خلال أحد النصوص التى تحكى عن أول مظـاهر الحـكم الالهي فوق الأرض (٢١) · والى الأراضى المنبثقة التى خلقها رب الأرباب ، والى المقاطعـات الادارية والمدنية التى أقامها شـو (٢٢) ، أضيفت ، بعـد احصائها ، الاصلاحات والأعمال التى قام بها جب ·

ويمثل مجموع كل ذلك آلاف المنشآت وملايين الأماكن التى حفظت أسماؤها وطبيعتها فى المحفوظات الالهية (٢٣)، ثم وصفتها فى نهاية الأمر المحفوظات البشرية · وتتضمن الأراضى الخاصة بالآلهة مدنا تتشابه أسـماؤها مع أسـماء مدن العالم البشرى (٢٤) · وبالفعل ، تقول بعض الروايات فى نطاق البشر ، ان مدن مصر ، التى أسست منـذ نشـأة العالم ، قد عاش بها الآلهة فى بداية الأمر · ولقـد سـجلت الأحداث الدينية فى اطار أصل أسـماء المـواقع الجغرافية الدقيقة ، حيث تختلط الأماكن المعـروفة جيـدا بالأسـماء الأكثر غموضا ، خلق البعض منها فقط من أجل متطلبـات الأحداث · ولكن سجلت به أيضا بعض الأماكن التى تعتبر بمثابة انتقال اراثى (رسم الأماكن ووصف حالتها الطبيعية وبخاصة الانحدارات) لبعض المعانى أو الأشياء التى قامت بدور ما فى أحد الأحداث الأسـطورية (٢٥) · وربما قد تعمل الأحداث المتعلقة بالآلهة على تعكير صفو المجال الطبيعى أيضا ، بقدر ضئيل ، ولكنهـا غالبـا ما تترك آثارا تبقى واضحة فى زمن البشر · فهناك ، على سبيل المثال ، تل مكون من الحصى ناحية مدينة ادفو وهو أصلا وابل من الحجـارة الصـغيرة والحصى الغليظة التى أوجدتهـا ايزيس من أجـل القضاء على عاصفة كان ست قد أثارها ضد حورس (٢٦)·

وتتسم هذه الأماكن التى دمغتها الأحداث الميثولوجية بتناسق خاص بها يستحسن عدم قلقلته ، والا تولدت بعض الكوارث من جراء ذلك • ولقد ظهر ثقب ما بـ Pharbaitos دون أن يدرى أحد كيف حدث ذلك ، ثم سرعان ما سد ثانيا ، وكانت الضرورة تحتم عدم تعريته والا امتص الهواء من حوله (٢٧) • ورويدا رويدا تواجدت جميع العناصر اللازمة لتكوين مشهد طبيعى ، بل وأيضا لتكوين بلد منظم ومتناسق تعتبر مصر الدنيوية بمثابة انعكاس له •

وتعيش بعض الحيوانات بالأراضى الخاصة بالآلهة ولكن سرعان ما يتبين أنها غالبا تعتبر بمثابة تجليات الهية أو انعكاساتها ، أما الحيوانات الأخرى التى ربما قد يعتقد أنها ضمن المشهد الطبيعى بدون أى التباس ، فهى بعض الأبقار • فالآلهة تملك بالفعل ، بعض الماشية • وغالبا ما تكون هذه الماشية مهددة من الحيوانات الضارية أثناء رعيها بالريف • ولقد لجأ حورس الى أمه الساحرة من أجل أن تبعد عن قطيعه الحيوانات الخطرة « التى تتغذى باللحوم وتشرب الدماء (٢٨) » • وعادة ، يقوم أحد الحراس بمراقبة هذه القطعان وهو فى الحقيقة أحد الآلهة الذى يعمل لدى البعض منها (٢٩) • وحقيقة ، انها لا تعتبر دائما شخصيات أساسية أو فعالة ، ولكن الرعاة والمواشى يمثلون كثيرا فى نطاق النصوص من أجل الايحاء بخلفية رعوية لم يوضح دورها أو مساهمتها ، فى اطار المجتمع الالهى أبدا •

لا تسكن الآلهة معا فى مكان واحد • انها متفرقة لدرجة أن أحدها ، فى بعض الأحيان ، قد يشعر لذلك ببعض الارتباك والحيرة لأنه لا يعرف مكان أقرانه (٣٠) • ان كلا

منها يشعر بالفعل بأنه مرتبط بمكان مولده ويتعلق به بوجه خاص (٣١) ٠ وفي كل مكان بالمجال الدنيوى ، توجد مساكن للآلهة تختلف عن المعابد التي تسكنها أيضا (٣٢) ٠ وتبين لنا بعض الملحوظات السريعة أن هذه المساكن قد شيدت من الأحجار الثمينة ، فهذا ما يجب اعتقاده (٣٣) ٠ وتبلغ درجات أحجام بعض المساكن حدا يجعل من المستحيل قياسها ، والكثير منها يرجع الى أصل عريق القدم لدرجة تجعل من المستحيل معرفة من قام بتشييدها (٣٤) ٠ ولكل من الآلهة الملوك مقره الخاص ، أى قصره ، الذى يعمل على توسيعه وتزيينه ، منذ بداية حكمه (٣٥) ٠ وعلى حد معرفتنا ، يبدو أن العناصر المكونة له ، تتشابه مع عناصر المعابد الدنيوية (٣٦)٠ ان التشابه ، أو بالأحرى التطابق بين القصر والمعبد قد أشير اليه عامة من خلال النصوص باعتباره حقيقة واقعة ٠ ومع ذلك ، فلم تملك الآلهة جميعا قصرا / معبدا منذ منشأ العالم ٠ ومن المعروف أن البعض منها له الحق في الاقامة في مقاصير مكافأة لها على الخدمات التي أدتها من أجل تقدم العالم (٣٧) ٠ ويعتقد أن قصر رب الأرباب كان يقع في صرح هليوبوليس العظيم (٣٨)٠ ومن هناك كان يسوس العالم ويملى مراسيمه (٣٩) ٠ وبذا ، وبصفة عامة ، تعتبر هليوبوليس بمثابة مقر «حكم» الآلهة ٠ وفي هذه المدينة أيضا يوجد الصندوق السرى ، موضع جميع الاهتمامات وكافة المطامع ، وهو التابوت الذى يتضمن جثمان أوزيريس أو جثمان الشمس المتجددة (٤٠) ٠ ولقد شيدت المبانى الالهية على ما يعتقد وفقا لتوجيهات الالهة سشات احدى مساعدات تحوت ٠ انها المؤتمنة على الخرائط

والتخطيطات ، وهى أيضا خبيرة فى فن المراقبة الفلكية التى تساعد على تحقيق الاتجاه الصائب للمبانى · ووفقا لاحدى الروايات المتأخرة ، يبدو أن مهمة البناء قد أوكلت لمجموعة من المردة المنبثقة من الاله خنوم · وربما قد يتساءل البعض عما اذا كان هذا هو السبب فى أن بعض الآلهة الأدنى مرتبة ، أى الشياطين ، كانوا يسكنون بداخل أوان فخارية أو خزفية (٤١) ·

أراض محصنة : أحراش البردى

تتسم أحراش البردى ، وهو المكان الذى خبأت فيه ايزيس ابنها الصغير حتى يشب ، بوضع خاص · ويعتبر هذا الموقع الملىء بالمستنقعات بمثابة مجال على هامش عالم الآلهة · فبعد موت أوزيريس ، استلزمت الضرورة أن يبقى خبر حمل ايزيس سرا فى طى الكتمان ، وأن يتم الوضع فى مكان ناء مخفى جعله أتوم المسن بعيدا عن متناول ست ، عدو الطفل حورس وأمه (٤٢) · وبالرغم من أنه « مدينة بدون أسوار (٤٣) » ، فقد استطاع الطفل أن يعيش فيه · حقيقة أنه كان بعيدا عن مجموع الآلهة ، ولكنه يعتبر أيضا بمنأى عن عدوه · واستطاع الطفل أن يختبىء به حتى صار شابا وعفيا ، لكى يتمكن من التصارع مع ست والانتصار عليه من أجل الحصول على عرش أبيه أوزيريس (٤٤) ·

ولقد أمضى ست سنوات مديدة فى البحث عنه ولم يعثر عليه الا بعد أن كان حورس ، قد وصل الى سن البلوغ ، يستطيع أن يدافع عن نفسه (٤٥) · ولكن بالرغم من ذلك

فان انعزال المواقع يكون له بعض الأبعاد السيئة · فقد ألزم ايزيس بمغادرة مخبئها من أجل مزاولة أعمالها ، أى من أجل التسول لسد متطلباتها هي وابنتها (٤٦) · وعند اضطرارها للتغيب عن الأحراش التى تحمى فيها طفلها ، كانت تتخذ احتياطات شديدة لكى لا يراها أحد · وفى طريق العودة ، كانت تأمر تابعاتها بأن يراقبن الطريق وألا يتوقفن مع أحد ، حتى يستحيل أن يترك «لست» أى أثر يمكن اتباعه (٤٧) · ولم تكن هؤلاء التابعات ، وهن سبع الهات عقارب مطيعة أو على دماثة خلق دائما · وبالرغم من أنها كانت مكلفة بفرض حماية على الطفل ، فقد لدغته ، دون معرفة عما اذا كان ذلك بسبب سوء تصرف من جانبها أو بسبب عمل قد يكون اراديا ، يرجع الى التأثير الضار من جانب ست · وكانت وسيلة الاتصال الوحيدة من جانب ايزيس بالآلهة هو صدى صوتها الذى كان يصل الى مركب الشمس، ويسمح لها ذلك بالتشاور مع أبيها (٤٨) ·

وتتسم هذه الأماكن بخاصية أخرى ، وهي أن البشر كانت تعيش بها · ففى نطاق المجالات الالهية الأخرى ، قد لا يكون البشر غير غائبين تماما ، ولكنهم لم يشتركوا فعليا ، الا فى اطار حدث واحد فقط ، هو ثورتهم ضد رب الأرباب · ومن قلب أحراش البردى ، وجد البشر أنفسهم وقد تورطوا بالفعل فى مغامرات العالم الالهى ، وكأنما كان هذا هو المكان الوحيد الذى يستطيعون من داخله أن يمارسوا اختيارهم الحر خلال فترة تعايشهم مع الآلهة · ولم يعودوا مجرد كتلة غير متميزة خلقت وتنتظر لحظة التمرد · ولم يكن تصرفهم ، هنا ، بمثابة موقف أو تكتل : فقد تراءت فى

نطاق طائفتهم ، بعض الخصائص ، أو بالأحرى بعض الأنماط • وعندما ذهبت ايزيس من أجل طلب النجدة لابنها ، قابلت في طريقها سيدة ثرية ، قامت ، عندما لمحتها من بعيد ، باقفال بابها في وجهها ، في حين أن احدى السكان البسطاء بالمستنقعات قد فتحت بابها أمامها بكل ترحيب (٤٩) • ولم يكن يوجد لدى هذه الأخيرة أي علاج من أجل الألم • ولشدة أساها ، اتجهت ايزيس نحو البشر قائلة : « من الذي أستطيع أن أستغيث به ضمن البشر فيتجه بقلبه نحوي ؟ سوف أستغيث بمن يعيشون في الأحراش لكي يتجهوا نحوي فورا • وجاء سكان المستنقعات نحوي من منازلهم ، مندفعين لسماع صوتي ، وتألموا جميعا وهم يقولون : « ان مصابك لكبير » • ولم يكن أحد منهم ليستطيع أن يعزم لعمل بعض السحر (٥٠) » • ومع ذلك ، فان هؤلاء الأهالي ، المفعمين بالاهتمام ، كانوا لا يعرفون شخصية ايزيس • وعندما تدخل تحوت من أجل معالجة الطفل حورس ، طلبت منه ايزيس ألا يفصح عن هويتها الفعلية للأهالي الذين كانوا قد احتشدوا حولها • ورجته أيضا أن يستعين بنفوذه من أجل أن يجعلهم يقومون في كل لحظة برعاية ابنها ، وأن يطمسوا كل أثر قد يدل القوى الشريرة الى مكان الطفل الصغير • ونفذ تحوت ما طلب منه ، ولكنه بدافع ميله إلى الحديث ، وبدون أن يفصح عن هوية ايزيس، تحدث عن المصير الملكي المقدر للطفل وعن القوى السحرية التي تتمتع بها أمه (٥١) • ولم ينطق الجمع المحتشد بكلمة واحدة ، واستوعب هذه المعلومات وكأنها لا تتضمن أي أمر مثير للدهشة •

ولا تجتمع الآلهة مع البشر بكل سهولة غالبا الا اذا كانت في حاجة للاختباء بينهم ، لتستتر • وفي كافة الظروف الأخرى ، فقد بقى البشر حتى وقت انفجار ثورتهم ، فى منأى عن مجال اهتمامات الآلهة • ولكن هذا لا يعنى أنهم لا يتصلون بها مطلقا أو أنهم يجهلون كافة الأحداث الالهية، فخلال ثورتهم ، اضطر رع الى أن ينصح الآلهة التى كان قد استدعاها بالتكتم والسرية ، حتى لا يرتاب البشر فيما يخطط لها (٥٢) •

العالم الآخر أو كيفية الاتصال

تختلف الآراء عن أصل العالم الآخر ونشأته • وهنا يقول المنطق ، ان هذا المكان قد خلق من أجل أوزيريس ثم، من بعده ، لجميع الأرباب أو البشر الذين يستدعون للاقامة فيه « ومع ذلك فلقد عرف أن سفر التكوين قد تضمن من سقطوا من الحسبان ، هؤلاء الذين ماتوا لأنهم لم يعيشوا اللحظة الأساسية لانبثاق الضوء : وكانت الضرورة تحتم أن يوجد لهم مكان اقامة • وفى الواقع، ووفقا لبعض الروايات، فان رب الأرباب الشمسى هو الذى خلق العالم الآخر من أجل متطلبات راحته خلال الليل (٥٣) • ان عالم الموتى الخفى ربما يكون قد انبثق من «اكتشاف ما» أى من اختراع ما(٥٤)، وتم حفره عنوة بيد رب الأرباب نفسه (٥٥) • فعندما وضع الزمن الدورى ، كانت الشمس تمر به فى رحلة ليلية خاطفة « تجعل الظلام مقبولا الى حد ما » لمن يعيشون بالمكان (٥٦) • فان سكان العالم الآخر لا يستطيعون تحمل الضوء الساطع : ولقد عملت الشمس ، بمبادرة منها

شخصيا ، على تقليل قوة تألقها وهى تقوم برحلتها فى أراضيهم ، بحيث تبدو « معتمة ومغيمة » (٥٧) · كما أن الضرورة تستلزم من سكان العالم الآخر أن يتخلوا عند دخولهم هذا المكان ، عن دفء أجسامهم وعن تنفسهم وهما من علامات الحياة الدنيا (٥٨) ، وتقوم الشمس بتدفئتهم بمرورها بالقرب منهم وتعيدهم الى الحياة للحظة خاطفة (٥٩) · ان العالم الآخر ، ما هو الا المكان الذى «تنعكس فيه الوجوه وتبدو الأشياء صعبة المنال(٦٠)»· بل ان الآلهة نفسها لا تعرف بالضبط الطريق الذى سلكه أوزيريس من أجل الوصول اليه (٦١) ، وتخشى السير فى الممرات التى ربما قد تؤدى اليه (٦٢) · بل ان أرواح الموتى نفسها لا تستطيع الوصول اليه الا بصعوبة واضحة فعليها أن تخترق الأرض ، وأن تجتاز العديد من العوائق (٦٣) · وتبدو آلهة السماء وآلهة العالم الآخر وهى منفصلة عن بعضها البعض من خلال بعض النصوص ، وكأنها لا تستطيع مطلقا أن تتلاقى (٦٤) · وهذا يعنى مدى صعوبة الاتصال بين العالم الآخر وبين بقية قطاعات الخلق · حقيقة ، اذا وضع المرء أذنه على الأرض ، فقد يستطيع أحيانا أن يتبين نداءات تنبعث من تحت الأرض (٦٥) ، ولكن مثل هذا الاتصال لا يفلت زمامه أبدا · ومع ذلك فهناك بعض الأيام التى يستطيع الموتى خلالها أن يتنزهوا فوق الأرض · وهنا يستحسن عدم مقابلتهم (٦٦) ، فمن الممكن أن يسببوا أضرارا جسيمة · واذا كانوا قد جاءوا من أجل تعكير صفو حياة الأحياء ، وبسبب ذلك ، فان رغباتهم كموتى لا تتحقق تماما (٦٧) · وهم يتقمصون ثانيا عند

رجوعهم الى عالمنا هذا شكلا بشريا ، لأنهم وهم فى العالم الآخر ، قد أصبحوا آلهة ، وتغيرت هيئتهم ، الى حد ما(٦٨)۰ ويحتم رجوعهم الى شكلهم السابق أن يعودوا الى الوظائف الطبيعية التى كانوا يؤدونها وهم أحياء ۰ وتخضع هذه التغيرات لهيمنة معينة ، ولا تتم الا بموافقة من أنوبيس فى هيئة مرسوم مدعم بواسطة تصريح مرور يحرره تحوت بنفسه (٦٩) ۰ ووفقا لوظيفتيهما ، نجد هذين الالهين غالبا وهما يقومان بالاتصالات اللازمة بالعالم الآخر ، ويبدو أن تحوت هو الوسيط الأكثر توافقا : فان سلطته لا حدود لها ۰

ولقد قرر الاله الأعلى بأن يحظى أوزيريس بالعالم الآخر ۰ اذن ، فتحوت هو المكلف بتقديم الشارات الملكية اليه ، التى تسمح له بأن يتوج مرة أخرى (٧٠) ۰ ولقد أصيب حورس الصغير بمرض يهدد حياته ۰ اذن فقد طلب منه هو التوجه الى العالم الآخر من أجل احضار بعض الأدوية الفعالة(٧١)۰ ولقد ساهمت حتحور فى عودة أوزيريس الى الحياة ، وهى بالتالى قادرة على القيام بدور الوسيط (٧٢) ۰ انها تستقبل المتوفين الجدد عند أطراف العالمين وتعاونهم فى تقديم التماساتهم أمام أرباب الموتى (٧٣) ، بل قد تستطيع ، أحيانا ، أن تقيم فى عالمهم ، وتصعد بصفة دورية «الى أعلى» أى الى الأرض ، من أجل تلقى قرابينها بصفة خاصة (٧٤) ۰

وفى نهاية الأمر ، يبدو أن خدم أوزيريس هم الذين يحظون بأكبر قدر من حرية الحركة ، وبالتالى ، يستطيعون نقل المعلومات ما بين عالم الموتى وعالم الأحياء (٧٥) ۰ وهؤلاء لهم مكانة خاصة بالنسبة لأوزيريس ، لأن اله الموتى

يعتبر ، منعزلا تماما عن بقية العالم. وبما أنه غير قادر على الخروج من مملكته ، فمن المؤكد أنه بدون معاونتهم له ، يجهل فعلا كل ما يحدث بالخارج . كما يحمل القادمون الجدد الى مملكته الكثير من الأخبار الجديدة . وتبين الأسئلة التى ينهال بها أوزيريس على أى متوفى عن مدى جهله(٧٦) بما يحدث : فهل تحظى المعابد بالنظافة الواجبة ؟ وهل تراعى القرابين ؟ وهل هى فى المقام الأول وفيرة ؟ وهل الأحياء سعداء ويلقون معاملة حسنة ؟ ويتبين أن العلاقات بين أوزيريس وزوجته ايزيس تكاد تكون لا وجود لها . حقيقة ، ان هذه الالهة قد نجحت فى الوصول الى العالم الآخر ، ولكنها عجزت عن الاتصال بزوجها . « لقد أتيت الى العالم الآخر ولكنك لم توجه الى كلمة واحدة ، يا « ون نفر » ، بالرغم من أننى أمثل أمامك . فهل وصلت فعلا اليك ؟ .. وهل ضللت الطريق المؤدى الى (٧٧) » ؟ لقد أجبرت ايزيس على الترمل وعلى الوحدة ، وبذا فهى تشير دائما الى مآسيها وآلامها . وعلى عكس ذلك لا يعرف شىء عن مشاعر أوزيريس وأفكاره ، هذا اذا كان لديه شىء منها . فمن خلال معظم النصوص ، لا يرى الا وهو مشغول بوضعه كملك منتصر ، تغلب على أعدائه . وحتى يمكن أن تسمع دعوات ايزيس وابتهالاتها فى العالم الآخر ، توصل الأرباب الى اصدار مرسوم خاص ينص على أنهم لن يعملوا على خلق حاجز اضافى فيما بينها وبين أخيها (٧٨) . وحاولت نفتيس ، أخت ايزيس ، أن تستغل الموقف لصالحها هى . لقد كانت قريبة من مناطق الظلال ، التى يرتادها زوجها ست أيضا . وبذا فقد تسللت بكل سهولة الى عالم الموتى . ومن المعروف أنها كانت قد

جعلت أوزيريس يقع فى حبها ورزقت منه بابن هو أنوبيس(٧٩) • وبالرغم من شكواها ، ثم تستطع أن تصبح ملكة ، كما كانت ترغب ، فى العالم الآخر بجوار أوزيريس (٨٠) •

أما عن عالم الأحياء ، فهو من ناحية ، لا يملك سوى وسائل ضئيلة وغير كاملة من أجل الاتصال بعالم الموتى • وتقضى المراسلات المتبادلة فيما بين الأرباب وأوزيريس أياما كاملة قبل أن تصل الى المرسل اليهم على التوالى (٨١) • وفى الحالات العاجلة ، يتحول مثل هذا البطء فى نقل الرسائل الى عائق خطير ، لدرجة الاضطرار الى الالتجاء الى وسائل أخرى تكون أحسن تطابقا مع الظروف • فلقد أصيب رع ذات يوم بوعكة صحية ، وبدا أن شفاءه لن يتحقق الا على أيدى احدى قوى العالم الآخر • ولجأ المحيطون باله الشمس الى السلطات القائمة بهليوبوليس من أجل تحرير رسالة خاصة بذلك • ولكن المشكلة كانت عاجلة ، فلم ينتظر وصولها الى المرسل اليهم • فتقرر أن تتم قراءة النداء من خلال سطح الأرض ، بجوار الفتحة التى تقع فى منطقة الغرب ، وتعمل على الاتصال بالعالم الآخر ، على أمل أن تصل النجدة ، أو النصائح بشكل أسرع (٨٢) •

ويستطيع حورس أن يتحاور مع أبيه ، لأنه يوجد فى بوزيريس ممر يؤدى الى العالم الآخر ، ويسمح لمن يذهبون هناك بسماع كلمات أوزيريس • ومع ذلك فلا تبدو الأمور سهلة تماما ؛ خاصة أن هذه الفتحة تكون عادة مغلقة (٨٣) • وفى احدى المرات كان حورس يحمل خبرا

مهما ، واضطر الى أن يلتمس من الأرباب الذين يرافقونه بأن يلزموا الصمت حتى يستطيع أبوه أن يسمع ما يريد أن يقوله له(٨٤) . ولا تبدو الوسيلة بسيطة مطلقا ، ويفضل الاستعانة ببعض المبعوثين الذين يستطيعون دخول العالم الآخر . ان المردة الأوليين الذين ينتمون الى ما قبل الخلق والذين « ماتوا » ، بشكل ما ، هم الذين كانوا يقومون بهذه المهمة . بل كانت الضرورة تستلزم بأن يكونوا مهيئين بكفاءات خاصة من أجل أن يقوموا بمهمتهم كمبعوثين . وها هو أحدهم ، وكان قد كلف باطالة فترة الحوار بين حورس وأوزيريس ، يقول : « لقد أضفى على حورس من شخصيته حتى أتمكن من توصيل مشكلته الى أوزيريس فى العالم الآخر » . ولكن الأسد المزدوج ، حارس أبواب دخول العالم السفلى لم يصغ الى كلامه هذا وقال له : « كيف عساك تستطيع أن تصل الى حدود السماء ؟ حقيقة ، انك تبدو فى شكل حورس ، ولكنك لا ترتدى غطاء الرأس ! » فأصر الوسيط قائلا : « ولكننى أنا الذى أقوم بنقل مشكلة حورس الى أوزيريس فى العالم الآخر ! (وبالاضافة لذلك) فلقد كرر على حورس ما قاله له أبوه أوزيريس وهو بداخل تابوته يوم دفنه » . وارتاب الأسد المزدوج فى الأمر وطالب بتقديم دليل على ذلك : « كرر على مسامعى اذن ما قاله لك حورس ، تلك العبارات التى نطق بها أبوه أوزيريس ... وسوف أعطيك غطاء الرأس .. (حتى) تستطيع أن تذهب وترجع من خلال ممرات السماء والطرقات الواقعة على حدود الأفق التى سوف تراك (٨٥) » . وهكذا استطاع أوزيريس فى نهاية الأمر أن يلم بالقرارات الالهية التى قام ابنه

بتنفيذها فوق الارض فى غياب أبيه : باسم أوزيريس استطاع حورس أن ينتصر على ست ، واستولى مرة أخرى على العرش الأعلى(٨٦) · اذن ، فالدخول الى عالم الموتى يخضع لهيمنة صارمة · فلكى يتمكن المبعوث من الوصول الى اله الموتى ، فانما يكون ذلك بفضل طبيعته نفسها ، التى تؤهله للدخول الى العالم الآخر ، بل ويضاف الى ذلك أن يكون مسكونا كلية بشخصية هذا الذى يحمل رسالته ، وأن يتقمص الـ«الآرو» الخاص به ، وعليه أن يعرف احدى أفكاره الحميمة من أجل أن يتأكد من تحوله ، وسوف تكون مثل هذه الفكرة بمثابة كلمة السر لمروره وتوفر له خاصية ما يجب أن يتسم بها من أجل المرور بكل حرية · وتعمل هذه الخاصية على سهولة التعرف عليه وتوفير الأمان له (٨٧) ·

الخارج والحدود

لا تشمل أراضى مصر كافة أنحاء الخلق ، فهناك اذن بلاد غير مصرية أجنبية ، وفقا لنفس ارادة الآلهة · ولقد قام تحوت نفسه تنفيذا لأمر رب الأرباب بوضع حدود للأراضى، ورسمها، وكذلك الحدود الطبيعية التى تفصل ما بين مختلف البلاد(٨٨) · وبما أن مصر كانت بمثابة المقر المعتاد للآلهة، فان تواجدهم خارج هذا البلد كان يتباين تبعا لتباين المجالات ·

وبالنسبة للصحراء ، التى تجاور وادى النيل ، يلاحظ أن الأرباب لا يقدرونها كثيرا · ان ست فقط هو الذى يرتادها وانتهى به الأمر بأن ينفى بها نهائيا بأمر من أقرانه الآلهة(٨٩) · حقيقة ، ان هذه الصحراء « تبعد كثيرا عن

مصر (٩٠) » ، وبالرغم من ذلك فان البعض كانوا يتوغلون بها ، ولكن تحت مسئوليتهم ، وعلى ما يبدو ، فقد ضل فيها حورس طريقه ، عدة مرات ، وقد أرهقه العطش ، وهاجمته احدى العواصف الرملية ، ولم يكن معه أى مراسلين من أجل الذهاب لطلب النجدة ٠ ومما زاد من خطـورة الأمر ، أنه كان قد نسى أن يربط تميمة حول عنقه ليقى نفسه من كافة ضروب المخاطر التى تحيط بالمسافر فى مثل هذه الأماكن غير الآمنة (٩١) ٠ ولا يعرف الى أين كان حورس يتجه هكذا ، ربما الى الواحة التى اختبأ فيها لبعض الوقت خــلال فترة طفولته، أو ربما بعد أن قام بقطع رأس أمه(٩٢)٠ وعموما، تعتبر الواحات واقعة تحت منطقة النفوذ المصرى ٠ وللآلهة مساكن بها ، ويشير أحد الكتب الموجزة الى المظهر الذى كانت تبدو عليه تماثيلها بالمعابد التى أقيمت بها (٩٣) ٠

أما عن الأراضى الخــارجة فمــلا عن مصر فلا ترتادها الآلهة مطلقا ، فى الظروف العادية ٠ ان الاقامة بالخارج بدون أى سبب معقول ، حتى لو كانت مؤقتــة ، ليست من الأمور المستحسنة ٠ فلم يكن آمون يفتخر كثيرا باقامته فى أعماق النوبة ، أو حتى بمولده بها ٠ وبشكل مستتر ، فى ظــلام الليــل ، حتى لا يراه أحد ، رجع الى مصر (٩٤) ٠ وبسبب أصله ومنبته ، كان يلم باللغة النوبية ذات القــوى السحرية الرهيبة واستعان بهذا العلم ضد حورس (٩٥) ٠ وتعتبر الأرض الأجنبية خارج مصر بمثابة المجال الخاص بالأعداء ، وبمن يعملون بكل اصرار على غزو مصر لمجــرد الرغبة فى التدمير (٩٦) ٠ وبوجه عام ، تعرف الآلهة كيف

تحتمى بفاعلية ضد هذه الغزوات ، ولكن قد لا تستطيع أحيانا احتواء الغزو · ولقد رأينا كيف تمكنت القوى المعادية ، خلال فترة حكم الاله شو ، من سلب ونهب مقر الاله الملك · اذن فمن أجل القضاء عليها أو من أجل القيام بعمليات الحفاظ على استتباب النظام، يضطر رع أو حورس الى أن ينطلقا خارج الحدود ، عندما يكون الخطر ملحا (٩٧) · وهناك استثناء واحد لكل ذلك ، انه منطقة واحدة فقط وهى بلاد بونت الواقعة فى مكان ما بالجنوب الشرقى · انها بلاد العطور ، والمكان الذى ظهرت به العنقاء ، وهى المنطقة المضيئة حيث تشرق الشمس ويغيب القمر (٩٨) ، وبذا تتشابه بونت بشكل أو بآخر مع «أرض الآلهة» ، والى حد ما، مع مجموع الأراضى المنتجة للثروات اللازمة للآلهة · ولا شك أن مثل تلك الحال هى التى أثارت الاعتقاد بأن الشمس قبل أن تظهر فى المشرق البعيد كانت تجوب فى المساء البلاد الأجنبية، وتحاول اتقاء شر الأخطار التى قد تهددها (٩٩) ·

وبمرور الزمن ، تبدل مضمون معنى كلمة الأجنبى وتلاشت الى حد ما الأخطار المحتملة · وسرعان ما عملت العلاقات التى أقامتها مصر مع جيرانها على التأثير على سلوك الآلهة (١٠٠) · وبذا ، فلم يترددوا أبدا فى الانطلاق لنجدة رمسيس الثانى فى حومة معركة قادش ، بالأراضى السورية · وكذلك قبل أحد مظاهر خونسو أن يرحل بعيدا ، تلبية لاحدى الدعوات ، من أجل أن يعالج بمقدرته أميرة أجنبية وقعت فريسة لتعذيب أحد الشياطين (١٠١) · وبعد ذلك أيضا ، كانت ايزيس تسافر من سوريا الى مصر وكأن سوريا ليست سوى احدى توابع مصر (١٠٢) · وتقول احدى

القصص المصرية ، التى تبدو بالفعل مفعمة بالهيلينية ، ان ملكة الأمازون قد استنجدت بايزيس وأوزيريس من أجل أن يعاوناها علـى كسب المعركة غير المتعادلة ، التى كانت ستخوضها ضد الجيوش المصرية والآسيوية . ويبين كل شيء ان دعواتهـا قد اسـتجيبت (١٠٣) . فبالنسـبة للأرباب المصريين ، لم تعد القضية العادلة هى القضية القومية فقط، ومع ذلك ، فان الرباط القوى الذى يربط الأجنبى بالشر ، ولا تنفصم عراه أبدا ، قد امتد الى كافة أنحاء العالم بما فيها مصر . وأصبحت الضرورة من ذاك الحين تحتم الاحتراس من القلاقل التى يثيرها « البدو ، والنوبيون ، والآسيويون، ورجال مصر أو آجانب الخارج » ، أى من الشر الكامن فى أى مكان (١٠٤) .

ان رب العالم ما هو الا رب كل ما خلق وتتوقف سلطته عند الحدود التى يبدأ عندها الخواء (١٠٥) . ان هذا الذى لم يخلق ، الذى سبق وأشير اليه لمرات عديدة ، لا يشغل بال الآلهة الا من ناحية الخطر الذى يمثله . كما أن الاتصالات التى قد تتم بين الآلهة وبين احدى المجالات غير الآمنة تكون محدودة للغاية . فبعد عملية الخلق ، لم تبق ميـاه الخـواء الأصلى غير مأهولة تماما . ففوق سطحها كانت بعض الطيور تطفو ، وهى سـاكنة (١٠٦) . انها ، كما قيل لنـا ، ذات رؤوس بشرية وتتحدث بلغة البشر .

ويتشابه مظهرها كثيرا مع المظهر الذى تبـدو عليـه أرواح الموتى . حقيقة ، انها ليست أرواحا بالفعل ، ولكنها كائنات مما وراء الحياة . وبصفة دورية ، وقد حركها صيام

طويل الأمد ، تقوم بشق سكون الخواء وتنطلق ، طائرة خارج هذا المجال • وفى نفس اللحظة التى تقوم فيها بعبور الحدود التى تفصل ما بين اللا مخلوق وبين العالم المنظم ، تطولها أشعة الشمس •

وهنا تتحول الى طيور فعلية وتهجم على مصر : انهـا الطيور المهاجرة - مراسلو الخواء ، ويتماثلون بأعداء الخلق، لدرجة أن تحليقها يتخذ نفس الطريق الذى يتخذه الغزاة الدنيويون الأجانب • ومن المقدر لها أن تطرد ، وأن تقتنص بالشباك ، وتقدم تضحية من أجل خير الجميع • ولكن « نون » ، أو المحيط الأولى باعتباره هكذا ، ولأنه يجسد مهد العالم ، فهو يعد بمثابة « أب الآلهة » يحتل مكانا مرموقا فى اطار مجمع الآرباب • انه يتواجد فى هذا العالم بواسطة عدة انبثاقات ، وهى فيضان النيل ، وحقول المياه الجوفية والبحار التى تحيط بالأراضى المنبثقة ، ويعيش هو نفسه بأماكن تحت الأرض ، يستطيع الموتى من الآلهة أو البشر أن يرتادوها ، ولكن لا يمكن الاقتراب منه الا بعد عبور أبواب عديدة (١٠٧) • وهو يقيم فى مغارة سحيقة الأغوار • وفى هذا المكان تستطيع الآلهة زيارته •

ويبدو ذلك ضروريا فى نهاية فصل الفيضان ، عندما تكون المياه على وشك الانحسار • وهنا تفد اليه الآلهة فى موكب عظيم ، لتطلب منه الحفاظ لوقت أطول على مستوى المياه اللازمة لانتاج محاصيل جيدة ، ولكى تقنعه ، تعرض أمامه مرسوما من رع • ولكن لم يعمل هذا المرسوم على اجبار المحيط المبجل الذى لا يمكن أن يرضخ لمثل هذه

الرغبة ، بل لقد عمل على اطرائه مبينا له الى أى مدى يبدو الخلق مدينا له ولخدماته (١٠٨) وفضله · حقيقة ، انه يقوم بدور مهم بين الآلهة ، ومع ذلك فهو لا يخـرج من مغـارته ومقره الا نادرا جدا ·

ومن الممكن أن يستدعى مع الأعضاء الآخرين بالطائفة من أجل المشاركة فى الاجتماعات الكبرى · ويعتبر رأيه ضروريا فعلا عندما يصبح التوازن العالمى فى موضع الخطر، مثلما حدث فى وقت ثورة البشر (١٠٩) :

ذكاء وعلـــم

مثله كمثل كل شيء ، يعتبر العلم بمثابة أحد الابداعات الالهية • فبعد ظهور الآلهة الأوائل ، قام رب الأرباب بخلق حاسة البصر ، والسمع ، والـكلام ، ووسـائل المؤن والزاد وأخيرا القواعد التي تحدد الخير والشر(١) • وهنا تتراءى الوسائل اللازمة من أجل تحصيل ، وتنظيم وتبادل المعارف• ويذكر أحد النصوص أن « الآلهة أخذت تفكر مليا » ، مما جعل أحد علماء المصريات يعتقـد أن الأمر يتعلق هنا بشيء غير معتاد بالنسبة للآلهـة المصرية (٢) • ومن خـلال كافة الأدلة التي توصلنا اليها ، يتبين أن الآلهة ، تتصرف جسديا وشفهيا ، لهدف واقعي أسـاسا • ان الأفكار الدفينة ، أى « الضمير » ، ليست في حقيقة الأمر سوى « المعرفة الحميمة » الكامنة في حشاياها (٣) ، التي تعبر عنها بطريقة خلاقة • وتتطابق جملة المدرك تطابقا تاما مع جملة ما تباشره الآلهة من عمل ويترك ذلك ، الى حد ما ، بصـماته عـلى مجمـوع الكتابات التي حررها تحـوت • ومع ذلك ، فان « الممـكن معرفته » ، و « المعروف فعـلا » لا يتطابقان أبدا تطابقـا تاما ، فبينهما يوجد مكان خال من أجل المعرفة التي تتكون وتتساءل • وهذه المعرفة هي التي قسمت بين الآلهة والبشر، الذين انطلقوا في البحث عنها الي ما لا نهاية • ولا شك أن

الكتب التى تسقط من السماء ، والتى يعثر عليها وقد تركها تحوت نفسه بداخل حجرات غامضة (٤) ، تنص على تقدمها فى مجال المعـرفة عن طـريق المصـادفة • اذن فالبشر لم يخترعوا شيئا • ولا يمكنهم سوى أن ينتحلوا جزءا مما عرف مسبقا ، بشرط أن توافق الآلهة على ذلك وتوفر لها الوسائل من أجل تحقيق ذلك (٥) •

العلم بكل شىء والمعرفة

تترجح المعـرفة لدى الآلهـة فيما بين قطبى العلم بكل شىء وبين العلم ، أى بين العلم المتخلف والعلم المكتسب • وقد تعتبر الآلهة جاهلة بما أنها قد ظهرت بعد رب الأرباب : فهى لا تستطيع أن تلم بما لم تخلقه هى نفسها أو بما لم تساهم به • انها مبدئيا جاهلة بالنهايات الأخيرة وبكيفية الخلق(٦) • ان كلا منها يتضمن بداخله جزءا يجهله الآخرون عنه ، انه الجزء الذى يحقق فرديتها ويحتوى على القوى النوعية لكل منها • اذن فعلى الآلهة أن تلم بمعرفة قرنائها ، وقد يتسبب ذلك فى ضررها ، فى بعض الأحيان • ويتم الحصول عـلى هذه المعرفة بواسطة النقل ، فان كل اله يكون قادرا عـلى أن ينقل لاله آخر جزءا من معرفتـه ، أو بواسـطة الدهاء والاكراه • واذا كانت ميكانيكية الخلق وسيره تخفى عليها ، فهى مع ذلك تعيش فى حالة تبادل مع نفس عناصره • فربما تجهل مكان وجود أحد أقرانها ، ولكنهـا مـع ذلك تشـعر بتحركات ما يحيط بها والتى تعتبر غالبا كعلامات على حدث مهم • فلقد وصلت صيحات الألم التى أطلقتها ايزيس بدون أية صعوبة الى مركب الشـمس ، حيث سـمعها رع (٧) •

وعندما قتل أوزيريس ، ثم ألقى فى الماء ، فقد تم ذلك سرا• ولكن التحرك الذى قامت به المياه من آجل أن تغطى الاله بكل عناية ، لمحه رع الذى اندفع متوجها الى موقع المأساة (٨) • وبمجرد أن قام ست ، وهو متنكر ، بسرقة جثمان أوزيريس سرعان ما علـم آنـوبيس ، اله التحنيط ، بالأمـر (٩) • وأيضا عندما بدأ البشر يتآمرون ضد رع ، علم على الفور بذلك ، دون أن يخبره أحد (١٠) •

ان هذه الموهبة الخاصـة التى تسـمح للآلهة بالاحاطة فورا بالحدث وبأسبابه ، يرمز اليها بعبارة « سـيا » التى تحتوى على مجموع المعارف المتاحة التى يسـتعان بهـا فى اطار العمـل الخـلاق لرب الأرباب (١١) • ورب الأرباب وحده هو الذى يستوعبها جميعها • فان الـ « سيا » يكمن فى عينه المتوهجة التى تنير العالم وترى كل ما يحدث له (١٢)• ومثل هذه الكفاءة ، التى يملك كل اله على الأقل جزءا منها ، هى بمثـابة معرفة خامدة تنشـط أمام أى حـدث يتسـم بالالتباس ، انهـا تسمح ، بكل معنى الكلمـة ، بمعرفة كل ما يحدث (١٣) ، وبأن تنبثق عنـد مسـتوى الشـعور ، معرفة كامنة تستيقظ وفقا لعلامة ما • انها علامة المعرفة ، فهذا هو بالفعل المعنى الأساسى لعبارة « سيا » باللغة المصرية، اذن فعدم التوصل الى الـ « سيا » الخاصة بشىء ما أو بفرد ما، لا يعنى الجهل ، ولكن يعنى عدم الاستطاعة ، أو العجز ، عن التعرف أو المطابقـة • وبالتـالى يتراءى نـوع من التميز الواضح فيما بين « سيا » باعتبارها معرفة الهيـة خـلاقة ، وبين المعرفة باعتبارها تقنية وممارسة ، والتى يشار اليها بعبارة « رخ » • ان «سيا» تعمل باعتبارها حدسـا مطلقا ،

لا يمكن ان يكون بمثابة علم منطقى · أما « رخ » فيقتضى أسلوبا لتعريف المعانى المجردة ، مما يستلزم الاستعانة بالكلمة المنطوقة ثم بالمكتوبة ، وهى من العناصر التى تضفى عليه سمته الخاصة ، أى امكانية التناقل · ومن خلال تصفية الكلمة والمكتوب ، يمكن التوصل الى «سيا» فى اطار «رخ» ·

ان المعرفة ، والذكاء الذى يعبر ويبدع يكمن فى القلب · فالقلب هو مقر الشعور الذى يرشد وينظم · ومع ذلك لا تجتمع به كافة القوى الفكرية · فهناك مكان ما أكثر سرية وأكثر عمقا ، انه الصدر ، حيث تكمن مقدرة خاصة تنهل كل قواها من القوة الحيوية نفسها وتسمى الـ «حكا»(١٤) · ان ابتلاع الـ «حكا» ، هو بمثابة تقوية وتنمية لهذه المقدرة ، وعندما يبتلع الاله الـ « حكا » الخاصة به ، فهو لا يستعين بها (١٥) · انها بمثابة تجسيد لكافة القوى التى تمتص وتعد بمثابة معرفة حميمة ، وشخصية ، تتميز عن جميع المعارف العالمية أو الجماعية التى ذكرت آنفا · وغالبا ما يستعان بها ضد الأعداء وتستعمل أساسا من أجل الحماية (١٦) ، انها فى آن واحد بمثابة سلاح ودرع · انها مؤتمنة على المعارف المرتبطة بالكائن ، كمثل المعارف المتعلقة بالاسم الفعلى للاله ، التى سوف تتبين لنا مدى أهميته ، فهذا العلم لا يتنازل عنه مطلقا طواعية · الا أن عملية النقل هذه ، من خلال طبيعة المعلومات التى تنقلها ، تتم من صدر الى صدر ، أى من صاحبها الى المتلقى · وبذا فان القوى الضارة التى قد تجابهها الآلهة ، تهاجم بصفة خاصة القلوب أو الصدور على السواء ، من أجل أن تتحكم تماما فى كافة قوى ضحيتها (١٧) · وقد تدخل بعض هذه

القوى الضارة ، وتتجسد على هيئة ذبابة على سبيل المثال ، بداخل صدر أى اله . فتتمكن بذلك وبكل سهولة من الاستقرار فى أكثر الأماكن سرية بكيانه وتؤكد سيطرتها (١٨) .

ان هذه المعارف وممارستها عمليا ، ليست لها صلة واضحة بالمستوى الفكرى لدى كل اله ، أو بمضمون تخيلاته . حقيقة ، انها تعتبر مجالات قلما يشار اليها ولا نعرف عنها شيئا ، فمن وجهة نظرنا المعاصرة ، قد يبدو « نيمتى » الذى قبل رشوة ايزيس ، شخصا غبيا أو ساذجا . ولكن بالنسبة للمصريين القدماء يعتبر الغباء ، والسذاجة من صفات الهين فقط هما : حورس الطفل ، الذى يتصرف بدون تفكير . وان غباءه ، المؤقت ، لا يرجع الا الى حداثة سنه ، والى براءته (١٩) . كذلك ست الذى صورته الروايات ، أقل دهاء وأقل ذكاء من كافة أقرانه . انه عنيف ، ومندفع ، ومن الممكن اثارته بكل سهولة ويقوم برهانات خرقاء تعود عليه هو نفسه بالضرر . وبذا فقد اقترح على حورس أن يصنع كل منهما سفينة من الحجر تتيح لهما الفرصة لأن يتنافسا فى سباق يجرى بينهما . ووافق حورس على ذلك ، ولكنه قام فى تكتم ببناء مركبة من الخشب وطلاها بدهان يجعلها تبدو وكأنها قد صنعت من الحجر ، فى حين أن ست قد صنع بالفعل مركبا حجرية ، سرعان ما غاصت فى الماء حالما وضع بها قدم لتنقله (٢٠) .

وأخيرا ، لعلنا قد نتساءل : هل من الممكن أن يكون هناك خيال الهى ؟ . ان عالم الآلهة هو عالم واقعى لا مكان فيه

للخيال • فالكذب مثلا الذى لا يمارسه سوى ست فقط ، لا يمكن أن يكون بمثابة ابتكار عقلي الهي • فلقد كان تحوت يحيط بعلم الكتابة (٢١) ، وكان يقوم بكل سهولة بوظيفة المحاسب لتحديد مقاييس العالم أو وظيفة الكاتب لتسجيل المغامرات الالهية ، ولكنه لم يكن أبدا قصاصا أو شاعرا • وفى مجال الأحلام • فالآلهة فى حاجة الى النوم (٢٢) . ورع فقط ، بالنسبة لوظيفته ، لا يسمح لنفسه بالنوم(٢٣) • ولكن هناك نصا واحدا ، فقط ، يتحدث ، على ما يبدو ، عن أحد الآلهة ــ وهو حورس ــ وقد استغرق فى أحلامه(٢٤) : لقد رأى « شيئا بعيدا عنه ، فى نفس بلده » وكأنه كابوس • ومن الدارج ، فى نطاق البشر أن الكوابيس هى التى يبعث بها ست ، وترتبط ارتباطا وثيقا بالهلع الذى يسببه الظلام • اذن فهذه الكوابيس ليست سوى انعكاس للقوى الشريرة المظلمة التى تهدد توازن الكون (٢٥) • فهل عمل موطن الخيال لدى الاله على ملء أحلامه بالصور المزعجة ، التى تشير الى نهاية الخلق ونهاية جميع الآلهة ؟

معرفة الاسم أو الاستحواذ على السلطة

يكمن الاسم الفعلى لكل اله فى أعمق أعماق ضميره الذى طالعنا آنفا دوره الذى يقوم به ، بمصاحبة القوى الفكرية الراعية وهو جزء منها (٢٦) ، وهو بمثابة سر دفين بالنسبة للآلهة الأخرى • انه يرتبط ارتباطا وثيقا بالبعد الكونى للاله (٢٧) ، ويعبر عن دوره الأساسى ويعمل بشكل ما ، على تحديد وضعه بالنسبة للآلهة الأخرى (٢٨) • ان الكشف عن هذا الاسم ، يعد بمثابة التخلى نهائيا عن هذا

الوضع ازاء من كشف له عنه ، انه بمثابة استسلام كلى ۰
اذن فمن أجل أن يحمى الاله نفسه ، يعمل على « ارعاب من
يحاولون معرفة اسمه » (۲۹) ۰ ولمزيد من الأمان ، يتكون
هذا الاسم كاملا من قائمة شبه لا نهائية من الأجـزاء التى
تمد هى بدورها بمثابة أسماء قائمة بذاتها (۳۰) ، اذن ،
فهو من الصعب استيعابه ، ويطول النطق به الى مالا نهاية ۰
فلقد استمر منطـوق اسم احـدى زوجات حـورس ، وهى
« سبوتير » ، ثلاث سنوات كاملة (۳۱) ۰ أما الأسماء السرية
التى يكشف عنها ، فهى غالبا مجرد « تخلص » ما يعمل عـلى
اسناد طبيعة الاله الى عالم الحيوان ، ولا تتيح الوصول الا
لجزء منها ۰ وبصفة عامة ، فان الاسم الذى قد يكشف عنه ،
لا يستعان به الا بصفته معرفة ما تضاف الى ما كان يملكه
المكتشف من قبل۰ ويلزم الأمر عدم النطق به بلا روية، فقد
يعمل ذلك على تفجير أحداث رهيبة بالنسبة للجميع ۰ « لـو
نطق باسمه على ضفة أحد الأنهار ، فسرعان ما يجف ۰ واذا
نطق باسمه فوق الأرض، فسرعان ما تتأجج بالنيران (۳۲)» ۰

فى بدء نشأة العالم ، كانت الآلهة تجهل اسم كل واحد
منها ۰ وكان رع ، بصفة خاصة ، يتخذ احتياطات غير عادية
تماما حتى لا يستعان بمعرفة اسـمه للاضرار به ۰ ومثله
كمثل بقية الآلهة ، كان يحمل عددا كبيرا من الأسماء ، وبذا
كان يغيرها كل يوم (۳۳) ۰ وكانت ايزيس ، التى عرف عنها
« أن قلبها كان أكثر تمردا من عـدد لا نهـائى من البشر ،
وأكثر ذكاء من عدد لا نهائى من الإلهـة » ، وأنهـا كانت
« أكثر دراية من عدد لا نهائى من العقول » ، تحيط بعلم
شخصى خاص ، حتى ان « حيكا » كان لا يعرف ممن ورثتـه

بالتحديد ، فهل هو من «جب»(٣٤) ، اله الأرض ، أو ربما من «رع» ، أبيها(٣٥)؟ وقررت أن تستعين به ضد رع • وكان رع ، يحمل على عاتقه سنوات مديدة من الحكم ، وأصبح مسنا وأصابه الى حد ما ضعف الشيخوخة • وذات صباح ، حينما كان جالسا بين طاقمه بمركب الشمس التى أوشكت أن تنطلق لاضاءة العالم ، انسابت نقطة من لعابه من فمه ، وسقطت على الأرض • وفى غفلة من الجميع ، قامت ايزيس بمزج السائل بالتربة المتجمعة حوله وصنعت منها ثعبانا ، وأضفت عليه شكلا مدببا واضحا • ووضعته على طريق اعتاد الاله الأعلى أن يرتاده كل يوم •• وحدث ما كان متوقعا : نقد خرج رع ، وفى أثره حاشيته ، وعضه الثعبان • وهاجمته على الفور آلام مبرحة • وبما أنه كان يجوب العالم كل يوم ، وعلى علم تام بكل ما خلقه ، فقد تبين له أن الذى عضه ليس من ضمن مخلوقاته هو • وتقول بعض المصادر ، ان هذا الحدث قد أثار كارثة أرضية شبيهة بنهاية العالم ، فأظلمت الأرض ، وبدأت الشقفات الفخارية تسير من أماكنها ، والأحجار تتكلم ، والجبال تتسكع (٣٦) ، واستنجد رع بجميع الآلهة القائمة ضمن حاشيته ، التى عرف عنها أنها تملك علما خاصا حتى تحاول علاجه • وسارع الجميع اليه • ولا شك أن ايزيس كانت ضمن الآلهة وتصنعت الدهشة قائلة : « ماذا حدث يا أبى الاله ؟ ماذا وقع •• » ••• هل رفع أحد أبنائك رأسه فى مجابهتك(٣٧)؟» ووصف لها رع آلامه ، وبشكل مباشر ، سألته ايزيس قائلة : « اذكر لى اسمك ، يا أبى الاله » • وبدأ الاله يلقى على مسامعها بسلسلة طويلة من أسمائه وصفاته ، ولكن ايزيس لم تخدع

وقالت : « ان اسمك (الفعلي) لم يكن ضمن الأسماء التي سردتها على الآن » . وتزايد مفعول السم في جسد الاله . ولمعاناته من هذا العذاب ، انتهى به الأمر بالرضوخ لمطلبها. ولكن بشرط : ألا تنقل ايزيس السر الذي يبوح به لها الا لابنها ، وبعد أن أقسمت له بأنها لن تبوح به لأحد مطلقا (٣٨) . وعندما اطمأن اليها ، كشف لها رع عن اسمه ثم قامت على الفور ، بترتيل بعض الصيغ الشافية التي خلصته من معاناته . وضمن مختلف الروايات التي نقلت الينا هذه الواقعة ، لم تجازف أية واحدة منها بكتابة الاسم الحقيقي لرع . ويستثنى من ذلك واحدة فقط ولكنها، من اجل ان تحمى على الأقل الى حد ما هذا السر ، لجأت الى احدى الحيل . فلقد قدمت كل جزء من أجزاء الاسم ، وهى لا نهائية بالفعل ، بواسطة الكلمة المصرية التى تعنى «اسم» ، ولكنها عكست الحرفين المكونين لها . وبذا ، فقد تم تقطيع الاظهار المباشر ، لأن الذى أظهر ليس الاسم حقيقة ، ولكن مجرد انعكاس عمل على تغيره (٣٩) .

ولا ريب أن ايزيس قد نقلت معارفها الى ابنها حورس الذى أصبح ، هو الآخر ، طبيبا ممارسا ماهرا(٤٠) . ولقد استوحى من المثال الذى قدمته أمه ، فسرعان ما لجأ هو أيضا الى نفس أساليبها من أجل استخلاص بعض الأسرار المهمة عنوة . فلقد انتهز ، على سبيل المثال ، فرصة ليلة زفافه من أجل أن يرغم زوجته أو عشيقته تاربيدجت ، وهى من الربات العقارب الرهيبة ، على الافصاح له باسمها الحقيقى وبالتالى يكون لديه القدرة على معالجة لدغات الحيوانات السامة (٤١) . وتبين الواقعة أن الاسم الذى تعرف به

الآلهة ، والذى بواسطته تنادى بعضها بعضا ليس سوى بديل · وبذا ، فان أى زوج من الممكن أن يجهل اسم زوجته الحقيقى الا اذا لجأ ، كما حدث فى هذه الحالة ، الى الدهاء او الى القوة · ولقد وقع « نيمتى » توتى المعدية ، كضحية أخرى لحورس الذى طلب منه أيضا معرفة حقيقة اسمه (٤٢) · والقصة تتشابه كثيرا مع قصة ايزيس ورع، ولكن حورس لم يضطر فى هذه الحالة للالتجاء للدهاء ، ففى حين كان يعبر النهر بالمعدية ، أصيب «نيمتى» بلدغة ثعبان وطلب منه النجدة · وانتهز حورس هذه الفرصة ورفض مساعدته مادام لم يكشف له عما يريد معرفته · وبدا « نيمتى » قليل الدراية فى هذه المناسبة ، وعمل بكل غباء على التسمى بأسماء ، لا تمت اليه فعلا بأية صلة ، بل ان البعض منها كانت أسماء لبعض الآلهة الأكثر أهمية منه · وعامة ، فقد أخذ يتفاخر ويحاول كسب مزيد من الوقت · ولم يخدع حورس بمثل هذه الوسيلة المبتذلة : واضطر عامل المعدية الى أن يبوح له باسمه الحقيقى من أجل الشفاء ·

وفى اطار كافة هذه الأحداث ، يتشابه الحصول بالقوة غالبا على معرفة ما ، بالحصول على السيادة على حساب من يضطرون للاستسلام ·· فان ايزيس ، بصفتها أساسا ساحرة ماهرة ، وقد حصلت على سرها الثمين ، قد أصبحت ممارسة ماهرة فى الفن الذى يجيده رع ، انها القديرة على شفاء الآلهة من أمراضها (٤٣) ، ولا شك ان رع من خلال هذه الأحداث يبدو وقد فقد كفاءته الى حد ما ·· فان المعرفة التى كانت تسمح له بمعالجة أقرانه الذين يقعون ضحية السم ، قد

تضاءلت ۰ واذا كان قد استطاع أن يعالج أحد الآلهة ، أو حتى يعاون ايزيس التى عجزت عن أن تنقذ ابنها ، فلقد شوهد أيضا وقد تملكه القلق بخصوص أحد أصدقائه الذى أصيب ، ويحاول ، بواسطة بعض الأساليب المؤقتة ، أن يوقف سريان المرض انتظارا لحضور حورس ، الذى أصبح أكثر كفاءة منه ، من أجل أن يشفى المصاب شفاء تاما (٤٤) ۰

ومع ذلك ، فان هذه المعرفة الشخصية ، أو هذه الـ « حكا » ، لا تبدو مؤكدة النجاح تماما ۰ ففى حين كان ست وحورس ، يخوضان معا معركة لا هوادة فيها فى أعماق المياه ، وقد تحولا الى فرسى النهر ، كانت ايزيس تحاول التدخل من أجل أن ترجح كفة ابنها ، وقامت بصنع حربة لاصابة « ست » ولكن السلاح أخطأ هدفه وانغرس فى جسد حورس ، الذى صرخ من الألم ، فعرفت ايزيس بذلك أنها أخطأت ۰ ويتراءى لنا من خلال تطورات الرواية ، أن قلب الربة يبدو مشتتا بين كائنين كلاهما عزيز عليها ، انهما أخوها « ست » وابنها حورس ، ولقد عمل ذلك على تعتيم تمييزها واعاقة فاعلية مقدرتها (٤٥) ۰

المعرفة لدى تحوت

لقد أوكل الى تحوت مسئوليات مهمة لادارة العالم (٤٦) ۰ وترجع هذه المكانة المتميزة بجوار رب الأرباب ، الى الدور الأساسى الذى خصصه له هذا الأخير ، انه بمثابة تجل لقلب رب الأرباب ولسانه ، وبذا فهو الأداة التى تسمح بتجسيد الخلق (٤٧) ۰ ان معرفته التامة بالكلمة والكتابة تساعده على تجسيم الفكرة الخلاقة ۰ ولولا فعاليته ، لبقيت مجرد

حبر على ورق . وعندما وجه خطابه الى جميع آلهة الكون ، قال لهم بكل افتخار : «اننى أنا تحوت ، وأنا أكرر عليكم ما اعلنه رع ، (فلقد) وجه لكم الكلام قبل ان تسمعوا عباراتى . اننى أنا تحوت ، رب الكلمات المقدسة ، (الهيروغليفية) الذى يضع الأمور فى نصابها (الحق) : اننى أقدم القرابين للأرباب ، ولسعداء الحظ . اننى أنا تحوت الذى يضع الماعت كتابة أمام التاسوع المقدس . ان كل ما يخرج من فمى يتحول الى الوجود (وكأننى) رع ، اننى أنا الذى لا يمكن ابعاده عن السماء والأرض لأننى أعرف ما يخفى بداخل السماء ولا يمكن الوصول اليه من فوق الأرض ، وما يخفى أيضا فى أعماق المحيط الأولى . أنا الذى خلقت السماء ، والذى شيد الجبال .. وأجعل الآلهة تبقى على قيد الحياة وكذلك البشر (٤٨) » . اذن ، فبواسطته يستقر العالم على مسيرة حسنة . حقيقة ، ان لمركب الشمس طاقما يعمل على تقدمها ، ولكن تحوت هو المكلف بامساك الدفة ويقوم بتوجيهها نحو المدار الصائب (٤٩) . ويقال انه هو الذى يرفع الشمس فى السماء (٥٠) ، وانه هو الذى « خلق التناسق فى مصر ، وعمل على تنظيم الأقاليم»(٥١) .

حقيقة ، ان تحوت ليس الخالق الفعلى ، ولكنه يعمل على دوام وجود المعرفة . انه بمثابة ذاكرة للآلهة تسجل الكلمات ويسمح للخالق نفسه بأن يكون دائما على علم بكل الوجود . ان الخالق يملك زمام علم المستقبل ، فى حين أن تحوت ، بفضل محفوظاته ، قد اكتسب من هذا العلم رؤية لا تخطىء أبدا (٥٣) . ويقوم بينه وبين رب الأرباب نوع من تبادل المعارف (٥٤) ، يجعل منه بمثابة وسيط ما بين

المعرفة الالهيــة بكل شيء وبين المعــرفة التي يوحى بهــا ، والمعرفة التي تؤخذ قسرا ٠ ان تحوت يعتبر في ان واحـد كاله قوى البصيرة (سيا) والذى يلم بكل شيء (رخ) (٥٥)٠ ان هاتين المعرفتين تتناغمان تماما لديه ٠ وهــو يتميز بأنه الذى يتلقى الأولى وينقل الثانية وان تحوت هو الذى يستوعب (يقال « ابتلع ») القطرين (٥٦) ، ولقد تفهم الخلق تفهما حميما ٠ انه هو الذى يسجل المعرفة ويحافظ عليهــا ويستطيع نشرها ، ســـواء بين الالهـــة ام بين البشر (٥٧) ٠ وتعد الكتابة بمثابة الوسيط لعملية النقــل هذه ، اى وسيلة نقل المعرفة (رخ) ٠ وتقول بعض الأساطير التى ذكرها بلاتون ، والتى ربما قد استوحى جوهرها من مصر : ان نشر المعارف بواسطة الكتابة لم يلق حماسا من جانب الآلهة (٥٨) ٠ ولقد بين تحوت مزايا فن الكتابة ، ونادى بنقله الى عالم البشر ٠ ووجد أتوم رب الارباب، الذى أسماه «بلاتون» تاموس، ان ذلك لن يرجع الا بالضرر ٠ فلقد قال : ان استعمال الكتابة ، سوف يجعل البشر لا يعتمدون مطلقا على ذاكرتهم ، ولكن على مجرد حروف مادية من أجل استعادة الذكريات التى غابت عن عقلهم ٠ وهذا يعنى أن الممارسة المتــواصلة لل « رخ » ، سوف تؤدى الى التخلى التدريجى عن ال « سيا » ، وفى النهــاية ، الى الانفصــال تماما عن الفكر الخلاق ٠

اذن ، فها هما منطقتان متجابهتان : فان التأكيــد بأن ال « سيا » هو فقط الخلاق الفعلى ، يجعل ال « رخ » يتســم بالتكرار فيديته ويحكم بأنه لا يبين أبدا الا كل ما يســبق خلقه دون أن يضيف اليه أى جديد ٠ ولقد استطاع تحوت أن

يملك زمام الناحيتين بمقدرة متعادلة ، فأضفى عليه دور القائم بالتوازن والعدل ، وشبه بقبان الميزان ، ويلور تماما وظيفته كوسيط . ولكن هذه المقدرة ساعدت ايضا على القاء الضوء على حدود علمه ومخاطره . فلا شك أنه يعد بمثابة حكيم ضمن الآلهة ، ولكن شعوره بذلك ، جعله يبدو متحذلقا ومغرورا . ويعمل ميله الى الحديث بتصنع وتضخيم مفتعل الى حد ما على اثارة الضيق ، خاصة اذا كانت هناك حالة عاجلة . فعندما بعث به رع الى ايزيس التى كانت فى حاجة الى نجدته من أجل شفاء ابنها المريض، تاه تحوت فى حديث معقد ، لا يمت الى الموضوع بأية صلة ، لدرجة أن الربة انتابها الضيق فصاحت قائلة . « تحوت . ان عقلك لرصين ، ولكن قراراتك بطيئة » (٥٩) . وفى مثل هذا العالم الذى تحسم فيه النزاعات بواسطة القوة الجسدية أو متانة العبارات ، يلاحظ أن رب الحكمة «تحوت» لا يجيد دائما الاستعانة بعلمه . ولم يكن يفتقر الى المداهنة، وسوء النية . وأخيرا ، فان المكتوب ، بدلا من أن يعمل دائما وهو فى حوزته على تناغم العالم ، فقد أتاح له الفرصة ليمارس سطوته على أقرانه بالخداع والغش . ولشغله وظيفة المسئول عن الطقوس الخاصة بالآلهة ، ويعمل فى تكتم ، كما فعل ذلك من بعده تلاميذه البشر (٦٠) ، فقد كان يحتفظ أيضا بالقائمة الخاصة بتوزيع القرابين بين أقرانه (٦١) ، أى أكثر الأمور حيوية بالنسبة لهم . واستغل هذه المكانة، واستغل أيضا نفوذه على الكواكب ، من أجل أن يتلاعب فى جولة النجوم ويعرقل سير الزمن لكى يسرق من بقية الآلهة ، كما علمتنا ، جزءا مما تحصل عليه من قرابين (٦٢) .

من الكلمـة الى المكتـوب

ترى ، أيهما الذى يقود العالم : الكلمة أم المكتوب ؟ وأين يكمن الفرق بينهما ؟ وكبداية ، هل تتماثل لغة الآلهة بلغة البشر ؟ واذا كانت الآلهة توجه كلامها شفهيا الى البشر فى بعض الأحوال (٦٣) ، فان ذلك لا يحتم أن تكون اللغـة التى تستعين بها فيما بينها هى لغـة البشر . ومثـل اللغـة كمثل الأشكال والمظاهر الالهية : تتطابق الكلمة مع الظروف والأحوال. وتفهم الآلهة لغة الحيوانات، ولغة الأسماك(٦٤)، او الطيور ، على سبيل المثال . فهى تنقل اليهـا الرسـائل وتتلقى اجابات عنها (٦٥). اذن ، فالأمر يتعلق هنا بمقدرة الهية ، لأن البشر لا يلمون عادة بمثل وسيلة الاتصال هذه . فلقد استطاع بطل احدى الحكايات أن يستحوذ على الكتابات السحرية، التى كان تحوت قد تركهافىالماضى بداخل صندوق فى أعماق الماء ، فاستطاع ، بمجرد قراءته للصيغ المكتوبة بها ، أن يفهم ما تقوله كافة الحيوانات ، فى أى مكان تتواجد به (٦٦) . ولكن الأمر يتعلق هنا بنوع من المعرفة المختلسة، وبذا فقد دفع الفاعل حياته ثمنا لتلك المغامرة واصطحب معه المخطوط النادر الى مقبرته . ومن خلال بعض النصوص السحرية الاغريقية / المصرية ، يلاحظ أن الممارس يفضل مخاطبة الاله بلغة « الطائر المنقوشة صـورته » لكى يسـهل سماعه، بل ويلجأ أيضا الى « لغة الصقور » (٦٧) . فان هذه الطيور تجوب أعالى السماء ، وتستطيع طبيّعيا التخاطب مع الآلهة.وتكون بمثابة وسيط للبشر .

ان لغات الحيـوانات ، بصفة عامة لا يمكن ادراكهـا باعتبارها تعبيرات فوق طبيعية ، لأنهـا بكل بسـاطة غـير

طبيعية ولا يستطيع الانسان تعلمها • فقد يعتقد بعض المسافرين ، أثناء الليل ، وهم يسمعون خوار البقر ، ان الأمر يتعلق ببعض الآلهة وهى تتحدث (٦٨) • أما الحيوانات التى تعبر بواسطة الصيحات عن فرحتها بشروق الشمس ، مثل قرود البابوان ، فربما تتحدث بلغة غامضة تطيب للخالق (٦٩) ، وعموما ، يلاحظ أن « لغة البابوان » تحتل مكانة مرموقة ضمن اللهجات العديدة التى يجيدها الساحر، الذى أشير اليه آنفا • ان العالم الالهى يتضمن بالفعل لغات عديدة يجهلها الانسان ، فهناك اللغة التى تستعين بها قوى المشرق (٧٠) ، وكذلك لغة الجان بالعالم الآخر التى يجب أن يتفهمها المتوفى اذا كان يريد أن ينجو من شراكها (٧١) • ولا تنتمى جميع هذه اللغات بالضرورة الى عالم الحيوان، فكل ما يفعله الحيوان هنا هو أنه يغير من صوته •

ان تحوت هو الذى ابتكر الكلمة ، واللغةالمنطوقة(٧٢). وهو أيضا الذى نوع ما بين لغات البشر (٧٣) • ومثل هذه الكثرة ، التى قد تبدو مزعجة فى نطاق عالم الموتى حيث تقتضى الضرورة وجود بعض المترجمين (٧٤) ، لا تعد بالضرورة بمثابة عائق أمام الآلهة • فان آمون ، بسبب منشئه الأصلى ، كان يجيد اللغة النوبية (٧٥) • ويجدر الاعتقاد ، مع ذلك بأن اللغة المصرية ، التى يتقاسمها سكان وادى النيل حيث تفضل الالهة الاقامة ، كان لها وضع خاص؛ فلقد بين جامبليك ، وهو فيلسوف من أتباع أفلاطون الجدد من القرن الرابع الميلادى ، والذى كان يلم تماما بالفكر المصرى ، انه من الغباء أن نظن أن الآلهة كانت تتكلم لغة

خاصة ، ولكنه حدد قائلا أيضا : « مادام المصريون هم اول من تميزوا بالاتصال بالآلهة ، فلابد أن تلك الآلهة كانت تحب أن يتم الابتهال اليها وفقا لقواعد هذا الشعب»(٧٦) ٠ ولكن تحوت ، من خلال ما ذكره في وثائق هرمس ، قد ذهب الى ما هو أبعد من ذلك : « ان نفس خاصية الصوت ونفس نبرة الألفاظ المصرية تتضمن بداخلها في نفسها حيوية ما يقال ٠٠٠ إننا لا نستعمل مجرد كلمات ، بل أصوات مفعمة تماما بالفاعلية (٧٧) » ٠ ان الكلمة ليست خلاقة فحسب ، ولكنها تجد في نطاق اللغة المصرية استعمالها الأكثر ملاءمة» ، وهذه هي نفس الفكرة التي وضحت من خلال النصوص المصرية نفسها ٠ فان نفس الحياة الذي ينبعث من فم الاله الأعظم والذي يسمح للكائنات بالبقاء على قيد الحياة ، يتطابق تماما مع كلمته (٧٨) ٠ ويختلط انبثاق الصوت الخلاق ، المسمى ب « حو » بالأغذية التي تساعد على البقاء على قيد الحياة ٠ انه يكمن ، هو أيضا ، بداخل صدور الآلهة (٧٩) ٠ وفي اللحظات الأولى لخلق العالم ، حينما كان لا يزال مغمورا بالمحيط الأولى ، بدأ رب الأرباب يفكر في الأسماء التي كان سيطلقها على المخلوقات والأشياء (٨٠) ٠ وبعد ذلك ، وبمساعدة كل من الـ « حو » والـ «سيا» ، نطق بها ، من أجل أن يتم خلقها نهائيا (٨١) ٠ وتقول احدى الروايات المؤكدة ، ان العالم قد خلق بواسطة سبع كلمات متتالية ، نطق بهما رب الأرباب (٨٢) ٠ وعملت هذه « الكلمات » في البداية على تكوين أراضي العالم (٨٣) ٠ وأصبحت كائنات ذات وضع خاص ، وشأنها كشأن كافة الكائنات التي ساعدت الخالق في النشأة الأولى

للعالم ، كان من المقدر لها أن تموت • ويبدو انها قد سجنت بداخل صندوق (٨٤) • ومجرد النطق ثانيا بالكلمات الخلاقة ، يشكل خطورة وربما ينجر في أعقابه نهاية العالم (٨٥) •

عموما ، ان كل ما تنطق به الآلهة يعتبر خلاقا • ومن أكثر ما تفضله من أساليب التعبير ، هو ما نسميه نحن بالتلاعب بالألفاظ • ان جملة ما ، أو صيغة ما يستعين بهما هذا الاله أو ذاك بخصوص أحد الأماكن ، او احد الكائنات ، تضفي عليها اسما وبالتالي واقعا ملموسا (٨٦) • وهذه هي احدى وسائل الخلق ، التي يستخدمها رب الأرباب كثيرا (٨٧) • وفي الواقع ، ومهما تنوعت الآلهة ، فان كل حديث شفهي تقوله تنبثق منه حقيقة مضمونة • فلقد استطاع حورس أن يثأر لأبيه وهو في هيئة « حران دوتس» («وحرنجاتف» باللغة المصرية، «حورس يثأر لأبيه») (٨٨) ، لأن أوزيريس قد قام حرفيا بخلق هذه الوظيفة ، عندما نطق بها في لحظة استيقاظه من سبات الموت ، بعد اتمام شعائر التحنيط (٨٩) • ومن خلال أسطورة حورس ، يلاحظ أن كل حركة تهيىء لتعليق شفهي ، وبالتالي تنبثق منها الأماكن والممثلون لشعيرة حورس ، وكذلك أدولتها المقدسة الأساسية • وبصفة عامة ، يكفي الأمر مجرد الاشارة لحدث ما ، فيحدث بالفعل (٩٠) • وبذا ، فان السب أو التهديد يتضمنان في ثناياهما حقيقة ما تبحث عن التجلي • ومن يوجها اليه ، يقع بالفعل فريسة لما حكم عليه به بواسطة الكلمة (٩١) • فالكلمة تصبح اذن بمثابة سلاح يسمح بقهر الأعداء أو تدميرهم • ولا شك أن ذلك يبدو مؤكدا بالنسبة

لتحوت (٩٢) . ولكنه حقيقي أيضا بالنسبة لبعض الآلهة الأخرى ذات المزاج الأكثر عنفا مثل ست - فيكفي انه ، من خلال كلامه ، يؤكد مدى قوته للعدو الماثل أمامه ، فيتلاشى هذا العدو (٩٣) · وبصوته ، الذى يشبه غالبا قصف الرعود ، يستطيع أن يروض الأكثر خطورة والأكثر تمردا ، كمثل البحر فى حالة هياجه ·

ولا تسمى الكتابة الهيروغليفية سوى باسم « الكتابة المقدسة » - ويعمل ذلك على تحديد وضعها ، فالمكتوب لا يمكن أن يستقل عن الكلمة ، حيث انه يعتبر بمثابة أحد استنساخاتها (٩٤) ·

ان الكتابة ليست سوى تجسيد ، « واعلام » للعالم · وبواسطتها ، تستطيع الآلهة أن تكون المحفوظات الخاصة بالأحداث المهمة ، فعلى سبيل المثال، سجل بكل عناية(٩٥)، كل ما يتعلق بالنزاع بين حورس وست · ولهذا السبب ، لا يمكن أن يوجد ، فى عالم الآلهة آية كتابات خيالية · فان نفس علامات الكتابة ، تعد «بصمات» لكل ما يتضمنه الخلق· فكل كائن من الكائنات ، وكل شيء من الأشياء ، قد استخدم كعلامات للكتابة · وتعتبر الكتابات الالهية ، مهما تنوعت ، بمثابة « انبعاثات من رع » ، وكاجابات تنم عن ارادة رب الأرباب (٩٦) · ان وضع قائمة بالعلامات ، هو بمثابة قائمة بما خلق · وربما وضع تحوت بيانا بهذه البصمات وكان يستطيع أن يحصيها (٩٧) · وهو هنا أيضا يعتبر بمثابة الوسيط ، الذى يعرف القراءة ، أى الذى يمكنه أن « يحول الكتابة الى كلمات » (٩٨) ، وبالتالى يرجعها الى أصلها ، الى قوتها الأولى· وبذا فهو يعمل على تقليل التعارض

بين كلمة « رخ » وكلمة « سيا » ، ولكنه يعمل أيضا على ضمان تناقلها ٠

حقيقة ، ان الكتابة فى نطاق الآلهة غير محصورة ، ولكنها محددة نسبيا ٠ فالقليل منها يكتب بالفعل ، فعلى ما يبدو تعرف « نيت » كيف تتصرف بمفردها من أجل كتابة مراسلاتها (٩٩) ٠ ولها سطوة هائلة على المراسلات ، لانها تستطيع أن تسترد الكتاب الذى يحمله مراسلوها ، من أجل مساعدة المتوفى ولتجنب ادانته (١٠٠) ٠ ولا شك أن أوزيريس ، وقد انعزل فى العالم الآخر ، لديه كتبته الخاصون (١٠١) ٠ أما ايزيس ، التى عرف عنها علمها الرهيب ، فهى قديرة على كتابة كتاب كامل من أجل راحة أخيها ورفاهيته(١٠٢)٠ وهكذا الحال أيضا بالنسبة لابنها، الذى ورث العديد من الأسرار عن أمه (١٠٣) ٠ عموما ، يبدو أن القراءة والكتابة ليستا ضمن الاهتمامات الالهية الدارجة ٠ فهذه الأعمال قد تعتبر كلية من اختصاص تحوت لأسباب غير واضحة حاليا ٠ وضمن كافة وسائل الاتصال والاعلام التى تستعين بها الآلهة ، لا يحتل المكتوب سوى مكان ثانوى ، أو ربما يعتبر بمثابة حشو ٠ وبذا ، فخلال المحاكمة التى تخاصم فيها حورس وست ، وجه ملك الآلهة رسالة الى هيئة المحكمة من أجل أن يحثها على سرعة اتخاذ قرارها ، بل وتدخل فى نفس الوقت فى المناقشات بنطقه ببعض الكلمات ، بالرغم من أنه على ما يبدو لم يغادر مقره المعهود (١٠٤) ٠

وتبين بعض التقاليد المجهولة الى حد ما أن اليوم العشرين بأول أشهر السنة، يخصص من أجل أن تتبادل الآلهة

بعض الرسائل (١٠٥) • ووفقا للنص الذى ذكر به هـذا الحدث ، كان هذا التبادل للرسائل يرتبط بالذهاب والاياب ما بين الحياة والموت • وكان المكان الذى تتم فيه هـذه الكتابات يسمى « بيت الحياة » ، وهناك أيضا على ما يعتقد كان يعيش حورس المكلف خاصة بقتل الأعداء الكونيين (١٠٦) • ويبدو المكتوب هنا مرتبطا ارتباطا وثيقا بشعائر أوزيريس وبعثه •

مجـرد آلهـة

اذا لم تكن الآلهة فى حالة شجار مستمر ، فهى تبدو معدومة النشاط ، وربما قد يتساءل المرء : بأى شىء يستفاد منها اذن ؟• ولا شك أن زيارتنا الطويلة الأمد فى اطار كل هذا الاضطراب ، قد جعلتنا بالرغم من ذلك نتخيل أن هذه المعارك ، وتلك الانتصارات وهذه الهزائم ترسم تماما خطوط الوظائف الأساسية التى تقوم بها الكائنات الالهية • ان كلا منهـا يتمتع بنبوغ لا يستهان به عامة • انه يتطابق بنمط من الكفاءة النوعية ، ويعكس بشكل أو بآخر الدور الذى يقوم به كل منها فى اطار الطائفة الالهية (١٠٧) • ولقد أشير لهذا الدور ، باعتباره شيئا مستترا جدا ويصعب معرفته شأنه كشأن اسم الاله نفسه (١٠٨) • وبذا ، فان هذه الكفاءة الخاصة تتطابق بعدم كفاءة الآلهة الأخرى ، التى تستطيع عادة أداء نشاط آخر غير نشاطها هى فقط •

ويقوم رب الأرباب بالدفاع عن مخلوقاته ، وبهذا فهو يحاول بشكل أو بآخر حسم النزاعات • وبجواره ، يوجد تحوت المعاون الوفى، والرابط فيما بين القرارات والوسيط

فى مجـال المعارف ، ويقوم ست ، عنيف الطبـاع باثارة الرعد والتقلبات الجوية والسيطرة عليها فى نفس الوقت . اما خنوم ، الفخرانى ، فوظيفته هى صنع الكائنات . ولقد خلعت على بعض الأشكال الالهية بعض الكفاءات الخاصـة ، فان الكباش ، وخاصية كبش مندس ، تتمتع بقوى تنبئيـة وتعتبر تصريحاتها بمثابة أوامر تفرض على الجميع(١٠٩) . ولقد أصبح حورس طبيبا بسبب أوجاعه العديدة خلال فترة طفولته (١١٠) ، بل وأيضا بفضل العلم الذى نقلته اليـه أمه . وهكذا أصبح حورس الصقر هو « المنقذ » ، هـذا المظهر الخاص الذى أوجده تحوت (١١١) . وكما يلاحظ ، نان هذه الأنشطة تعمل عـلى استمرار مسـيرة العالم . أما الأعمال اليدوية بكل معنى الكلمة ، فعادة لا تقوم بها الآلهة أنفسها . وهناك بعض الأدوات التى تعد بالفعل بمثـابة انعكاس لعناصر الهية ، ولا يستلزم الأمر أن تخلق(١١٢) . والصناعة اليدوية ليست واسعة الانتشار ويقوم بتاح ، رب الصناع اليدويين ، بفضل ما عرف عنه من كفاءة ، بمهمـة الأعمال اللازمة (١١٣) . ومع ذلك ، فلا يحتمـل انه كان يقوم هو بنفسه بالعمل . فالأعمال البسيطة كانت توكل عادة الى بعض صغار الآلهة ، مثل ابنـة أوزيريس المغمورة التى تصب قوالب القرميد ، من أجل متطلبات مقبرته بدون أدنى شك (١١٤) . وعندما يقوم بعض الآلهة الأعلى منزلة بهذه الأعمال البسيطة ، تكون ذات سمة ثانوية ، ويبررها عادة أحد الأحداث المثيولوجية التى تمت خلالها تلك الأعمال لأول مرة . فقد عرف أن حورس قد قام ببناء سفينة بناء عـلى تحد من ست . وعلى ما يبدو ، كان هذا الابحار الدائم من جانبه لمطاردة الأعداء والذى كان يتطلب منه العمل بسرعة

فى بناء السفن (١١٥) • ولقد قامت كل من ايزيس ونفتيس بأعمال الغزل والنسج (١١٦) من آجل متطلبات تحنيط أوزيريس . ولكن أيضا ، وعلى ما يبدو ، من آجل صناعة الضمادات اللازمة لمختلف الأمراض التى أصيب بها حورس الصغير (١١٧) • وكان هذا العمل بالنسبة لايزيس يعد بمثابة مهنة فعلية ، لها مواعيدها الخاصة (١١٨) • ولقد استحوذ عليها هذا العمل تماما لدرجة أنها لم تسمع صرخات ابنها حين لدغه عقرب • ويبدو آن ست قد ارغم هاتين الربتين على ذلك (١١٩) وبذا ، فمن اجل آن يحررهما من هذا العمل الثانوى ، قام تحوت بالتفاوض مع نيت لكى تحل النساجات العاملات لديها مكانهما فى ذلك (١٢٠) •

وبصفة عامة ، لا يمكن آن نقول سوى ان شخصية الآلهة المصرية ، لا تحدد الا من خلال بعض العناصر الوظيفية • فلا يوجد سوى القليل من السمات التى قد تبين عن طباع محددة ، ويستثنى من ذلك ست فقط • انه بالفعل يبدو كاله « مفرط » ، ويضفى عليه ذلك بعض السمات التى لا يتصف بها قرناؤه الذين عرف عنهم آنهم ، كاملو الصفات • انه عنيف ، ومشاكس ، ومكير ، بل هو أيضا شجاع وضحية يرثى لها لعواطفه وآهوائه • أما بالنسبة للآخرين فمن الممكن ، بعد التفحص الدقيق للنصوص ، أن تتبين بعض صفاتهم غير الواضحة دائما ، عند الوهلة الأولى • فان تحوت على سبيل المثال يبدو عاقلا ولكنه ممل ، بل هو غريب الشأن، متفاخر ، ومختال الى حد ما كذلك • آما رع ، الاله الأعلى ، فيبدو أحيانا متراخيا ومترددا تتنازعه الآراء المتباينة من جانب الآلهة المكونة لحاشيته، بل ويخضع لها أحيانا رغم أنفه•

واحيانا أخرى يتصف على العكس بالعناد والوسوسة ، فيلجأ للخداع من أجل أن يفرض وجهة نظر يعرف مسبقا أنها خطأ • وعن ايزيس ، فهي أم وأرملة ملتاعة ، قد تتمادى أحيانا فى ذلك أكثر من اللازم وتستغل وضعها من اجل الاستحواذ على اهتمام أقرانها • انها تتسم برباطة الجاش والاستعلاء • ولا تهتم بأية ذمة من أجل الوصول الى أهدافها، ولكنها ، في ذلك ، تتشابه تماما مع أقرانها • وهى تبين عن وفاء لا حدود له ، ولا تشوبه شائبة ازاء زوجها المتوفى ، وحب صادق ، ولكنها تغالى فى اتباع الخطط . من أجل طفلها الصغير • وبالنسبة لأوزيريس ، فهو يبدو باهت الشخصية، ذا نزعة نرجسية ، بل هو أنانى بالفعل • فان أهمية كيانه المادى وسلطته ، وامتيازاته هى بمثابة مشاغله الأساسية • ولا مكان لزوجته فى أفكاره • وابنه لا وجود له أمامه الا من أجل أن يجعله منتصرا فى العالم الآخر ، ومحققا له خلود سيطرته فى هذا العالم • وعن «نيمتى» ، فهو جشع وربما يتسم بالبلاهة • اذن ، فهناك بعض الشخصيات القليلة التى تبرز ضمن المجموعة كلها ، انها بمثابة نماذج أصلية ، وكان الأمر يتعلق بأدوار محددة باحدى التراجيديات الكوميدية العالمية ، حيث يبدو الممثلون الأساسيون فى هيئة خيالات •

انهم أرباب ذوو نفوذ لا نهائى تقريبا ، ومع ذلك فهم يتصارعون فيما بينهم من أجل البحث عن وضع ما • وتنطبع الأخطاء والذنوب التى يرتكبونها فى اطار خلق ، ينزلق وفقا لمنحدر قدر لا يسيطرون عليه بالفعل . فيهيئون الفرصة فى نهاية الأمر للبشر بأن يتقلدوا معهم مسئولية العالم ، وهم بذلك يستحقون احترامنا •

الجزء الثانى

الآلهة ووسيط البشر

جهاز يدعى « العالم »

والاله الشامل

خلق رب الأرباب الشمسى ، على مراحل ، عالما مقفلا تحركه آلية محددة خاضعة تماما لخدمته . وتقدم احدى الترنيمات ، ضمن العديد غيرها ، وصفا نظريا لما يقوم به من نشاط ولنفوذه فى هذا المجال : « سلام عليك ، يا رع ، عند شروقك ، ويا آتوم عند غروبك . انك تشرق كل يوم، وتتألق كل يوم ، وتبدو عظيما ، يا ملك الآلهة أنت رب السماء ورب الأرض ، الذى خلق الكائنات فى السماء والكائنات على الأرض . أنت الاله الأوحد الذى خلق لأول مرة ، الذى أوجد البلاد وخلق البشر ، والذى أوجد (نون) وخلق النيل ، الذى أوجد المياه وأحيا كل ما يعيش بها ، الذى شيد الجبال ، وخلق البشر والقطعان .. أنت الفتى الالهى الفيضى ، وريث الأبدية ، الذى انبثق وتولد من نفسه ، الواحد ذو الأشكال المديدة » (١) . وتعتبر هذه الخاصية الشمسية ، التى خلعت على رع هنا ، بمثابة السمة البارزة لدى جميع ملوك الأرباب المصريين . ويساعد نفس تقسيم أراضى مصر ، المكون من عدة أقاليم ــ حيث يوجد فى كل عاصمة معبدها وربها الرئيسى ــ على تخيل شخصية رب

الأرباب في مظاهر محلية مختلفة · وتبعا لسماتها الخاصة ، يلاحظ أن التقاليد الاقليمية قد قدمت روايات مختلفة وعديدة للنص الخاص بسفر التكوين (٢) · ولا تعرف تفاصيل هذه الروايات المختلفة معرفة متساوية ، ولكنها تجمع جميعا على ادماج الشخصية الشمسية فى سياقها ، والتى تقوم ، وفقا للظروف ، بالتمهيد ، أو بالاعداد لعملية الخلق أو باتمامها باطلاق الضوء عليها ·

جسد امرأة أو الفضاء السماوى

لقد تجسدت السماء ، سواء ما يستطيع أن يراه منها البشر أو الذى يختفى منها عن أنظارهم ، فى هيئة جسد امرأة (٣) · ولقد احتلت مكانها فى الأعالى خلال المرحلة الأخيرة لعملية الخلق · هذا الجسد ، وهو جسد الالهة نوت، يقوم بتحديد المجال الذى يقطعه رع يوميا · انه يسمح بوضع الميكانيكية الكونية بأكملها ، ويحدد اطار العالم المنظم الذى يندمج بداخله اندماجا مباشرا وماديا ، ولا يشكل جسم نوت وما يحدده كل الفضاء القائم · ففيما وراءه ، توجد مناطق لا يصل اليها كوكب الشمس مطلقا · فلا أحد من الآلهة الأخرى يعرفها ، هذه المناطق الخارجية ، غارقة دائما فى ظلام دامس ، لأنه لا يشرق بها وهى التى تعد بمثابة الملجأ النهائى للخالق : سوف يرجع اليها عند نهاية العالم ، كما علمنا فى الجزء الأول (٤) · لقد حصرت الشمس فى هذا الكون الذى يحدد أيضا كل تحركاتها ، وهى تقوم بانعاش العناصر التى تكون هذا الكون · والمظهر الذى بدت عليه الخليقة الأولى مازال غامضا « ومبهما » ، فان الأرض « جب » ، والسماء « نوت » ترجعان الى الخليقة

الثالثة ، فان شو وتفنوت ، اين وابنة رب الأرباب ، هما اللذان أنجباهما - اذن ، فهناك فترة وسيطةلم يكن تشكل الخلق خلالها ، قد بدا واضحا تماما ، أنها الفترة التى لم يكن القرص قد استقر خلالها فى السماء » ولكن كانت رأس الاله الشمسى ابانها ، قد بلغت أفق السماء القاصية (٥) ٠ وتضيف بعض النصوص الى ذلك مبينة ، أن رب الأرباب قد أنجب شو لكى « يرى ما خلقه » (٦) ٠ اذن فقد كان هناك فراغ فضائي غير محدد تماما هو الذى سبق رفع السماء في نهاية عملية الخلق ٠ وعند انتهاء اتمام عملية الخلق هذه ، وكما تقول بعض الروايات ، عاش العالم « عصره الذهبى » (٧) ٠ « فقد تألقت الأرض بالازدهار ، وامتلأت البطون ، ولم يكن هناك أى أثر للقحط ، ولم تكن الجدران تتساقط ، ولم تكن الأشواك تؤلم فى عصر الآلهة الأولى ٠ ولم يكن هناك أى أثر للفساد فوق الأرض ، ولم يكن التمساح ينقض على فريسته ، ولا الثعبان يلدغ»(٨)٠ وخلال هذا العصر الأولى ، « حينما كان التاسوع لا يزال فى سطوته الأولى والاضطراب لم يوجد بعد » (٩) ، أصبح رب الأرباب مسنا ، وقرر ، بعد الأحداث التى أشير اليها آنفا ، أن يبتعد عن البشر ويستقر فى السماء ٠ وبأمر منه ، قام شو بتفريق الأرض عن السماء وأصبح بمثابة السند الهوائى لابنته نوت ٠ ومنذ ذاك الحين ، أصبح يحتل ، المكان القائم بين هذين العنصرين ، وبالتالى سمح بانتشار الضوء الشمسى (١٠) ٠ لقد جعل شو السماء والأرض بعيدتين عن بعضهما على الدوام ، وبالتالى سمح بوجود مجال مميز وخاص بأبيه ٠ حقيقة ، ان رع قد ابتعد عن البشر بعد

ثورتهم ، ولكنه بالرغم من ذلك لم يحرمهم من ضوئه • فهو يتلألأ خلال النهار ولكنه في المساء ، يصاب بالوهن ويختفى من أجل أن يبعث من جديد ويولد في اليوم التالى موفور القوة كما كان في البارحة • ان اله الشمس عندما حدد الأدوار لكل من أبنائه في الفضاء ، من خلال عملية متجددة ، قام أيضا بوضع زمن دورى، يسمح له بالافلات من الشيخوخة الدائمة ويوفر له الخلود •

وقد عمل هذا التنظيم الكونى الى الأبد ، على تحديد الايقاعات اليومية والسنوية والتحركات النهارية والليلية للشمس • لقد عمل على تنظيم عام مقسم الى ثلاثة فصول ، يتكون كل فصل منها من أربعة أشهر ، تكون جميعها اثنى عشر شهرا • ويتكون كل شهر من ثلاثين يوما • فتتكون السنة من ثلاثمائة وستين يوما ، كل يوم منها يتكون من أربع وعشرين ساعة • ومع ذلك، فقداستبعد هذا العام المكون من ثلاثمائة وستين يوما خمسة أيام بعيدا عن التوازن الكامل للأعداد • وكما هو الحال بالنسبة للفضاء ، يوجد بالنسبة للزمن ما هو بالداخل ومنظم وما هو بالخارج وفوضوى • وتقول الروايات، أن هذه الأيام التى نبذت من السنة الحقيقية كانت تعتبر بمثابة الأيام التى ولد بها أولاد نوت الخمسة • ولقد عمل التفريق ما بين السماء والأرض على منع جب ونوت من الانجاب • ولكن كما علمنا ، استطاعت نوت بفضل بعض الدهاء من جانب تحوت أن تلد الأطفال التى كانت تحملهم (١١) • ولكونهم ولدوا خارج نطاق النموذج الكامل ، فقد اعتبروا بمثابة دخلاء ووصفوا فى أغلب الأحيان بأنهم أبناء الفوضى (أيام النسىء الخمسة) ، وهم يستحقون

عن جدارة مثل هذا الاسم بسبب معـاركهم والعـوائق التى يسببونها فى نطاق الزمن • انهم من ناحية الأب ، ينتمون الى الأرض ، ولقد تكونت حياتهم حـول أوزيريس ، ليس تبعا لايقاع الدورة الشـمسية فحسب ، ولـكن أيضا تبعا للدورة القمرية (١٢) •

وسواء فى النهار أو فى الليل ، فان الفضاء شىء يدعو البشر الى التأمل • وعمـوما ، فان كل ما يسـتطيع أن يراه هؤلاء البشر يجعلهم يتخيلون كل ما خفى عنهم • فالكواكب مهما تنوعت ، ومهما اختلفت لحظة التأمل فيها ، فهى عبارة عن أشـكال مضـيئة ضـمن مجموعة أكثر اتسـاعا ظلت غامضة • وكلما زادت قوة الضوء وتركيزه ، كما هو الحال بالنسبة لضوء الشمس ، زاد ما يخبئه أو أعاق الرؤية • ان البشر ، كما سوف نرى ، يتلقون كل شىء من السـماء نهارا ، ولكنهم يتعلمون كل شىء منها ليلا • فالشمس تتضمن العلوم الخاصة بكافة المجالات التى تمر بها ، ولكنها توكل الى اله القمر بالفضاء الليلى بالمعرفة •

الرحلة النهارية لكوكب الشمس

تمتد القبة السماوية ، نوت ، من الغرب الى الشرق ، ويتجه رأسها جهة الغرب ، ونصفها الأسفل وساقاها جهـة الشرق ، ولكى يسمح جسدها باعطاء صورة أكثر تلاحما لادراك العالم ، ومن أجل أن تدمج به الجهـات الأصـلية الأربع ، حددت بعض النصوص مكان رأس نوت جهة الشمال الغربى ، ونصفها الأسفل جهة الجنوب الشرقى(١٣)• اذن، فان رع يولد من الجهة الجنوبية الشرقية بالسماء • ويلاحظ

أن الجسد النهارى لنوت ، فى الأشكال الممثلة فى بعض المقابر الملكية ، يزين بتفاصيل تتباين وفقا لهوى الرسامين(١٤)· ففى مقبرة رمسيس السادس ، على سبيل المثال ، يشاهد صفان من النجوم السوداء وهى تحيط بصف مكون من اثنى عشر قرصا أحمر (١٥) ، التى ربما تصور المراحل الاثنتى عشرة للشمس ، أو الاثنتى عشرة ساعة النهارية · ويدل الجسم المستطيل الى ما لا نهاية على الطول الممتد لرحلة مركب رع· وناحية الشرق ، يرتكز طرفا قدميها فوق الأرض، التى صورت على هيئة خط أصفر ، فى حين أن أطراف أصابعها تلمس أرض الغرب · وفيما بين القبة والأرض ، ينساب نهر مستطيل الشكل · وعلى جانبيه تمتد العديد من المراكب الممثلة لساعات النهار · لقد تيقن المصرى القديم بأن بيئته الطبيعية الخاصة تعكس الارادة الالهية ، وبذا كان من الطبيعى أن يعتقد أن خالقه يتنقل فوق مجال مائى يتشابه مع المجال المائى الذى يشاهده على الأرض · وهذا النهر الذى تبتلعه نوت، نشأ من خلال سلسلة من القنوات الغامضة ، القائمة عند مستوى رحمها (١٦) · وفى هذا المكان تتقابل معا كل من مركب الليل ومركب النهار، لكى تسمحا للاله بأن ينتقل من الواحدة الى الأخرى · ولا شك أن هناك روايات مختلفة تتعلق بهذا الطريق الذى تسلكه الشمس ، ووفقا لاختلاف الفصول ، يتباين طول الرحلة النهارية والرحلة الليلية (١٧) · ان الشهر الثالث والشهر التاسع من العام المصرى ، حيث يتم التعادل الخريفى والربيعى ، هما ، فقط وبدون شك ، الشهران اللذان تكون فيهما هذه الرحلات متعادلة·· وعلى طول الضفة الجنوبية ، يقوم بعض الأرباب

قليلو الشأن أو الجان مجهولة الشخصية غالبا بتكوين ما يشبه السياج بجوار مسيرة الشمس ، ولا ريب ، أن كلا منهم له مهمته المحددة تماما ، ولكن القليل منهم يعرف وظيفته بالضبط • فهناك حاملو القرابين والأرباب المدججون بالخناجر . والحراب ، وهناك أيضا المجدفون أو ساحبو المركب (١٨) •

وتذكر لنا أكثر الروايات اكتمالا عن هذه الرحلة ، سواء بالنسبة للمناظر أم للنصوص ، وجود سبع مراكب على صفحة السماء النهارية ، لا شك أن مواقعها تحدد المراحل الأساسية للرحلة• وبداية من أولى ساعات اليوم الاول، يستهل الاله ابحاره ويتجلى أمام سكان الأفق « من أجل بقاء البشر على قيد الحياة ، بل وكل القطعان، وجميع الديدان، و (كل) ما خلقه هو » ، واذا كان البشر ، يستطيعون أن يلمحوا أول أضوائه ، فهم لم يروه بعد وهو ينبثق ، وعندئذ يستقبله ويبجله هؤلاء الذين يعيشون « فوق أرض الأفق » (١٩) هذه ، من قرود صاخبة ومخلوقات أسطورية • ويتم سحب المركب الأولى بواسطة ستة أرباب ذوى رؤوس كباش أو على هيئة بشر • وبفضلهم ، استطاعت المركب تدريجيا أن تغادر مرفأها ، في وسطها ، يبدو اله الشمس ذو رأس الصقر بداخل ناووسه مفتوح الأبواب ، وعند المؤخرة ، يبدو الاله « سيا » ، الممثل للعلم المتكامل ، وهو يهب اسمه الى المجدفين عند الدفة ، وخلف الناووس ، بدا الاله « حو » ، الممثل لانبثاق الصوت الخلاق ، يتخذ شكل احدى العلامات الهيروغليفية التى ترمز الى حاشية الاله ، بل وأيضا الى مقدرته على منح الحياة والموت• وأمام الناووس، نلمح الاله

« حكا » الذى يجسد المعرفة الشخصية لدى الاله · ويعتبر كل من سيا ، وحو ، وحكا بمثابة المرافقين المعتادين لرب الأرباب ، اى التجسيد لقواه الخلاقة الأساسية (٢٠) · انهم ، بوجودهم يبشرون بان كل مطلع شمس هو بمثابة خلق للعالم (٢١) . وعند مقدمة المركب ، يبدو الاله جب وهو يقوم بدور النوتى ، الذى يقوم بسبر غور المياه لتلافى ظاهرة تجوف الأعماق · وتجدر الملاحظة هنا أنه هو رب الأرض وانه يعرف كافة المجرات المتعرجة ، حتى اذا كانت كامنة تحت الماء · وخلفه ، وفيما بين تمثالين لحورس ، تبدو « ربة المركب » ، التى يبين تاجها ، انها ليست سوى احدى مظاهر حتحور ، ابنة رب الأرباب ·

ويكون نفس الأرباب طاقم المركب الثانية ، ولكن مع بعض التغيير فى مظهرهم الخارجى · ولم يعد هناك آثر لساحبى المركب · وعند مقدمة المركب تشاهد ربة جديدة تسمى « تلك التى ترفع » (٢٢) ، وقد مدت ذراعهما الى الأمام ، وتطلق تعازيمها التى تسمح الآن للمركب بالارتفاع الى السماء · وتتقدمها أربع حيات لتكون ما يشبه الحائل الواقى فيما بين المركب، ويبين المنظر الذى يمثل قتل الثعبان أبوبيس التالى مباشرة · فان هذا الوحش المنبثق من مياه الخواء ، ينساب فى مياه النهر ويحاول اعاقة جولة الشمس· ويقوم اثنان من الجان برشقه بحرابهما ، فى حين يعمل ثالث لهما على تقطيعه اربا · ويشترك الفرعون المتوفى ، رمسيس السادس نفسه ، فى هذا المشهد · وعند المركب الثالثة ، ها نحن نقترب من الساعة السادسة نهارا ، من السمت ، أى عندما تصطدم الآلهة ثانيا بالشيطان آبوبيس ، الذى

يبدأ بشرب مياه النهر السمائى، لكى تصبح المركب على القاع الرملى الجاف (٢٣) • ونجد نفس الأبطال الذين شوهدوا منذ لحظات وهم يعاودون هجومهم ، وبقوة ضرباتهم ، جعلوا الوحش يرجع من فمه المياه التى كان قد ابتلعها • وعاود الابحار مسيرته فى هدوء • وعند المركب الخامسة يتغير المشهد الطبيعى ، فقد وصل رع الى حقول «سوختس» ، وهى منطقة غامضة بالسماء القريبة اشتهرت بزراعاتها السحرية (٢٤) • فالحبوب التى تنبت بها تبلغ حجما هائلا، قد يتراوح طولها ما بين مترين ونصف الى ثلاثة أمتار ونصف وبأشواك لا يقل طولها عن متر كامل (٢٥) • ونرى هنا مدنا ذات جدران من البرونز ، تحمل احداها اسم مدينة رع • ويتم عبور هذا المجال فى الساعة التاسعة •• ويقف بعض الأرباب والربات فى هذا المكان انتظارا لاله الشمس • ويشاهد ضمنهم أوزيريس ، والدب الكبير فى هيئة مومياوات (٢٦) ، ويبدو مدخل العالم الآخر قريبا وقد سارعت العديد من الكائنات مع من يهللون للشمس عند رحيلها • وفى نفس هذا المكان أيضا ، يقبل الموتى سعداء الحظ ، كما سنرى ، بعد العديد من التجارب(٢٧)• والى ما وراء هذه المنطقة ، تتابع مركب الشمس ابحارها فى هدوء نحو الغرب أو بالأحرى نحو الشمال الغربى ، وفى الساعة الحادية عشرة والثانية عشرة ، تتقابل مع أرواح الشمال ، انهم قادرون على دحر عواصف السماء ، ولكنهم يحدثون أيضا الرياح المواتية للدخول الى الميناء ، وهم يتكفلون ، فوق المركب نفسها ، بالمهام الدقيقة الخاصة بالملاحة وذلك بتشغيل الحبال الأمامية والخلفية بالمركب الشمسية • وعند

مستوى فم نوت ، يمتد اتساع مجرى النهر فى حين يستعد القرص الشمسى للدخول فيه • انها أخيرا الساعة الثانية عشرة ، أى كما قيل لنا ، الساعة التى يتوجه فيها رب الأرباب للراحة وهو على قيد الحياة فى الغرب •

الجولة الليلية للشمس

لقد اختفت الشمس اذن بداخل فم نوت وبدأت رحلتها بداخل جسمها ، الذى يمثل المجال الليلى • وعلى طول المسافة تقوم بجرها النجوم الجو / قطبية ، المسماة ب « اللاتى لا يعرفن التعب » • فهن لا يختفين مطلقا خلال الليل وعلى ما يتبين ، لا يبدو المشهد فوق سطح نهر ولكن فوق طبقة رملية لا تستطيع المركب أن تتحرك فوقها بدون مساعدة • ويتم اجتياز هذا المكان أيضا ، خلال اثنتى عشرة ساعة • ويمثل الطريق الذى يتم اجتيازه كل ساعة ، مرحلة ، يحددها باب يجب عبوره • وفى الواقع ، ان الرحلة داخل جسم نوت لا تبدأ فعليا الا عند الساعة الثالثة من الليل (٢٨) • وباعتبار أن الشمس تتطابق مع جسم الالهة ، فانها تبدأ رحلتها الليلية بالتحرك على طول ذراعيها (٢٩) • وهذه هى اللحظة التى تتراءى فيها أضواء الشفق النهائية ، ولقد بينت احدى الروايات المتأخرة أن هناك تمادلا دقيقا فيما بين أجزاء جسم نوت وبين الساعات • فعلى سبيل المثال ، تمثل شفتاها الساعة الثانية ، وأسنانها الساعة الثالثة ، ويتم اجتياز الصدر والجزء الأعلى خلال الساعة الرابعة والخامسة ، وعند الساعة العاشرة ، يصل الكوكب فى نهاية الأمر الى

المهبل حيث يولد من جديد . وتمثل قمة فخذى الربة الأفق الشرقى (٣٠) .

وخلال هذه الرحلة ، وعلى عكس ما يحدث خلال النهار، لا نجد أى تغيير في عدد أو طبيعة المسافرين على مركب الشمس والمرافقين لها . ويبدو الناووس ، وهو لا يزال قائما في وسط المركب، وقد أحاطت به تعاريج جسم الثعبان « محن » ، أحد أقرباء الأوروبوس (الثعبان الذى يضع ذيله فى فمه) المقربين ويرمز الى مدة الحمل التى تمر بها الشمس من أجل أن تولد من جديد . ويتراءى رب الأرباب فى نفس شكله دون أى تغير ، فى مظهره كرجل له رأس كبش ، تعبيرا عن بعثه الذى يتم(٣١) . وفى كل مركب من المراكب الاثنتى عشرة تبدو الالهة ممات ، فى مواجهته ، وهى تقدم علامة الحياة من أجل أن يتمكن من استنشاقها طوال الرحلة . وفوق سطح المركب ، وأمام الناووس وخلفه ، يبدو كل من « حو وسيا» فقط ، وقد أحاطا بالاله . وبدا «سيا» وهو يوجه حبل الجر نحو ساحبى المركب حتى لا تنحرف عن طريقها ، وبذلك يتقدم فى حرص . وأضيئت المشاعل ، سواء من أجل إنارة الطريق أم من أجل ابعاد القوى المعادية . ويحيط بعض المردة المدججين بالسكاكين بالموجودين من أجل التصدى لأى احتمالات سيئة . وكان هناك دائما بعض المرشدين، حتى لا تضل المركب طريقها . وبدت الرحلة وهى تسير على خط مستقيم ، ولم ينعطف الاله الشمسى فى سيره الا فى الساعة السابعة ، ليتوقف أمام الباب المؤدى الى مناطق « نارف » ، وهى احدى جبانات أوزيريس ، ولكنه لم يدخلها (٣٢) . ويبدو الشمس هنا فى أقصى درجات ضعفها ، وخاضعة دائما

للمراقبة والحماية ، وتحيط بها كافة الضمانات المنعشة ، ومع ذلك ومما يثير الدهشة ، ان الشمس قد بدا شكلها خلال هذه الرحلة ساكنا تماما ، فان مدة الحمل التى تمر بها لم تصور ولم يشر اليها مباشرة • انها تتم بشكل خفى بداخل جسم الالهة وتبدو صور الرحلة مكررة بشكل واضح ، ولا تشير الى ما يحدث فى الجحيم من هول وعذاب الا بشكل مختصر تماما• وعموما ، فان كل هذه الرحلة تختلف عن تلك التى تقوم بها الشمس فى العالم السفلى ، والتى سوف نتناولها فيما بعد ، وخلالها تتوالى فى اطار خلفية صاخبة ، عملية اعادة تكوين الاله ، الذى شبه جسده بجسد أوزيريس وقد فصلت أجزاؤه (٣٣) •

السماء نوت

فى نفس الوقت الذى تتابع فيه الشمس جولتها بداخل جسم نوت ، يشاهد ، بالخارج ، بزوغ القمر ، والنجوم ، والكواكب • وباستثناء القمر ، تتبع جميعها الطريق الذى تحدده الشمس النهارية ، فتظهر عندما تغرب وتغيب عندما تشرق • ومن المعتقد ، أن اختفاءها يرجع الى نهم نوت التى كانت تبتلعها لحظة انطفائها عند مشرق النهار • وحالما تختفى النجوم ، فانها تقوم بدورها برحلة داخل جسم الالهة من أجل أن تولد من جديد فى الصباح شرقا (٣٤) ، وفى فترة اختفائها تحت الأفق ثم ظهورها ثانيا ، يقوم البعض منها بتقسيم المجال السمائى الى ستة وثلاثين قطاعا ويكون حزاما حول الكون ، الذى يفترض أن الشمس تجتازه خلال عام • وخلال القطاعات الستة والثلاثين فى السماء التى

يجتازها رع يضم ، طوال ستة أيام ، أحد الأرباب ، أو أحد مظاهره ٠

وخلال هذه الرحلة السنوية أيضا يحضر أبناء اله الكون، من أجل أن ينمشوا ، مختلف القطاعات ويسجلوا بأحداث معينة حياة الاله والبشر اليومية ، وبذا ، فان أبناء جب ونوت ، أى أبناء الأرض، يشغلون هم أيضا مكانا بالسماء ٠ فهم يستطيعون أن يكونوا فى آن واحد بمثابة كواكب لها تحركاتها الخاصة فى السماء ، أو بمثابة نجوم ثابتة فى مواقعها ٠ انهم يستغلون هذه الأجسام السماوية بوظائف نوعية متباينة ٠ فبداخل المريخ وعطارد وزحل تتجلى العديد من مظاهر حورس ٠ ويتطابق كوكب فينوس مع رع أو أوزيريس عندما يكون فى هيئة نجمة الصباح ٠ ويعلن عن مولد أوزيريس من خلال الشمس المشرقة أو فى هيئة نجمة المساء ، ليستقبل الشمس الغاربة وهى على وشك التحول الى أوزيريس ٠ وكذلك تتضمن مجموعة النجوم أوريون ، وأوزيريس المتوفى ، وترتبط ارتباطا وثيقا بايزيس سيريوس (٣٥) التى تصاحبه ٠ وتقوم هذه المجموعة من النجوم بدورها فى نطاق حياة البشر حيث يتعلق وجودها بفيضان النيل ٠ وينبىء ظهورها عن قرب وصول هذا الفيضان ويحدد فى نفس الوقت أول العام الجديد ٠ « انها سيريوس (نجمة الشعرى اليمانية) ٠٠ التى تجهز خضراواتك من (أجلك) لهذا العام (٣٦) » ٠ أما بالنسبة للاله « ست » ، فبالرغم من أنه يمثل بالكوكب (٣٧) عطارد ، فهو يتجلى خاصة وبشكل دائم من خلال مجموعة الدب الكبير ، وترتبط مجموعة نجوم الدب الكبير ، ارتباطا أبديا بالنجم القطبى ،

الذى يعتقد أنه قد ربط بأحد الأوتاد ، وبالتالى لا تستطيع أن تتوارى فى الأفق ، انها ترمز الى عدم مقدرة عدو أوزيريس على الانطلاق الى العالم الآخر لمتابعة مساوئه والاضرار ثانيا بأخيه . ولا تشغل نفتيس على ما يبدو سوى مكان ضئيل (٣٨) ، ومع ذلك ، فهى تعتبر مع اخوتها وأخواتها وبعض الآلهة الأخرى الأقل شهرة ، بمثابة الهة قاعدة القمر (★) ، أى أحد الأيام الأحد عشر الكبيسة المضافة الناجمة من التغيير ما بين السنة القمرية والسنة المعتادة ، ويتضمن ، مثله كبقية أمثاله بعض الاضطرابات الزمنية (٣٩) . وفى السماء ، ومن خلال النجوم التى تنتقل من مكان الى آخر ، يتابع أبناء نوت صراعاتهم .

وكان غياب الشمس ، ليلا ، يترك البشر فى ظلام دامس . ولم يكن ضوء النجوم ، الباهت ، يكفى لابعاد هذا الظلام الدامس حيث تكمن الكثير من المخاطر . وبذا ، فقد عمل رب الأرباب على أن يتخذ القمر مكانا فى السماء الليلية من أجل أن يشع عليهم بوميض الضوء . وبذا أصبح تحوت ، انه القمر ، بمثابة بديله فى السماء والذى أضفى عليه جزءا من سلطاته ، مثل ما فعل من قبل بالنسبة لمشاكل العالم الأخرى (٤٠) . «سوف تصبح فى مكانى ، بديلا عنى ، وسوف يقال لك : « تحوت ، بديل رع » ... وسوف أجعلك أيضا تحيط السماوين بروعتك وتألقك » . وهكذا خلق قمر تحوت » (٤١) . ولقد قدمت تحركاته ، بل بالأحرى مراحله المختلفة للبشر قراءة للسماء تتيح لهم سريعا ، فيما عدا تألق الشمس ، مقياسا فوريا للزمن (٤٢) ، وبذلك فان

(★) عمر القمر فى اليوم الأول من السنة ــ (المترجم)

تحوت ــ القمر ، رب النجوم ، الذى يميز ما بين الفصول ، والأشهر والسنين ، قد اعتبر بذلك بمثابة « عداد الزمن من أجل الآلهة والبشر » (٤٣) • انه أذن أول من أتاح لهم تفهم السماء ، وبذا ، فان التقويم القمرى الذى ينبثق من هـذه الملاحظات، هو نفسه الذى يستمان به من أجل تحديد الأحداث الدينية بمصر وتنظيم وقت الشمائر • وتحـوت أيضـا هو الذى يمهد من أجل الحياة ، سواء حياة الملك أم حياة البشر • انه يستطيع أن يحدد مدى الحياة ، وهـو يقوم بمسـاعدة الالهة سشات بتسجيل اللحظات الأسـاسية فى نطاق الحـكم الملكى• وفى كل عام ، يقوم بعمل حز فوق أحد سعف النخيل من أجل أن يحسب سنوات الحكم الملكى التى انقضت• وخلال كل عيد من الأعياد اليوبيلية الخاصة باعادة حيـوية الملك وتدعيم سلطته ، يقوم بكتابة اسم الملك على أوراق الشجرة المقدسة بهليوبوليس ، وباعتبـاره أيضـا الرئيس الفعلى للاحتفالات ، نراه وهو يقوم بعمله خلال الشمائر الملكية •

الآلهة فوق الأرض

تعمل النصوص المتعلقة بالخلق على دمج النظام الكونى بالنظام الاجتماعي معا . فان رب الأرباب والفرعون يهيمنان بالتبادل على كل من هذين النظامين المندمجين ببعضهما بعضا اندماجا حميما . ويعتبر الشر أمرا قائما فى نطاق الخلق . ولقد رأينا تسلسل الأحداث التى جعل رب الأرباب ينسحب الى السماء ، ويأخذ معه باقى الأرباب . وحرم البشر من هذا التواجد ، ولكنهم قد احتفظوا مع ذلك بذكرى له ، فحاولوا ، بأساليب متباينة ، أن يقتنصوه ويستبقوه فوق الأرض ، تساعدهم فى ذلك الآلهة أنفسها . فبعد رحيل الآلهة تركت فوق الأرض أحد مظاهر حورس ، أى الملك ، كوسيط لها لدى البشر . وتعمل أنشطة الملك فوق الأرض ، بفضل الطقوس والشعائر ، على اشراك الكائنات البشرية فى المحافظة على التوازن الكونى . وتتم الطقوس والشعائر بداخل المعبد الذى يمثل تأسيسه ، ومضمونه الالهى تأسيس العالم الأولى. ان الطقوس والشعائر تتوجه الى الرموز الالهية فوق الأرض ، أى التمثال والحيوان المقدس ، وهما أيضا يرتبطان بالملك ، ولكن بشكل متباين بالنسبة لكل منهما .

المنبت الالهى للوسيط الملكى

ترجع الصفة الالهيــة التى يتمتع بهــا وسيط الآلهــة فوق الأرض الى تماثل وظيفتــه الملكية بوظيفة رؤســائه الالهيين · انه حورس ، ابن ايزيس وأوزيريس ، وفى نفس الوقت هو ابن رع · وبالرغم من أن الخالق قد انعزل فى السماء ، فانه يتدخل فوق الأرض من أجل اختيار وريثه ، حتى اذا اقتضى الأمر ، تغيير مجرى التاريخ · ويبين لنــا أحد النصوص ، الى اى مدى كان اله الشمس يتمتع بنفوذ الرب المطلق والمصدر المباشر للشرعية الملكية (١) · لقــد رغب رع فى انهاء سلالة فراعنة الأسرة الرابعــة ، فاتصــل جسديا بزوجة أحد كهنته ، وحملت منه هــذه الأخـيرة فى ثلاثة أبناء ، قدر لهم أن يؤسسوا الأسرة الخامسة · وأضفى رع على أبنائه هؤلاء رعاية واهتماما خاصا · وفى لحظــة الولادة ، التى تبين أنها عسيرة ، بعث الى « ردجدت » أمهــم الدنيوية ، بالربات المختصات بالأمومة ، وهن : ايزيس ، ونفتيس ، ومسخنت، وحقات ، وخنوم وقد أصدر اليهن هذه الأوامر المحددة : « اذهبن وساعدن ردجدت فى ولادة الأبناء الثلاثة الذين تحملهم فى بطنها ، والذين سوف يمارســون العمل الطيب فى كافة أنحاء هذا البلد » · وحتى يبرر طلبه لهؤلاء الآلهة العظام من أجل أن يؤدوا مثل هذا العمل المفتقر الى السمو ظاهريا ، أضاف مشيرا بخصــوص هؤلاء الملــوك المقبلين : « سوف يشيدون معــابدكم ، ويمــدون مذابحــكم بالمــؤن ، وسيعملون عــلى ازدهار موائد اراقة النبيــذ ، ويضاعفون قرابينكم » · ولكى تتمكن الآلهات من الاختلاط بالبشر دون أن يتعرف عليهن، تحولن الى راقصات/موسيقيات

فى حين اكتفى خنوم بحمل مستلزماتهن ، ولا يعرف تماما كيف كان مظهره . وهكذا قدمن أنفسهن للزوج الذى كان يبدو فى غاية الاضطراب ، وعرضن عليه المساعدة فى توليد زوجته ، فبين له عن كفاءتهن كمولدات . وبموافقته ، دخلن الى حجرة الزوجة وهى فى حالة المخاض وأقفلن الباب عليهن معها ، من أجل مزيد من الهدوء .

ووقفت أيزيس أمام ردجدت ، ونفتيس خلفها وبدأت حقات عملية التوليد . وكلما كان يولد طفل من الأطفال ، كانت ايزيس تطلق عليه اسما . وبالرغم من أن أمهم كانت من البشر ، فان أجسامهم كانت تحمل علامات منبتهم الالهى .

ولقد بلغ طول كل واحد منهم ذراعا كاملة(٢) ، وبدت عظامهم قوية وأعضاؤهم مطعمة بالذهب . وكانت شعورهم جميعا من اللازورد الحقيقى . وقامت الربات بغسلهم ، وقطع أحبالهم السرية ، وتوجهت مسخنت نحو كل منهم وقالت : « انه ملك وسوف يمارس الحكم فى كافة أنحاء هذا البلد » ، فى حين أن خنوم كان يضفى الصحة والعافية على جسده (٣) ، وبذا تحدد قدرهم بشكل لا يمكن أن يعكس أبدا .

وبعد حوالى عشرة قرون من هذه الأحداث التى سردت، يمكننا أن نشاهد ، فوق جدران بعض المعابد ، نقوشا تمثل، سلسلة من المناظر تبين الحمل والولادة الملكية ، حيث توافق مختلف أحداثها نفس عناصر القصة . وبذا، فقد أصبح سرد الزواج الالهى الملكى بمثابة عادة شعائرية . وتبين مجموعة

المشاهد هنا الزواج الروحانى بين الاله والملكة الدنيوية ، زوجة الفرعون (٤) ٠

ولا يتعلق الأمر فى هــذه المرة برع ، ولــكن بآمــون رع ، دون اى تغير أساسى فى طبيعة الشــخصية الالهيــة : فالأمر مازال يتعلق دائما باله الشمس المألوف الذى تدخــل من أجل أن ينجب سليله وممثله فوق الأرض ، وبكل بساطة اتخذ مظهر الملك نفسه من أجل أن يتصل جسديا بالملكة ٠ واستيقظت الملكة « على رائحة الاله وابتسمت أمام جلالته ٠ فاقترب منها بعاطفة وأعطى لها قلبــه ، وجعلهــا تراه فى هيئته كاله » (٥) ٠ وتم الحمل فى الطفل بفضل المســاعدة السرية من جانب الالهة المختصة بالانجاب وبنفثات الحياة ٠ وعند مولده ، أطلق عليه اسم يحدد مقــدما المصــير الملكى الذى قدر له ، وتلقى العناية الواجبة لوضعه كوليد جــديد وملك مقبل ٠ وكما سنرى لاحقــا ، أن كل الفخامة ونفس السياق المتعلق بعملية الحمل والولادة ، قد تكررت بعد عشرة قرون أخرى ، بواســطة شــعائر مولد الابن الالهى (٦) ٠ ولا شك أن هذه الاستعارة المباشرة ، قد أضفت على المنبت الالهى للوظيفة الملكية ملامحها الفائقة الاكتمال ٠

المعبد ، والملك والالهة الملكية

يعتبر الملك بمثــابة الوسيط الضرورى بين الآلهــة والبشر ، بل هو أيضا مخاطبهم الوحيد ٠ ان الوظيفة التى فوض بها كمقدم للشعائر هى وظيفة رسمية وادارية بحتة ، يحيلها الى الكهنة ، ولا تطغى على مضمون وظيفته كوسيط أو على معناها الدينى (٧) ٠ وتعمل هذه الوساطة على تثبيت

العناصر المؤسسة للخلق • ومن أجل الحفاظ على هذا التوازن ، يعمل الملك بداخل المعبد الذى يعتبر بمثابة مكان مقفل ومصغر للعالم ، وبالتالى يرتبط ارتباطا لا يمكن فصله أبدا عن الكون الذى يمثله • « مادامت السماء مرفوعة فوق قوائمها الأربع ، وما دامت الأرض ثابتة فوق أسسها، ومادام رع يتألق نهارا ، والقمر يضيء ليلا ، ومادام أوريون هو التجلى المرئى لأوزيريس ، وما دامت سيريوس (نجمة الشعرى اليمانية) هى ملكة النجوم (أى ايزيس) ، ومادام الفيضان يأتي في موعده والأرض الخصبة تنبت مزروعاتها ، ومادامت رياح الشمال تهب في وقتها (المحدد) وما دامت النيران تلتهم ما يقابلها ، والأبراج تقوم بواجبها والنجوم تبقى فى أماكنها ، فان المعبد ••• سوف يبقى ثابتا كالسماء ••• الى الأبد مثل رع الى ما لا نهاية » (٨) •

وباعتباره وريثا لرب الأرباب ، الذى وضع نظاما معياريا نموذجيا لكافة الأزمنة وكافة المخلوقات ، اذن فالفرعون يعتبر من وجهة نظر جازمة ، بمثابة المتخاطب الوحيد فى مواجهة الآلهة ، ويدمج البشر جميعهم فى اطار هذا التنظيم ، ولذلك ، ومن اجلهم قام رب الأرباب بخلق « الملوك منذ النشأة الأولى » (٩) • وفى اطار هذا التنسيق، يلاحظ أن المهمة التى اختير من أجلها الملك ، تتجلى مباشرة فى العمل الشعائرى • وفى نطاق هذه المهمة تبدو القرابين بمثابة مكمل مهم للشعائر •

لقد كانت قرابين غذائية بصفة خاصة منذ البداية ، ولذلك فهى تبدو وكأنها « استعادة للحيوية » موجهة الى رب

المعبد • ثم امتدت بعد ذلك لصالح جميع الأرباب (١٠) ، وأصبحت بمثابة تبادل ، حيث يعتبر الشيء المقدم للاله بمثابة تجسيد وتعبير عما يطلب منه • أما القربان المثالي ، فهو يتمثل في هيئة تمثال صغير للالهة ماعت المهيمنة على القوانين والتوازن الكوني • وحيث ان القربان قد ظل على هيئة غذاء ــ فنجد أن الآلهة تتقوت بماعت • وبالرغم من ذلك ، فقد تحول الأمر الى مقايضة حيوية عملت على تأسيس نمط من الاقتصاد الدنيوي (١١) ، يسمح لكل واحد من المساهمين بالحفاظ على ما قدمه الخالق وعلى تجديده •

ولكن الفرعون يعتبر أيضا بمثابة تجسيد لحورس ، ابن ايزيس ، نموذج الملكية الدنيوية ، وبالتالي فهو وريث لأوزيريس • ولذا فان الالهين يستثمران شخصيته • انه وهو على قيد الحياة يرث العرش الدنيوي الذي تركه أبوه باعتباره حورس ، وعندما يموت ، يرتقي الى العالم الآخر ويصبح أوزيريس بكل جدارة • وتسمح له طقوسه الجنازية بأن يكون في آن واحد أوزيريس ، ملك عالم الأموات ، والشمس الغاربة التي ستتقاسم ، من خلال رحلتها ، نفس مصير رع •

ولا تتضمن مختلف هذه التنظيمات في اطارها سوى أرباب عائلة هليوبوليس ، أى المتعلقين بالمؤسسة الملكية •

ولا شك أن المظاهر الشعائرية فوق الأرض والخاصة بالالهين الأساسيين بهذه المجموعة ، وهما رع وأوزيريس ، تبدو مختلفة تماما عن تلك المتعلقة ببقية أرباب مصر • فمع المعتقد أن الشعائر الشمسية ، كانت تتطلب في اطار البنيات

المعمارية ، أن يكون البعض منها مكشوف السقف ، فى حين أن الشعائر الخاصة بأوزيريس كانت تستلزم أساسا أن تكون الجبانة بمثابة اطار خلفى • وكانت الدعامة الأكثر شهرة لممارسة شعائر رع هى المسلة ، حيث يفترض أن القمة المكسوة بالذهب تلتقط أشعة الشمس (١٢) ، أما الطقوس الخاصة بأوزيريس فقد كانت تخضع للمنطق الذى فرضه تقطيع أوصاله •

وفى نطاق المعابدالتى كانت تحتفظ بأحد أجزاء جسمه، فالصندوق الذى يحتويها كان بمثابة الدعامة لاجراء الشعائر ، وبشكل متواز ، كانت ضرورة اعادة تكوين أعضائه ،تحتم اللجوء الى نوع من الممارسة الخاصة • فكان الأمر يتطلب أن يصنع فى كل عام ، تمثالا صغيرا على هيئة مومياء ، يعمل كما سنرى لاحقا ، على تجسيد الجسد الإلهى بأكمله (١٣) • وبمرور الأجيال ، انتهى الأمر بهذه الشعائر الشمسية والأوزيرية المتباينة ، الى التشابك والتكامل فى اطار الأعياد (١٤) •

وباعتبار وظيفتيهما غير الاعتياديتين ، قدم رع وأوزيريس تخطيطا للملكية الكونية يقوم الملك فى اطاره ، لصالحه ، بالتقاط المظاهر الشمسية أو الجنازية • وخلافا لذلك، فان كل أسرة ملكية ترتبط بشكل ما بواحدة أو بأخرى من العواصم المحلية ، تستطيع أن تخلع على الاله الرئيسى لمدينتها الأصلية صفة الوجود الكلى الخاصة برع ، وبالتالى تمنحه وضعا متميزا فى نطاق ديانة الدولة -

بنـاء المعبـد

يعتبر بناء المعبد ضمن الأنشطة الالهية ، وهـو يتبع الارشادات الخاصـة باحدى شعائر البنـاء المحـددة ، حيث يقتضى الأمر هنا أيضا ، ألا يشترك فيه سوى الملك وبعض الآلهة المعينة(١٥) ، فعلى سبيل المثال، تقوم «سشات»، بمهمة الاشراف على تخطيط المكان المخصص للمنشآت المقبلة • ان العمل الذى تؤديه بمساعدة الملك ، هو بمثابة مد للحبـل ما بين وتدين من أجل تحديد مكان العلامات الخاصة بالبناء ، ويتم هذا العمل مساء • وتقول لنا النصوص ، ان الزوايا الأربع للمعبد تحدد وفقا لموضع النجوم ، بحيث يتوافق النظر مع مواجهة « الدب الأكبر » (١٦) •

ومن أجل اتمام ذلك ، يستعين الملك بجهاز للتصويب يعمل به بمهارة وكفاءة تضارع كلا من تحوت وسيا • ومن ناحيتها ، وفى اطار وظيفتها كالهة للكتابة وللمكتبة ، تقوم « سشات » بمراجعة صواب التخطيط وتؤكد للملك صلابة العمل • « حقا ، ان صرحك لمستقر فوق أسسه كمثل استقرار السماء فوق دعائمها ، وان عملك لباق مع من آنجزه ، مثـل بقاء الأرض مع التاسوع • ان أعوامه هى أعـوام الأفق ، وأشهره هى أشهر درجات البروج ، ولن يلحقه الدمار فوق الأرض أبدا »(١٧) ، اذن فها هما الزمن والفضاء يتشاركان من أجل تأكيد خلود البناء •

ويكلف الملك بحفر الأساسات حتى يصل الى قطاع المياه الجوفية ، المماثلة للمحيط الأولى ثم يقوم بعد ذلك ، بصب القالب الأول من الطمي الرطب المخلوط بالقش ، من أجـل

كل زاوية من الزوايا • انه تجسيد « للحجر الأول » ويرمز الى مئات القوالب الحجرية اللازمة من أجل بناء الجدران المجوفة ، وحالما تنتهى هذه الجدران ، يقوم الملك ، بردم الفراغ القائم داخل الأساسات بكمية من الرمال • وتعمل هذه المساهمة على اعادة خلق التربة العذراء الأولية التى يجب أن يشيد فوقها كل صرح مقدس •

والجدير بالذكر هنا أن اعداد الأساسات والتربة العذراء ، لم يتطلب أى تدخل الهى مباشر • ولكن عملية نقل الرمل ، من أجل مزيد من الحماية ، قد وضعت تحت مسئولية الاله « حا » ، رب الصحراء الغربية •

وفى مثل هذا الاطار ، لا يمكن أن توكل الأعمال اليدوية سوى للملك • فعلى ما يبدو لا يعتبر المعول والسلة وقالب الطوب من الأدوات اللائقة بأى اله •

أما حورس ، الذى حضر كملاحظ فقط على هذه الأعمال ، فقد تنازل بالرغم من ذلك بتشجيع الملك بالقول فقط : « اننى ألاحظ همتك ويسعدنى نشاطك » (١٨) •

وبعد أن ينتهى الملك من عمله ، يضع فى كل ركن من أركان الصرح بعض قطع الأساس من الذهب ، والفضة ، والنحاس ، والحديد ، والطوب ، أو الخزف ، وبعض قطع الفخار أيضا •

وتتمثل هذه الايداعات فى هيئة ألواح تحمل اسمه ، وقد كتب بداخل خرطوش وأشياء مختلفة منمنمة ، تمثل بعض الأواني، والأدوات والقرابين الاعتبارية• ان الفرعون



كان المعبد يمثل مقراً خاصاً بالآلهة فى عالم البشر. ومع ذلك، لم يكن مسموحاً لـــهؤلاء البشـر باجتيـازه. وعادة ما كان المعبد ينفصل عن العالم الخارجى بجدرانه المشيدة من الحجر؛ بالإضافة إلى ساحة مترامية الأطراف من الطين اللبن تحيط به من كافة الأنحاء. وفى هذا الحيز، الذى كان يعد بمثابة مأوى للإله، يقـوم الملك أو الكهنة المنوبون عنه بأداء الشعائر اللازمة لاستتباب التوازن الكونى والحياة المنبثقة منه.



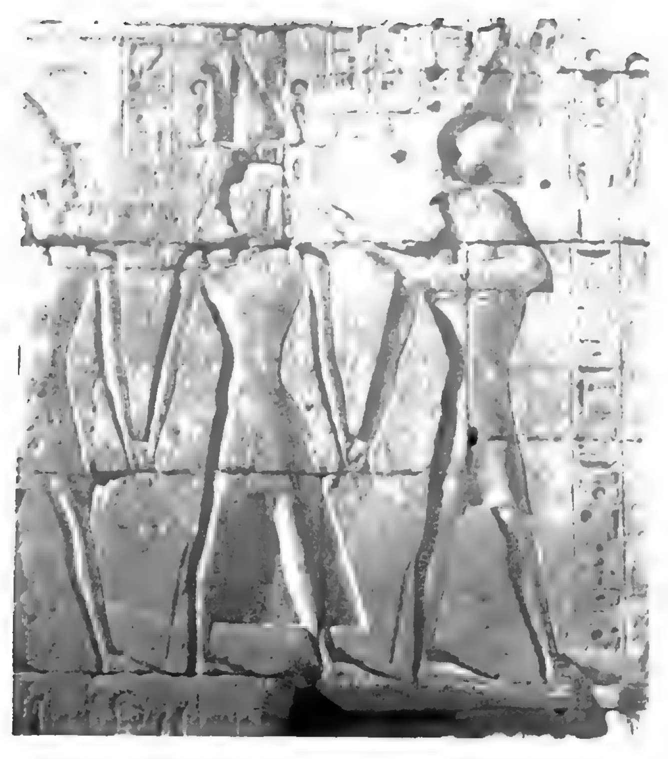
فى أعمق أعماق المعبد، حيث لم يكن يُسمح بالدخول فيه إلا لنبذة مختارة من الأفراد، يقع الناووس، الذى كان بمثابة مقصورة شيدت غالباً من الحجر؛ يحفظ بداخلها تمثال الإله، الذى كانت تُقام من أجله الشعائر. وكان الناووس يُغلق بباب من الخشب مزود بأقفال محكمة. وعادة فى نهاية كل شعيرة يومية، كان الكهنة المختصون يقومون بوضع أختام على باب الناووس بعد غلقه. وفى صباح اليوم التالى كان يتم كسرها.



بداخل الناوس يوجد تمثال الإله الذى كان يُنحت عادة من الحجر، أو الخشب، أو يصاغ من المعدن الثمين. وبالنسبة للتمثال الخشبى أو الحجرى، كان يتم كسوته بغلاف رقيق من الذهب أو الفضة مطعم بالأحجار الكريمة. ويعتبر التمثال انبثاقاً للإله نفسه، وبذا كان الكهنة المختصون يقومون، كل صباح، بإلباسه ملابس جديدة. بل كانوا يقدمون له الطعام فى هيئة قرابين غذائية.

كانت ممارسة الشعائر تَحتم استعمال أدوات متباينة الأشكال والأنواع. وعادة ما كانت القرابين الغذائية توضع أمام الهيكل. وهناك أيضاً كانت تُتلى أدعية من أجل المشروبات. وغالباً كان الكهنة يستعينون بمباخر تمثل شكل ذراع محدودة. وتعتبر عمليات التبخير بالمواد العطرية المتنوعة ذات أهمية قصوى؛ لأنها تعمل على تطهير المكان والتمثال القائم به. وأحياناً كانت الأنغام الموسيقية تصاحب الابتهالات والصلوات والتراتيل. وفى معظم الأحيان، كان يستعان بالمزاهر خلال إقامة الشعائر. والمزهر هو قوس معدنية بها أفرع دقيقة، فيصدر أصواتاً موسيقية عند تحريكه.

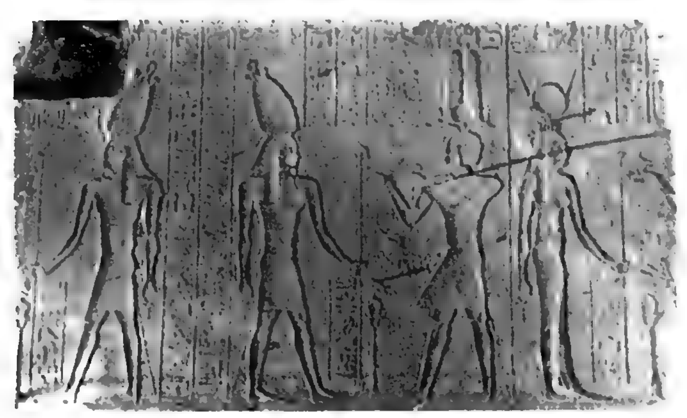




الصـورة تمثل الملك الذى سيقوم بتأدية الشعائر. وتبدو الآلهة هنا وهى تهب بنفسها لاستقباله، فها هى تمسـك بيده، وتقوده إلى مكان الإله الرئيسى بالمعبد.



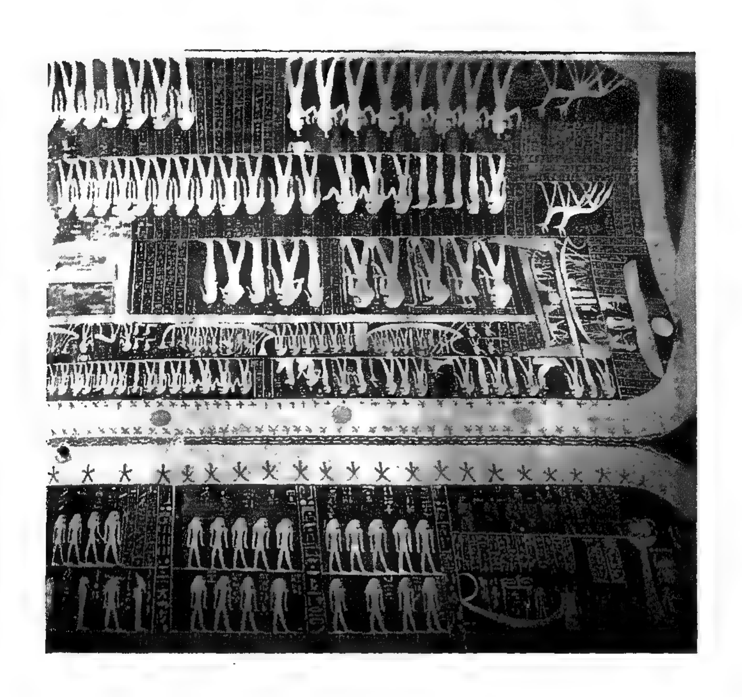
يُلاحظ أن الملك فقط هو الذى يمثل فوق جدران المعابد أثناء تقديمه القرابين للآلهة. وتتباين القرابين تباينـاً فائقاً فى أنواعها وأصنافها. فهى لا تقتصر على مجرد المنتجات الغذائية، أو مواد التبخير العطرية، بل هـى تتضمن أيضاً كل ما تتطلبه زينة التمثال وتنظيفه وتطهيره. ونرى هذا الملك، وهو يـأخذ بطـرف إصبعـه الأصغر بعض الدهان العطرى من وعاء صغير، ويتأهب لوضعه على وجه الآلهة الواقفة أمامه.

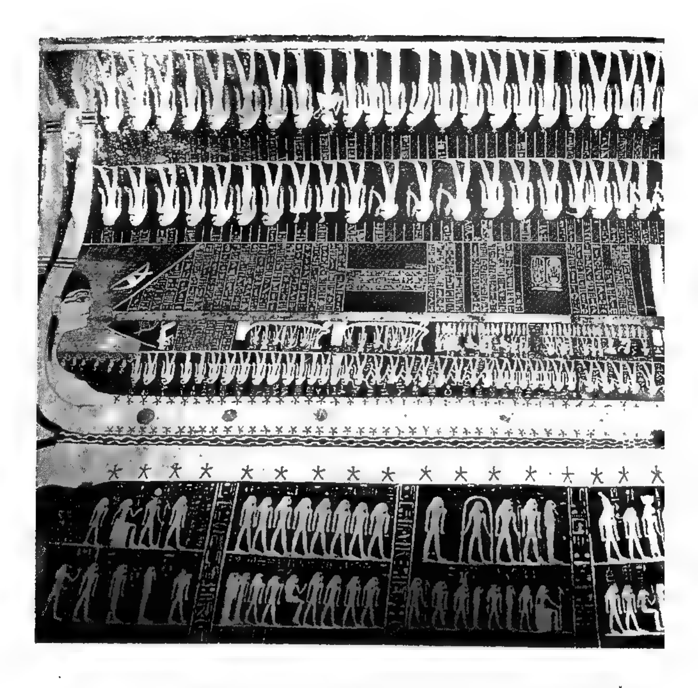


لم تكن المجوهرات تُستعمل لمجرد التجميل فقط. فمثلها كمثل أية قرابين، كانت تقوم بدور محدد. ونرى هنـا الملك يقدم "القلادة الكبرى" التى لها قوة حامية وراعية، وتستطيع أن تُبعد القوى المعادية عـن الإلـه الـذى يرتديها.



قد تتنوع القرابين وتتباين أنواعها وأشكالها، ولكنها أساساً، تُعد نمطاً من التبادل بين الآلهة وبين الملك، وسيط البشر. إن الملك عندما يقدم قرباناً ما، فهو ينتظر في مقابله ما يمثله أو يجسده هذا القربان. لذا، فإن القربان الذي يمثل شعار الإله "ماعت" يعتبر على قدر كبير من الأهمية. فإن "ماعت" تمثل النظام الكوني الذي وضعه الخالق الأعظم عند بداية الخلق.





مُثلت القبة السماوية على هيئة امرأة منحنية فوق العالم. إن "نوت" ربة السماء ترى هنا في شــكل مــزدوج، من أجل أن تبين في شكل واحد السماء أثناء النهار وأثناء الليل. وفي المساحات ذات اللون الغــامق، أســفل جسد الإلهة، تبين المراكب مختلف مراحل الرحلة التي تقوم بها الشمس، خلال الليل وأثناء النهار. أما جموع الأشخاص فهي تمثل الآلهة التي تصاحب هذا الكوكب أو التي يقابلها خلال رحلته.

تبدو الشمس هنا فى أوج تألقها؛ وهى تتابع رحلتها أسفل بطن إلهة السماء. إنها تسطع بنورها علـــى الأرض التى مُثلت هنا على هيئة الإله "جب" ممتداً على جنبه.

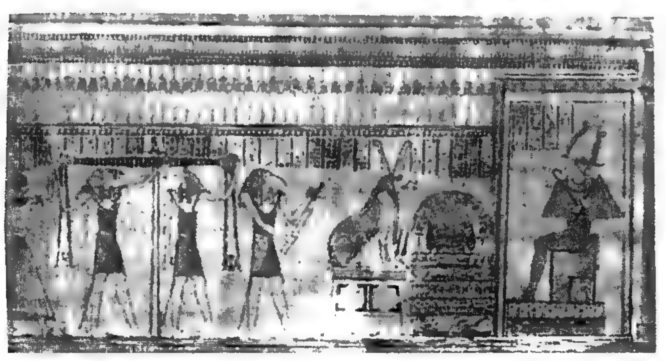
لا تستطيع السماء أن تظل مرتفعة فى عليائها دون مساندة إله الغلاف الجوى "شو". وتنفيذاً لأوامـــر الخـــالق الأعظم وقف الإله "شو" بين السماء والأرض حائلاً بينهما.



تعتبر علامات الكتابة الهيروغليفية بمثابة بصمات لما يتضمنه العالم من حقائق. فالكتابة ليست سوى الاستعانة بعناصر الخلق بل هي وسيلة لوصفه وتوضيحه.



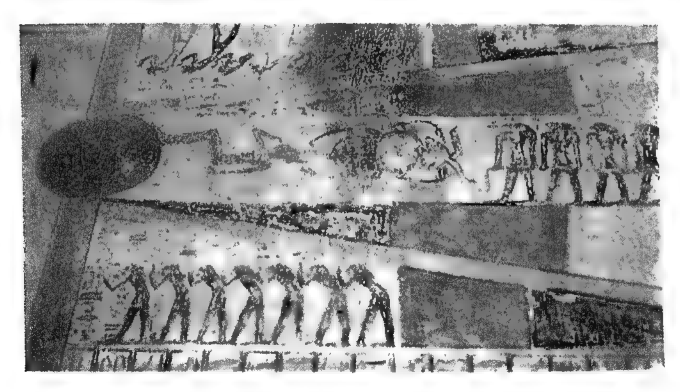
أوزيريس هو النموذج الأصلى لكافة الموتى. وبموته أصبح المهيمن الأعظم على عالم الموتى وملكه المطلق السلطة. وبعد أن قتله "ست"، عاد أوزيريس ثانياً إلى الحياة. وبالتالى سمح ذلك لأى فرعون متوفى، ثم لكافة المتوفين أن يأملوا فى حياة ما بعد الموت وينعموا بكل مباهج الحياة الأخرى.



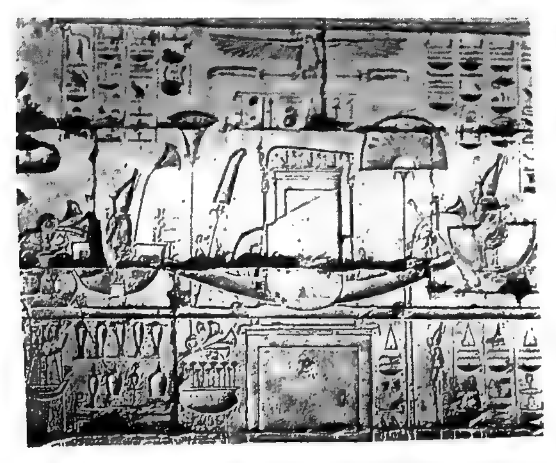
ولكى ينعم المتوفى بهذه الحياة الأخرى كان لزاما عليه أن يمر بعدة تجارب صعبة، أخطرهـا "المحاكمـة"، حيث تقوم هيئة المحكمة التى يرأسها أوزيريس بتقييم أعمال كل متوفى. ويَمثل المتوفى أمام هـذه المحكمـة من أجل أن يثبت براءته. وعادة كانت مصداقية أقواله تُقيم من خلال عملية وزن قلبه منبع أفكـاره الدفينـة. وإذا ما تحققت "المحكمة" من براءته، فسرعان ما يتم نقله إلى عالم السعداء المبرئين. أما إذا ثبتـت إدانتـه، فإنه يصبح فريسة سائغة تلتهمها "المفترسة الكبرى"، التى تبدو هنا رابضة ومترقبة بجوار "ميزان القلب".



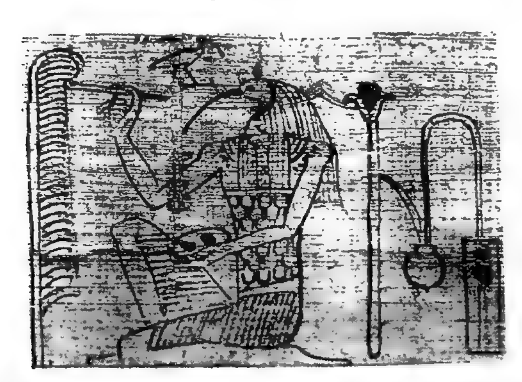
يستطيع كل إله أن يتجلى في أشكال عديدة ومتباينة. فهو لا يبقى دائماً في هيئة واحدة محددة. فوفقاً لرغبته يستطيع أن يبدو في أي صورة من الصور، تبعاً للدواعي والأحوال. وتبين لنا هذه الصورة بعض الأشكال التي يستطيع الإله الشمسي "رع" أن يتجلى من خلالها، أثناء رحلته المجددة للحياة في نطاق العالم الآخر.



يُمثل غروب الشمس احتضار هذا الكوكب؛ الذي يولد مرة أخرى تدريجياً بعد ذلك، خلال إقامته الليلية بالعالم الآخر. وحالما يتم انتعاشه وتجدده تماماً، فسرعان ما يعاود ظهوره ثانياً في الصباح من أجل أن يشع بنوره على العالم أجمع. ونراه هنا في لحظة خروجه من العالم الآخر.



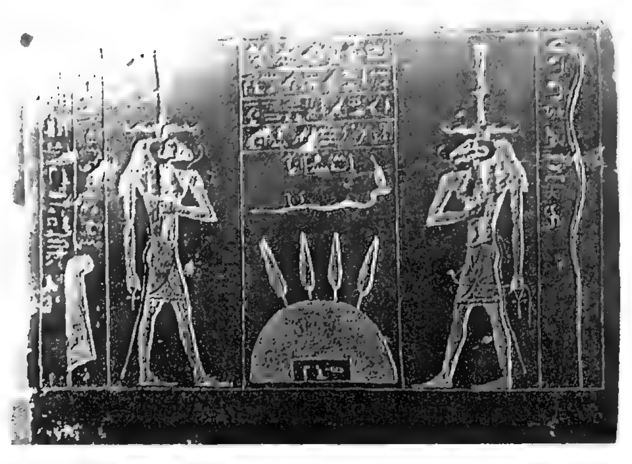
عادة، عندما تريد الآلهة أن تنتقل من مكان إلى آخر، فإنها تفضل الاستعانة بالمركب. وأيضاً، عند خروجها من معابدها للاشتراك في المواكب، والتجلي أمام البشر، تستقل مراكبها الخاصة. ولم تكن مثل هذه المراكب تمخر عباب المياه، بل كانت تُحمل على أكتاف الكهنة. وها هي أمامنا إحدى هذه المراكب، وقد استقرت فوق قاعدة خاصة بها في مكانها المحدد



الإله "تحوت" رب الكتابة، وهو الذي أطلع عليها البشر، يبدو هنا جالساً القرفصاء، وكأنه أحد الكتبة، وبـدت أدواته الكتابية خلفه. وهو يقوم برسم ريشة، رمز الإلهة "معات"، إنه بذلك يعبر عن أسمى معاني الكتابة وهو الحفاظ على أسس التوازن التي استتبت منذ بداية الخلق.



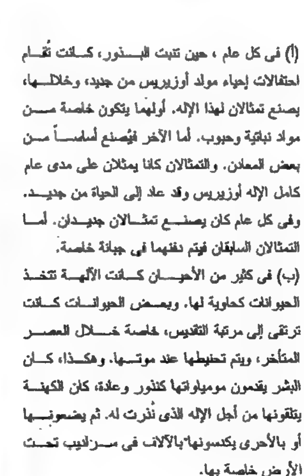
لقد مات أوزوريس مبكراً. وبذا، لم يتمكن من إنجاب وريث يرتقي العرش من بعده. ومع ذلك، فقد ساعدت عملية التحنيط التي أجريت له على استعادته لحيويته اللازمة. وبذا، تمكنت زوجته إيزيس من الاتصال بـه جسدياً. ولكن هذا المشهد لم يبين هنا بشكل واقعي فج، بل اكتفى الفنان بتصوير إيزيس في هيئة طائر، لحظة اللقاء مع زوجها.



عادة، كانت مقابر أوزوريس تقع فوق أكمة تنمو فوقها بعض النباتات والأشجار، التي تكون ما يشبه الأيكة المقدسة، التي تضفي على المكان ظلالها وطراوتها. وحول هذا الموقع يتراءى بعض المردة لحراسة الإله الميت من القوى المعادية.







(أ) فى كل عام ، حين تنبت البـــذور، كـــانت تُقـــام احتفالات إحياء مولد أوزيريس من جديد، وخلالـــها، يصنع تمثالان لهذا الإله. أولهما يتكون خاصة مـــن مواد نباتية وحبوب. أما الآخر فيُصنع أساســـاً مـــن بعض المعادن. والتمثالان كانا يمثلان على مدى عام كامل الإله أوزيريس وقد عاد إلى الحياة من جديـــد. وفى كل عام كان يصنـــع تمثـــالان جديـــدان. أمـــا التمثالان السابقان فيتم دفنهما فى جبانة خاصة.

(ب) فى كثير من الأحيـــان كـــانت الآلهـــة تتخـــذ الحيوانات كحاوية لها. وبعـــض الحيوانـــات كـــانت ترتقى إلى مرتبة التقديس، خاصة خـــلال العصـــر المتأخر، ويتم تحنيطها عند موتـــها. وهكـــذا، كـــان البشر يقدمون مومياواتها كنذور وعادة، كان الكهنـــة يتلقونها من أجل الإله الذى نذرت له. ثم يضعونـــها أو بالأحرى يكدسونها بالآلاف فى ســـراديب تحـــت الأرض خاصة بها.



يريد بذلك أن يترك أثره ـ بعيدا عن التدمير المحتمل من جانب البشر ـ فوق هذا المكان الذى يهديه للاله • والجدير بالذكر هنا أن الشعائر لا تتعلق بأعمال البناء في حد ذاتها، فالذى يهم هنا ، هى الأساسات والتخطيطات التى تضفى على الصرح وجودا بدائيا• ويبين الفصل النهائى الملك وهو يقوم بدك الأرضية • وبعد أن ينتهى العمل تماما بالمعبد ، يتم تطهيره بالنطرون ، المعطر • وقبل أن يهديه الى رب المكان ، يتم انعاش تماثيله واشكاله ببعض الطقوس الخاصة (١٩)•

ومن أجل أن يمارس المعبد أنشطته ، تستلزم الضرورة ان يسكنه الاله الذى خصص من أجله ومعه رعيته • وتتجسد هذه الكوكبة الالهية بالمعبد فى التماثيل القائمة بمختلف المقصورات وفى النقوش البارزة التى تزين جدران المبنى• انها مجرد أشياء أبدعتها يد الانسان ، وصنعت من مواد صماء جامدة ، وهى بالتالى ، لا يمكن أن تمثل الآلهة • وبذا تستلزم الضرورة ، أن تدخل هذه الالهة فى ركائزها المختلفة دخولا نهائيا •

وهنا تتدخل الشعائر المتعلقة « بفتح الفم » ، التى يدل اسمها على مضمونها ، والتى تطبق على كافة هذه الأشكال •

فبمساعدة بعض الأدوات المختلفة ، وهى أساسا أدوات النجارين أو النحاتين يستعان بها فى الممارسة الشعائرية ، يتم « فتح » العينين ، والأنف ، والفم بهذه الأشكال الالهية من أجل أن توصل بها الوظائفالحيوية الأساسية، التى تسمح لها بالتنفس ، وبالرؤية ، الخ • وتتركز هذه العملية فى توصيل الأداة بأجزاء الجسم المعنية ويقوم بها بعض الكهنة

الذين يحلون محل بعض الآلهة المحددة ، من آجل الملك • « أخذ الاله بتاح ازميله من أجل فتح الفم ، وقام الاله « سوكر » بفتح جفني العينين » • وتقدم البلطة المعقوفة للاله أنوبيس ، ثم يتلو ذلك أضحيات مختلفة للحيوانات وتقديم للقرابين • وتكرر عملية الفتح هذه على المعبد بأكمله ، باعتباره وحدة لا تتجزأ وبذلك يصبح هو والتماثيل ، والنقوش البارزة بمثابة كائنات حية فعالة ، وهكذا قام الملك بخلق صرح يستطيع أن يعبر عن افضال الاله وقوته ، بل وأيضا ، يسمح بفضل ادماج الطاقة الحيوية الالهية فى صوره وأشكاله ، بأداء الشعائر •

ولا يرجع مصدر هذه البدائل الرمزية المصورة الى البشر • فان رب الأرباب هو الذى « خلق الأشياء القائمة فوق الأرض بفضل بعض الأدوات التى قام هو نفسه بصنعها » (٢٠) • اذن ، فقد دخلت الآلهة فى أجسادها المصنوعة من الخشب ، ومن المعادن ، ومن الطين وكافة الأشياء الأخرى التى تنمو وتتجسد من خلالها (٢١) وبذا فان تدخل آلهة الحرف اليدوية ، فى اطار شعائر الانعاش ، يجد ما يبرره فى هذا الصدد • وبفضل رب الأرباب أيضا ، تنتعش هذه الأشكال والنقوش عند كل مشرق شمسى فى الصباح : « عندما (يصل) مظهرك المرئى الى الأرض ، فان كل ما نقش يصبح حيا » (٢٢) • ومع ذلك ، فان هذه البدائل ، التى صنعتها يد الانسان ، لا يمكن أن تبين كلية عن الكائن الذى تجسده ، وهى لا تعدو أن تكون سوى تقريبيات يقبل الاله أن يسكنها باعتبارها احدى مظاهره (٢٣) • وتبقى هذه النقوش والأشكال على فعاليتها

مادام المعبد قائما • واذا اقتضى الأمر ، لسبب أو لآخر ، اعادة بنائه أو تدميره ، فان الضرورة تستلزم أن تنزع عنها حواسها ، وبصفة خاصة حاسة البصر ، وذلك بأن تدمر أجزاء الجسم التى كانت قد أنعشت فى الرسومات البارزة أو التماثيل (٢٤) •

الاله الرئيسى وشعائره اليومية

يحفظ التمثال الرئيسى الخاص بالشعائر ، وهو الذى يعبر عن كافة التماثيل الأخرى ويضفى على الاله صورته كسند ومرجع ، داخل مقصورة ، تسمى الناووس ، تقع فى أعمق أعماق المعبد ، وعن هذا الانعزال يقول أحد النصوص : « انها أكثر مناعة مما يتراءى فى السماء ، وأكثر غموضا من أحوال العالم الآخر ، وأكثر تمجيدا من ساكنى المحيط الأولى » (٢٥) • حقيقة ، ان طبيعة الاله تجعله مكتمل الوجود ولكنه يستطيع أن يتغيب برغبته ، فيما عدا أوقات اقامة الشعائر • ويتم غلق أبواب الناووس، ليس من أجل حجز الاله نفسه ، ولكن من أجل حماية هذا المجال المقدس • وعموما ، تقام طقوس كاملة فى الصباح من أجل استدعاء والتقاط وجوده • وبذا ، فان هذا الوجود ينبثق من خلال احتفال قداسى كامل ، حيث يكون بعض الآلهة ــ أو مظاهر أخرى لنفس الاله الأكبر ــ هى نفسها المقيمة لبعض الشعائر •

وقبل الفجر ، وخلال الساعة الأخيرة من المساء والساعة الأولى من النهار ، يقوم المعاونون فى المعبد بأوجه نشاط ضخمة ، باقامة تجهيزات عديدة فى مطبخ المعبد ، وفى

المجزر ، وفي أفران الخبازين وصناع الجعة . وتعد موائد القرابين بشكل مثير للشهية ـ وفي اطارها لا يترك أى شيء للصدف أو الظروف . فان القرابين الالهية ، تتضمن في مضمونها رسالة محددة ، انها بمثابة عرض يجب أن ينال رضا من يتلقاه ويعود في مقابل ذلك بالنفع على مقدمه . ان الفاكهة والخضراوات ، وقطع اللحم ، والطيور ، والخبز والفطائر ، وأواني البيرة ، واللبن والنبيذ لا يجب أن ترضى الاله في ناووسه فحسب ، ولكن يجب أن ترضى أيضا جميع مظاهره الأخرى داخل المقصورة وكذلك رعيته . وبشكل متواز ، يسارع الجميع حول البئر التي تم حفرها بداخل الساحة ، فان قطرات الماء المقدس تلعب دورا مهما في اطار اقامة الشعائر . فان كل ما يقترب من الاله يجب أن يتم تطهيره بالمياه المنبثقة من النون(٢٦) ، وبالنطرون ، وأيضا بالتبخير العطرى . وحالما ينتهي هذا التطهير ، يدخل موكب حامل القرابين الى المعبد . ويقابلهم هذا النص عند الباب الذى يعبرونه : « هذا الباب البديع الخاص بالعرش الأعظم يقدم لمائدة قرابين رب الأرباب كل الطيبات التي جاءت من الهة المزروعات . ان الآلاف من أرغفة الخبز ، ومئات الآلاف من الأطعمة ، تخرج من مكان الاعداد عندما يكشف الوجه (الالهى) (٢٧) » . انها البوابة التي تؤدى الى المعبد ، لحمل مكونات الغذاء الالهى . . . وقد أحضرت الخضراوات بين أيدى الحمالين (وكذلك) كافة زهور الحقول . . . وها هو أحد الكهنة يقف أمامك وهو يقرأ الكتاب (٢٨) » الخاص بالشعائر . وبمجرد أن وضعت القرابين في أماكنها ، وطهرت، وأعدت للأكل، بدأ الاستعداد لفتح أبواب الناووس

فى حين أخذ المرتلون يدعون الاله الى أن يستيقظ • «استيقظ ... فى سلام ! فليكن استيقاظك مريحا » (٢٩) ! وهنا يدخل الملك فى قدس الأقداس المظلم ظلاما خفيفا (٣٠) • وفى أعمق اعماقه ، يظهر الناووس المصنوع من الجرانيت ذى الباب المزدوج المصراعين ، وقد اغلق على التمثال الخاص بالطقوس • وبعد أن يضىء المكان بواسطة شمعة النذور ، يحطم الختم الذى كان يكفل انعزال الاله ، ويسحب المزلاج (٣١) ، ويؤكد للاله (٣٢) أنه يتقدم اليه وهو طاهر ، ولا يتبعه أحد من الأعداء (٣٣) • ويظهر وجه الاله (٣٤) فى نفس اللحظة التى تبزغ فيها الشمس عند الأفق • وبعد ذلك يستيقظ الاله فى تناغم مع مسيرة الكون : « اظهار الوجه ، عبادة الوجه : فلتشرق على الأرض ، مثلما خرجت من النون ! وليضىء اشعاعك العالم ! وليحى الآلهة الذين يكشفون عن روعته ، (انهم) مثل أبنائك فى المشرق » (٣٥) • ان العمل الشعائرى الذى أداه الملك يسمح آنذاك بظهور الاله ظهورا ماديا • وتتوالى مشاهد الورع والتأمل والعبادة ، وتبين بوضوح نهاية هذه المواجهة : « انه (الملك) يدخل ، وهو طاهر ، من أجل تزيين هيكل حورس ، من أجل أن يضع المؤن فوق مائدة القرص المجنح الالهى ، من أجل ملء مسكنه ، من أجل اثراء معبده ، من أجل زيادة شعائره اليومية ، من أجل تقديم الخبز ، من أجل زيادة أطعمته ، من أجل تقديم القرابين للكا الخاصة به ، من أجل عبادة تمثاله ، من أجل تبجيل صورته ، من أجل الهتاف لجلالته » (٣٦) ، وبالنسبة للوجبة التى تقدم للاله فى مقصورته ، فهى تقتطع من أكداس القرابين الموضوعة

فى المعبد· ويقدم الخبز على ما يشبه الصينية ، ثم يوضع فوق مائدة صغيرة ، ويجب أن يبقى بجوار الناووس حتى بداية الشعائر الصباحية التالية · انه لن يؤكل فعلا بالمعنى الذى نفهمه نحن ، ولكن الاله وهو بداخل ناووسه يشبع دون ان يبدى أى دليل ملموس عن شهيته · وتنتهى هـذه الوجبة باطلاق بعض البخور ، وباراقة النبيذ اكراما للاله ·

ومع ذلك ، فمن الممكن وهو بخارج مقصورته ، مثله مثل أى ملك فى قصره ، وقد صحبته زوجته وابنـه ، أن يمجد من خـلال مظاهر مختلفة بمصـاحبة كافة آلهه بلاطه المقدس ، الذين يملكون هم ايضـا مقاصـيرهم او بيـوت قرابينهم حول المعبد · وهو يتقاسم معهم هـذه الطقـوس الدائمة التى يختلف مضمونهـا بدون شك وفقـا لغـرض القربان ، فالقربان الذى يتضمن خضراوات وزهورا بمعبد الكرنك ، على سبيل المثال ، غالبا ما يقدم لآمون رع عـلى هيئة رجل منتصب · أما قربان النبيذ فهـو يخصص بوجه خاص لمظاهر بعض الالهات الخطيرة ، مثل حتحور ، أو بعض الالهات الحيات · وفى ادفو ، بل وفى أماكن أخرى أيضا ، يوجه قربان اللبن الى الاله الطفل ، أما قرابين الصلاصل أو العقد منات ، فتخصص من أجل الالهات الاناث فى كل مكان· أما أنوريس /شو ، فيقدم له رمز الأبدية خلال شعائر « رفع السماء » التى تمثل نفس المهمة التى كان رب الأرباب قد كلفه بها عند منشأ الكون (٣٧) · وقد تكون بعض القرابين بمثابة انعكاس لبعض المنتجات الاقليمية : فهكذا هو الحال بالنسبة لقربان البردى فى «بلامون» ، وهى مدينة تقع فى مستنقعات الدلتا (٣٨) · أما القرابين الجنازية فهى غالبا

ما تخصص للملوك الاجداد • فهكذا يمجد رمسيس الثانى تمثال أبيه سيتى الأول ، بالكرنك • ولكن الوجبات التى تحتوى على قطع من لحم البقر ، والغزلان ، والطيور ، والخضراوات والفطائر (٣٩) ، فهى تخصص ، كما سترى لاحقا لأيام الأعياد •

ويتم تزيين الاله بعد ذلك مباشرة • فيخلع عنه ملابس اليوم السابق ، ويتم تطهيره لمرات عديدة بالمياه والتبخير وبالطواف حول التمثال • ثم يكسى مرة ثانية باستخدام أربعة أقمشة مختلفة ، على التوالى بيضاء اللون، ثم خضراء ، ثم حمراء وزرقاء • وتقول بعض النصوص الشعائرية ، ان القماش الأبيض يكفل للاله حماية ضد الأعداء ، وان الأزرق يستخدم من أجل اخفاء وجهه ، وان الأخضر يكفل الصحة والعافية لجسده ، فى حين أن الأحمر من أجل وقايته(٤٠) • وفى نهاية الأمر ، يغمس الملك اصبعه الخنصر فى بعض الدهانات المعطرية ويلمس بها ، بكل رفق ، جبهة الاله • وبمجرد تمطير التمثال بزيته المعطر ، واحيائه من جديد يبدو متأهبا للاضطلاع بمهمة التواجد الالهى فوق الأرض ، بعيدا عن الأنظار ، وذلك باغلاق أبواب الناووس ثانيا عليه وختمها • وعندئذ ، يخرج الملك من المقصورة ، وهو يمحو آثار خطواته على الأرض بواسطة مكنسة •

وبالنسبة للشعيرتين الاعتياديتين الأخريين الخاصتين بالظهر وبالمساء ، فهما أكثر اختصارا • ولا تفتح آنذاك أبواب المقصورة • ويعد اراقة النبيذ والتبخير بمثابة الممارسة الطقسية الوحيدة خلالهما • وهما لا تخصان الاله

الرئيسى للمعبد • وحتى لا ينسى أى شىء ، فان كلا من الآلهة القائمة فى المعبـد ، سواء من خـلال النقـوش البارزة أم التماثيل ، تساهم فى الطقوس الخاصة بالاله الرئيسى او بالملك • وغالبا ما يكون وجود الآلهة المجاورة متعلقا بالملك لا بالاله الرئيسى ، فمهمتها ترتكز على اعداد الملك للقيـام بمهامه خلال الاحتفالات الملكية أو الأعياد الدينية • فعلى سبيل المثال، يستفيد الملك من بعض الطقـوس التى يمثلها سواء بعض الآلهة الثانوية ، أم رب المكان نفسه • وبذا ، قد تشاهد تفنوت وهى تقوم بغسل الملك من أجل تطهيره (٤٢)، ولكن فى أغلب الآحيان يكون خنـوم هـو المـكلف بهـذه المهمة (٤٣) • انه اله الشلالات ، وحارس منـابع النيـل ، وتتشابه وظيفته بجانب الملك بتلك التى يقوم بها من أجل الأرض المصرية • فعند دخول الملك الى المعبد وتقديمه للاله أو الالهة يصاحب الملك بعض الآلهـة التى تمسـك بيـده وترشده • وربما قد تتباين أعدادها وأسماؤها ، ولكن فى أغلب الأحيان يقوده الاله الصقر (٤٤) المحـارب ، فى حين يختتم أتوم ذو الوجه الآدمى المسيرة (٤٥) •

وتقـوم حاشـية الاله الرئيسى بالمسـاهمة أيضـا فى عبادته ، ففى الكرنك يمكن أن يشاهد الملك وهـو يشرك التاسـوع الأكبر (٤٦) فى التبجيـل الذى يوجهه لآمـون رع (٤٧) ، لغـرض لا شـك أنه غـير مجـرد من المصـلحة الشخصية • ان كل اله منهم يقوم بنفس حركات الفرعون ، يؤدى بذلك دور الشفيع بجوار آمون ، فبعد أن يعبروا عن بعض المديح ، يقوم الواحد منهم بعد الآخر بذكر أمنيته من أجل الملك • ويقوم أوائل آلهة هـذه المجمـوعة ويتقدمهم

مونتو ، اله المنطقة ، وآتوم ، وشو ، وتفنوت وجب آلهة هليوبولس السابق ذكرهم ـ بالتعبير عن بعض تمنياتهم من أجل الملك، لكى يضفى عليه آمون الصحة، والعافية والقوة - وهناك غالبا بعض الأمنيات المتعلقة بالوظيفة الملكية يعبر عنها كل من موت ، وأوزيريس ، وايزيس ، ونيت ، ونفتيس وحورس ، وفى نهاية الأمر ، يقوم كل من حتحور ، وسوبك ـ رع ، وتاننت بالتماس العديد من الخيرات الغذائية ، مثل الطيور والأسماك ·

ويقوم هذا الاله الرزين ، الذى يتطلب كثيرا من الجهد من أجل كسب رضاه ، بالرد على ذلك من أجل مخاطبة من هو فوق الأرض ، لكى يمنحه العرش أو لاحياء ذكرى توليه ·

الحيوان المقدس

يستطيع أى اله أن يكمن بداخل جسم أى حيوان ويصبح بذلك بمثابة « صورة شعائرية حية » (٤٨) · ومع ذلك ، فان الروابط بين الحيوان والاله يمكن أن يعبر عنها بأساليب متعددة · وكانت معظم المعابد الكبرى ، خاصة خلال العصر المتأخر ، تأوى فى رحابها الحيوان المقدس الخاص بالاله الذى تتجلى من خلاله ·

ويعتبر كل من الصقر المتعلق بمظاهر حورس المختلفة ، وكبش آمون ، والقرد والعجل ابيس الخاص بتحوت فى هرموبوليس (الأشمونين) ، بل وأيضا التماسيح التى تربى حول الاله سوبك ، وغيرها الكثير أيضا ، بمثابة دعامات من أجل الآلهة ، ومثلها أيضا الثور آبيس ، ولكنها لا تحظى جميعا بنفس الوضع · فهناك خطوتان متباينتان

يجب أن تسبقا عملية اختيار الحيوان المقدس • فواحـدة منهما تتطلب التدخل المادى من جانب الاله وكهنته وبايماءة ما ، يقوم تمثال الاله بالاشارة نحو الحيوان الذى وقع عليه اختيار القوة الالهية ، ضمن قطيع مقدس يربى فى رحاب المعبد (٤٩) •

ويتم تغيير هذا الحيوان كل عام ، ويصبح فى آن واحد بمثابة صورة لحورس وللملك • ويتم تتويجه بهذه الصفة، من خلال مراسم فخمة وفاخرة مثلما سنرى فيما بعد (٥٠)•

ولكن هناك أيضا الحيوان ذا الشكل غير المعتاد ، الذى تميزه بعض العلامات الجسدية المعينة عن غيره من الحيوانات الأخـرى بفصيلته والذى يتقمصه الاله منـذ مولده وحتى مماته • ومثل هذا الحيوان الفريد فى نوعه ، كان رجال الدين يبحثون عنه فى كافة أنحاء الدولة من أجل أن يدمج فى نطاق حياة المعبد (٥١) •

وعند موته ، ومثله كمثل الملك ، كان يحظى بشعائر جنازية • وربما كان بعض الآلهة يكتفون بمجرد قطيع من الحيوانات ، دون أن يلجأوا الى تحديد حيوان مقدس بذاته ، والبعض الآخر كانوا ينتخبون أحد حيوانات القطيع مـدى الحياة ، ولكن ليس هناك ما يثبت ذلك بالتأكيد • وعموما ، يعتبر كل من صقر ادفو وثور أبيس بمثابة الأمثلة النموذجية للحالات الأكثر شهرة ، التى سوف نقوم بدراسـتها عـلى التوالى ، من أجل محاولة تفهم آلية ما تحولت تدريجيـا الى ما يشبه النظام القـائم ، المثير للتعجب من جانب السـياح القدامى الذين كانوا يزورون مصر •

في اطار رحاب معبد ادفو ، كان الصقر الحي (٥٢) ، يحظى بمسكن داخل أرض مسورة مخصصة كلية من أجله • وكان هذا المسكن يتكون من فناء ومقصورة صغيرة وشرفة من أجل التجلي الملكي • وكان الأمر يقتضي أن تتضمن الساحة المسورة أيضا حظيرة للطيور بها العديد من الصقور، يستطيع اله المعبد ، في كل عام ، كما ذكر آنفا ، أن يحضر لاختيار حيوانه المقدس منها • وكان اختيار الصقر كل عام يتم ، في اليوم الأول من أول أشهر فصل بذر الحبوب ، بواسطة نفس تمثال الاله حورس الذي يقوم الكهنة باخراجه من معبده •

وكان هؤلاء الأفراد ، الذين يلبسون أقنعة تشبه رأس الصقر أو ابن آوى ، يمثلون الأجداد الأوائل بمصر العليا والسفلى ، ويتقدمون الموكب في هدوء حتى المعبد الصغير الخاص بالصقر الحي • فيتم تقديم بعض الجوارح الواحد في أثر الآخر والتي يتشابه لونها بلون رع أمام الاله • وعندما يقدم الصقر الذي يقع عليه الاختيار لذاك العام ، كان التمثال يتقدم ــ تلقائيا ، على ما يعتقد ــ نحوه • وعندئذ يقدم مربي الصقور للطائر مجثما ، يتكون من قاعدة تعبر نقوشها عن واجهة القصر الملكي الأولى وتعلوه قبة صغيرة • ومنذ تلك اللحظة يصبح الصقر بمثابة الملك الالهي ، ويخلع عليه لقب « جلالته » • ولم يذكر لنا المصير الذي يلاقيه صقر السنة الماضية الذي خلع من منصبه • وحالما يقع الاختيار ، يتم ادخال الصقر المقدس في شرفة التجلي الملكي من أجل تقديمه الى جماعة العابدين المميزين الذين يحضرون المراسم ، وعلى ما يبدو ، فانطلاقا من هذه الشرفة

الواقعة فوق باب دخول معبد الصقر ، فيما بين البوابتين ، كانت ترتل الصلوات من أجل « العام السعيد » ، وهو أحد مظاهر حتحور ، ومن أجل سخمت (٥٣) . وكانت هـــذه الصــلوات ترتل من أجــل الحصــول من الالهــة حتحور ــ سخمت على الحماية السنوية الدائمة للصقر الجديد الحي ــ وعندئذ تظهر حتحور فى مظهر مزدوج . فى البداية تبدو وقد وضعت على رأسها جثة أنثى النسر يعلوها التاج الأبيض، وهى تمسك بفرع النخيل الذى سجلت عليــه اليوبيلات . انها تمثل جنوب مصر . وأيضا ، تبدو على هيئة لبؤة ، وقد اعتلى رأسها قرص الشمس ، وبذا تصبح بمثــابة سخمت وتمثل شمال مصر . ويقوم الملك وهو متوج بتاج الشمال ببعض الطقوس أمام حتحور والصقر . ويسانده تحوت ، الذى كان يحمل الكتابات باعتباره رئيس المراسم . ويقوم الملك عندئذ بعمليتى تبخير ، وهو يصف ما يقوم به : « اننى أبخر رع ، اننى أعبد الإيراوس (حتحور) . اننى أتضرع اليه من خلال كل أسمائه من أجل أن يضفى حمايته على » . وتلى ذلك ابتهالات مسهبة ، كان الهدف منهــا هــو تأكيــد التطابق بين ملك مصر ، ابن رع ، وبين الصقر ، الحى ، نفســه ابن رع والتجلى المرئى للاله . وكانت الصـــلوات الموجهة لحتحور ــ الســنة الســعيدة ، التى تركز خاصــة على هذا التطابق ، تعود على الصقر الحى ، وعــلى الملك ، بواسطة نوع من التطابق ، بالنفع والخير ، مثل : السرور ، والفرح ، والقوة ، والرخاء ، والسعادة ، وطــول العمر ، والصحة وغيرها الكثير . فان كل فقرة من فقرات النص

كانت تتعلق بمظهر من مظاهر السنة ، يعبر عنه بواسطة وصف من الأوصاف وتطالب هذا المظهر بالخير الذى يجسده • « أيتها السنة السعيدة ، فلتجعلى عظام الصورة الحية ، الصقر الحى ، الابيس الحى ، سوية ، وأضفى الصحة على جسده ، والقوة على عضلاته ، واجعلى أعضاءه فى أحسن حال ، عند حضورك المعتاد فى حقبة محددة » (٥٤) • ثم توجه بعد ذلك لحتحور ـ سخمت ، أى مظهر الالهة الخطرة ، بعض التضرعات لكى تحمى الصقر الحى والملك الحاكم من أى أخطار خلال هذا العام الجديد (٥٥) : من الأمراض المعدية، والأوبئة ، ومن مجازر الجان المدججة بالسكاكين ، الخ •

وتبدو القائمة مسهبة للغاية ، فهناك تضرع لسخمت من أجل حماية الصورة الحية حتى « من كل ذبابة ضارة خلال هذا العام لكى لا تلتصق به » (٥٦) • وعبرت هذه الأمنيات أيضا عن الرغبة فى أن تمتد هذه الحماية الى « حاشيته ، ورفيقته وأبنائه »(٥٧)• وتنتهى هذه التضرعات فى نهاية الأمر ، بسبعة مقاطع تهدف الى وقاية الملك الصقر الحى من « سهام العام السبعة » ، رمز كافة المخاطر التى يمكن أن تلحق بملك مصر : «أيا سخمت التى تحب العدل والتى تمقت الظلم ، أيا ربة البشر ، تعالى الى الملك بطلميوس ، الصورة الحية ، الصقر الحى : انقذيه ، احميه ، ارعيه من سادس أسهم العام ! أيا سخمت ـ الحية يا من تفتحين الدائرة(٥٨)، أيتها الربة ، تعالى الى الملك بطلميوس ، الصورة الحية ، الصقر الحى : انقذيه ، احميه ، ارعيه من سابع أسهم العام ! » • وفى النهاية ، تذكر كافة أسماء الصقر الالهى من أجل تأكيد هويته : « (انه) هو الملك ، بطليموس ، متع

بالحياة » (٥٩) · بعد ذلك يتم انزال الحيوان المقدس من شرفة التجليات ويدخل الى معبده · ويقوم الكهنة بارشاده قائلين : « سر نحو المقام الأعظم من أجل أن تأخذ الملكية من يد أبيك حورس رب ادفو ملك السماء الأعظم » (٦٠) ·

وخلال الجزء الثانى من المراسم ، يتلقى الصقر الحى، أى بالتالى الملك ، الشارات الملكيـة من يد اله المعبـد ومن تاسوعه · « لقد توج ملكا فوق عرش أبيه » (٦١) ، فهكذا تعالت الصـيحات · وتعتبر المراسـم التى تمت عنـدئذ ، متشابهة من عدة أوجه مع مختلف مراحـل التتـويج الملكى نفسه · ففى البداية ، تتم عملية المسح بالدهانات المطرية، فبطرف اصبعه الصغير ، يقوم المقيم للقداس بوضع قليـل من الدهان العطرى فوق جبهة الطائر ، ويقول : « الزيت العطرى فوق جبهتك : فلينمش وجهك، آيا رب الأرباب» (٦٢)، وتذكر ترتيلة ترسخ من خلالها هوية حـورس رع بتجليه الحيوانى · ثم يأتى بعد ذلك دور القربان الرئيسى المخصص من أجل الصقر الحى وعلى ما يبدو لتمثال حورس أيضا، وهو عبارة عن : المجوهرات الذهبيـة التى تمثـل احـداها رمز الأبدية تعلوه العلامة (الهيروغليفيـة) للمعبد ، ويؤدى له ترتيل : « ان الضفاف هن خادماتك ، لعظمة قوتك ، انهـا تفيض فرحا عند رؤيتك ، لقد بسطت جناحيك باعتبارك صقرا مقدسا فانت تقهر قلوب أعدائك » (٦٣) · لقد تماثل بالاله نفسه ، فأصبح قادرا ، بفضل قوة جناحيه وقوة النار المتقدة من عينيه ، وبأس مخالبه ، على تدمير أعدائه تدميرا تاما · وهنا يتلقى الصقر الحى أول باقة زهور تقدم اليه : « تقبل هذه الباقة من أبيك المبجل ، حـورس رب ادفو اله

السماء الأعظم ! انه يمدحك ، ويحبك ، ويجعلك تعيش أبدا ، ويقضى على جميع أعدائك ، سواء أكانوا موتى أم احياء » (٦٤) . ويشير النص بعد ذلك الى المظهر الأولى للاله الصقر ، ويومىء الى انبثاقه المتألق من أعماق « نون » . وتتطابق باقة الزهور بالمركب المصنوعة من البوص ، التى تقول نظرية خلق الكون الخاصة بادفو ، انها قد ظهرت بشكل غامض فوق سطح المياه الأزلية ، فى بداية العالم ، لتسمح للطائر رب الأرباب بأن يحط عليها . وعندئذ يقوم رع ، وآمون وبتاح ، وهم الآلهة الأسرية ، بتقديم باقة زهور أخرى للصقر . « تقبل باقة الحياة من جلالة الاله رع : انها (من أجل) وجه رب البشر » (٦٥) . اذن ، فهذا القربان الجديد يرمز الى الملكية فوق الأرض والسلطة على البشر . وتم وضع باقة ثالثة فيما بين الصقر الحى وحتحور : « فلتقبل باقة أمك القوية الشكيمة ، حتحور العظيمة ، ربة دندرة ! انها تمدحك ، انها تحبك ، وتعطيك الأبدية ، وتقضى على جميع أعدائك ، سواء أكانوا موتى أم أحياء .. انها تنعش جسدك مرة أخرى ... انها تمنحك سعادة أخيها أوزيريس ، لقد استحوذت من أجلك على عرشه ، وهى منتصرة ! انها تمنحك بلد ابنها حورس » (٦٦) . وفى هذه المرة ، ارتبطت باقة الزهور ، بالعالم الجنازى وبالبعث الأوزيرى . وقدم قربان آخير من الزهور تحت قدمى الصقر ، فى حين كانت التراتيل النهائية تتوجه الى الشمس الغاربة : « فلتقبل زهور تجليك المرئى ، يا آتوم . ولتملأ الفرحة قلبك ... أيا صقر المشرق ، انك تصل الى جبل الغرب حيث تغرب الشمس (فى حين) تبقى مركبك مستقرة فى

السماء ! » (٦٧) • ويبدو واضحا ، أن الشعيرة بأجمعها تعبر عن وجود الصقر والاله الشمسى ممتزجين • فكل منهما يشرق صباحا ، وكأنهما يتبثقان من « نون » ، ويهيمنان على العالم وهما يحلقان في السماء وينبثان عن بعثهما من جديد حتى قبل مضيهما وراء الأفق •

وعندئذ يدخل كل من حورس رب ادفو والصقر الحى خل المقصورة المظلمة وقد تبعتهما حتحور • وهناك ، كانت قد نصبت نقالتان تشبهان الأسرة الجنازية الخاصة بتوت عنخ آمون • وفى هذا المكان المنعزل كان يتم نوع من الولادة ، وتشير النصوص الى عملية الرضاعة والى الأسوار التى اقيمت حول المولود الرقيق • وكان الطائر الكاسر ، يتبع الاله الذى يمثله والذى يقوده الى ألوهيته • وكانت كل مرحلة من المراحل تضفى عليه كفاءات اضافية ، سواء فى المجال الملكى أم الالهى • وكان كل تقدم فى اطار الشعائر ، أى بالتالى فى نطاق الحصول على كفاءات ، يتماثل بفترة حمل وبمولد جديد • وبشكل تدريجى ، كان العمل يتم من أجل أن يستفيد الاله الحى من جميع المعرفة الكهنوتية المصرية ، حتى تكفل له الحماية التامة • وكان يتم نوع من الاندماج مكون من كافة القوى الالهية المتاحة ، حتى لا تكون هناك أية فرصة مواتية للشر أو للمصادفة • ولا شك أن كلا من تحوت وسشات ـ وكذلك الملك ـ كانوا هم الممثلون لهذه الدراما الشعائرية • واعتمدت بقية الطقوس ، على زيادة ادماج الطائر وتمثال الاله ، وفى نفس الوقت استعادت مجموعة الطقوس التى ترمز عادة الى تتويج الفرعون • وتبدو الانشطة الطقسية ، واضحة التعقيد ، بل وتعتمد

على بعض الأعمال اليدوية فى أغلب الأحيان، وتتخللها بعض التراتيل والادعية • وكان من المفروض أن الملك هو الذى يؤدى الحركات ويعبر عن التعليق الذى يصاحبها • عموما ، هناك نوع من الغموض يشوب ذلك بشكل تدريجى ولا يجد ما يوضحه • فلا يعرف بالضبط ، هل التمثال أم الطائر ، هو الذى يتخذ كدعامة للحركات والعبارات • وفى واقع الأمر ، يتراءى أن هناك رغبة فى مزج الواحد بالآخر مزجا فعليا • ومهما يكن الأمر ، فها نحن نصل الآن الى مرحلة ارتداء الملابس ، ووضع عصابة الرأس ، والقماش المطرز، ثم النقاب • وتتعلق القائمة المسهبة التى تعدد بعد ذلك التمائم العديدة التى يزين بها الاله نفسه وبالطائر الكاسر ، الذى قد يشك فى أنه سوف يقبل عن طيب خاطر مثل هذه العملية • ولا شك أن كل هذه المجوهرات الثمينة تعتبر ذات فعالية واقية ، فمن المؤكد أن المادة ، والأشكال التى صنعت بها هذه التمائم تعتبر ذات تأثير ما • ولكن هذه الأشياء فى حد ذاتها ، وبعد وضعها على جسم التمثال أو الطائر ، لا تكفى من أجل الحصول على الفعالية المطلوبة • فأكثر التمائم أهمية ضمن هذه المجموعة ، والتى تمثل بعض الآلهة الحامية ، قد رسمت فوق الرمال أسفل المحفتين، وقد رسمت أيضا دائرة سحرية ، بواسطة عود من الطرفاء ، حول هاتين المحفتين • وعلى ما يبدو ، يعمل عود الطرفاء هذا على امداد خطوط الرسم بمقدرة ابعاد أعداء الاله واهلاكهم • كما أن مجرد رسم العين المكحلة (العين أوجات) بالحبر الأحمر فوق الرمل، يعمل على وضع المحفتين فى وسط أكثر الأشكال حماية على الاطلاق ، التى ترمز فى آن واحد

الى عين الشمس المتألقة والى اكتمال أرض مصر ، وتصاحب هذه الأعمال وهذه الرسومات أيضا بعض التراتيل التى تذكر الالهة الراعية ، وتدعوها الى الرعاية ليلا ونهارا ، بل والى الاقامة الدائمة بالمعبد • ولا شك أن تحوت لم يبتعد أبدا ، فهو ماثل هنا وقد حمل على ذراعيه بعض كتب الطلاسم وعلى استعداد تام لترتيل كافة الصيغ المناسبة (٦٨) • ومع ذلك ، فان كل هذا الاحتفال ، الذى يتعلق بالسحر العملى، لم يعمل نهائيا على جعل الاله بمنأى عن كافة الأخطار • ورسم على بعض الأوانى أشكال للأعداء بالحبر الأحمر والأسود ، وهشمت فوق الأرض • وصاحب ذلك ترديد بعض اللعنات من أجل التعزيم على السحر الضار • واستلزم الأمر القيام بعملية تطهير ، كررت أربع مرات ، وذلك بغسل وجه الاله والبصق على الأرض • ثم حان الوقت الآن للتجهيز من أجل المساء • وتستلزم الضرورة أيضا توفير الحماية ، ولكن بشكل خاص ، من هذه الفترة الخطيرة • وتم عمل عقدة فى أعلى رداء الاله ، يتم فكها عند مشرق الصباح • وعلى ما يبدو، كان الهدف من هذه العقدة هو سجن جميع الأرواح الشريرة التى قد تقترب من الاله • حقيقة ، ان فكها ، فى الصباح ، يعمل على اطلاق هذه القوى المعادية : وبذا تصاحب عملية اطلاق السراح هذه تحطيم الأوانى التى تعمل بذلك على تحطيم القوى المعادية (٦٩) • ثم يتم اطعام الاله بقليل من اللبن ، فان اللبن ، الذى يعتبر بمثابة مشروب المواليد ، هو بالتالى مشروب من أجل مولد الاله مرة أخرى ، ويعمل أيضا على ابعاد شياطين الليل نهائيا ، التى ربما كانت ماتزال تجوب المناطق المجاورة • ثم تعاد ثانيا عملية

الصلوات المسهبة الواقية ، من أجل عودة مولد الشمس ، ولاعطاء مزيد من الفاعلية . ثم يتكرر ترتيل الصيغ التى تعمل على « ردع العين الضارة عند مطلع النهار»(٧٠)٠ ثم يحضر تحوت لكي يمد يد المساعدة . فيوجه الى رع تضرعا ليلتمس منه حماية الاله من كل روح منتقمة أثناء استيقاظه، ويبعد عنه آية أضرار ممكنة ، مهما كان مصدرها : « سواء أكانوا بشرا أم آلهة، أرواحا لموتي مجدوا أو لم يمجدوا. فلن يرتكبوا ما تضمره قلوبهم نحوه ! انه الصورة الحية ، الصقر الحى ، الاله الأوحد ، الذى انبثق من « المضيئة » ، فلتحى يدى « القوية » أعضاءه ! انه النسر فى صباه ، بداخل عشه فى خميس » (٧١) ٠ ثم حدث صوت انزلاق ٠ واعتبر الصقر وهو يستيقظ وكأنه طائر وليد ، يتماثل بالطفل حورس ، ابن ايزيس ، وهو داخل أدغال البردى ٠ ان ايزيس ، أمه ، هى التى سوف تقوم منذ تلك اللحظة بمهمة حمايته ٠ ومنذ هذا الوقت أصبح الاله الفتى فى بيئته الجديدة ، يوصف وهو يقتنص الأعداء كما تقتنص الطيور ، ويدعم من انتصاره على ست وأعوانه الخطرين ٠

وفى نطاق المعبد ، بدا آن الاحتفال اللا نهائى قد أوشك أن ينتهى ٠ ولكن مازالت هناك صلوات للتضرع من أجل الحماية ، وتعمل احداها على مطابقة كل عضو من أعضاء جسم الصقر الذى نصب ملكا بأحد الآلهة واعتباره بذلك بمثابة تلخيص جسدى لمجمع الآلهة المصرى ، وبذا أصبح ، على ما يعتقد ، بمنأى تماما عن أى ضرر ٠٠ ولم تنس أبدا كافة القوى الالهية التى تسكن الكون لكى تكون شاهدة على التتويج الذى تم في نهاية الأمر : « أيها الآلهة فى

السماء ، أيها الآلهة فوق الأرض ، أيها الآلهـة فى العـالم الآخر ، وفى أعماق الماء ، وفى الجنوب ، وفى الشمال ، وفى الغرب ، والشرق ! اذا كانت الصورة الحية ، الصقر الحى ، قد توج فانكم أنتم (أيضا) قد توجتم • انه حـورس ابن ايزيس : ان عينيه فى جبهته والحيات أمامه » • « ان ربة الرعب ،التى يخشى بسها ،تضرب انيشر والأشباح والموتى على وجوههم وهى ترتفع ضاربة بجناحيها عند عودتها من «أرض الاله » • وبذا توفر حتحور للاله الحى حمايتها ، لدرجة أنه من الممكن أن يلخص ارتباطها بالصقر فى هذه العبارات : «ان كيانك هو كيانه، (و) حياتك كامنة فى أعضائه»(٧٢)• ولا شك أن احتفالات اختيار وتتويج الصقر الالهى ، بكل أحداثها قد أنجزت مهمة ذات أهمية قصوى بالنسبة لمصر ، نظرا لمضمونها عن آلية الكون وتوازنه • لقـد اسـتوعب الصقر الحى فى كيانه كافة المساعدات الالهية الممكنة ، وبذا فهو سيكفل فى مقابل ذلك، وخلال عام كامل ، فى آن واحد، الحماية لرع ، وللشمس المتجددة ، وللملك أيضا •

انتهت الاحتفالات ، وبذا أصـبح الطائر مدمجـا فى الحياة العادية بالمعبد • وعاد الموكب الى المقصورة الرئيسية من أجل المشاركة فى الوليمة التى يقيمها شو ، ابن رع الذى يمثله الملك • وهى حقيقة وليمة أعياد ، ولكنها ، باعتبارها كأول وجبة فى هذا اليوم ، فهى تعتبر بمثابة وليمة الشعيرة اليومية التى رأيناها آنفا • وبذا فقد قدمت ، مائدة مليئة بالقرابين للصقر الحى وللتمثـال • ولا ريب أن اختيـــار أصناف الطعام يتطابق تماما مع عادات الطائر المقدس • وتتكون قائمة الطعام من قطع اللحم البقرى ولحوم الطرائد

البرية • وترمز هذه القطع من اللحوم الحيوانية ايضا . الى الأعداء الذين اقتنصوا أو قتلوا • ووفقا لسياق شهير ، تصبح الوجبة ، بمثابة تدمير رمزى للأعداء وامتصاص لقواهم وسطوتهم (٧٣) • وتبين بقية الاحداث العودة التدريجية للعادات الطقسية اليومية • ويتم التبخير ، من اجل ان تتطابق رائحته مع شذا وجبة اللحوم . حتى يستطيع الاله « أن يستطعم وجباته من خلال رائحته » (٧٤) • وبالرغم من أن القربان يقدم للطائر الحى ، بداخل معبده ، فمن الواضح انه يعامل تماما بنفس أسلوب معاملة التمثال الالهى • ولم تكن قطع اللحم نفسها قد وصلت بعد الى متناول شهيته الدنيوية ، فقد أدخل البخور اليه رائحتها فقط • ويتعلق الامر هنا بحقيقة شعائرية بحتة • فلقد عرف ، من خلال أحد الجداول الادارية المبسطة الخاصة بتسليم (البضائع) ، أن الصقر المقدس فى احدى المدن التى ربما لم تكن ادفو كان يقدم له لحم الحمير كغذاء ، أى لحم عدوه التقليدى « ست » (٧٥) • وعلى مدى عام كامل ، يستمر الصقر على قيد الحياة ، وهو جاهل مثلنا ، كل شيء عن المصير المقدر له ، بعد ذلك • عموما لقد أصبح لفترة ما بمثابة دعامة للاله ، ولهذا فسوف يقوم بدوره الأسامى كضامن لقوى الملك المتجددة وللنظام الكونى الذى أوجده رع •

وتتباين طبيعة المعلومات المتعلقة بالمجل أبيس ، وهى صادرة اما من منف أو من سقارة • ونحن لا نملك سوى القدر اليسير من المعلومات عن الحيوان الحى ذاته • ولكن الشعائر الجنازية التى كانت تقام من أجله ، قد تركت وراءها عددا من البقايا الأثرية ذات الأهمية الكبرى ، اذن

فالوضع يختلف عما شاهدناه بالنسبة لصقر ادفو • وبعكس صقر ادفو هذا ، يلاحظ ان أبيس ينتمي الى هذه الفئة من الحيوانات المقدسة التي تهيئها لذلك بعض العلامات الخاصة منذ مولدها والتي تجسد الاله طوال حياتها • ومع ذلك ، فهو أيضا يرتبط ارتباطا وثيقا بالملك • ومنذ فجر التاريخ المصرى ، اقرت عبادته في منف • ولا يعرف عما اذا كان الحيوان ، منذ النشأة الأولى ، بمثابة جوهر الهى مستقل تمام الاستقلال ، ولكن عرف عنه أنه كان يرتبط ارتباطا وثيقا بشخص الملك ، وينقل اليه قوته الانجابية • وسرعان ما أصبح بمثابة الصورة الحية للاله الأسرى بتاح ، الذى يجسده • وفيما بعد ، ارتبط برع ، واستعار منه ، على ما يبدو ، القرص الذى يحمله بين قرنيه ، وارتبط أيضا بأوزيريس •

وعندما يموت أبيس ، يقوم كهنة معبد بتاح بمهمة البحث ، في كافة مراعي مصر ، عن العجل الصغير الذى سوف يخلفه بمطابقته ببعض العلامات المحددة • فالضرورة تستلزم أن يكون جلده أسوداللون، في حين تحمل جبهته بعض العلامات البيضاء الواضحة ، وكذلك الأمر بالنسبة لرقبته وجسمه • ويجب ألا تقل هذه العلامات البيضاء عن تسع وعشرين علامة، وفقا لماذكره بعض الكتاب الكلاسيكيين(٧٦) • وبمجرد أن يتم العثور على مثل هذا الحيوان ، يسارع ببناء مكان مؤقت وفسيح الأرجاء من أجل ايواء آمه ومرضعاته حتى يحين موعد فطامه ، وعندئذ يتم نقله الى منف ، بعد التوقف لمدة آربعين يوما في نيلوبوليس ، الواقعة أمام هذه العاصمة ، وخلال هذه الفترة ، تستطيع النساء

الاقتراب منه ، لمجرد رفع ذيل ملابسهن الى أعلى ، ليكشفن له عن عضوهن الانثوى ، ويعتقدن بذلك أنهن سوف يتمتعن بالخصوبة . ثم يصل ابيس بعد ذلك الى مقره النهـائى ، جنوب معبد بتاح بمنف ، في وقت اكتمال القمر . وكان يحظى بعدد من الكهنة وبحريم من البقرات .. ومع ذلك ، يلاحظ أن الروايات تتعارض بالنسبة لهذه النقطة الاخيرة ، فلم يكن لأى عجل من أبيس سلالة مباشرة ، فيما عدا بعض الاستثناءات(٧٧). وهذا امر يثير الدهشة خاصة أنه ، وفقا لما ذكره ديودور ، كان محاطا بحريم ضخم (٧٨). وتقدم رواية أخرى تبريرا مقنعا ، فهى تقول ، انه كان يتم اختيار بقرة من بين البقرات وتقدم لأبيس مرة واحدة فى العام ، ثم تقتل حتى لا يكون هنـاك نسـل (٧٩) . فربما تكـون السلالة المباشرة لأبيس غير حاملة للعلامات الالهية ، وبذا، حتمت الضرورة ألا يحدث مثل ذلك الأمر ، وكان يستحسن الاعتقاد أن أبيس ، ابن بتـاح ، قد ولدته أم قام الاله ، وهو على هيئة لهب سماوى ، بتلقيحها (٨٠) .

ولم يصل الى علمنا شيء عن الطقوس اليومية الخاصـة بالاله ، ولكن من المعروف أنه منـذ العصـور السـحيقة القدم (٨١) ، كان الملك والثور يدمجان معا فى اطار بعض المراسم. فعلى سبيل المثال كانا يقومان بسباق، وهو بمثابة شعيرة خاصـة بالخصوبة تتركز فى حرث جزء من الأرض الممكن زراعتها . وبعد ذلك ، أدمجت نفس هـذه الشعيرة فى مجموعة الأعياد اليوبيلية التى تهدف الى انعاش السلطة الملكية (٨٢) . وفى وقت أكثر تأخرا ، أصبح أبيس بمثابة الدابة الناقلة لأعضاء جسم أوزيريس التى أعيد تكوينها ،

لنقلها الى موقع مقبرته • وعموما ، فقد كان يحظى بشعبية هائلة • وكان يتشابه مع الثور بوخيس فى صــفة الــوحى الالهى ، وكانت بعض تصرفاته توحى بعلامات معينة وتصبح مجالا لتأويلات عديدة • وحقيقة ، ان المصادر الهيروغليفية لم تقدم ابدا ادلة عن وساطة آبيس كوحى الهى(٨٣)، ولكن هذا لا يمنع آن المؤلفين الكلاسيكيين قد قدموا نصوصا محددة عن بعض استشارات الوحى الشهيرة ، فعلى سبيل المثــال ، يقول بلين : ان نذير ثور منف قد يكون شرا أو خيرا تبعــا لقبول أو رفض هذا الحيوان لغذاء من يقدمه له• وهناك مثال يشار اليه دائما ألا وهو التنبؤ بموت جرمانيوس Germanious الذى رفض آبيس قبــول قربانه • ولقــد تم التنبؤ بمــوت أودوكس بشكل مغاير ، فان آبيس قد لعق ملابســـه ، من أجل ، آن يوصل له رسالته • اذن ، فقد كانت أساليب اجابته مختلفة ومتباينة • وكان يحتمل تنبؤه أيضا بما قد يصيب مصر من خير أو شر ، وذلك باختيــاره الدخــول الى مربط محدد (٨٤) •

وكانت آمه تحظى هى الأخرى بشــعائر معــه ، فمن اللازم وهى على قيد الحياة ، أن تحظى بمساحة محددة فى نطاق معبد بتاح ، ومثلها كمثل ابيس ، عند موتها ، يتم دفنها فى سقارة ، وتتشابه الطقوس الجنازية الخاصة بهــا مع تلك التى يحظى بها آبيس نفسه (٨٥) • ووفقا لبعض المصادر المتباينــة ، يبدو أن أم آبيس كان فى استطاعتها عدم الاستقرار فى منف حتى يحين موتها ، بالرغم أنها من المؤكد كانت تدفن فى جبانة هــذه المدينــة ، باحدى غرف سرداب أمهات أبيس• ولكن لماذا كانت تبتعد أحيانا عن مكان

مقر ابنها ؟ ربما قد يفيد هذا التبرير : عندما يموت آبيس قبل أمه ، فانهـا تضطر الى آن تترك مكانهـا لام خليفته ، فلا يمكن ان يكون للثور ابيس امان (مثنى ام) فى وقت واحد ٠

وكانت الطقوس الجنازية المخصصة لهذا الثـور عـلى قدر كبير من الاهمية ٠ وعموما ، يمكن آن تقدم قائمة محددة عن جنازاته ، ولكن مع اعتبار ان الوقائع الثابتة او المفترضة ترجع الى العصر المتأخر ٠ ونحن لا نعرف الى آى مدى كانت هذه المعلومات تتناسب مع العصـور السابقة ٠ عموما ، ان آكثر المقابر الخاصة بأبيس قدما التى عثر عليها ترجع الى الدولة الحديثة ٠ وبداية من هذه اللحظة ، استمرت المراسم فى تطورها واستعارت آهم نقاطها من المراسـم الجنـازية البشرية ٠ فعلى سبيل المثال ، ربما كان التحنيط قد طبق خلال الأسرة السادسة والعشرين ، وفى نفس هذه الفترة انتهت الاستعانة بالتـوابيت الخشـبية وبدأت الاسـتعانة بالتوابيت المصنوعة من الجرانيت ، التى يمكن رؤيتها حاليا فى سراديب السرابيوم ٠ ولا شك آن انعدام الآدلة هـــذا عن المقابر فى آكثر العصـور قدما ، فى حين آن النصوص الخاصة بطقوس آبيس الحى تعتبر ، كما سبق آن ذكرنا ، عريقة القدم ، مما يثير العديد من التساؤلات ٠ ومن خلال محاولة تبرير عدم وجود آية آثار للمقابر القديمة ، اعتقد آنها ربما لم توجد آصلا : فربما آن الملك كان يلتهم الثور آبيس من آجل آن يكتسب قواه الالهيـة ٠ وتعتمد هـــذه النظرية على نص عريق القدم ، حفظ فوق جدران الأهرام وعرف تحت عنوان «آنشودة الى الملك آكل لحوم بنى جنسه»،

فالنص يصف الفرعون وهو يستحوذ على سلطة الآلهة ، وذلك بالتهامه لبعض أجزاء أجسادهم • ولم تقدم المقابر الأعرق قدماً بالسرابيوم ـ قبل تطبيق شعائر التحنيط ـ سوى أكداس من العظام المتناثرة • اذن ، فقد اعتقد أن الأمر قد يتعلق ببقايا وليمة تمثل حقيقة الوجبة الأسطورية الملكية التى وصفها ذاك النص القديم (٨٦) ، وربما كان من المستحيل اثبات حقيقتها ، ولكنها على الأقل مثيرة للتخيل •

ولكن بالنسبة لمعلوماتنا عن التحنيط ، فنحن نقف على أرض أكثر صلابة • فعند موت الحيوان يتم نقله الى المكان الذى سوف يحنط به • ومن الممكن اليوم ، القيام بزيارة اطلال هذا المكان ، فى منف نفسها ، حيث توجد مائدة تحنيط ضخمة مصنوعة من المرمر ، وقد زين جانباها ، بأشكال تبين جانب سرير جنازى ذى رأس الأسد • وفوق هذه المائدة ، كان يتم تفريغ الحيوان من دمائه التى تجمع بواسطة قناة للتسريب ثبتت عند أحد الجوانب الصغرى • ولقد سبق أن ذكر ، أن أسلوب التحنيط هنا ، كان يتطابق مع ذاك الذى يستعان به من أجل البشر ، فقد كان يتم نزع الأحشاء لتوضع فى آوان خاصة ، هى الأوانى الكانوبية ، بعد ذلك ينقع الجسم فى النطرون الجاف طوال عدة أسابيع ، وحالما يتخلص من رطوبته، يتم لفه فى لفائف• ويستلزم الأمر أن تستمر هذه العملية طوال سبعين يوما تقريبا(٨٧)، أى طوال كل الفترة المطابقة لاختفاء نجم الشعرى اليمانية • وكان خدم الاله ، منذ وقت اعلان وفاته ، يلتزمون بالحداد• فكان عليهم الاشتراك فى السهرة الجنازية ويصومون صياما تاما خلال أربعة أيام ، ثم صياما جزئيا حتى نهاية

الاعـداد لعمليـة التحنيط (٨٨) • ولقـد جمعت بعض المعلومات الاضافية الخاصة بالمشاركين فى هـذه المراسم بفضل اللوحات التى كان الملك أو كهنـة بتـاح يسمحون بوضـعها فى سراديب السرابيـوم • فان الذين كانـوا قد ساهموا ، بشكل أو بآخر ، فى عملية دفن أبيس كانوا يحظون بهذا الحق كمكافأة على خدماتهم • وتحاول هـذه المستندات أن تلقى بعض الضوء على الروابط التى كانت تجمع ما بين الموالين للاله وبين جثمانه (٨٩) • وكان هـؤلاء الأنصـار يختارون من داخل العائلة الملكيـة نفسـها • فمنـد مـوت أبيس ، قال بسماتيك الثالث الذى كان مرشحا للعرش : « اننى خادم فعلى ومقرب للاله • لقد التزمت بالحداد عنـد مـوته ، وحرمت نفسى من المـاء والخبز حتى انتهاء الأيام الأربعة • كنت عاريا وأرتعش فوق مقعدى •• ولم أتناول أى غذاء سـوى الخبز ، والماء والخضراوات حتى انتهـاء السبعين يوما، أى عندما خرج الاله العظيم من قاعة التحنيط، واستقر فى مقبرته الكبرى بالجبانة الواقعـة فى الصحراء الغربية لمنف » (٩٠) • وبمجرد انتهاء التحنيط ، يقـوم موكب من النـائحين والمشـيعين ، وقد تقـدمتهم فرقة من فرق الجيش ، لقيادة الاله الى « خيمة التطهير » حيث كان يتلقى بعض القرابين الجنازية • بعد ذلك يتم رفع المومياء من الوادى حتى أعلى الجرف الصخرى ، حيث تقع الجبـانة ، بواسطة عربة ذات أربع عجلات تعلوها قبة (٩١) • وفى وسط هذه القبة أحـدثت فتحة ، من أجـل ظهـور رأس المومياء ، وعند وصول الموكب الى السيرابيوم ، كانت تتم الطقوس الخاصة « بفتح الفم » ، مثلما كانت تتم بالنسـبة

لأى كائن بشرى أو ، كما شاهدنا ، بالنسبة للأشكال الالهية في أى معبد · ومن الصعب التأكد من أن هذه المراسم الأخيرة كانت تتم بداخل المعبد المكشوف السقف المعروف باسم أبيس / أوزيريس الذى يحدد مدخل سراديب الموتى ، حيث يقوم أحد الأقزام بأداء رقصة مقدسة عند مدخل السراديب (٩٢) · ومازالت أسرار هذه الشعيرة يكتنفها الغموض الى حد ما فمن المعروف أن القزم ، لدى المصريين ، يمثل شكلا جنينيا للشمس وهى فى فترة الحمل وعلى وشك أن تولد من جديد (٩٣) · ومن المعتقد بدون ريب أن هذه الرقصة تتعلق بطقوس الولادة الجديدة التى يحظى بها كل متوفى · ويعتبر هؤلاء الأقزام الراقصون من المحترفين · فها هو أحدهم ، وهو القزم تيوس ، الذى ساهم فى جنازة أحد عجول أبيس ، وقد رأى أن هذه اللحظة من حياته تعتبر على قدر كبير من الأهمية لدرجة أنه قد سجل فوق تابوته نص أدائها · وفى نهاية الأمر ، كان يتم وضع المومياء فى تابوتها الجرانيتى الضخم الذى تبلغ أبعاده : أربعة أمتار طولا ، ومترين وثلاثين سنتيمترا عرضا وأكثر من ثلاثة أمتار ارتفاعا ، ولا يقل وزنه عن سبعين طنا · ويسحب التابوت وبه مومياؤه حتى حجرة الدفن التى يتم سدها بعدئذ بحائط · ولا يسمح لأحد مطلقا بدخول سراديب السيرابيوم الا عند اعادة فتحها ، من أجل جنازة العجل أبيس التالى ·

اذن، فلا يعرف عن الأبيس سوى فخامة جنازاته، ولا يعرف عن صقر حورس سوى فخامة تتويجه · وكان كل منهما يساهم ، وهو فى معبده الخاص ، فى الطقوس الخاصة

بالاله المحلى • أما عن الملك ، الذى تربطه بهما روابط مقدسة متميزة . فهو مع ذلك يتواجد بشكل رسمى فقط وخاطف الى حد ما خاصة بالنسبة لأبيس • انهم ليسوا من البشر فى اطار العالم العادى ، وبذا فان هذه الحيوانات المقدسة كانت تكفل هى وأمثالها الكثيرون، نوعا من الوجود الالهى بين البشر• انه فى آن واحد وجود غير متوازن القوى، وفى متناول أكبر عدد ممكن من البشر بخلاف الأشكال الشعائرية بداخل المعابد ولكنه ، مثلها ، يكفل مع الملك التوازن الضخم من آجل عملية الخلق •

آلهة العالم الآخر

وفقا لمفهوم مترامي الأطراف يعتبر العالم الآخر ، بمثابة عالم نموذجي يديره ملك حليم وسمح • والموتى الذين سعدوا بمصيرهم هم الموتى الذين « برءوا » وتخطوا بنجاح اختبارات المحكمة الالهية • ولكن قبل الوصول الى المحكمة الالهية ، يتحتم على كل متوفي القيام برحلة سوف تسمح لنا بتكوين فكرة عن الأماكن التي يخترقها • وحالما يستقر المتوفى فيما شبه أحيانا بالجنة ، ينعم برخاء شبيه بالذى يعيش فيه علية القوم فى الدنيا •• ولكن هذا الوضع لا يجعله بالرغم من ذلك بعيدا عن بعض القلق ، فان هذه الاقامة التي تبدو مستقرة ظاهريا لا تجعل المتوفين بمنأى عن بعض الأفكار الغامضة ولا بعض الطموحات •

وبالرغم من مزايا وضعهم ، فهم يأملون فى أن يتمكنوا ذات يوم من ركوب مركب رع ، بموافقته • وعليهم ، هنا أيضا ، أن يتخطوا جميع العراقيل التى تفصل بينهم وبين تحقيق حلمهم • وليس المتوفى هو وحده الذى يتنقل ويعيش فى رحاب العالم الآخر • فان الشمس تقوم بعبور هذا العالم السفلى من أجل اعادة تكوين كيانها ، والحصول على قوة جديدة قبل مشرقها • انه يبدو كأراض مظلمة وأماكن فردوسية خاصة بأوزيريس ، ومغارات سحيقة تزورها

الشمس الميتة ، انه بمثابة مساحات ومصائر تبدو متعارضة فيما بينها • وسوف ترى ما المنطق الذى يجمع فيما بينهما بالرغم من ذلك ، مكونة بذلك كيانا كليا يضفي تماسكه على عالم يجد فيه الآلهة والبشر ، بعد موت ظاهرى أو فعلى ، طريق البعث من جديد •

مملكة أوزيريس

لقد قتل اوزيريس بيد ست (١) ، وتطلب الأمر تضافر كل مقدرة ايزيس السحرية مع تدخل الآلهة الأخرى من أجل اعادته ثانيا الى الحياة • وهنا ابتكر أنوبيس أول مومياء : « انظر : لقد وجدتك ممددا على جنبك ، بدون أى حراك ! وقالت ايزيس نفتيس ، أيا أختى ، انه أخونا ، ها هو • تعالى لنرفع رأسه ! تعالى لنجمع عظامه ! تعالى لنعيد ترتيب أجزاء جسده ! تعالى لنقيم سدا أمامه ! لكى لا يبقى هنا جثة هامدة أمامنا ! فلتنسابى ، أيتها الأخلاط الصفراء من هذا القديس ! فلتملأى القنوات ، لتصبحى بحيرات ! أيا أوزيريس ، فلتحى، أوزيريس ! فليقم هذا الفاقد للحياة المائل على جنبه ! اننى ايزيس (٢)» • ومن المعروف أن هذا البعث الى الحياة ، قد سمح ، لايزيس وأوزيريس بأن ينجبا حورس ، هذا الابن الذى ولد بعد موت أبيه ، والذى أقرت به الآلهة بعد العديد من التقلبات ، كوريثه الشرعى • لقد فقد أوزيريس بموته مملكته فوق الأرض ، ولكنه أصبح ملكا لعالم مختلف ، لا هو الأرض ، ولا هو السماء ، ولكنه العالم الآخر ، الوسيط ، المظلم الصامت • ونحن نعرف كيف كان انحراف البشر وأبناء جب ونوت السبب فى اقامة العالم البدئى ، حيث استقر كل من الأرض والسماء فى وضعهما

النهائي • ولقد اتخذ العالم الآخر ، الذى ربما كان قائما من قبل (٣) ، مكانه في اطار هذا التنظيم الجديد •

تقول بعض الروايات، أنه ربما قد أعد بواسطة أوزيريس من اجل تلبية احتياجاته الخاصة • « ان اوزيريس هو رب الغرب ، لقد أنجز العالم السفلى من أجل مومياته • انه الملك الذى يحكم كائنات العالم الآخر ويصدر أوامره للوافدين (٤) ، • وبالنسبة للأحياء ، يعتبر العالم الآخر الأوزيرى عالما خفيا ، وكما قيل (٥) : لا يعرف مكان اقامة « أرباب الأبدية ، ولا الاسماء السرية ، ولا المقاصير الغامضة » • وحتى بالنسبة للأموات ، فان مكان اقامتهم هم أيضا لا يمكن دخوله بسهولة أو مباشرة (٦) •

وعلى المتوفى أن يعد نفسه من أجل رحلة يواجه خلالها الكثير من التحديات والظروف الصعبة ، واذا كانت هذه الرحلة قد امتلأت بسلسلة من العراقيل ، فلأن الضرورة تحتم أن يبعد عن مكان اقامة أوزيريس كافة المتسببين فى القلاقل ، سواء أكانوا من البشر أم الآلهة الذين قد يعرضون للخطر دعامة بعثه من جديد ، أى مومياءه ، فان ست ومساعديه لا يتوقفون أبدا عن محاولة القيام بحملات الى مكان اقامته • ولا تعتبر المخاوف المتعلقة باحتمال أى تسرب سيىء بمثابة مخاوف وهمية • وبذا ، فان مختلف الطرق المؤدية الى القاعة النهائية مكان اقامة أوزيريس فى قصره ، قد وضعت تحت حراسة مشددة(٧) • وعموما ، فان المتوفى اذا كان واحدا من الأبرار ، فانه يجد أمامه ارشادات مدونة تكفى معرفتها لكي يصل الي غايته بدون آية عوائق : «مرشد

للطرق فى روستاو » ، « (طرق) من الماء والأرض : انها طرق أوزيريس»، انها فى ارباض السماء • ومن يعرف هذه الصيغة من أجل ان يذهب الى هناك ، فهو نفسه اله • وخلاف ذلك ، فهو يستطيع الذهاب الى أى سماء يرغب الذهاب اليها • ولكن الذى لا يعرف هذه الصيغة للمرور من هذه الطرق، فسوف ينتزع عن مائدة قرابين (الموتى) التى كانت قد خصصت مع أجل المعدمين ، سوف تنحى عنه الماعت الى الأبد(٨)» • اذن ، فمعرفة الطرق هذه هى أمر أساسى، ولكنه ليس كافيا • فان العراقيل ، والأخطار التى تملؤها تبدو كثيرة للغاية ، لدرجة أن مجرد معرفة تخطيطاتها لا تكفى لتلافيها كلها • وكبداية، لا تؤدى جميع هذه الطرق بالضرورة الى احدى الجنات ، فبعضها على سبيل المثال يؤدى الى سدود من النيران • وهناك بعض المردة ذوى النية السيئة يقفون فى انتظار المتوفى البائس الذى انطلق من « أجل خدمة أوزيريس (٩) » • انهم يحملقون فيه • وهم يعيشون بجواره • ولحسن الحظ ، هناك بعض الصيغ ، الغامضة غالبا ، التى تسمح ، بشرط معرفتها مسبقا ، بتخطى مرحلة ما أو بالوصول الى هدف ما مع تجنب بعض المقابلات الضارة • « صيغة من أجل المرور بجوار مدن المردة المدججة بالسكاكين، هؤلاء الذين يطلقون الصرخات : هذا هو الطريق (الموجه) الى أسفل ، لا تمر به (١٠) » • ومن أجل أن يتجنب المتوفى أية مقابلة مع أحد المردة القتلة ، يمكنه الاستعانة بمفكرة تحدد هوية هؤلاء المزعجين وتقدم له بعض الحلول « رأس فرس البحر ذو الهجمات العنيفة هكذا هو اسمه ، وهذه هى بركته • صيغة من أجل الابتعاد عنهم خلال

أوقات النهار ، اذا عرفها أحدهم ، فانه يستطيع ان يصل الى مستنقعه ولن يموت (ثانيا) » . « رأس الكلب المتعدد الاشكال » هكذا هو اسمه . « هذه التى أمامى » هى الصيغة اللازمة من أجل المرور بجواره (١١) » .

وخلاف هذه الطرقات ذات العراقيل . يلزم المتوفى بالمرور بعدد من الابواب (١٢) . وفى هذه اللحظة خاصة يجب ان يستعين بمعارف وبكفاءات تتشابه مع تلك التى تتمتع بها الآلهة من اجل محاولة الاقتراب منها ، وبدا فهناك « صيغة معينة من اجل الدخول فى نطاق جماعة اوزيريس الالهية ، أى عند الالهة الذين يديرون شؤون العالم الاخر . هؤلاء الذين يحرسون أبوابهم ، هؤلاء الذين يعلنون (على) أبوابهم ، أنهم حراس دهاليز الغرب (١٣)» . وخلال العصور الوسطى ، وفقا لما تذكره نصوص التوابيت ، كان المتوفى يمر بثلاثة دهاليز . الدهليز الأول مصنوع من اللهب الازرق يصل سعيره الى كل مار من بعيد . « ويصل ارتفاع اللهب على جانبيه الى خمسين ذراعا (ستة وعشرين مترا) بين أن (نفس) أطراف لهيبه تصل الى السماء . لقد قالت الآلهة عنه : انه الفحم الأسود ... الذى خلق نفسه بنفسه والذى جعل من الآلهة فريسته » . ومن أجل أن ينجو المتوفى من اللهيب ، فهو يتوجه مخاطبا أتوم ، ويصف له ما يتمتع به هذا الحارس من قوى ويستنجد بالاله لكى يساعده : «انقذنى من هذا الاله الذى يعيش على الضحايا ، الذى تشبه رأسه رأس الكلب وجسده كجسد الانسان ، والذى يقوم على حراسة جوانب نهر النيران ، والذى يبتلع الظلال ، وينتزع القلوب ، والذى يقذف بالحبل ذى الأنشوطة دون أن يراه

أحد (١٤) ! » • أما حارس الدهليز الثانى ، فاسمه هــو « ذو القرنين العاليين » ، وهو يبصق النيران من فمه . وعلى قمة هذا الدهليز . يوجد كائن ضار يدعى « الساكن فى النيران العظمى » . ويعمل بدون شك على تهديد الميت الذى يجب عليه أن يحمى نفسه منه وبذا . فهو يتوجه بكلامه إلى وزيريس ، ربما بشكل غير مباشر . ويطلب منه انقاذه من هــذا المــزعج الذى يسرق الأرواح ، « الذى يلعق العفن والاشياء الفاسدة ، ساكن الظلمات ، سيد الليل . هذا الذى يخشاه من يعيشــون فى الظلمات (١٥) » • واما الدهليز الثالث . فلا يمكن الاقتراب منه مطلقا فهو محاط بمســاحة من النيران يبلغ طولها أربعة (سحن) (ما يوازى ثمانيــة وأربعين كيلو مترا تقريبا) • فعند (السحن) الاول لا توجد سوى نيران ، وعند الثــانى ، ســخونة حارقة ، فى حين أن الثالث ليس سوى النفثات المتوهجة من فم سخمت ، والرابع يشرف على النون اللامتناهى الحدود • ويعتبر ذلك المــكان من أكثر الأمكنة خطورة ، فقد يعبره المتوفى وهــو غافل ، على ما يبدو ، ويجد نفسه محصورا فى هــذا الطريق الذى لا منفذ له سوى الهلاك الأبدى • فان المتوفى الذى يضــل طريقه فى هذا المكان، يقوم تحوت مباشرة بترحيله الى المحكمة التى تقوم بادانته وحيث يقوم شو وتفنوت وبشكل نهائى بالختم على مصيره • انه مصير رهيب يتضرع المتوفى الى رب التاسوع لانقاذه منه • « انقذنى من هؤلاء المكلفين باحداث الجراح ، هــؤلاء التى تسبب أصــابعهم الألم ••• الذين يقومون بالمذابح فى نار جهنم ، الذين لا يمكن الفــكاك من

مراقبتهم ... لن تخترق سكاكينهم جسدى ، ولن أدخل فى نارهم . لا ، لن ادخل فى غلاياتهم (١٦) ! » .

وبعد ذلك ، خلال الدولة الحديثة ، ووفقا للعديد من الروايات عن هذه الرحلة ، يتبين أن هناك سبعة أبواب يجب ان يعبرها المتوفى ، من أجل الوصول الى عالم أوزيريس (١٧) . ويقوم على حراسة الباب الاول شخص ما صور بكل وضوح على أنه جاسوس » ويدون شك يصاحبه مخبر غير كتوم يدعى « الذى يصيح عاليا » . ويتقدم المتوفى معلنا ، بشيء من الثبات ، عن مزاياه ويتباهى بأنه «الاعظم، الذى خلق ضوءه» ، ويدعى انه هو الذى عالج آلام أوزيريس بل ويشبه نفسه برب الأرباب ، حيث يعلن قائلا انه « هو الذى خلق كل الكائنات » . ولا شك أنه يريد بذلك التأثير على حراس الأبواب ليجعلهم يعتقدون أنه الاله الاعلى شخصيا ، وعند الباب الثانى يتقابل المتوفى مع البواب المدعو « هذا الذى يتفاخر » ، الذى يحرسه ، ومعه مخبره . وهنا أيضا ، يتسلح المتوفى ببعض الجسارة . فيطابق نفسه بتحوت ، « الذى فرق ما بين الرفيقين » والذى فرق ما بين حورس وست، فى الماضى، خلال نزاعهما . وعند الباب الثالث يلاحظ أن حارسه يقوم ببعض الأعمال المقززة . « انه من يأكل برازه » . وهنا أيضا يضفى المتوفى على نفسه نفس مزايا تحوت ، فيؤكد أنه يمارس نفوذه على فيضان النيل وعلى آلام أوزيريس ، أما حارس الباب الرابع فله وجه منفر ، بل هو ينبح أيضا . ويقوم هذا الحارس ومعه مخبره بمهمتهما . وهنا يتفاخر المتوفى بمميزاته الحيوانية : فيدعى ، أنه الثور وابن حدأة أوزيريس ،

ويؤكد أنه أنعم على أوزيريس بالحياة الأبدية · أما حارس الباب الخامس فهو يتغذى بالديدان · ومخبره هو شخص عرفناه من قبل ، انه : « رأس فرس النهر ذو الهجمات المنيفة » · لقد ذكر في نصوص التوابيت انه الذى يجوب الطرقات الثنائية ، ولكنه وجد هنا وظيفة أكثر استقرارا · ويزداد المتوفى اقترابا من هدفه ، بل ويزداد أيضا ثقة فى نفسه ، فيعلن أنه أعظم الآلهة قدرا ويدعى أنه قد ساهم فى عملية اعادة أوزيريس الى الحياة ، فيقول : « لقد قمت بالطقوس الخاصة بتطهير أوزيريس ووقفت بجانبه خلال التبرئة ، لقد جمعت عظامه ولحمت أعضاءه » · وعند الباب السادس أخبر حارسه ومساعديه ، أن من خلقه هو أنوبيس وبالتالى ، يتحتم السماح له بالمرور · ثم ها هو قد وصل أخيرا الى الباب الآخير · وهناك عند هذه المرحلة ، قابل ضمن الوكلاء شخصا يقوم بمهمة استبعاد الأشرار · ولم يكن ذلك بمثابة عائق بالنسبة له · فلقد عمل طوال رحلته ، على انتحال شخصيات أعظم آلهة مصر ، ونجح على ما يبدو فى ذلك ·

ويبدو أنه منذ بداية كتابة نصوص التوابيت ، طرأ تغيير كبير على نفسية المتوفى فلم يعد أبدا هذا المخنوق البائس المشتت ، الباحث عن طريقه في أماكن معادية ، لا يعتمد الا على معرفته هو وعلى معاونة بعض من يقومون بحمايته ويهتمون بنجاحه · فها هو يعلن نفسه ملكا حتى قبل الوصول أمام أوزيريس ويستطيع أن يؤثر فى جميع من يحاولون الوقوف فى طريقه · وبذا ، تحولت التجربة الصعبة الى مجرد شكليات · ولا شك أن المعرفة التى أوجدتها الكتابات

الجنازية . هي نفسها السبب في هذا التطور · انها تجيد تلقين المتوفى بالمعارف التي يجب أن يحيط بها . وبذا استطاع منذ فترة طويلة . أن يعد نفسه للتجربة · ولم يعد هو الشخص الذي يحاول أن يتعلم كل ما يلزم من أجل نجاح رحلته . بل انه هو الشخص الذي يعرف والذي تعلم من قبل · ولكن نفس هذه المعرفة تبدو محدودة الجوانب · فالأموات الذين يجيدون القراءة . لا شك أنهم لا يخشون من الفخاخ المنصوبة في العالم الآخر ، ولكنهم مع ذلك لم يكونوا سوى اقلية ضئيلة جدا من المجتمع · أما بقية المتوفين فيرتبطون بتلك المعرفة التي لا تخصهم هم ، والتي لم يحصلوا عليها ، ولا يستطيعون امتلاكها · ان خلاصهم يرتبط اذن بطيبة قلب من هم على قيد الحياة ، ويستطيعون أن يقرءوا الصيغ اللازمة من أجلهم · ولكن ربما لا يكون مثل هذا التطوع الطيب متاحا تماما · فها هو النص الخاص بالأبواب السبعة ينتهي بهذه الاشارة المثيرة للقلق : « ان أي واحد من الأبرار يتلى من أجله ذلك ، سوف يصبح هناك وكأنه رب الأبدية ، مكونا كيانا واحدا مع أوزيريس· لا يتلى ذلك من أجل أي شخص ، يجب الاحتراس من ذلك ! » ·

ها نحن في قاعة عرش أوزيريس ، وهنا يقوم أنوبيس بمهمة استقبال القادمين الجدد (١٨) · وعندما يلمحهم قادمين من بعيد يقول لأحد أقرانه الواقف بجواره : « يبلغ صدى الصوت عن انسان قادم من مصر · انه يعرف طرقاتنا ومدننا » · عموما ، يعرف أنوبيس جيدا أن هذا المتوفى الذي عبر كافة العراقيل على علم بطبوغرافية العالم الآخر

و نه قد أصبح الى حد ما جزءا منه • وقام بمهمة الوسيط
بين هذا القادم الجديد والمجموعة القائمة حول اوزيريس .
الى المحكمة العليا • ووقف المتوفى المرشح لنعيم الآخرة عند
مدخل القاعة ، في حين كان انوبيس يردد على الموجودين
قائمة بالاعمال الطيبة التى ادعى له أنه قام بها ، ثم يقول
وهو يستدير نحوه : « فليتم وزنك فى وسطنا » • وقبل أن
يدخل المتوفى الى القاعة الكبرى ، يلزم ، مرة أخرى ، بذكر
اسم الباب الذى يريد عبوره ، وأعلاه وعتبته حتى يستطيع
انوبيس أن يقول له : « ادخل ، ما دمت تعرف » • ثم تأتى
بعد ذلك التجربة المخيفة الخاصة بوزن القلب ، مقر الأفكار
الحميمة لدى المتوفى والمتضمن لاعماله الطيبة أو الشريرة •
وهناك ميزان أمام أوزيريس ، فوق احدى كفتيه يوضع
القلب، الذى يجب أن يكون وزنه موازيا تماما فى خفته لوزن
ريشة الماعت الموضوعة فوق الكفة الأخرى • ويقوم أنوبيس
بعملية الوزن ، فى حين يقوم تحوت بتدوين النتيجة ، حتى
لا تحدث أية مجادلة • وتبدأ الجمعية ، التى يرأسها
أوزيريس ، فى سماع قائمتين طويلتى المدى عن الخطايا التى
يعلن الميت أنه لم يرتكبها • ان هذا «الاعلان عن البراءة» ،
كما يسمى ، لا يتسم بالتكرار فى مضمونة ، بل هو بالأحرى
متكامل (١٩) • وبدايته تتجه مباشرة الى أوزيريس ، أما
ما يلى ذلك فهو يوجه الى القضاة الاثنين والأربعين بالمجموعة
ويستهل المتوفى كلامه بالسلام على رب الموتى ، كما تقتضى
الشكليات : « سلام عليك ، أيها الملك العظيم ، رب الماعتين !
لقد حضرت اليك يا الهى من أجل رؤية اكتمالك • اننى
أعرفك وأعرف أسماء الاثنين والأربعين الها القائمين معك

فى هذه القاعة .. الذين يعيشون على حراسة الخطايا ويرتوون بدمائها فى يوم تقييم الصفات أمام أونوفريس». ثم يتلو ذلك هذا الاعلان المحدد : « لم أقترف اثما . ولم أحصل على عمولة من الأفراد الذين كانوا سيعملون من أجلى ... ولم أدنس الآلهة . ولم أحرم اليتيم من ممتلكاته ... ولم أقتل . ولم آمر بالقتل .. » . ويبدو أن الاعلان الثانى كان هدفه هو مجرد الاسهاب والتفخيم فى الاعلان الأول . ومع ذلك ، فلم يكن المتوفى قد وصل بعد الى نهاية تجاربه الصعبة . فقد تلا ذلك ثلاثة استجوابات ، كان الهدف منها هو اختبار مدى معرفته نواقع العالم الآخر ، والتى بدونها لا يستطيع أن يقيم بصفة دائمة به . وطلب منه القضاة الاثنان والأربعون أن يذكر لهم هويته الجديدة كبشر مؤله . وكان عليه أيضا أن يحدد الأماكن التى عبرها لكى يصل اليهم ، وذكر أيضا أسماءها . وأخيرا ، قام بوصف الأعمال التى أتمها ، والتى تعبر فى آن واحد عن معرفته بالرفات الغامضة الخاصة بأوزيريس وبالرعاية التى تتطلبها، ورضى القضاة عن كل ذلك ، ولكن كان هناك باب جديد ، وهو آخر الأبواب الذى يفتح على مقر الأبرار ، أمام هذا الذى حصل على رضائهم ، كانت الضرورة تستلزم الاجابة على أسئلتهم وتحديد كل جزء من الأجزاء التى تكونه . وبدوره هو أيضا سأله حارس الباب عما دفعه الى المجىء فى هذه الأماكن ، وعما اذا كان يعرف بالتحديد الاله الذى سوف يقدم له . ولا شك أن المتوفى كان يعرف جيدا انه قد جاء لمقابلة تحوت ، وعملت هذه الثقة التى عبر عنها فى ثبات على تسهيل مروره . ولكن تحوت نفسه كان لديه عدة أسئلة

يوجهها له، ودار بينهما هذا الحوار : «الى من سوف أقدمك ؟»
ــ « قدمنى الى من يعد لى بيتا سقفه من النيران ، جوانبه من الحيات المقدسة وأرضه من المياه » ــ « ومن هو ؟ » ، « انه أوزيريس » ــ « اذهب ! هأنت قد قدمت » • وهنا ، فقط ، قام حورس بتقديم المتوفى الى أوزيريس أبيه . الذى أكد أن التجارب المختلفة قد مرت بنجاح • وأخيرا . سمح أوزيريس ومجمعه للقادم الجديد بأن يرتدى ملابس جديدة ، وأن يشاركهم فى المأدبة الجنازية التى قدمت من أجلهم • وها هو المتوفى قد أدمج الآن بين الأبرار مكفولا بالقرابين •

وأثناء كل هذه الاجراءات العديدة ، كان هناك وحش هجين ذو رأس التمساح ، ومؤخرة فرس النهر ولبدة الأسد، يقف فاغرا فاه الى أقصى مدى • وهذا الحيوان ، الذى يوضع عادة بجوار الميزان يعرف باسم « الآكلة » ، وبدا متذرعا بالصبر حتى يحين الوقت الذى يترك له المتوفى • ولكن لا يحدث ذلك دائما • ان مجرد عدم نجاح القادم الجديد فى كافة التجارب ، مبينا أنه غير جدير بالتواجد بين الأبرار ، يسمح «للآكلة» بالقيام فورا بمحوه من الوجود • ومع ذلك، فلا يخصص من أجلها جميع الهالكين • فبعض هؤلاء الأشرار يرسلون الى قاعة الاعدام الرهيبة حيث يوجد « المقرفصون، الموكلون بالقتل بقاعة الذبح البشرية (٢٠) » • فالعالم الآخر يتضمن فئات مختلفة من المردة المكلفة بعقاب أو بالتهام الهالكين الملعونين • وجميع الوسائل مسموح بها لهؤلاء المساعدين من أجل القضاء على الأشرار ، ولكنها لا تؤدى جميعها الى الموت : مثل السجن ، والتقييد بالسلاسل ، والتشويه (٢١) • ويلاحظ أن شراسة هذه المردة ، وعدم

اهتمامها كثيرا بالتفاصيل والدقة . قد يجعلها خطرة حتى بالنسبة للأبرار ، وها هو أحدهم يقول وهو يدافع عن نفسه بأنه لم يسلم أبدا الى « القائمين فى قاعة الذبح بين من يقومون بأعمال التقطيع (٢٢) » ، وتلك التى قيل عنها انها تأكل اللحم النيىء(٢٣) • وحتى بعد نجاحه تماما فى كافة التجارب ، فها هو المتوفى يقول : « لن تتم التضحية بى عن طريق حراس حجرات اوزيريس. القائمون بالقتل(٢٤) »• والجدير بالذكر هنا أن أوزيريس ، عادة ، قد يبدو فائق الشراسة أو غير مبال ، فانه يترك أحيانا كل هذه المردة التى تخدمه تقوم بتعذيب بعض الموتى (٢٥) وتعتبر أسماؤها ، التى تبين عن وظائفها ، معبرة للغاية : المعذبة ، القتلة ، الأشرار ، المحاربة ، الخ • انها أيضا : « من تأكل آباءها » و « من تأكل أمهاتها » • اذن ، فأوزيريس لم ينبذ فكرة أكل لحم الانسان من وسائل دفاعه . كما أن بعض القضاه بمحكمته يحملون أسماء تعبر عن هذه الممارسة : طاحن العظام ، والذى يتغذى بالدماء ، وبالع الأحشاء(٢٦) • بل ومن المعتقد أيضا أن هؤلاء القتلة يقدمون قرابين من لحوم الأطفال الى « رب الحياة » (٢٧) •

وفى نهاية الأمر ، قد يبدو عالم الأموات هذا غير سوى، بل وكئيبا أيضا • ان أوزيريس يبدو كاله سلبى الى حد ما، يميل أيضا الى الاستبداد • وله التزامات عديدة ، ولكنه مع ذلك يترك قدرا من حرية الاختيار ، فان المتوفى يستطيع أن يختار ما بين أن يكون خادما له ، واما أن يطرق عالم النهار ، أى عالم السماوات ، عن طريق الروح • ونفس هذه المرحلة الأخيرة لا يمكن عبورها بدون عراقيل • فمن

المعتقد أن المساعدين الالهيين القائمين فى العالم الآخر ، لم يكونوا ليرحبوا بهروب أعداد كبيرة من رعايا اوزيريس من تحت قبضتهم(٢٨) بتحولهم الى آلهة • اذن. فعلى ما يبدو كان المتوفى يتمنى الخروج من ذاك العالم . بالرغم من انه قد لاقى الكثير من المتاعب فى الوصول اليه . وعموما . اذا كان جسده ، أو بالأحرى جثمانه ، يبقى مسجونا فيه الى الأبد . فان روحه(الطائر،آى«با) تسمح له بالتنقل فى حرية(٢٩) • ولكن حراس أوزيريس ، الذين يكفلون الحماية لهذا الاله ضد ست وعصابته من العصاة ، والمتمتعين بالعديد من السلطات ، يقومون أيضا بمهمة حراسة الأرواح الخاصة بجميع المتوفين والمتوفيات(٣٠) • وبذا . فهم يعترضون عملية انطلاقهم • ولا شك ان تحرر «انبا» يسمح بالافلات من آحداث عالم الموتى ، الذى لا يعتبر سوى امتداد لعالم الأحياء ، بكل ما يتضمنه من مخاوف ، والتزامات ، وهموم • وهذا هو سبب الالتماس الذى يقدمه رعايا أوزيريس من أجل اتقاء أى عوائق قد تعترض انطلاق هذه الروح : «لم يقبض عليك، ولم يقم بسجنك حراس السماء والأرض ، فلتبتعد عن جسدك القائم فى الأرض ، حتى لا تصبح ضمن من يعملون بالمدراة ، ضمن الحراس على الأعضاء ، لأنك اله حر فى استعمال ساقيه ، وابن اله حر فى استعمال ساقيه ، فلتبتعد عن جسدك القائم فى الأرض (٣١) » • والايماء هنا الى «العاملين بالمدراة » ، يشير الى أعمال السخرة التى قد يتعرض لها المتوفى ، وفى نهاية الأمر ، يعتبر العالم الأخر بمثابة مرآة لأرض الفرعون (٣٢) • ولا ريب مطلقا أن أوزيريس لا يحرم على الأبرار لديه التمتع بمثل ما كانوا يتمتعون

به من مباهج دنيوية : « هأنا أبحر فى هـذه المركب ، فى قنوات (حتب) ٠٠ اننى أتألق هنا وأشعر بالقوة ، اننى آكل هنا وأشرب هنا ٠ وأمارس الحب ، وتمازيمى السحرية تبدو قوية المفعول فى هذا المكان(٣٣)»٠ ومع ذلك، فها هى الأشغال الشاقة ماثلة دائما فى هذا المكان : « اننى أقوم هنا بأعمال الحرث والجنى » فهذا ما يبينه نفس النص ، وعرف كذلك أن الميت هو « هذا الطاهر الذى يقوم بالطهو من أجل أوزيريس خلال النهار٠ وتقيم رفيقاته فى «ريف السعداء» ٠ ضمن الأكفاء، مع من يجهزون الخبز من أجل أوزيريس(٣٤)»٠ ولا يعتبر مفهوم السخرة من الأمور المؤكدة دائما ، ولـكن الأحياء يعتقدون أن هذا الملك الذى يسود على العالم الآخر لابد أنه هو أيضا ، مثله مثـل أى فرعـون فوق الأرض ، ينتظر منهم بعض المشاركة من أجل أن تسير مملكته سـيرا حسنا ، ومن الممكن تخيل الأعمال الاجبارية من خلال الأوامر التى يتلقاها المتوفى : « امسـك بمعـولك ، وبمعزقتك ، وعصاك، وقفتك بيديك، مثلما يفعل أى انسان لسيده(٥٣)»! وبعد فترة ما ، أوضحت نفس العبارات بدون أى غمـوض العمل اللازم أداؤه ٠ فالأمر يتعلق بزراعة الحقول ، ورى الشطآن ونقل الرمال من الشرق نحو الغرب (٣٦) ٠ ولذلك، يلاحظ أن حمار الفلاحة ، بالرغم من أنه أحد صور ست ، يمكن أن يقيم فى العالم الآخر هو أيضا (٣٧) ٠

وتعيش أرواح سكان المملكة الأوزيرية ، اذن ، فى انتظار مرور الشمس اليومى ، بل وأيضا على أمل رؤية ضوء النهار والتمتع بالأبدية بمصاحبة رع : « انظروا الى ، أيها البشر ، والأرباب ، والأبرار ، والموتى ! لقد خرجت الى ضوء

النهار ، ها هي عيناى مفتوحتان ، وأذناى منصتتان ...
لقد خرجت الى ضوء النهار ، اننى آكل من خلال فمى ،
وأتبرز من مؤخرتى، هأنا قد خرجت الى ضوء النهار(٣٨)» .
ان المتوفى يرغب في الصعود الى مركب الشمس ، وأن
يرتفع الى السماء : « هذا الميت قد أحاط به أوريون ،
وسيريوس » وتجمة الصباح . « انها سوف تضعك بين ذراعى
أمك نوت ... ولن تنزل أبدا عند مجزرة بداية العشارية
ضمن جناة الغرب (٣٩)» . ولا ريب أن الصعود الى السماء
من أجل النجاة من الأخطار ومن استغلالات المملكة الأوزيرية
لا يمكن أن يتم الا بتوافر بعض الوسائل اللازمة ، وهنا
أيضا ، سوف يعترض طريق الصعود الى أعلى الكثير من
العقبات ، مثل الرياح الأربع (٤٠) . وتعتبر المركب بمثابة
احدى الطرائق الفورية من أجل الوصول الى السماء .
ولكن من الممكن أيضا الاستعانة بسلم (٤١) ، أو بالتحول
الى طائر . وعند استقراره في السماء ، يكون المتوفى قد
حقق انتصاره . « اننى ابدو كاله ... اننى أقطع المسافة
من الأرض الى السماء ، اننى فى نفس مكانة شو(٤٢) » .

وكما هو الحال فى العالم الآخر ، يتطلب الصعود نحو
السماء ، الالمام بمعارف تسمح باختراق الطريق الصائب .
« التعرف على الطرق المؤدية (نحو السماء) : لقد فتحت لى
أبواب ممرات السماء ، وضوء الشمس يهبط جهة النهر نحو
الشمال مارا بالجنوب (٤٣) » . وتتراءى هذه المعرفة من
خلال عبارة : « ان من يعرف هذه العبارة الالهية ، سوف
يصعد الى السماء مع رع ، ضمن الآلهة القائمة فى

السماء (٤٤) » • ان التعرف على العبارة الصائبة ، يجعل المتوفى يبدو في آن واحد وكأنه رع في السماء وأوزيريس في العالم الآخر (٤٥) • ولقد كانت الأبدية الشمسية في بداية التاريخ المصرى مخصصة من أجل الملك فقط ، فأصبحت بعد ذلك أمنية عامة لجميع المتوفين ، وتبين جميع النصوص الجنازية ، كما رأينا ، عن تعارض المصائر فى نطاق العالم الآخر • فهى تتراوح ما بين الرضوخ لظلمات العالم السفلى ومتاعبه ، وبين التمنى الذى لا أمل فيه فى الانتقال الى الضوء الساطع الى الأبد • ويبدو الحل ، الثيولوجى البحت ، الذى يرتكز على فكرة ترك الجثة فى أعماق العالم السفلى، من أجل أن تتمكن الروح المجنحة من العيش دون عوائق فى أعالى السماوات ، يبدو مناسبا وذكيا فى الوقت نفسه • فهو يعمل على تلاؤم أساليب متعاكسة تماما دون حدوث أى تصادم فيما بينها • وأمام الاختيارات التى تقدمها له الكتب الجنازية ، بدا المصرى واضحاً ، ولم يغرق فى أوهام وتصورات خادعة عما سوف ينتظره فى حياته الأخرى • ولم تكن مملكة أوزيريس تحظى مطلقا بسمعة طيبة ، ولم يكن المتوفى يتوانى عن ذكر ذلك : « كيف عساى أنقل الى صحراء ، لا ماء فيها ، ولا هواء بها ، سحيقة الأغوار ، فائقة الظلام لا حدود لها مطلقا (٤٦) » ؟ وتفس هذه الرؤية يشاركه فيها الأحياء أنفسهم • وها هم أثناء مصاحبتهم لأحد المتوفين الى مقره الأخير ، يتأسون على مصيره المنتظر • « هذا المأوى الذى يفد اليه سكان الغرب ، يبدو سحيق الأغوار ومظلما • لا يوجد به لا باب ، ولا شباك ، ولا ضوء لانارته ، ولا هواء شمالى من أجل انعاش القلب • والشمس لا تشرق به • انهم

(الموتى) سوف ينامون دائما بسبب الظلام ، حتى خلال النهار (٤٧) » ـ وآخيرا ، فحتى تجدد الشباب المرغوب ليس مكفولا به • واذا كان حقيقة « ان الموتى الذين يصلون الى سن الشيخوخة ، لا يموتون (٤٨) » ، فهم يبقون على نفس اعمارهم التى ماتوا خلالها ولا يتجدد شبابهم (٤٩) • اذن ، فلا مجال هنا لتلك العهود الخاصة باعادة الشباب ، التى ذكرت فى موضع آخر • ومن هنا كان الاهتمام بالارتقاء الى العالم الشمسى ، الذى يضفى المزيد من الروحانية ، والارتباط بالمصدر الوحيد الفعلى للحياة والشباب •

رحلة الشمس فى العالم السفلى

يعتقد المصريون ، ان قرص الشمس ، يقوم خلال رحلاته النهارية والليلية ، بجولة بداخل جسم ابنته نوت • ولكنهم مع ذلك ، قد لاحظوا ان الشمس الغاربة تغوص بداخل الأفق الغربى وتعبر على ما يبدو العالم السفلى من أجل ان تشرق صباحا ، فى شرق السماء • ويوضح هذان المفهومان ، تحركات الشمس الظاهرة كأمر متعارض ، ويبدو للوهلة الأولى ، آمرا مستحيلا بالنسبة لبعضهما بعضا • ولقد مثل فى بعض المقابر الملكية شكلان يمثلان الالهة نوت وقد آدار كل شكل منهما ظهره للآخر ، وهما نوت للنهار ونوت لليل ، قد هدف بذلك الى المزج بين الرحلتين مزجا وثيقا ، ولكن ، فى نفس الوقت الى العمل بشكل ما ، على فصلهما جسديا • ومهما يكن الأمر ، فهناك وصف كامل للعالم السفلى بأماكنه ، وسكانه ، ليس باعتباره آساسا عالما آوزيريا ، ولكن وفقا لمختلف الجولات التى تقوم بها الشمس فى نطاقه • وهناك

العديد من الكتب، مثل كتاب «ما هو موجود فى العالم الآخر»، و « كتاب الأبواب » ، وغيرهما الكثير ، تحاول تقديم وصف دقيق عن عالم غريب الشأن ، لا يقوم المتوفون ، القائمون به ، بالدور الأساسى • وعادة تكتب هذه النصوص ، فوق جدران المقابر الملكية ، مجاورة لشكل يمثل نوت ، اى السماء الأنثى ، دون أن يكون لذلك التجاور أية سمة جارحة للشعور • وضمن هذه الكتب ، يعتبر « كتاب المغارات » أكثرها غرابة بدون أدنى شك ، وأكثرها تعقيدا ، ولكنه قد يكون أكثرها ثراء بالمعلومات عما يحدث للشمس خلال جولتها بالعالم السفلى(٥٠)• ففى نطاقه ، نجد أن رع يقطع ستة قطاعات قد يصعب ربطها بساعات الليل • وليس هناك ما يدل على أن كل قطاع من القطاعات يطابق ساعتين كاملتين • وخلاف ذلك ، يلاحظ أن عدد المغارات ليس محددا تحديدا واضحا • وبداخل هذه المغارات، وفقا للتعبير المصرى، تتعاشر بعض الأشياء والكائنات المتغايرة الجنس والعناصر معاشرة جنسية • ويعتبر هذا الكتاب بمثابة تصوير لعملية تغير غامضة ، وحيث تبدو النصوص مجرد توضيح أو تفسير ، وغالبا يبدو مضمونها غامضا ومبهما ، وتلزم الضرورة الانتقال من الصورة الى النص ، من أجل تفهم ولو جزء ضئيل مما يريد أن يقوله المحررون • ويبدو التعبير جافا ، وتسمح بعض الكلمات الخارقة فى أسلوب مفعم بالحشو بتفهم الأوضاع أو الأدوار الأسطورية ، التى قد تضفى معنى على الموضوع بأكمله • ونفس الصور تعبر للوهلة الأولى عن عالم آخر متجمد ، يسوده السكون ، لا يتبين من خلاله الأمل الذى يمكن أن يقدمه للكائنات التى

تسكنه . ويبدو هؤلاء السكان ، وقد سجن معظمهم بداخل اطارات بيضاوية الشكل أما فى هيئة تابوت ، أو غلاف من الطين ، ولا يرجعون الى الحياة الا للحظات قصيرة خلال مرور القرص الشمسى . « هذه الآلهة ترى أشعة القرص .. وعندما يتعداها تحيط بها الظلمات من كل جانب». وبالرغم من الصعوبات التى يتضمنها، فان هذا الكتاب يعتبر من أكثر الكتب أهمية ، من أجل تفهم فكرة عودة الحيوية الى الآلهة التى أرهقها وأضعفها الموت ، مثل أوزيريس ، أو أضعفها الليل مثل رع . انه بمثابة عرض لفيزياء ثيولوجية فعلية عن اعادة تكوين واحياء الأجسام الالهية فى العالم السفلى .

ووفقا لما يبينه شكل تنسيق الصفحات فوق الجدران ، تتكون كل من القطاعات الستة بعالم الكهوف هذا ، من ثلاثة سجلات متطابقة . السفلى منها يتضمن الدور الأرضى بالعالم السفلى ولا يسكنه ، مطلقا سوى الملعونين والمكلفين بتعذيبهم . وها نحن عند القطاع الأول ، فعند نهاية النهار، يصل رع الى منطقة أولى ، يبدو أنها هى أيضا المنطقة الخاصة بأولى ساعات الليل . فيقوم بالاعلان عن وجوده لحارسى الأبواب ولآلهة المكان : « هأنا رع القائم فى السماوات ، هأنا أدخل فى ظلمات الغسق ، وأفتح باب السماء فى منطقة الغرب . فلتستقبلونى ، وقد (امتدت) أذرعكم نحوى ! انظروا ، ! هأنا أعرف مكانكم فى العالم الآخر . انظروا ! انتى أعرف أسماءكم، وكهوفكم، وأسراركم(٥١)». وهو يتجلى أمامهم فى هيئته المزدوجة كاله بشرى الشكل أو برأس كبش يصاحبه قرصه ، وهذان المظهران سواء أكانا منفصلين أم مندمجين ، فهو يبدو بهما طوال رحلته .

انهما ، على ما نذكر، هما نفس الشكلين اللذين بدا بهما خلال رحلته بداخل جسد ابنته نوت • وتبين لنا اللوحة الأولى عن عالم لا يقتصر فقط على المتوفين • فهو ملىء بالآلهة ، والمردة ذات الأشكال الحيوانية أو غير الحيوانية ، ويوجد ضمنها أيضا أشكال هجينية ، وأشكال انسانية وحيوانية • وتكثر به الثعابين ، بصفة خاصة ، وهى بمثابة القوى التى يتميز بها العالم السفلى • ويشاهد فى نطاقه أيضا بعض من حلت عليهم اللعنة وقد قطعت رؤوسهم أو أذرعهم ، ولكن هناك أيضا سعداء الحظ وقد تمددوا فى توابيتهم • ثم هناك أيضا ، وبدون شك ، بعض الآلهة الراقدة • وبصفة عامة ، يبدو أن كافة الكهوف تتضمن سكانا لهم سمات متشابهة ، مع بعض الاختلافات الطفيفة • والشىء الذى لا وجود له فعلا هو النباتات • وفى البداية ، يوجه رع كلامه الى أحد الثعابين قائلا : « يا أيها اللادغ القابع فى كهفك ، الرهيب ، الأول فى العالم الآخر ، انحن، واخفض ذراعك، هأنذا ، هأنا أدخل فى أرض الغرب البديعة من أجل أن أعتنى بأوزيريس ، ومن أجل تحية من يرافقونه (٥٢)»• ثم يخاطب الكائنات الأخرى بنفس الأسلوب • وبذا فها هو رع يطلب من القوى الراعية فى نطاق الطابق الأرضى، السماح له بالدخول وافساح الطريق له « بسحب » أذرعها ، وفقا لتعبيره ، ثم يلتفت هذا الاله بعد ذلك نحو تسعة أفراد ممددين ، على ما يبدو ، فى توابيتهم • انهم يعتبرون كأشخاص « سلميون » ، سواء لأنهم راقدون بدون حراك ، أو لأنهم قد أطاعوا رع واستحقوا ما حظوا به من سكينة • وقاموا هم أيضا بسحب أذرعهم من أجل افساح الطريق •

وخلف هؤلاء الراقدين ، توجد أعداد متتالية من الآلهة تقوم بدور كلاب الحراسة ، سرعان ما لزمت الصمت تماما ، عند التعرف على شخصية اله الكون . وبالرغم من أنها « آلهة المؤن»، فهى تمد أنوفها وكأنها كلاب تتشمم الفضلات وتلعق القاذورات والأوساخ (٥٣) » . ويبين هذا الوصف المفتقر الى دقة التعبير بشكل أكثر بساطة ، من خلال النقوش فى هيئة صف من المردة البشرية الشكل برأس كلب وقد انحنت قليلا الى الأمام . انها مكلفة بحماية الأرواح القائمة فى هذا المكان ، وبذا فان التزامها الصمت يسمح لهذه الأرواح بأن تستريح فى هدوء . وهنا يبدو أوزيريس ، فيما بعد فى هيئات مختلفة فى آن واحد . فقد يبدو فى هيئة جسم كروى يحتوى على بعض من رفاته ، أو على هيئة اله يجسد جثمانه المتحلل ، أو حتى على هيئة رجل واقف وقد أحاط به ثعبان تعبيرا عن تقطيع أوصاله وتحلله ثم عودته ثانيا الى الحياة(٥٤) .

ويقوم رع بالتعريف بنفسه لاله الموتى ويطلب منه أن يكون مرشده خلال الرحلة التى يقطعها فى العالم السفلى . وذكره بأنه يملك القوة الحيوية الخارقة ، ليبين له أهمية مساعدته له . ويقوم بعض الأشخاص المسمين « بالآلهة العظمى » ، القائمة فى هذا المكان ، بارشاده نحو الدوامات الغامضة ، لتسمح له بذلك بنشر ضوئه . ووفقا لما يبينه السجل السفلى ، تبدو الثعابين القائمة على حراسة من حلت عليهم اللعنة ، غير قادرة على الخروج من الكهف . فان العصاة المتمردين هم فى حقيقة الأمر أعداء أوزيريس الذين يقترفون السوء فى العالم السفلى . وبذا فلا يجب أن يبعدوا عن مراقبتهم . ولقد شوهد سجن الحراس مع من حلت عليهم

اللعنة لمرات عديدة بعد ذلك في اطار الكهوف التالية • ويوجه رع سبابه الى من قطعت رؤوسهم والى من هم على وشك أن يمذبوا : « أنتم يا من يجب أن تدمروا ، ويا من يجب أن تقطع رؤوسهم ، أعداء أوزيريس ، الذين قطعت رؤوسهم ولم يعد لهم رقاب ، ولا أرواح ، ودمرت أجسادهم ، هأنذا : انني آمر فوقكم ، وأتركك لسيئاتكم ، وأعتبركم كأن لم تكونوا أبدا ! انكم من حلت عليهم اللعنات في موقع الفناء (٥٥) » •

وبعد أن قام رع بتحية الآلهة القائمة بمدخل العالم السفلي ، وحصل على الاذن بالمرور، وعلى من يقوم بارشاده ، غادر هذه الأماكن وتركها في ظلام دامس واقترب من القطاع الثاني • واستقبلته الثعابين القائمة على حراسة المدخل ـ ووجه الاله الشمسي الى رئيس هذه المجموعة ، الذى يدعى « الرأس السوداء » نصيحة غير متوقعة الى حد ما : « فلتختف من أمامي وأنا آمر ثم عاودالظهور ثانياعندما أمضى مبتعدا»، بل لقد طلب من حراس الأبواب أنفسهم بألا يظهروا قبل رحيله • ان كل شيء ، في نطاق هذا الكهف ، يجب أن يكون خاطفا وسريعا ، ومستترا ، لا يكاد يحس بوجوده أو بظهوره (٥٦) • وحتى الذين يمكن أن يلمحوا فهم غارقون في الظلام ، ولا يمكن تبين بعض أجزاء أجسامهم • والبعض الآخر يرقد بداخل أغلفة بيضوية الشكل • ويبدو أن الأمر يتعلق هنا بهؤلاء الموتى الذين قابلناهم من قبل ، هؤلاء الذين فازوا أمام محكمة أوزيريس ، وبذا فهم يعيشون ، حتى أثناء نومهم حياة السعداء • ويبدو هذا الكهف كمكان غريب الشأن ، حيث يتراكم ويتكدس فيه جميع الأموات مهما

اختلفت المصائر المقدرة لهم • انهم يعيشون مما فى هــذا المكان ، بالرغم من أن مصير كل منهــم يختلف عن الآخــر • فهناك من حكم عليه بالبقاء فيه ، ومن قدر له الفرار منــه بفضل روح «البا» : «انظروا، اننى أشع عليكم بضوئى، وقد استدارت وجوهكم نحوى ، واســتدار وجهى نحــوكم ••• فلتخرج أرواحكم ، فلتقوا أرواحكم، فلتسترح أرواحكم فى أجسادكم بداخل أغلفتكم • اننى أستدعى أرواحكم ، وهى ترافقنى وتقوم بارشادى (٥٧) » • ويبــدو ، أن الأرواح المتميزة هى تلك التى تستطيع أن تنعم بالضوء الباهر والتى يسمح لها بالتجلى من أجل أن تقوم بمهمة المرشد • ولأول مرة يمكننا بعد ذلك أن نتقابل مع بعض السعداء الراقدين فى توابيتهم • انهم كائنات جيفية ، ولكنهم بالرغم من ذلك غير قابلين للتعفن والتحلل • فهم أنفسهم يعتبرون بمثابة أغلفة تتضمن كائنات فى مرحلة حمل • وبذا ، فهم يعلنون عن أولى علامات المولد الجديد التى تتجلى فى أعمق أعماق الكائنات الميتة القائمة بداخل الكهوف• وقد يبدون مجسدين ولكن أجسادهم تفتقر الى الروح «با» التى يجب أن تصاحبهم• ومن أجل أن يتقدم رع فى مسيرته ويتوافق مع القوى الكامنة فيهم ، فانه يمــدهم قائلا : « (لو) أوصــلتهم روحى الى أجسادى ، فاننى سوف أرشد أرواحكم نحــو الأغلفــة التى تتضمن جثمانكم • سوف أشع عليكم بضوئى ، وسوف أبعد عنكم الظلمات (٥٨) » • وها نحن نعرف عن طريق المصادفة الهدف من وراء الرحلة الشمسية : تتضمن الأماكن التى يجب عبورها عددا من مختلف الأجساد الهامدة الخاصــة بالاله ، الذى ســوف تقــوم روحه « البا » ، الممثلة هنــا فى هيئــة

القرص الشمسى المسافر ، بانعاشها ليضع لحظات هى وجميع سكان هذه الكهوف الآخرين • وها هو الآن يتقابل مع البكائين ، الذين يبدون بشعور شعثاء متهدلة الخصلات فوق وجوههم • ولقد أثارهم النحيب ، فراحوا يبكون ، ويتحدثون ويصرخون فى آن واحد • ولا تضيع كل هذه الدموع سدى• فهم يجمعونها بكل عناية فى أيديهم ، فلها على ما يبدو مزايا راعية ومغذية • وبالرغم من الضوضاء الشديدة التى يصدرونها ، فهم يبدون متجمدين تماما فى هذا الوضع • وخلفهم ، تبدو آلهة المحكمة الالهية ، وعددها اثنا عشر ، بحيث يخصص واحد منها لكل ساعة من ساعات الليل ، وهى راقدة فى توابيتها • ويرأس هذه المجموعة «حورس» الذى لا عيون له ، على هيئة حورس القديم ، الذى شاهدنا مغامراته وأهواله فى الجزء الأول • وله رأس فأر ، وهو فأر أعمى البصر يخشى الضوء المبهر (٥٩) • ولا شك أن لوجوده معنى• فان الشمس وهى فى حالة شيخوختها ، قد ظهرت أمام بعض المهللين الذين استداروا فى آن واحد نحوها ، وفى الاتجاه العكسى ، نحو صندوق كبير • وبداخل هذا الصندوق رقد جثمان متعفن لاحد الآلهة وهو فى آن واحد أوزيريس ، والشمس ، أو حتى الملك المتوفى • وقد أحيط الصندوق برؤوس وأعناق رع • ويتم كل هذا المشهد أمام وبداخل كوة أحدثت فى الجدار والتى ترمز الى الصندوق نفسه والكهف الذى يتضمنه • والمشهد باكمله يشير الى الرؤوس الالهية التى أطيح بها خلال العصور السابقة لظهور الكواكب(٦٠)ومن المؤكد أنه بداية من هذا المكان يختفى آخر اشماع للشمس عن أعين البشر ، وفى هذا المكان أيضا يتم

مولدها الجديد ، فى كافة أشكالها مجتمعة ، لأن هذا المكان هو موقع مولدها «الأول» ، وفقا لما وضحه النص(٦١) • ويتضمن بقية الكهف اثنى عشر شكلا لأوزيريس ، وهى الاشكال الكبرى للاله وقد كررت بحيث تتطابق مع ساعات الليل الاثنتى عشرة • وخلفها ، يوجد أيضا بعض أعضاء المحكمة الالهية ، وقد رقدت فى توابيتها • وفى نهاية الأمر ، يشاهد ، مثلما هو الحال فى كافة الكهوف ، الأعداء الذين قطعت رؤوسهم أو الذين على وشك أن تقطع رؤوسهم ، ويوجد أيضا الشياطين المكلفون بتعذيبهم ، ولقد صحبتهم مجموعة أخرى جديدة ، هى مجموعة من حلت عليهم اللعنة وهم يسيرون مطأطئى الرؤوس ، وقد انتزعت قلوبهم من أماكنها ، ويتناولون نفاياتهم التى ترجع ثانيا الى حلوقهم • انه لمكان غامض ومركب ، ذلك الكهف الثانى الذى يجسم المراحل الأولى للبعث الشمسى والبعث الأوزيرى ، انه مكان مفعم بالظلال ، والغموض ، انه يجمع بمهارة ما بين رموز ما ضاع (الرؤية والحياة) ، والتحلل بسبب الموت ، وبين علامات اعادة التكوين وتجدد الحياة •

أما القطاع الثالث ، فمن خلال المواضيع التى يتم تناولها فيه ، نجد أنه يتعلق بأوزيريس الذى يمر فيه ببعض التغيرات التى يشار الى تفاصيلها بمجرد اشارة بسيطة (٦٢) • ويبدو السجل الأول قليل التوضيح • فنجد سبعة آلهة لها وجوه ناعمة الملمس ، قد اعتلى كل منها ساريتين ، وهى تجسد مختلف المردة المائية • وتتطابق أسماؤها مع أسماء الأسماك أو مع بعض الحيوانات التى تعيش فى الأماكن الرطبة • ويقوم على حراستها الثعبان

« تخب كاو » ، الذى يعمل على ترابط كافة القوى الحيوية • ويبين وجوده عن ان اتحاد هـذه القـوى ، قد أوشـك أن يتم • وتعمل هذه المجموعة على التمهيد لمشهدين • المشـهد الأول يبين قرص الشمس وهو يتحد بجثمـانه ، والمشـهد الثانى يمثل أوزيريس وقد أوقف عـلى قدميـه باحـدى المقاصير وهو محاط بالآلهة التى ساهمت فى عملية تحنيطه ، وفقا لما طلبه منها أنوبيس • وقد عرف أنها « دفنت وهى واقفة على اقدامها ولا تستطيع الرقاد ، وفقا لما تعهدت به على أنفسها (٦٣) » • ومن أجل أن يعبر رع المراحل التالية ، وبالرغم من أنه قد احتفظ بهيئته كاله له رأس كبش ، فقد انتصب واقفا • وبدا القـرص الذى يمثـل معه عادة وقد وضع خلف رقبته ، أسفل القرنين ، مبينا الاندماج الذى تم لتوه • أما السجل الثالث فيتوسطه ، « اكر » ، اله الأرض ، الذى يتكون جسده من جزءين يمثلان شكل أبى الهول وهو رابض • انه منبطح عـلى الأرض ، ويحمى بذلك أحـد أجساد أوزيريس الراقد تحته ، كما يبين السجل الثالث ، وسوف نعود ثانية الى هذا المشهد • ويقال ان الشمس تتعلق بظهره ، من أجل أن توصل طاقتها الى أبى الهـول المزدوج ، وأيضـا الى الجسـد الذى يحميه • وتنضـم بعض القـوى الأخرى الى الشمس من أجل مساعدتها فى مهمتها من أجـل الاحياء : فيبدو جب اله الأرض والجعران ، وقد امتطيا هما الاثنان ظهر أبى الهول المزدوج ، وعلى جانبى أبى الهـول المزدوج ، تبدو أشكال مختلفة لأوزيريس لتؤكد لنا أن هذه بمثابة لحظة أساسية فى اطار عودته الى الحياة ، ويبين وجود الثعابين المتكرر ، حول أوزيريس أو تحت قدميه ، عن دور

الارض ، باعتبارها مادة ، فى اطار هذا التحول • وفيما بين أرجل ابى الهول الخلفية ، تكمن أربع الهـات الى الأبد فى هـذا النطاق الضيق ، وهى تقـدم التحية لآحـد آشـكال أوزيريس القائمة باحدى الفجـوات ، وهى بمثـابة كهف بداخل الكهف ، حيث يواجه شـكل أوزيريس هـذا راس الشمس وعينها • ثم يلى ذلك شكل آخر لأوزيريس ، له رأس تمساح على ما يبدو ، وقد ارتفع فوق ثعبـان ويجـره أحد المردة من ذقنه • وربما يتعلق الامر بالايماء الى ذلك الارتقاء الذى تحدثنا عنه منذ قليل ، والذى ينتزع بشكل تدريجى الاله المتوفى من حالة سباته • ولقد ذكر أن هذين السـجلين لا يتعلقان مطلقا بالمتوفين العاديين ، فهم غير ممثلين مطلقا بين الأشكال الممثلة لا بشكل مباشر أو غير مباشر • وهـذا يدل على حدوث أمر غامض ذى سـمة خاصـة ، لا يجب ان يشاهده أحد سوى الآلهة • وعن السجل السفلى فقد وصـف بكل وضوح بأنه الدور السفلى بالكهف • ومثل ما شاهدنا من قبل ، يبدو أن هذا المكان ، يخصص دائما للأعداء ولمن حلت عليهم اللعنة • انهم موجودون هنـا فعـلا ، ولكنهـم موزعون فى كل مكان حـول شـكل لأوزيريس راقدا عـلى ظهره وناظرا الى أعلى ، على عكس من حلت عليـم اللعنـة • ولا يبدو الاله فى هيئة مومياء • وخلاف ذلك ، فقد بدت عليه علامات الذكورة المنتصبة ، مما يدل عـلى عودة قواه الجنسية • وعلى غير عادتها ، جاءت الشمس لزيارته ، وعبرت الأرض ، واستغلت الفتحة التى أحدثهـا الثعبـان المغلف لأوزيريس • وبذا ، فقد تسلل دفء آشـعتها فى الأرض وجعلت الحياة تدب فيها • ويوضح النص المصاحب لهـذا

المشهد أن الأمر يتعلق بجثمـان أوزيريس « ملك الغرب ، الذى يبدو تعفنه غامضا ، وتحلله مسـتترا ، ولا يسـتطيع الموتى الاقتراب منه ، ولكن سكان الغرب يعيشون على رائحة تعفنه (٦٤) » · وأمام أوزيريس ، يبدو من حلت عليهـم اللعنة ، وقد انفصل الرجال منهم عن النساء ، وهم يبتهلون الى الشمس ، التى تتجـاهلهم · وتقـول : « انكم أعـداء أوزيريس ، أنتم الأعداء المجردون من الروح ، انكم غارقون فى الظلمات ، (أنتم) يا من انتزعت أرواحهم من أجسادهم · انكم سوف تحرمون من انفاس الحياة ، سوف تحلون فى موقع الفناء ، فى حين أن واحدا منكم ، هذا الذى يقضى على أرواح الأشرار ·· سـوف يكون حارسكم ·· ولن تروا اشـعتى ، وسوف تفتقرون الى القوة من أجل مجابهة أشعتى (٦٥) » · اذن ، فبخلاف المعذبين ، ومقطوعى الرؤوس الممثلين خلف أوزيريس الوليد ، يتضمن الجحيم المصرى فئـة معينة ممن حلت عليهم اللعنة · انهم أسوياء جسديا ، ويطلقون بعض النداءات · انهم يعلمون أن الشـمس قريبة منهـم تماما ، ولكنهـم لا يسـتطيعون الاسـتفادة من مزاياها ليلتحمـوا بذلك بأرواحهم لكى يصبحوا من السعداء ينعمون بالضوء · ومع ذلك ، فان رع الذى مجد الجميع دائما طيبته الشاملة ، قد تخلى عنهم ، فهو يقترف اثما · بعد أن مر بجانبهم · ولقد لاقى الحارس المصاحب لهم عقابا اضافيا ، بما أنه قد حـكم عليه أيضا بأفناء أرواح من اقترفوا الآثام · فان جـلادى العالم الآخر المصرى ليسوا جميعا من الآلهة · فالبعض منهم ليسوا سوى بشر يرتكز عقابهم على تعذيب الآخرين ، وفى نهاية المشهد ، يلاحظ وجود بعض « الأرواح الميتة » : لقد

فقدت أجسامها الى الأبد وحكم عليهـا بأن تبقى دائما فى انتظار التحام لن يحـدث أبدا • ويبين النص النهـائى أن المكان الذى كنا نتجول فيه منذ قليل يتضمن عالمين آخرين مختلفين عن بعضهما بعضا • بل هو المـكان الوحيـد الذى يتضمن ممرا سريا يصل ما بين هذين العالمين الآخرين ويسمح للشمس ، من خلال أبى الهول المزدوج ، بأن تحضر لتدفئـة أوزيريس وايقاظه وهو تحت الأرض •

أما عن القطاع الرابع، فهو مخصص كلية للمولد المتزامن الجديد لكل من أوزيريس ورع وهو على وشك الاكتمال(٦٦)• وهناك نص مسهب ، وهو بمثابة ترنيمة الى رع ، يتناول بالذكر عملية خروجه من القطاع السـابق ، ويمجد تأنقـه الوليد • ويتضمن أيضا ايماء عن الهواء والحياة التى يأتى بها معه ، ويبين المشهد الأول أوزيريس وهو على قيد الحياة ، فهكذا سوف يكون دائما بعد ذلك ، وقد رفعته كل من ايزيس ونفتيس ومعه أيضا قرص الشمس بين أذرعهما • ويتعلق الأمر هنـا بعملية انتقال يجعـل من هاتين الالهتين بمثابة الكفيلتين بشروق الشمس عنـد الفجـر ، ويشير جسـد أوزيريس الممدد وقد تقوس فى شكل قوس دائرة توجهت أطرافه الى أعلى ، الى انحناء جبال الأفق ، وبعد ذلك يشاهد أوزيريس ، وقد أحاط به كل من حورس وأنوبيس ، وقد تجمعت أجزاؤه واستعاد جسمه تكوينه تماما• ويقوم حورس بعملية التجميل الصباحية للاله • وهنا ، يستعان بالطقوس اليومية التى تؤدى بالمعابد وفقا لما ذكر آنفا • وخلف هذه المجموعة ، يبدو اله له رأس ثور ، انه « ثور الغرب » وهو يجسد أوزيريس وقد استعاد قواه ثانيا • وينحنى نحو شكلين

موجودين بداخل بعض الأغلفة ، وتعبر هى الأخرى ، عن مولد الشمس الجديد • ويمثل أحد الشكلين حيوان النمس، وهو من الحيوانات الأخرى التى ترمز الى حورس القــديم ، ويماثل الفأر الذى أشرنا اليه منذ قليل • وهو يعرفنا بأن الاله قد استماد عينيه ومقدرته على الرؤية • وتنقضى فترة عدم الرؤية المطلقة وتبدأ معالم ضــوء الفجــر تتضح أمام البشر • أما الشكل الآخر، فهو يبين قلبا قد أحاط به من كل جانب قرص الشمس يشع بضوئه • ويفسر لنا النص ذلك بأن الأمر يتعلق برع وهو يتحدث الى قلبه • فيمثل هــذه الطريقة ، كما شاهدنا فى الجزء الأول ، بدأ رب الأرباب يخلق الكون • والهدف الواضح هنا هو أن يبين : أن عودة ظهور ضوء الشمس، الذى نشاهده هنا ، ليس فى واقع الأمر سوى عملية خلق جديدة • وفى اطار السجل الثانى ، يبــدو رع ، وهو مازال برأس كبش ، محييا حراس المكان ويعلن لهم ما نترقبه فعلا : سوف يشق ، بضيائه ، غياهب الظلمات الأولية التى كانت تشمل العالم • وهو قائم الآن فوق «الرمال العظمى » ، وهى بدون شك المرقد الرملى الذى يعلن عن نهاية حدود العالم السفلى ، وعن قرب موقع المياه ، أى بالتالى قرب المركب التى سوف يستقلها • وفى مكان أبعد من ذلك ، يبدو حرما (حورس الموحد) ، وهو حورس حامى أبيه ، وهــو أيضا مثال للوريث الملكى والكفيل باعادة تكوين الجســد الأوزيرى ، وقد انحنى فوق مومياوين خاصتين بأبيه ، وفى نهاية السجل الثانى ، نجد آنوبيس وهو ينحنى فى احترام أمام أوزيريس الحى الذى التحم بروحه « البا » •

ومن مجموع هذه المشاهد ، نجد أن اعادة التكوين والمولد الجديد المتزامن لكل من أوزيريس ، ورع والملك المتوفى قد اكتملت تماما فى نهاية الأمر · وتبين الصور عن الوحدة الأساسية لهذا السياق ·

ولقد لوحظ ، من خلال القطاع السابق ، أن البشر المتوفين هم فقط غير المسموح لهم بحضور عملية الحمل الالهى أثناء اكتمالها · ولكن هنا نجد ، أن الآلهة ، والأرواح ، والموتى جميعا هم غير المسموح لهم بدخول هذا المكان ·

ان المسموح لهم بالتواجد هنا هم كبار الآلهة فقط الذين يساهمون دائما منذ البداية ، فى عملية البعث الالهى، وأما عن السجل الأخير ، وهو الخاص بمن حلت عليهم اللعنة فهو يؤيد أيضا غرابة ما يبينه المشهد · فها هنا اله على شكل قط ، وهو من الأشكال المعروفة الممثلة للشمس الوليدة ، يشن حربا حامية ضد الأعداء الدائمين المتربصين بشروقها ، وينتصر عليهم ، وفى وسط المشهد ، تبدو ربتان مقاتلتان وقد سيطرتا تماما على الحارس القائم على من حلت عليهم اللعنة والذى قابلناه من قبل · وبذا فقد أبعد عن المعذبين الآخرين ، ليلاقى كل منهم مصيرا مختلفا عن الآخر ·· فالبسطاء ممن حلت عليهم اللعنة ، يتم سجنهم الى الأبد فى العالم السفلى ولا يستطيعون الخروج منه مطلقا ، وعلى ما يعتقد فان جزءا منهم يتم افناؤه تماما فى هذا المكان · وعلى ما يبدو ، فان الحارس ، يحظى بشىء من العفو ، النسبي بدون شك · فان الخدمات التى يؤديها تسمح له

بالخروج . ولكن : ليس له الحق مطلقا في التجدد الجسدى. فسوف يبقى الى الأبد في حالة التعفن والتحلل التى تغلفـه وتلتصق به ، ويعتبر ذلك علامة لا تمحى أبدا عن انتسابه لعالم الموتي وعن انحطاطه .

ومن خلال القطاع الخامس ، نجد الشمس وهي تستعد لخروجها الى العالم الخارجي (٦٧) . وترى مجموعة السجلات وقد احتضنها تماما ، الهان عملاقان متواجهـان . وعنـد المدخل ، تشاهد نوت ، ربة السماء ، وهي تنظر الى اله ذكرى يحمل الشارات الملكية وقد اعتلى طائر رأسه . وهذا الاله هو في آن واحد أوزيريس الملك الذى بعث من جديد وجب ، اله الأرض ، ويتم المشـهد كله فيما بين السـماء والأرض أو ، بالتحديد ، في ذاك المكان التى تلتقى فيه السـماء بالأرض عند الأفق .

ويبين لنا ، أن الشمس قد سارت في طريقها السليم . انها تمخر عباب الكهف ، دون وجود أى مياه . ونلمح بعض الهضاب ، التى تعلن عن ظهور الجبل الشرقي حيث سـتظهر الشـمس أمـام أعين البشر . ومن بداية جسـم نـوت حتى نهايته ، تمثل ، كافة مراحل الحمل الشمسى . وفي ظهرها ، نشاهد أربعة تماسيح مجسدة للقوى السفلية والأولية وهي تمد أنوفها نحو أربعة أشكال شمسية في حالة شيخوختها ، ثم تحولها الى الموت ، ثم عودة تكوينها . وفوق يدها اليمنى، نجد الها برأس كبش ، وفوق يدها اليسرى ، نجـد قرص الشمسى ، فهاتان هما اللحظتان القصويان في حياة الكوكب، أى شيخوخته واعادة مولده . وأمام الالهة ، نشاهد أربعـة

أشكال وهى تقود الكوكب من مرحلة اعادة تكوينه الى مرحلة اعادة مولده ، وهو عـلى هيئـة طفل وليـد تتلقـاه ذراعان ممدودتان نحوه • انهما ذراعا الأرض اللتان تفتحان من أجل أن يتمكن من العبور الى الخارج • انهما تنبثقان من القـدم اليمنى للالهة ، تطابقا مع شكلها الجسدى الممثل للسماء ، الذى حدد منافذ الشرق فى هذا المكان (٦٨) •

ولقد أطلق على الوليد اسم « الذى يحمل حبله السرى» • فحقيقة، ان فترة حمله قداكتملت تماما، ولكنه مازال مرتبطا بأمه ولم يغادر بطنها (٦٩) • ومازالت نوت تبدو وقد أحاط بها ثعبانان منتصبان ، انهما ، كمـا يقال ، بمثـابة لهيب لا تستطيع الآلهه الاقتراب منه ويمثلان « نيبـاى » ، عدو رع (٧٠) • ان « نيباى » ، أى «الذى يشبه مصرانا معويا»، ليس سوى أسلوب محقر للاشارة للعدو أبوبيس الذى سوف تشن عليه الشمس ، عند شروقها معركتها الأساسية من أجل توازن العالم ، وتنتصر عليه • ويعمل السجل الأول عـلى تكملة التوازى ، الذى قام بداية من القطاع السابق ، فيما بين مولد الشمس وعملية خلق العالم• وها هى أربعة ثعابين ذات رؤوس آدمية تعترض طريقهـا ، وتحـاول منعهـا من الانبثاق من « المياه » التى مازالت منغمسة فيها • ولـكن سرعان ما تندحر مقاومتها • وها هو الآن «تاتنن» «الأرض المنبثقة » ، التى تجسد الربوة الأولية ، تقف منتصبة ، حيث تجد مساندة قوية من آتوم ، رب الأرباب ، وخبرى ، الشمس المقبلة ، وبالرغم من أنهما هما الاثنـان يعتبران بمثـابة جثتين ، فهما مع ذلك يملكان « الكلمة الحية » وبالتالى فهما

قادران على اضفاء الفعالية على الكلمة الخلاقة التى ينبثق منها العالم (٧١) ٠

ويقوم رع بكلماته ، بتشجيعهم على القيام بالعمل الخلاق ٠ وخلف هؤلاء الأشخاص ، يتراءى غلافان متواجهان، يقوم على حمايتهما أحد الحراس وقد انحنى أمامهما ٠ وبداخل الغلاف الأول ، يتراءى طفلان ، لا شك أن واحدا منهما يمثل المظهر الجنينى ، والآخر يمثل الوليد الجديد الذى يجسد الشمس ٠ وبداخل الغلاف الثانى توجد مومياء على هيئة أوزيريس (٧٢) ٠ ولا شك أن مواجهتهما لبعضهما تؤكد المولد الجديد لكل من أوزيريس ورع مجتمعين معا ٠ وتبدو الشمس الآن وهى تنطلق نحو مخرج العالم الآخر ٠ وسوف تقابل وتدمج الأشكال المجسدة لتجليها فى نطاق العالم ٠

ويتعلق الأمر هنا بمراحل تطورها الأربع فى السماء باعتبارها حورس ،وبالصولجان ، علامة سلطته (٧٣) ٠ ثم هناك مشاهد متتالية تبدو بعيدة الى حد ما عن المشاهد الأخرى وهى تعبر عن الشمس وهى تودع جسدها ٠ ان هذا الاله الوليد قد ترك جسده الميت فى العالم الآخر ، وهو يمثل فى آن واحد كلا من أوزيريس ورع ، وقد أعيد تكوينه وبعث من جديد ، ولكنه سوف يبقى الى الأبد فى العالم السفلى ولا يغادره أبدا ٠ وها هو يراجع سلامة أجزاء هذا الجسد الذى فصلت أوصاله ثم جمعت فى أحد الأغلفة ، ويتأكد من أنه لا ينقصها شىء وأنها فى حالة جيدة ، ثم يودعه بين اثنين من أشكاله الخاصة التي تمثله :

« المستتر والمسافر » • « آنتما أيها الالهان المقدسان اللذان يقومان عــلى حراســة جثماني • هاأنذا ، لقد عددت أشلائي في السرية ، وها هي أعضائي ترقد في ســلام ، وجســدي متكامل ، لقد جمعتها الى • سلام عليكم ، أيا اعضائي الكامنة بي . يا لحمي يا آجسادي، انني شع عليكم بضوئي ، وأطرد عنكم الظلمات (٧٤) » • ثم ها هو يتوجه نحو تاثيت الهــة النسيج والضمادات ، التي سوف تعمل عــلى ترابطهمــا من أجل تكوين سليم • ويترك وراءه أيضا رأس الكبش الذي يرمز الى اختفــائه الليلي • وفي نطاق الطــابق الأرضي ، يلاحظ أن هنــاك بعض التغير في « الزخارف المحيطة » • فحتي الآن ، لم يكن يشاهد في هذا المكان ســوى من حلت عليهم اللعنة الذين حكم عليهم بالبقاء في الظلام الأبدي ، دون هــواء ، وقد غلفهــم العفن أو عذبوا تعــذيبا قويا • ولــكنهم الآن يشــاهدون وهم يلاقون تدميرا كليــا • وفي البداية ، نشاهد أوتاد التعذيب وقد نصبت تحت قدمي الهة السماء ، ليربط بها العصاة الذين سوف يقتلون • ثم توضــع ثلاث غلايات فوق لهيب من النيران الأبدية التي أوقدتهــا بعض الآلهة تبدو رؤوسها كرأس الكوبرا ، انها آلهة السعير واللهيب المتقد • ووضعت رؤوس وقلوب من حلت عليهــم اللعنة في الغلاية الأولى •

وبهذه الطريقة ، فقد قضى تماما على أرواحهم وحياتهم التي تحولت الى رماد • وفي الغــلاية الثانيــة ، يتم القــاء الأجساد التي قطعت رؤوسها لتلقى نفس النهاية • اذن، فقد تلاشى تماما الوجود الجسدي لهــؤلاء الأعــداء • وآخيرا ، وبداخل الثالثة ، يلقى بالأرواح والظلال ، التي تمثل أيضا

جزءا من كيانهم ، فتلقى المصير نفسه وتختفى الى الأبد ٠ وعندئذ يمر رع دون أن يوجه اليهم نظره ، ويقترب من أوزيريس العظيم ، الملك الذى يواجه الهة السماء ٠ فيقف لحظة بجانبه ويسأله فى أدب جم عن أحواله (٧٥) ٠

ولقد استعاد ملك العالم الآخر اكتمال جسده ، وقواه الجنسية ، وها هو يسود سيادة كاملة فى مملكته ٠ لقد عاد الى الحياة بكل معنى الكلمة ، ومع ذلك فهو ملزم بالبقاء فى هذا المكان ، لأن عالم الأحياء محرم عليه ٠

ولكن الطائر الذى يحمله فوق رأسه هو فقط المسموح له بمرافقة رع الى الخارج ٠ وربما أن هذا هو الايبس الذى يشاهد فى السماء على هيئة نجمة الصباح ، أى فينوس ، التى تعلن عن انبثاق كوكب النهار ٠

وفى نطاق القطاع السادس ، يبدو كل شىء مهيئا من أجل ظهور الكوكب نفسه ظهورا كاملا (٧٦) ٠ وتساعد المشاهد الأولى به على تكملة وداع الجسد الذى شوهد فى القطاع السابق ٠ فها هما جسدان محنطان ، يبدوان فى وضع جنينى،قدأقفل عليهما بداخل غلافيهما اللذيناعتلاهما الطائر الروح ، وقد وضعا تحت حماية أنوبيس ٠ ويبدو اذن أن أنوبيس قد أكمل العمل المؤدى الى البعث الجسدى ٠ وتعبر مختلف المشاهد مرة أخرى عن مراحل تقطيع الأوصال واعادة التكوين ، وتشير الى طبيعة أجزاء الجسم ، ووظائفها، والى القدرة الخلاقة المتضمنة بالكلمات ، التى عملت على مولدها الجديد التلقائى دون آية مساعدة خارجية ، وتقوم مختلف الآلهة بحماية كل ذلك ، وهى تسهر على حماية أجساد

أوزيريس ورع التي جهزت وجمعت. «لقد تكون الشكل.. اننا نحمى أجزاءك المخبأة (فى الوقت) الذى تقوم فيه بالاشعاع بضوئك على القطر المزدوج بواسطة قرصك العظيم ، أعظم الأشكال ، هذا الذى يتمم مولد من خلقوا ، ليصبحوا كائنات حية (٧٧) » .

وبما أن الأجساد الحية تلقى الحراسة الجيدة ، فان الشمس تستطيع أن تنير العالم بكل اطمئنان . ومن خلال السجل الثانى ، يوصف الظهور الشمسى فى واقعه الالهى ، أى الواقع الذى لا يستطيع البشر أن يروه علانية . ويبدو أحد الجعارين وهو خارج من الأرض ، ومازال جزؤه الخلفى مختفيا وهو يدفع أمامه بالكرة الشمسية . انه بداخل غرفة أمامية بعالم الأحياء ويوزع ضوءه على سكان النواحى التى تفصل ما بين العالمين .

ويتحدث رع من أجل أن يعلن عن مولده : « انظروا ، أيها الآلهة ، هأنا أخلق ، هأنا قد ولدت ، اننى سيد قرصى (٧٨) » . وهنا يواجه الجعران المارد الثعبان الذى يتحتم عليه مصارعته كل صباح ، فيقوم هذا المارد الثعبان بالالتفاف حول جسمه ولكن آلهة حافة الأفق تعرف صيغا سحرية كفيلة بشل حركته وجعله غير قادر على الايذاء ، وها هى الآلهة تؤكد نجاح عملها : « انظر ! ها نحن قد سحرنا الثعبان تك . لقد انتزعنا روح من يلتف بجسمك (٧٩)» .

وفى هذا المكان الواقع ما بين مخرج الكهوف التى غادرتها الشمس وبين حافة الأفق يقع الـ « دوات » ، أى الأراضى الخاصة بالموتى السعداء . واستقبلها الأهالى

قائلين : « سلام عليك أنت يا من تنبثق من داخل الأرض (٨٠) وتدخل الى الـ « دوات » ... آيا رع ، انك تشع علينا بضوءك ! أما نحن، فاننا نمجدك ونحييك(٨١)» .

وفي مكان غير بعيد من هذا الموقع ، يبدو أوزيريس وقد اتخذ شكل النجمة « أوريون » . وها هو وقد اعتلى ربوة عالية ، وآخذ يطأ بقدميه ثعبانا مقطوع الرأس ، معبرا بذلك عن انتصاره النهائي على الموت (٨٢) .

وفي الطابق السفلي ، يتم قتل بعض من حلت عليهم اللعنة الذين نجوا على ما يبدو من المذابح السابقة . وتبدو الالهتان اللتان تقومان بهذه المهمة ، والمطليتان باللون الأحمر ، وقد غطتهما الدماء . وربما يتعلق الأمر هنا ، بأعداء شروق الشمس : لقد وقع عليهم العقاب وفقا لما هو متبع ، ولن يستطيعوا الخروج من العالم السفلي لكي يلحقوا الضرر بمسيرة الشمس . في هذه المرة ، سوف يظهر رع فوق خط الأفق . ولا شك آن المشهد ، المكرر لذلك الذى يتراءى فيه الجعران هو الأكثر كلاسيكية ويعتبر أكثر تطابقا مع ما قد يعتقده البشر . فان المركب التي مثلت للمرة الأولى ، تبدو متأهبة للرحلة النهارية ، وتستقر الشمس فوقها بمصاحبةالجعران، علامة على صيرورتها المقبلة والذى يتماثل أيضا مع شو ، أى الهواء الذى يساعد المركب على الارتفاع الى الأعالي . وفي المقدمة ، يبدو أيضا «الايبس» ، أى نجمة الصباح ، وتقوم ثلاث مجموعات بسحب المركب فوق الرمال حتى تصل الى جبل الغرب حيث تجد المياه اللازمة لابحارها ، وعلى جانبي المركب ، تشبث شخصان بجسم يسمى «بالأكمة»، ولكنه يتشابه تماما مع الهلب الثابتالمستعمل من آجل تثبيت

السفن بجوار حافة النهر (٨٣) • ويقوم أحدهم ، وهـــو « الذى يرأس المهام الخاصة بأسرار الأرض الجافة (٨٤) » بمهمة الاشراف على هذا العمل ، وأصبحت المركب الآن حرة فى تحركها •

وفى مقدمتها ، يبدو الجعران الذى خرج من العـالم السفلى وهو يتحول تدريجيا الى طفل صغير ثم الى قرص احمر اللون قد امتطى خط الأفق كما يمتطى الجـواد • وعـــلى الجانبين ، وقف المتعبدون يحيونهما • وها هو رع وقد نبتت رأسه جيدا فوق كتفيه ، فأصبح على ما يبدو مرئيا بالنسبة للبشر • وبذا ، فبنظرة واحدة من الاله ، استطاع أن يرى كافة المخلوقات فوق سطح الأرض ، بما فيهم البشر فها هـو الفجر قد بزغ •

ان هذا التكوين المركب المعقد ، يخفى فى طياته الامور الاساسية فى نطاق معرفة الكهنة ، بتحول واعادة مولد الآجسام والكائنات الالهية اللازمة للغاية فى مجال عالم البشر : فان رع بظهوره ثانية عند الفجر ، يعمل على أن يولد العالم كل يوم من جديد ، كما أن أوزيريس وبعثه من جديد فى العالم السفلى يعمل على خلود المتوفين • فان مجرد التصور أن هذين الاثنين قد اختفيا تماما والى الأبد ، يعنى أن ذلك فيه نهاية العالم • وبذا فقد كان أحدهما يختفى أثناء الليل ، والآخر لا يمكن رؤيته مطلقا : ولذا اقتضى الأمر وجود طريقة ما تسمح لهما بأن يقوما بمهامهما بشـكل منتظم ودائم وذلك بالعمل على التجديد الدائم لقواهما وحياتهما ، ونفس هذه الطريقة ، على ما يعتقد ، لم يكن من الممـكن أن تتم الا فى

تعانق انعائم غير المرئى ، وكانت متطابقة بالنسبة لكليهما •
ولقد اقترح هذان الالهان مخططا ما على البشر ، يعمل على
تنظيم أيديولوجية المذكيهالقائمة فوق الارض• ولم تكن هذه
الطبيعة المجددة البناءة لتعمل فقط عـلى مجـرد اعادة مولد
اوزيريس الميت والشمسالميتة ، التى كانت بقاياهما تختلط
معـا ، والذى كان الملك يتطابق معهمـا تمام التطـابق •
ان هذه الطبيعة قد سمحت أيضـا للبشر بأن يطمئنوا عـلى
مصيرهم نى الدنيا وفى العالم الآخر •

ومع ذلك ، فان هذه الرحلة تختلف عن الزيارة الليلية
التى تقوم بها الشمس بداخل جسم نوت الأنثـوى •• انهـا
تتعلق بمجال لا يتشابه بجسم نوت ، بل ولا يتشـابه أيضـا
بالمجال الذى يسود فيه أوزيريس سيادة مطلقة • ومع ذلك،
يلاحظ أن المناهج الثلاثة تتلافى وتتكامل • فسواء بداخل
جسم نوت أو فى كهف ابى الهول المزدوج ، نجد أن الشمس
تقوم بدورة من أجل أن تزور اوزيريس فى مملكته الخاصة•
كما أن نوت تبدو ماثلة فى اطار « كتاب الكهوف » ، انهـا
تحدد خطوط نهاياته بوجودها المهيب ، وعموما ، وغير بعيد
من نوت ، فان الشمس قبل أن تنبثق ، تمر من الـ «دوات»
حيث يقيم المتوفون• ولا شك أن الغموضالذى يحيط بالجسد
الليلى لالهة السماء نوت يبلوره نفس هذا الحضور ، ان نوت
تعتبر فى آن واحد بمثابة مجال سمائى وسفلى ، فهى تستطيع
أن تكون بمثابة السماء العليا والسماء السفلى •

ولا شك أن محررى « كتاب الكهوف » قد شعروا تماما
بالروابط التى تجمع ما بين هذه الأماكن • فالنص يقول :

فى اللحظة التى انبثق فيها رع ، دخل «الى جسد نوت»(٨٥)٠
ولا شك أنه يجب أن يفهم من ذلك « جسد نوت النهارى » ،
وبطنها التى تتحرك الشمس تحتها ، مثلما رأينا من قبل ٠
ومن ناحية منطقتهما ، تبدو الرحلتان مرتبطتان ارتباطا
واضحا ٠ ويبدو تكامل المجموعات الثلاث واضحا جليا ،
ويشعر المفكر المصرى الذى يتأمل فيها مليا بالوحدة اللازمة
من أجل عالم جيد البناء وواضح المعالم ٠

من الاله الميت الى الاله الوليد

يعتبر البر الغربى بمثابة نقطة التقـاء ما بين العـالم الاوزيرى والعالم الشمسى • ولقد رأينا أن أبواب دخـول الكهوف كانت تقع ناحية البر الغربى ، أما أبواب الخـروج منها ، فتقع ناحية البر الشرقى • وعادة ما يرمز لهذا المكان الجبلى الواقع ناحية الغرب بواسطة حتحور البقرة • وتبدو رأسها ، وقد انبثقت من جانب الجبل ، وكانها تستقبل بكل ترحيب الميت الذى يتقدم اليها وتسهل له دخوله الى العـالم الآخر ، ويعتبر ظهـور الالهة هـذا وكأنه بعض التحركات الارضية البنيوية ، فان الجبل ينشق ، وتنفلق الصخور ، والـكهوف تفتح أبوابهـا من أجـل حتحور (١) • وفى طيبة ، فى العصور القديمة ، كان قد تم اعادة تشكيل أحـد رؤوس الجبل الذى يشرف على معبد حتشبسوت الجنازى ، من أجل آن يبدو فى شكل هذه الالهة وهى تخـرج من الجبـل وتسود بذلك على المنطقة الصخرية بدير المدينة (٢) • ومع ذلك ، فان هذه الالهة التى تستقبل المتوفى لا صلة لها بعالم أوزيريس السفلى (٣) • فهى تقـدم للمتـوفى ، أو للملك المتوفى بصفة خاصة ، مكانا يجدد فيـه حيويته ويولد من جديد ، بل هو أيضا مكان للانتقال والمرور • انهـا تقـوم يوميا ، من أجل المتوفى بنفس المهمة التى تقوم بها نوت من

اجل الكوكب الشمسى · انها بمثابة غلاف ، ومكان ، ومسكن سلبى ، يمكن أن تتجلى من داخله بعض الآلهة السلبية هى أيضا ـ مثل أوزيريس ـ أو الفعالة ـ مثل جميع الآلهة التى تتسارع نحو هذا المتوفى ·

ويقول التاريخ ، ان اوزيريس لم يصبح ملك الموتى المطلق ، الا بعد ان قام شيئا فشيئا بطرد من كانوا يشغلون هذه الوظيفة قبله في الجبانات الكبرى · وبذا فان «عنجيتى» في بوزيريس ، « وسوكر » في منف ، « وامنتيو خنتى » في أبيدوس قد عملوا بعد أن اغواهم ، على زيادة اهميته الشخصية واتساع مدى نفوذه · ولقد رأينا ان الشيخوخة والموت لا تنجو منهما الالهة · وعرفنا أيضا أن قصة اوزيريس لم تبدأ فعليا الا بموته (٤) · فلم يكن من الممكن حدوث خلاف ذلك · ويجدر الاشارة هنا ، الى أن أوزيريس هو الملك المتوفى فى حين أن حورس ، ابنه ، هو الملك الحى · وبذا ، يتسم مقتل أوزيريس بسمة خاصة للغاية · انه بمثابة أساس · انه يوضح ويبرر وجود الشعائر الجنازية الملكية التى تكفل الأبدية لكل ملك حورس · والأمر لا يتعلق هنا بمجرد موت عادى · فان الظلم والعنف قد عملا هنا على تعكير صفو المجرى الطبيعى لحياة شخص ما وأرغما ارملة بدون ولد على حياة غير طبيعية · لقد قتل ست أوزيريس من أجل أن يستحوذ على سلطة أخيه لنفسه ، ولا شك أن رغبة ايزيس كانت مغايرة تماما لذلك، لقد رغبت فى أن تنجب من أوزيريس المتوفى وربما عرضيا لم يستطع انجابه وهو على قيد الحياة · وتبدو ايزيس فى البداية كارملة وأم · وليس هناك على ما يبدو ، فى اطار

طقوسها أى أثر لاحتفالات الزواج ، بخلاف ما تم بالنسبه لحتحور ، على سبيل المثال (٥) ٠

وفى اطار الدولة القديمة ، عندما ظهرت النصوص الجنازية الملكية فوق جدران ممرات الأهرام ، أشير الى موت اوزيريس بدون ذكر أية تفاصيل ٠ وتعمل جملة احدة على الاشارة باقتضاب الى موته فتقول : « لقد طرحه ست أرضا وهما فى « نديت » (٦) » ، ولكن يلاحظ أن الطقوس الجنازية ، على عكس ذلك ، تكرس جزءا كبيرا منها لاستتباعات هذا الموت ٠ ومن خلال نصوص الأهرام أيضا ، توجد بعض الجمل ، المتناثرة هنا أو هناك ، التى تذكر فى اختصار شديد الأحداث التى أعقبت هذا الموت ، وتبين دور أرملة أوزيريس ، ليس بمفردها ، ولكن بمصاحبة أختها نفتيس أمام هذه الكارثة وهذا الحزن الشديد : « لقد حضرت ايزيس وحضرت نفتيس ، الأولى جاءت من الغرب ، والثانية من الشرق ، الأولى جاءت فى هيئة أنثى الصقر ، والأخرى فى هيئة حدأة ، لقد وجدتا أوزيريس (٧) » ٠ وأيضا : « لقد حضرت أنثى الصقر ، وحضرت الحدأة ، أى ايزيس ونفتيس ، لقد حضرتا من أجل البحث عن أخيهما أوزيريس ٠٠ فلتبكى أخاك ، أيا ايزيس، فلتبكى أخاك ، أيا نفتيس (٨) » ٠ وفى اطار هذه النصوص ـ الأكثر قدما ـ يركز الاهتمام خاصة على بحث الأختين عن جسد أخيهما المتوفى وعلى دورهما كناحبات(٩)، تتجسدان على هيئة طائرين ٠ وأصلا ، لم يكن موضوع تجميع أجزاء جسم أوزيريس يرتبط تماما بايزيس ٠ وخلال مناسبة واحدة فقط ، ادعت احدى الالهات المجهولة

الاسم ، انها قد جمعت أجزاء جسم أخيها ، وأنها قد وحدت بين أعضائه (١٠) . ومن خلال عبارة أخرى مماثلة للغاية لتلك التي عزيت للالهة المجهولة الاسم ، يتراءى أن توت وحورس ، هما المكلفان فى أغلب الأحوال ، بهذه المهمة (١١) . وتتم عملية البحث عن جسم أوزيريس خلال زمنين اثنين . فوفقا لقول بلوتارخ ، أن جسد هذا الاله قد أقفل عليه فى صندوق كبير ثم ألقى به فى النهر . ومن النهر ، وصل الى البحر حتى انتهى به الأمر الى « جبيل » . واستطاعت الالهة ايزيس ، التى انطلقت للبحث عنه ، أن تعيده الى مصر حيث استولى عليه ست الفاسد مرة أخرى ، وقام بتقطيع أوصاله ، ووزع أجزاءه على كافة أنحاء مصر ، وهنا بدأت ايزيس عملية بحث أخرى ، أى البحث عن أجزاء جسم زوجها الأربعة عشرة . وهنا أيضا ، تختلف العديد من الروايات عن بعضها بعضا ، فمن أجل أن تخدع ست ، كانت تدفن بعض الأشكال المموهة كلما وجدت جزءا من الجثة . اذن، ففى مصر يتساوى عددالمقابر المخصصة لهذا الاله مع عدد أجزاء جسمه المشتتة . ومن خلال دورها كأرملة ، قامت ايزيس بأوجه نشاط مكثف . لقد كانت ايزيس واقعية بالرغم من حزنها ، واستطاعت أن تعيد تكوين جسد زوجها . وعندما تم ذلك ، قام كل من حورس، وجب ، وأنوبيس ، وايزيس ونفتيس ، بالعمل على ابقاء جسد أوزيريس . ومارسوا عليه أول عملية تحنيط عرفها العالم (١٢) ، ثم قامت ايزيس ، بمعاونة نفتيس ، بانعاش جسد زوجها المتوفى .

ولا شك ان أبيدوس وبوزيريس قد أصبحتا ، منذ وقت مبكر ، بمثابة الأماكن الاكثر أهمية لممارسه الشعائر الاوزيرية • ولم تتبق فى بوزيريس ، اية أدلة عن المقاصير المهداة الى أوزيريس وايزيس ، وبذا فمن الصعب تصور انواع الطقوس والشعائر التى كانت تتم بها • ولكن على عكس ذلك ، يلاحظ أن شعائر أبيدوس قد عرفت جيدا ، وخلاف ذلك ، فقد افصحت الجبانات بهذه المدينة ، عن وجود طقوس شعبية يستطيع المتعبدون من خلالها أن يقتربوا من الاله العظيم وذلك ببنائهم هياكل نذرية ، ويقول احد النصوص المنقوشة : « لقد شيدت هذا الهيكل النذرى بجوار مكان الاله الأعظم ، رب الحياة ، ملك سكان الغرب ، من اجل تقديم القرابين والبخور (١٣) » • وفى هذا المكان القريب من أوزيريس ، وللمرة الأولى ، بداية من الدولة الوسطى ، اصبح للمواطن البسيط الحق فى ان يمثل فوق مسلته الجنازية الخاصة المواجهة لأحد الآلهة • ولم يكن الامر يتعلق بعد بأوزيريس ، ولكن بـ « مين » ـ كفيل القوى التناسلية والبعث من جديد ـ أو أفيوس ـ المرشد فى طرقات العالم الآخر ـ ومع ذلك ، فان الاماكن التى شيدت بها هذه الهياكل النذرية قد تم ضمها الى اله الموتى نفسه ، حيث تتضمن الكتابات التى تحملها على جدرانها العديد من الابتهالات الموجهة اليه • فان المتوفى يعمل من أجل ضمان بقائه حيا فى العالم الآخر ، على ألا يكون خاضعا للأحياء فحسب ، ولكنه يبحث أيضا عن المأوى بجوار الهه • ولقد تزايدت فعالية الشعائر البنوية ، التقليدية التى يستطيع المتوفى من خلالها أن يتلقى من ابنه القرابين اللازمة لبقائه حيا ، وذلك بفضل قوة العبارات وتقديم أشكال جديدة •

معبد ، ومقبرة ، تماثيل ، ورفات

لم يتبق من معبد أوزيريس فى أبيدوس (١٤) ، سوى بعض الأطلال ، بل ان تحديد مكان مقبرته ليس مؤكدا تماما ٠ وفى نطاق الجبانة الملكية العريقة القدم بهذه المدينة (١٥) ، توجد مقبرة أحد أوائل الفراعنة فى اطار التاريخ كله ، انها مقبرة « جر » الذى تولى الحكم فى حوالى العام (٣٠٠٠) قبل الميلاد ، ولقد اعتبرها المصريون أنفسهم بمثابة مقبرة أوزيريس ٠ ولكن ليس من المؤكد أن هذا الرأى قد امتد ليشمل تاريخ الجبانة بأكمله ٠ ومع ذلك، فقد بينت المقابر التذكارية الملكية ، واللوحات والتماثيل العديدة التى اكتشفت فى جبانات أبيدوس عن وجود بعض الطقوس الخاصة بأوزيريس، الذى كانت شعبيته قد تزايدت بداية من الدولة الوسطى ٠ بل لقد ساعدت بعض النصوص على التعرف على طبيعة الدعامات الخاصة بشمائره ، خاصة أن هذا الاله كان يحظى فى آن واحد بشمائر جنازية وشمائر الهية ٠

وتبين لنا احدى المسلات التى ترجع الى الدولة الوسطى عن نص عرف باسم « أسرار أوزيريس » ، وسوف نرى مدى ما وصلت اليه من انتشار بعد ذلك ٠ ويبين هذا النص ، عن قلق الملك الذى يهتم باتمام الاحتفالات على خير وجه ويتعهد بتقديم الدعم المالى من أجل أن تبدو فى كامل أبهتها وفخامتها ٠ وبذا فقد أوكل الملك ، سنوسرت الثالث ، بمهمة الى أحد كبار موظفيه يدعى اقرنفرت ، وتتلخص مهمته هذه فى اعداد الأعياد السنوية التى يقوم تمثال أوزيريس خلالها

برحلة ما بين معبده ومقبرته (١٦) · ولا شك أن ارســال الملك لرسالة تتضمن تعليمات كان بمثابة حدث مهم ، وبذا فقد قام اقرنفرت باستنساخ مضــمون هــذه الوثيقة فوق لوحته · وبذلك ها نحن نعرف أن الملك قد أمره بأن يتوجه الى أبيدوس عبر النهر ، وأن يقوم بأعمال الاعداد والتجهيز من أجــل أوزيريس خنتي امنتيو · ويتعلق الأمر أســاسا بتزيين « صورته السرية بالذهب الخـالص الذى (الاله) سمح لجلالتي باحضاره من النوبة ، بكل شجاعة وانتصار · ولا شك أنك سوف تؤدى ذلك عــلى أكمــل وجه من أجــل أبي أوزيريس (١٧)»· وخشى الملك الا يقوم أمين أسراره هذا بتنفيذ هذا العمل على أكمل وجه ، وبذا فقد اتخذ بعض الاحتياطات · فأخذ يذكره بالعطايا المتتالية التى أنعم عليه بها منذ طفولته ولذا ، فهو ينتظر منه أن يؤدى المهمة التى أوكله بها على أحسن وجه · وسارع اقر نفرت بالاستعانة بهذه العبارات من أجل أن يبين انه كان أثيرا لدى الملك · وبعد أن سرد اقرنفرت مضمون الرسالة ، بدأ يعدد ما قام باتجازه من أجل أوزيريس وفقا لأوامر مليكه : «لقد جهزت (مركبه؟) العظيم·· وأعددت من أجله ناووسا محمولا ·· من الذهب ، والفضة ، واللازورد والبرونز ، والخشب ·· ومن خشب الأرز ، والآلهة ·· قد صنعت وجددت نواويسها· وعملت على أن يكون الكهنة المكلفون في مواقعهم المحددة ، وساعدت على أن يلموا بالشعائر اليومية والشعائر الخاصة بأعياد أوائل العام · وقمت بادارة أعمال المركب المقدسة ، وأمرت بصــناعة قمرتهــا · وزينت صــدر اله أبيــدوس باللازورد والفيروز ، والذهب الخالص والأحجار (شــبه)

الكريمة وهى الزينة (المعتادة) لجسد أى اله • والبست الاله شعاراته باعتبارى « سيد الأسرار » (١٨) • وبعد انتهاء الاستعدادات ، يصف لنا اقرنفرت ، بشكل فائق الايجاز ، بعض مراحل الاحتفال : « لقد تقدمت الموكب الكبير ، وتبعت خطوات الملك • وعملت على ابحار مركب الاله ، وكان تحوت يدير دفتها • وجهزت المركب بفرقة صغيرة » • وبعد تزيين التمثال بشعاراته ، قام باعداد الطريق الذى يؤدى بالاله الى مقبرته • وبواسطة بعض العبارات ، أشار أيضا الى الأماكن الأسطورية التى وقعت بها المأساة الأوزيرية والشعائر التى قام بها من أجل مجابهة آثارها الضارة : « ولقد دافعت عن أنوفريس (أوزيريس) يوم المعركة الكبرى • ودحرت جميع اعدائه على ضفاف النديت (١٩) » • ثم ، بعد رجوعه الى أبيدوس ، أتبع الاله حتى وصوله الى مسكنه (٢٠) » •

ولا شك أن هذا النص يعتبر ذا أهمية ، فهو يمثل أكثر قصص أسرار أوزيريس عراقة • انه يحدثنا عن وقائع متتالية كاملة تضمنتها النصوص الأخرى ، الأكثر تفصيلا ، حتى نهاية الحضارة الفرعونية •

ومن المعروف أن جزءا من أكثر رفات الاله تقديسا ، وهو رأسه ، كان يوجد فى أبيدوس • ومع ذلك ، فهناك هذا السؤال الذى يطرح دائما : هل خصصت المقابر التى يشار اليها دائما ، من أجل حفظ الرفات المحلية فقط ؟ ولكن ماذا عساه قد حدث لجسم أوزيريس الذى جمع من جديد ، كما ذكر فى النصوص الشعائرية والطقسية ؟ هل كان من المفترض

أن يوجد مثل هذا الجسد أم أن الضرورة كانت تحتم فعلا اعادة تشكيله ، وبأية طريقة ؟ عموما ، لا تتضمن الآثار المعمارية بأبيدوس آية اجابة على هذه الأسئلة • واستنادا الى بعض النصوص المتأخرة ، قد يعتقد أن تمثال أوزيريس الذى أولاه اقرنفرت كل عنايته والذى انتقل نحو مقبرة الإله الذى يجسده ، هو فى حقيقة الأمر التمثال الذى يرمز الى اعادة تكوين جسمه الذى قطعت أوصاله ثم بعث من جديد • وربما أشار هذا الموظف الكبير الى ذلك وهو يتحدث عن « الآلهة ••• التى تم تصنيعها » •

تماثيل أوزيريس السنوية وتماثيل سوكر

لقد تولد من المضمون الأسطورى الخاص بعبادة أوزيريس نوع من الممارسات الطقسية ينبثق من أسلوب يختلف عن ذاك الذى كان يتبع فى المعابد الالهية • فالتمثال الخاص بالعبادة ، يعتبر من ناحية طبيعته نفسها ، بمثابة تمثال خالد ، ولكن هذا لا يمنع أنه كانت هناك أيضا تماثيل خاصة بأوزيريس قد صنعت خصيصا من أجل أن تبقى مؤقتا • وكانت هذه التماثيل تصنع كل عام فى وقت شعائر « أسرار أوزيريس » التى كانت تبدأ من اليوم الثامن عشر الى اليوم الأخير برابع أشهر السنة ، أى شهر كيهك ، أثناء انحسار مياه الفيضان وبذر الحبوب ، وبداية انبات المزروعات • وعندئذ ، كان يتم صنع جسمين أوزيريين ، واحد لأوزيريس خنتى امنتيو والآخر لسوكر وفقا لأساليب معينة سوف نرجع اليها لاحقا • ويحل هذان الجسمان مكان اللذين كانا قد صنعا فى العام الماضى وتم دفنهما فى احتفال

مهيب (٢١) · ولقد عرفنا من قبل أن أولى العلامات الدالة على وجود « أسرار اوزيريس » قد تراءت خلال الدولة الوسطى ، بشكل غير محدد ، وتدل بعض الأدلة فى المجال الأثرى ان صناعة تماثيل أوزيريس هذه كانت قد بدأت منذ الأسرة الحادية عشرة (٢٢) · ولكن بالرغم من ذلك نجد أن بعض الكتابات المتأخرة هى فقط التى تصف تماثيل تلك العبادة الخاصة بإله الموتى· وفى نهاية الأمر، خلدت التماثيل السنوية التى تتحدث عن حياة ، وموت ، وبعث أوزيريس فى اطار الشعائر التى تصفها أكثر من تخليدها ماديا · ولا تبدو تماثيل مومياوات أوزيريس التىاكتشفت فى بعض الجبانات الصغيرة التى خصصت لها على قدر واضح من الجمال · ومازالت طبيعة ارتباطها المحتمل مع « أسرار كيهك» موضع البحث(٢٣)· ومهما يكن الأمر ، فقد كانت صناعة التماثيل بمثابة الموضوع الأساسى للشعائر ، حيث كانت الآلهة ، وخاصة ايزيس ، تقوم بدور الأبطال الرئيسيين · وكان من الطبيعى جدا أن تكون الآلهة والالهات هى فقط الممثلة فى هذه الطقوس ، بما أن هذه الطقوس كانت تعتبر بمثابة سر من الأسرار ، لا يجب أن يكتشفه بأية حال من الأحوال ، القائمون بها وبذا ، ها نحن هنا نتذكر هيرودوت ، الذى كان يلم جيدا « بأسرار أوزيريس » ، وقد لجأ عمدا الى بتر الحقيقة التاريخية (٢٤) ، من أجل أن يحترم تعهده كمطلع على السر · ومع ذلك ، فان طبيعة الممارسات والشعائر التى يعتقد أنها قد تعمل على اعادة تكوين الجسد الأوزيرى قد ذكرت تفصيليا بالنصوص المنقوشة فوق جدران معبد دندرة ·

وكخطوة أولى يتم فى آن واحد، وفقا لشعائر متطابقة ، صناعة تمثال لأوزيريس وهو يعمل بالزراعة وتمثال بديل للجثمان الأوزيرى المحلى ، وفى اليوم الأول من الاحتفالات (٢٥) ، عند الفجر يتم نقل شنتايت ، وهو أحد أشكال ايزيس الأرملة القائم فى أبيدوس ، الى مكان يسمى « بمكان عيد تقليب التربة » • وتوضع أمامها كومة من حبوب الشعير فوق سرير تنتصب عليه واقفة وعارية • وتقوم هى بنفسها بوضع هذه الحبوب فوق قطعة من القماش مفرودة أمامها ، ثم تذكر بعد ذلك المعايير الدقيقة التى يجب أن تقوم شنتايت فقط بتحضيرها : « يستعان بصندوق أسطوانى الشكل ، لوضع مقدار لتر من الحبوب .(٢٦) من وسط هذه الحبوب ، (ويعادل) نصف اللتر أربعمائة وخمسين جراما • وتكون من هذه الكمية أربعة أجزاء ، بحيث يعادل كل جزء منها ربع لتر • ويتم رى هذه الحبوب التى وزعت على أربع كئوس من الذهب ، بلتر وربع من مياه النهر المقدس حتى الساعة السادسة (٢٧) • بعد ذلك تتم غربلة كمية من الرمال مقدارها ربع لتر من أجل تخليصها من أية شوائب ، ثم تروى وتخلط بالشعير • وتوزع هذه المركبات الأربعة بعد ذلك على اتجاهين اثنين : يخصص جزآن منها للتمثال، والجزآن الآخران من أجل الجثمان • ويلاحظ أن القالب الذى استعمل من أجل صناعة تمثال أوزيريس خنتى امنتيو قد صب من الذهب ، وهو يتكون من جزءين متصلين ببعضهما بعضا • والجزء الأول من أجل صب جزء التمثال الأمامى ، والثانى من أجل الجزء الخلفى • ويسمح القالب بأكمله بصناعة شكل مومياء لها رأس آدمى ، وقد

تلاقت ذراعاها فوق صدرها ، وهى تمسك بالعصا والسوط . وتغطى رأسها بالشعر الازرق المستعار . وبدت الحية فوق جبهتها . ولا يعرف بالضبط الشكل الذى يبدو عليه القالبان الخاصان بتشكيل الجثمان ، ســوى أنهما مصنوعان من الفضة . ويتم الآن ملء القوالب الأربعة ، بعــد أن يفرش قاع الاثنين الخاصــين بالتمثــال بقماش رقيق . وتوضــع جميعها بداخــل حوض ، ما بين طبقتين من القش (٢٨) . وبعد ذلك تحتم الضرورة أن تقــوم ايزيس ، حتى اليــوم الواحــد والعشرين من شــهر كيهك ، بريها ريا منتظمــا بالمياه ، ليلا ونهارا ، من أجل تنشيط عملية انبات الحبوب المتضمنة بهذه المركبات . ويتم جمع هذه المياه بعد ذلك بكل عناية ، فهى تمثــل الســمات المرضــية للاله . كما تحتم الضرورة أيضا تغيير القش كل يوم ودفنه بداخل الجبانة ، لأنه قد لامس السوائل الالهية . وتم تغطية الحوض بغطاء من الخشب ووقف على حمايته حشد كبير من الآلهة ، وبخلاف تمثالى شنتايت المزدوج ، فهناك واحد من أجــل بوزيريس وواحد من أجل آبيدوس ، نجد أيضا ، ضمن الكثير غيرها ، تماثيل لحورس ، وتحوت ، وايزيس ، ونفتيس ، والحدأتين والناحبتين ، وأبنــاء حــورس وآلهة الورشــة الجنــازية ، والشاراتالالهية ، وتماثيل ملوك مصرالعليا والسفلى، الخ. وفى اليوم الحادى والعشرين ، يتم نزع الاله من القالب . ويوضع مقدار من البخور العطرى على الجزءين المكونين له ويتم جمعهما معا : « يوضع كل من الجانبين الواحــد فوق الآخر ، ويربطان بواسطة أربعة أربطة من البردى ، بحيث يكون : أحدهما على رقبته ، والثانى على ساقيه ، وواحــد

آخر على صدره ، والأخير على الكرة المثبتة فوق تاجه الأبيض بحيث يبدو الاله فى هيئة مومياء لها رأس آدمى يعتلى راسها التاج الأبيض٠٠ ويعرض لأشعة الشمس طوال اليوم(٢٩)»٠ وتكرر نفس الطريقة بالنسبة لجثمانه ، وفى اليوم التالى ، خلال منتصف اليوم ، يقام موكب يحتوى على أربع وثلاثين مركبا بالنهر المقدس ، ويقوم هـذا الأسـطول المكون من مراكب مصنوعة من البردى الصغيرة الحجم بنقـل الآلهـه الصغرى ، وتماثيل حورس ، وتحوت ، وأنوبيس، وايزيس، ونفتيس وابناء حورس ، حيث تشع عليها بضوئها مصابيح عددها ثلاثمائة وخمسة وستون(٣٠)٠ ولم تحدد بالضبط دواعى وجود مثل هذا الضوء الباهر فى وسط النهار ٠ وفى اليوم التالى ، أى الثالث والعشرين ، يتم ربط الضمادات حـــول تمثـــال خنتى امنتيو ، ومعه التمائم الأربع عشرة المخصصة لحمايته فى المقبرة ٠

وهناك تمثال صغير آخر يتم صنعه هو أيضا خلال هذه الأعياد ، انه تمثـــال لسـوكر ٠ وقد صب القالب الخـاص بصنعه من الذهب الخالص ، ومثله مثـل القالب السـابق ويماثله فى الطـول ، ولـكن غطـاء راســـه يختلف وفقا للتقاليد (٣١) ٠ وهنا لا تبدأ الاستعدادات الأولى الا فى ١٤ كيهك ، فى الصباح الباكر ، أى بعد مرور يومين على بداية تصنيع التمثال الذى يبدو فى هيئة مزارع ٠ وفى هذه الحالة أيضا ، تقوم شنتايت بوزيريس بتحضـير الوصفة ، وعنـد تقدير المقادير بمعايير دقيقة ، تقوم بخلط مقدار من عجينة التمر ببعض الطين ٠ ثم يرش الخليط ببعض المياه الآتية من

قناة عنجتى ومن النهر المقدس بالمعبد، ويتم تغليف هذه العجينة الأولى ببعض «أوراق الجميز من أجل بقائها لينة الملمس» ، أى لكى تحتفظ بدرجة رطوبتها (٣٢) • ثم تقوم شـنتايت بعد ذلك ، بتحضير البخور العطرى ، وراتنج التربنتين الذى يغلف ببعض من ليف النخيـل ، وقد خلطت به العـديد من العطـور النباتيـة (٣٣) ، « وروائح طيبة » بعـد طحنها ونخلها • وأضافت الى كل ذلك ، أربعـة وعشرين نوعا من الأحجار الثمينة (٣٤) : ذهب ، وأنواع مختلفـة من حجر الصوان ، والزمرد ، واللازورد ، واليشب الأحمر ، والبجادى (من أنواع حجر الصوان) والفلدسبار الأخضر ، والنجاتين (كبريت الرصاص) والعقيق الأحمر الخ • وقامت بطحنها هى أيضا ، ثم وضعتها فى كأس وخلطتها ، ويمثل كل ذلك مجتمعا ــ طينـة ، وتمر ، وصـبر ، وراتنج التربنتين ، وعطـور ، وأحجار كريمـة (٣٥) ــ ما يعادل سـبعة عشر مقدارا و $\frac{1}{24}$ • وشكلت هذه العجينة جيدا ، على هيئة بيضة غطيت هى أيضـا بأوراق الجميز ، من أجـل أن تحتفظ برطوبتها ، ثم وضعت بداخل اناء من الفضة وتركت حتى اليوم السادس عشر من الشهر • وقد بدأ واضحا أن مهمـة تمثال سوكر تختلف عن مهمة تمثال خنتى امنتيو ، وتقـدر العناصر التى تكونه بواسطة أوان تمثل أشكالها الأربعـة عشر، قطعة مقدسة لأوزيريس، وهى : الرأس ، والقدمان، والذراعان ، والقلب ، والصدر ، والردف، والعينان، وقبضة اليد ، والأصابع ، وعضـو التذكير ، والظهر ، والأذنان ، والرقبة ، والساقان (٣٦) • اذن • ففى بوزيريس ، تقـوم ايزيس شنتايت ، من خلال التمثال المصـنوع من المعـدن ،

باعادة تكوين جسد زوجها الذى قطعت أوصاله ، اما فى أبيدوس ، فهى تجهز من أجل مولده الجديد بواسطة تمثال يصوره كمزارع • وبداية من اليوم الخامس عشر من ذاك الشهر ، يتم اعداد الزينة الخاصة بتابوت « رب الحياة » ، الذى سوف يتلقى تمثال سوكر ويستهل أيضا اعداد الدهان المقدس المعطر ، الأسود اللون ، ووصفته هى : بعض القار المطحون ، ويوضع معه بعض القطران فى قدور معدنية ، وتسكب فوقه خلاصة اللوتس وبعض البخور الفائق الجودة ، وبعض الزيت النقى ، وكمية من الشمع ، وقليل من راتنج التربنتين ، ومختلف أنواع العطور ، ويرطب كل ذلك ببعض النبيذ والزيت ، ثم يضاف الى هذا الخليط كافة أنواع الأحجار الثمينة المطحونة طحنا جيدا • وفى نهاية الأمر ، يخلط كل ذلك ببعض العسل واللبان (٣٧) • وتبدأ عملية نقع هذه التركيبة فى اليوم الثامن عشر لتنتهى فى اليوم الثالث والعشرين •

وفى اليوم السادس عشر صباحا ، يتم عرض «المجددة العظمى لحيوية الآلهة » ، أى نوت المتمثلة فى ايزيس • ويبدو حورس ، ابن أوزيريس ، وهو جالس أمامها فوق مقعد صغير (٣٨) • « هأنا حورس قد أتيت اليك ، أيتها القديرة ، وقد أحضرت لك ذلك من أبى » • وعندئذ يوضع الاناء الفضى المحتوى على العجينة فوق ركبتى الالهة ، ويملأ منه القالب الخاص بسوكر ، الذى يقفل ، ثم يوضع فوق سرير ، فى مكان خاص • ويسمى هذا المكان بـ « غرفة السرير » ، وقد « صنعت من الأبنوس المغطى بالذهب(٣٩)» ويحظى تمثال سوكر فى حالة الحمل هذه بحماية فائقة :

فيقوم حو وسيا(٤٠) بحراسته من الخارج . وفي اساحل تسهر عليه بعض الآلهة الحارسة • ونفس الحجرة ، وهي عبارة عن مقصورة محمولة ، يتم وضعها هي أيضا أسفل صندوق مصنوع من خشب الصنوبر • وبداخله أقيم أربعة عشر عمودا ، صنعت قاعدتها وقمتها من البرونز • وتغلفه طبقة من الحصير ، كما غطي داخله بالقماش • وبعد مرور ثلاثة أيام ، أي في اليوم التاسع عشر ، ينتزع تمثال سوكر من القالب ويتم وضعه فوق قاعدة من الذهب ، ويعرض لأشعة الشمس ، ويبخر بالبخور ويرش بالمياه حتى اليوم الثالث والعشرين • وفي نفس هذا اليوم ، يتم وضعه فوق قاعدة من حجر الصوان ويطلى بالألوان • ويلون الوجه باللون الأصفر الداكن ، والفكان باللون الفيروزي ، وخططت كل عين بأسلوب العيون المرصعة ، وصنع الشعر المستعار من اللازورد الأصلي ، وتألقت عصاه وسوطه بألوان كافة الأحجار الثمينة مجتمعة ، ثم يعرض التمثال ثانيا لأشعة الشمس لمدة ساعتين • وخلال اليوم الرابع والعشرين ، يوضع بداخل صندوق ، ويوضع الصندوق بمقصورة بداخل المعبد الذي سوف يعتبر بمثابة مقبرة من أجل السنة المقبلة • ويتلاقى هذا التمثال مع تمثال خنتي امنتيو الذي سبقه الى هذا المكان منذ اليوم الثاني والعشرين ، أي يوم الموكب البحري •

ولا شك أن التماثيل الجديدة والقديمة لا تستطيع أن تتعايش معا • وبذا ، فان الضرورة تحتم استبعاد التماثيل الالهية الخاصة بالعام السابق • وهكذا ، يخلع عن تمثال سوكر غلافه ، وتجدد لفائفه ويدثر بشبكة معدنية ، وفقا لما تتطلبه شعائر الدفن • ويقوم بمهمة اخراج جسده و أبناء

حورس » الأربعة • وعندئذ يتم وضعه بداخل مقصورة آخرى ـ الورشة الجنازية ـ قبل دفنه نهائيا ، في الجبانة الالهية • وفي نفس اليوم تتم طقوس متشابهة الى حد ما على تمثال خنتي ـ امنتيو والرفات الالهية المتعلقة بالعام الماضى (٤١) • فتقوم ايزيس ، وموت وتفتيس (٤٢) ، باخراجها من المقصورة التي كانت تستقر بها منذ عام كامل، ويتم دهنها، ولفها بلفائف جديدة ، وفقا لشعائرالدفن(٤٣) أيضا • وبعد ذلك يتم وضعها كل على حدة داخل مقصورة محمولة مصنوعة من خشب الجميز ، حيث يدفنان ، هما ايضا ، الى الأبد ، وتتم جنازة التماثيل الثلاثة في اليوم الثلاثين من نفس الشهر • وبذا يكون سوكر قد بقي طوال سبعة ايام قبل أن يدفن ، وهى فترة محددة شعائريا • وبالنسبة لكل يوم من الأيام السبعة التي يقضيها هذا الاله يعد عيد دفنه بدون أن يدفن ، أى منذ اليوم الرابع والعشرين من شهر كيهك حتى آخر يوم به ، فى حين يستقر هذا الاله فوق أغصان الجميز ، فخلال هذه الأيام السبعة (٤٤) يبقى فى أحشاء أمه نوت ، عندما كانت حاملا فيه : اليوم يعادل شهرا ، وأغصان الجميز (تمثل) نوت (٤٥) » •

وخلال كل هذه المراسم المتباينة ، ووفقا للظروف والأحوال ، يرتل ويتلو القائم بالشعائر النصوص المقدسه• ويعتبر رثاء ايزيس ونفتيس هو الأكثر أهمية ضمن هذه التراتيل ، وعلى ما يبدو ، فهو يرتل بشكل متكرر فى الفترة ما بين ٢٢ ـ ٢٦ من كيهك ، أى خلال تلك اللحظة الحرجة التى « تولد » خلالها التماثيل الجديدة « وتموت » خلالها

أيضا التماثيل القديمة • ويبين هذا النحيب الذى تطلقه الالهتان عن حزنهما وعن ندائهما من أجل عودة الحياة •

وكانت عملية دفن كل تمثال من تماثيل العام المنصرم ، فى يوم ٣٠ كيهك ، تتم فى وسط الليل ، فى اطار ما كان يعتبر بمثابة مقبرة أوزيريس • وبما أن مكان هذه المقبرة كان يعتبر من الأسرار الدفينة ، فان المساهمين فى هذا العمل كانوا يتظاهرون بأنهم يبحثون عنها ثم يتظاهرون بأنهم قد نسوا مكانها حتى مجىء العام التالى • « وأنزل (التمثال) الى القبو الواقع تحت أشجار اللبخ • والدخول اليه من الباب الغربى ، والخروج منه من الباب الشرقى • والضرورة تحتم البحث عن هذا القبو وكأنه غير معروف الموقع ، وتحتم عدم التعرف عليه مطلقا بعد ذلك حتى مجىء اللحظة المحددة (٤٦) » • وفى بوزيريس ، كان يصاحب هذه الجنازات بعض المراسم المهمة الأخرى ، الخاصة باقامة العمود الالهى ، أى الـ « جت » ، الذى يعبر عن بعث الاله : « انه يوم دفن أوزيريس •• فى المقبرة الواقعة تحت أشجار اللبخ ، ففى هذا اليوم أحضر جثمان أوزيريس المقدس ، وبعد دفنه يقام الـ «جت» المقدس (٤٧) » ولا شك أن موت الاله ، وتشكيل التماثيل الخاصة به فى كافة المناطق التى تتضمن أحد أجزاء رفاته ، كل ذلك كان يتطلب المزيد من الجهد من جانب الآلهة الشمائرية التى تضطر للقيام بالعديد من المهام •

ولا تمثل النصوص التي تناولناها هنا سوى مظهر نوعى لتشكيل التماثيل والهدف من هذا التشكيل • ولا شك

أن التمثال الذى يعد فى « بيت الحياة » ، يستحق هو أيضا بعض الاهتمام · ان « بيت الحياة » يقع بداخل ساحة المعبد، أو فى أحد جوانبه · وعلى ما يبدو كانت أماكن هذه المؤسسة تستغل لغرض مزدوج· ففى نطاقها، يتم تحرير، واستنساخ وحفظ النصوص الدينية ، والطقوس ، وكتب الديانة والفلك ، بالاضافة طبعا الى كتب السحر أو الكتب الجنازية · ويسمى مجموع هذه النصوص المقدسة بـ « تجليات رع » والعاملون فى هذا المكان كانوا يعتبرون « عاملين لدى رع » · وكان « بيت الحياة » يعتبر أيضا وكأنه عالم صغير يقوم فيه شو وتفنوت ، على الأقل فيما يتعلق بالشعائر التى نتناولها هنا (٤٨) ، بصنع تمثال يمثل أوزيريس ، يسمى « الحياة » ·

وقد يبدو الاعداد لصنع هذا التمثال مختلفا الى حد ما عن تمثال أسرار اوزيريس · وبالرغم من أن اسمه هو خنتى ـ امنتيو ويتشابه بعض الشىء ، خاصة من ناحية عناصره ، بتمثال « سوكر كيهك » ، فهو لا يتضمن فعلا سوى بعض الطيب ، والرمل والصلصال · اذن ، فهو يختلف عن أحدهما من ناحية عدم وجود الحبوب ، ويختلف عن الآخر بعدم وجود المعادن به · وبداخل « بيت الحياة » يتم تشكيل المومياء ، ثم تدهن بنوعين من الطيب ، « بواسطة أصغر أصابع يدك » ، كما يقال للقائم بالشعائر · ويتم أيضا طلاء التابوت الصغير الذى سوف يوضع التمثال بداخله بطلاء أسود· وتجرى على التمثال شعيرة «فتح الفم» حيث يقوم بها اله لا نعرف اسمه · وخلال أداء الشعيرة ، يركز كل من شو وتفنوت اهتمامهما على جسد أوزيريس « هذا الذى

كان يعيش من قبل » ، وربما يتعلق الأمر هنا بمومياء العام الماضى ، ولكن لا توجد أية تحديدات فى هذا الشأن (٤٩) ٠
ويتم وضع المومياء بداخل التابوت الخشبى ٠ وبعد غلق التابوت ، يتم تغليفه بفروة كبش ، ثم بخليط من أغصان وأوراق البردى ٠ ويوضع كل ذلك بداخل اناء من الذهب ، (بمقاسات صغيرة جدا) ٠ وبدوره ، يوضع الاناء الذهبى تحت مظلة من خشب الأرز قد استقرت فوق مرقد ٠ ويتراءى هنا بعض التشابه مع شعيرة كيهك ٠

وتتيح لنا النصوص ، معرفة الموقع المفترض للأماكن بداخل « بيت الحياة » ٠ « انه يقع فى أبيدوس ويتكون من اربعة أقسام (من المبانى) وقسم داخلى (مشيد) من البوص المغطى (على هيئة خيمة) » ٠ وفى وسطه توجد شارة الحياة ، أى أوزيريس ٠ وتتماثل أركان المبنى الأربعة بايزيس ، ونفتيس ، وحورس وست ٠ أما أرضه فهى الاله جب وسقفه هى الالهة نوت ٠ ويتراكب مع المبنى المادى مبنى آخر غير مرئى يتطابق مع الكون الذى خلق ٠ والضرورة تحتم أن يبقى « بيت الحياة » دائما على سريته وغموضه ٠ وقرص الشمس هو الوحيد الذى يستطيع أن يخترق غموضه(٥٠)٠
ويلاحظ أن الممثلين الالهيين عددهم كثير جدا ٠ ولا يبدو أن ايزيس تقوم فى نطاقه ، فى هذه الحال ، بأهم الأدوار ٠ ويركز كل من شو وتفنوت اهتماما خاصا نحو الأشرار والمتمردين ، الذين قد يلحقون الضرر بالأعمال التى تتم فى هذا المكان ٠ وبذا ، نجد أن الالهة تقف مختبئة بداخل حفرة تقع أمام خيمة الاله « انها بمثابة لهب متقد بداخل الأرض ضد المتمردين » ، ولكنها تأتى أيضا بطراوة نسمات الحياة :

«انها بمثابة ريح الشمال من أجل أنف ابنها أوزيريس(٥١)» أما شو ، وكأنه جناح احد الكواسر » (٥٢) ، فهو يساندها في المهمة ، ويعمل ، من خلال تحركاته ، على انعاش الاله بتحريكه للهواء من حوله • انهما يقومان هما الاثنان ، فعلا « بتوفير الحماية من اجل هذا الاله ، وحماية الملك وهو بداخل قصره ودحر كل من يتمردون ضده » (٥٣) • أما الآلهة الاخرى فيحيط بها الغموض التام • « فنوت قد اختبأت في مخبئها ، وجب قد اختبأ في هيئته » • ويبدو واضحا ، أن السماء والأرض تحاولان أن تكونا غير مرئيتين ، بل وأيضا أن تحظيا بحماية ايزيس ونفتيس • ولكن لا شك أنه يوجد بعض الأعداء الذين يتسكعون هنا وهناك ، ولكن حورس المسمى « بالفتاك » يقضي عليهم : انه هو الذى يقتل كل من يتمرد ضد أبيه أوزيريس • وخلال ذلك ، يستطيع تحوت ، بكل هدوء ، « ودون أن يراه أو يسمعه أحد » أن يقوم بنفسه بأداء الطقس (٥٤) •

ويبدو اذن أن تشكيل التمثال وانعاشه يتم خلال لحظة حرجة ودقيقة بالنسبة للكون كله ، وبذا تحتم الضرورة اتخاذ الحيطة اللازمة : وتتم الشعيرة ، في واقع الأمر ، بمناسبة موت أوزيريس ، وهى لحظة انفصام كونى (٥٥)• ولا شك أن أداءها بداخل « بيت الحياة » ، موقع الكتابات والنصوص ، يتضمن مغزى ما ، فان الكتابة ، بما تتضمنه من قوة ، تستطيع أن تضفى على الشعيرة كل فعاليتها : انها بمثابة الكتاب السرى : « الذى يعمل على احباط السحر ، ويعقد التعزيم ، ويدحر المؤامرات ، ويرهب العالم أجمع ، انها تتضمن الحياة ، أنها تتضمن الموت (٥٦) » ، وتعمل

الكتابات ، وهي بمثابة انبعاث رع . بواسطة كافة الشعائر التى تقدمها للبشر ، على استتباب التوازن الكوني ، بل هى تسمح أيضا للتمثال ، وهو بمثابة دعامة للحياة ، بأن ينجو من أى تدمير • « سوف تكون بمنأى من المـوت المفاجىء ، سوف تكون بمنأى من النيران ، سوف تكون بمنأى من السماء ، فلن ينهـار ، ولن تنقلب الأرض ولن يحـرق رع الآلهـة والآلهات (٥٧) » • وتعبيرا عن ادماج كل من أوزيريس ورع، فعلى التمثال أن يقوم « بدوره الفائق الأهمية كدعامة للحياة والعالم (٥٨) » • ان التمثال في واقع الأمر ، هـو رع وأوزيريس فى آن واحد(٥٩)، انه وفقا لما يقال لأوزيريس « صورة قلبك » • ان هذا القلب ، مقر الفكر الخلاق الذى فكر في خلق العالم أول مرة ، قد جعل من تمثال أوزيريس ـ رع دعامة وضامنا « للحياة » التى يمثلها هو نفسه ، والتى تقوم على حمايته شعائر البشر ، والكتابات المنطوقة •

ولقـد أدمج الكائن الأوزيرى الذى جمعت أعضـاؤه وأحيى فى اطار تقاليد يقوم فيها الكهنة ، والصناع القائمون بورشة الصياغة فى المعابد بصناعة التماثيل الالهية ومنحها الحياة • كما أن هذا الفن ، الذى كان يسمح للمادة الخامدة، المختارة والمقدرة بدراية ، بأن تنتعش وتحيا ، كان يحفظ فى اطار شعائر تعمل ممارستها على احياء الآلهـة بداخـل المعابد • فالمادة الفعلية المختارة ، سواء من أجل التماثيل الالهية أو من أجـل المخـاليط المركبـة الخاصة بالتماثيـل الأوزيرية ، ليست فى واقع الأمر سوى مظهر تستتر وراءه حقيقة أخرى ، عملت النصوص القليلة الانتشـار ، عـلى توضيحها (٦٠) •

ووفقا لما تبينه لنا أحداث احدى القصص ، سوف نجد أن هذه المادة الحية لا تخضع للمتطلبات التى تفصل فصلا حاسما عالم الأحياء عن عالم الموتى • فها هو أحد الموظفين المخلصين قد وافق على أن يموت بدلا من مليكه الفرعون ، وفى مقابل ذلك وعده الفرعون بأن أفراد أسرته سوف يلقون أفضل وأحسن معاملة بعد وفاته • وعندما وصل الى العالم الآخر وبدأ الشك ينتابه ، قام بصناعة « انسان من الطين » يستطيع الذهاب والاياب ما بين العالمين، وأن يخبره بما يريد، ويتصرف بدلا عنه بين الأحياء (٦١) • وبفضل ما اكتسبه من مقدرة غير عادية ، كان يملى على الفرعون أوامره التى يقوم الفرعون بتنفيذها • وكان هذا الانسان المشكل من الطين ، الذى صنع فى العالم الآخر ، ولكن يمارس سلطته فى عالمنا هذا ، يكاد يملك نفس المقدرة السحرية التى تتمتع بها التماثيل الأوزيرية • وبفضل فعاليته ، استطاع بطل القصة أن يقضى على أعدائه ، وتمكينه ، على ما يبدو ، من الرجوع الى عالم الأحياء ، اذن ، فربما يمكن التقريب ما بين الممارسات الغامضة لانعاش التماثيل ، المصنوعة من عناصر مركبة ، وبين تلك التى كأن يتبعها علماء الكيمياء القديمة ، من أجل صناعة الانسان المشكل (٦٢) • كما أن وجود تمثال من البرونز لأوزيريس وقد بدت بعض العلامات الكيميائية فوق مختلف أجزاء جسمه ، قد يبين وجود صلة ما بين الكيمياء الاغريقية الرومانية القديمة ، وبين ممارسات طقوس كيهك (٦٣) • حقيقة ، ان تاريخ صناعة التمثال ليس مؤكدا تماما ، ولكن الكثير من العلامات البادية عليه كانت تعتبر دارجة ومعتادة بين الكيميائيين القدامى • ويبين

توزيع هذه العلامات على جسم التمثال عن تطابق أجزائه مع عناصر الكون ، ويجعله يتشابه مع التمثال الذى كان يصنع فى « بيت الحياة » ، ويعتبر بمثابة الدعامة المتضمنة لحياة العالم • ولا شك أن الدهان الذى يدهن به الحجر المقدس ، والذى يشار اليه دائما من خلال شعائر كيهك ، وكان يستعمل من أجل دهن التماثيل والتوابيت بلون القار الأسود ، يبين عن أن الكيمياء القديمة كانت تمثل ايزيس باللون « الأسود القاتم » (٦٤) • فان تماثيل ايزيس هى رمز ايزيس نفسها ، أى « الأرض السوداء » • وكانت ، من خلال مراسم كيهك ، تقوم بالدور الأساسى كمعدة للوصفات الغامضة من أجل تشكيل تماثيل الاله ، أى صور حياته المتجددة الى الأبد •

من معبد أوزيريس الى مقبرته : تنقلات ايزيس

بعد دفن أوزيريس ، وبعد هزيمة حورس لعدوه وثأره لأبيه ، حرصت ايزيس ، الأرملة الحزينة ، على العمل على حماية مقابر زوجها ، يساعدها ابنها فى ذلك • وكانت هذه الالهة تتنقل دائما ، ما بين معابدها الخاصة ، ومعابد ومقابر زوجها أوزيريس ، « وبيت الحياة » • وكان يتم ذلك بمساعدة حورس الدائمة لها - فلقد اعترف بحورس وريثا شرعيا لأوزيريس فوق الأرض ، وبذا أصبح لزاما عليه ، مثله كأى ابن ووريث لعرش مصر ، أن يوفر العناية اللازمة ودوام تقديم القرابين ، سواء لمقبرة أبيه أو لأجداده القدامى • وكانا يقومان معا أو كل واحد منهما على حدة ، بأداء العديد من الشعائر من أجل أوزيريس • وكانت بعض

هذه الشعائر تقام فى العديد من المعابد الخاصة بالآلهة غير المحيطة بأوزيريس ، والتى كانت قد أقيمت بها بعض المقصورات الخاصة بأوزيريس • وبذا ، فقد اختلطت عبادته ، الى حد ما ، مع العبادة العامة الدارجة ، التى تمارس عادة فى المعابد • ومع ذلك ، فان أوزيريس يعتبر بمثابة اله ميت ، ولذلك اتسمت شعائره دائما بالطابع الجنازى • ولا شك أن « نواح وعويل ايزيس ونفتيس » الذى أشرنا الى دوره من أجل النداء والانعاش خلال احتفالات كيهك ، يبين بكل وضوح الصلات التى كانت تجمع ما بين اوزيريس وبين أقربائه • انه يبين عن المضمون العاطفى والمادى الكامن فى الانتظار ، ويوضح أهمية المقابلة المنشودة بين الاله المتوفى ، وعائلته وبقية الآلهة ، فى نطاق مقبرته الدنيوية : « تعال الى بيتك ، تعال الى بيتك ، أيها الملك المكتمل ، تعال الى بيتك من أجل أن ترى ابنك حورس وقد أصبح ملكا على الآلهة والبشر • ان المحيطين بك من آهة وبشر قد حضروا اليك فى المقصورتين ويؤدون شعائرك ، وها هما أختاك بجانبك ، وهما تريقان النبيذ من أجل روحك ، فى حين يقوم ابنك حورس بالابتهال الى صوت الخبز ، والجعة ، والمواشى ، والطيور • ويرتل تحوت تراتيلك ويبتهل اليك ويمجدك • ويقوم أبناء حورس بحماية جسمك ويمجدون « البا » ، الخاصة بك فى كل يوم • ويقوم ابنك حورس ، الذى يحمى اسمك ومقصورتك ، بوضع القرابين من أجل قرينك « الكا » ، فى حين تحمل الآلهة الجرارات على أذرعها ، لكى تسكب الخمر من أجل « الكا » (٦٥)» • ويقدم الابن الدليل على استمرارية الملكية المؤكدة • ولا شك أن هذه

الاستمرارية تكفل ، بدورها ، استتباب الترابط بين عالم الآلهة وعالم البشر المساهمين بكل قوة فى استمرار التوازن. وبفضل هذا التوازن، تتحقق فعالية القرابين الدائمة اللازمة من أجل بقاء الجسد ، والطاقة الحيوية والروح ، من خلال الشعائر التى تصاحبها ، ولا شك أن قيام ، حورس الملك ، بحماية مقابر أبيه قد حتم عليه القيام بأداء الشعائر اللازمة لها . انه هو المتكفل ، على سبيل المثال ، بالقيام بشكل منتظم بدور « من يقود الثيران من أجل وطء المقبرة ، ودحر أعداء الجبانة (٦٦) : « اننى أقود الثيران من أجلك ، ومنها الأسود، والأبيض ، والمرقط ، والأحمر والأصهب بحيث لا يكون هناك أى أثر فى أراضيك الشاسعة المقدسة لأى سوء أو ضرر ، وبحيث يبقى مكانك الخفى مستترا عن أى عدو » . ويتعلق الأمر هنا بنوع من الاخراج الذى يعتمد أساسا على السمة الزراعية ، من أجل حماية جسد أوزيريس ومقبرته . فان وطء الثيران للأرض يعتبر ، من الناحية المادية ، بمثابة عملية فصل للحبوب عن سنابلها ، تحتم ، من الوجهة الشعائرية ، على الديدان الممثلة للأحوال المرضية بالجثة أن تغادر الأرض من أجل أن تسمح ببداية عملية البعث (٦٧) .

وبالنسبة لايزيس ، فبفضل النصوص القائمة بمعبدها بجزيرة فيله ، استطعنا أن نعرف تفصيليا ، التحركات التى كانت تقوم بها من أجل العناية بمقبرة أخيها . ولقد أقيمت هذه المقبرة بجزيرة «بيجة » القريبة . وبسبب هذا الموقع ولقرب الكهوف التى تنبثق منها مياه فيضان النيل ، اتخذت التنقلات والشعائر مضمونا خاصا ، حيث تقوم المياه

والابحار فيها بدور رئيسى · ففى كل يوم ، كانت الالهة تتوجه الى المقبرة من أجل اراقة الخمر المعتادة (٦٨) · وفى مناسبة الاحتفال العشارى الذى كان يعتبر ، في كافة أنحاء مصر ، بمثابة عيد الموتى والأجداد الأوائل ، كانت ايزيس تتوجه الى المقبرة من أجل تقديم قربان جنازى أكثر اكتمالا ، ومن أجل القيام ببعض الطقوس الخاصة · وهناك كانت تتقمص دورها الأبدى كناحبة ، فتعمل على تهدئة قلب الاله بنحيبها وبكائها · ومن أجل أن تضفى الشباب والحيوية على جسد زوجها المتوفى ، كانت تقدم له أيضا قربانا من اللبن· لقد كانت « ربة فيله التى تعبر نحو «الجزيرة الطاهرة » كل عشرة أيام من أجل تقديم قربان اللبن لأوزيريس ، دون أن تقوم باراقة أى سائل آخر خلافه (٦٩) » · ويبدو أن هذه الرعاية الدقيقة الدائمة التى كان أوزيريس يحظى بها من جانب أرملته وابنه قد جعلتهما يجزئان ويعيدان توزيع ، جزء من القرابين التى يقدمها الملك اليهما ، فى معبديهما على التوالى ، فعندما كان الملك يقوم بتقديم بعض هذه القرابين ، مثل « التبخير واراقة المياه » ، على سبيل المثال ، كانت ايزيس تحل محله كمقيمة للشعائر وتحمل الابريق لتقوم بنفسها باراقة الماء من أجل أخيها (٧٠) · أما ابنها «حورس المنتقم لأبيه Harendotes » ، بداخل معبده الخاص بمولده فى فيله ، فقد كان يشارك أباه كل يوم في قربان النبيذ المخصص له (٧١) · ولا شك أن الآلهة الأخرى ، كان عليها التزامات نحو أجدادها القدامى · وكانت الالتزامات من جانب حتحور تتم فى ظروف خاصة للغاية ، فان حتحور كانت تنتهز فرصة زيارتها لادفو ، في مناسبة زواجها من

حورس ، لتشرك أجدادها القدامى المتوفين ، والمسمين « بأبناء رع » ، في الاحتفالات الشعائرية ٠

زواج حتحور وحورس المقدس

لا شك أن ما تقوم به الآلهة من أنشطة متعددة يحتم عليها القيام بتنقلات عديدة ٠ ولكن الزيارة التى تقوم بها الى مقابر أمواتها، لا تعتبر بمثابة الانتقال الوحيد الذى تقوم به ٠ فقد تتوجه أحدى الالهات الى معبد زوجها من أجل الاحتفال بالزواج المقدس ٠ وأكثر هذه الرحلات شهرة هى الرحلة التى كانت تقوم بها حتحور ، الهة الحب ، كل عام٠ فقد كانت تترك مسكنها في دندرة ، طوال ثلاثة أسابيع من أجل أن تتوجه الى ادفو ، عند حورس « البحدتى » على بعد حوالى مائة وسبعين كيلو مترا عبر النهر ٠ ويمكن تلخيص طبيعة الاحتفال تلخيصا بسيطا للغاية ٠ فالأمر يتعلق بأن تقوم « ربة دندرة » بالابحار فى النهر ، فى ذاك الوقت من العام ، من أجل الالتقاء بحورس (٧٢) » ٠

ومن أجل الالتقاء بخطيبها الأبدى ، تبدأ حتحور الابحار فى النهر فى مركبها بمرافقة العديد من الحجاج ، وبدءا من معبدها وحتى رصيف الميناء ، يقوم بحملها بعض أفراد كهنتها ، وهى فى مركبها الخاصة ليطوف ويحيط بها رجال الدين والكتبة ، فى حين يقوم حاملو المباخر بفتح الطريق وهم يحرقون الراتنج العطرى والبخور ٠ وعند الشاطىء يتم رفعها فوق المركب النهرية ، حيث تجلس بداخل جوسق أقيم فى وسط هذه المركب ٠ ويتم سحب المركب النهرية طوال المسافة بأكملها بواسطة سفينة يقودها ثمانية جدافين٠

ويستقل الحجاج العديد من القوارب التى كانت ستصاحبها الى ادفو • وطوال هذه الرحلة ، يتجمهر الذين لم يشتركوا فى الابحار فى النهر ، على الضفتين وهم يهللون للموكب البحرى • وشيئا فشيئا يزداد حجم هذا الأسطول الصغير بسبب الحجاج الجدد الذين ينضمون اليه بشكل مستمر • وكانت مركب حتحور تسمى « المفعمة بالحب » ، وبذا ، فهى فى حد ذاتها تعبر عن هدف الرحلة • وانتهزت حتحور فرصة هذه الرحلة البحرية ، التى كانت ستستمر حوالى أربعة أيام ، وقامت بزيارة بعض الالهات الأخريات : موت فى الكرنك ، وعنقت فى كوم مير • وخصص التوقف الأخير من أجل حورس هيراكونبوليس ، الذى انضم هو أيضا الى الموكب فى مركبه الخاصة • وخلال ذلك ، خرج حورس ادفو من معبده مستقلا مركبه المقدسة ، من أجل التوجه لملاقاة خطيبته• وتم لقاؤهما خارج المعبدالرئيسى، بداخل مقصورة تقع فى شمال المدينة ، على شاطىء النيل• لقد تم هذا اللقاء فى لحظة محددة بكل دقة لا أثر فيها للمصادفة • فى الساعة الثامنة من يوم القمر الجديد بالشهر الحادى عشر فى السنة • ويحمل هذا العيد عن جدارة اسم « حتحور قد وصلت » • وأقيمت احتفالات الاستقبال للالهة فى هذا المكان (٧٣) • وفى هذا اليوم الأول للاحتفالات ، بدأ سكان ادفو فترة لا مثيل لها من المباهج والأفراح • بعد ذلك يتم الابحار فى النهر ، من أجل الوصول الى مدينة ادفو • وفى لحظة ما ، غادر حورس وحتحور النيل وسلكا احدى القنوات للوصول الى ميناء المعبد الرئيسى • وصاحبهما كل الوجهاء وعلية القوم فى المنطقة ، واستقبلت الربة بالأفراح وأغدق

عليها المديح ، اشادة بجمالها وعظمتها : « انها الذهبية ، الهة الالهات ، التى جاءت فى سلام الى مقرها (معبد ادفو) . ان رؤيتها بمثابة عيد ! وان النظر اليها لمبهج ! كم هو سعيد هذا الذى ينحنى (أمامها) لأنه يحبها ! ان الآلهة والبشر يهتفون لها ، والربات والنساء يعزفن بالصلاصل من أجلها . لقد زين جسدها . انها سيدة النشوة ، وربة الموسيقى ، والهة الرقص (٧٤) » . ولقد وصفت بأنها بدت مبهرة فى زينتها الفخمة ، وأفعمت مصر بجمالها . وأشيد بمقدرتها التى تعادل مقدرة رب الأرباب وباعتبارها الربة الأم . فهى التى ولدت الآلهة ، وهى التى تكون الحيوانات وتشكلها وفق رغبتها ، وهى التى تصنع البشر ، وتخلق القرابين وتنبت المزروعات . انها تتألق بالضياء ، وتبدد الظلمات وتشع بنورها على كافة المخلوقات . ويأتى الفيضان وفقا لأوامرها ، وتهب الرياح باشارة منها » . وحالما نطق بكل هذا المديح ، دخل الموكب فى ساحة المعبد المقدسة ، ليبقى الحجاج خارجا . وعندئذ تستقر مركبا حورس وحتحور بداخل المقصورة وتبقيان بها طوال الليل . وكان رع، يتجلى بوجوده بداخل المعبد ، ويبدى فرحته هو أيضا بمشاهدة رجوعهـا (٧٥) . ففى واقع الأمر ، أن الربة قد قامت برحلتها هذه ، ليس فقط من أجل الالتقاء بزوجها ، ولكن أيضا لكى ترى أباها الذى تعتبر هى بمثابة عينه المتأججة ، أى الحياة . وبذا ، فخلال الاحتفالات ، سوف تتلاقى مع حورس وتستقر فوق جبهة الاله الشمسى التى كانت قد تركتها » . لقد انتشى قلبه (قلب حورس) ... عندما هلت ربة دندرة ... لرؤية أبيها .. من أجل أن

تتلاقى برب ادفو في المعبد ، ومن أجـل أن تلتحم بجبهـة خيرى ••• وهنـاك وجدت أباها رع وقد ابتهج لرؤيتهـا بها هي « عينه » بعد أن عادت (٧٦) » ! ان حتحور ، « التى عادت » ، منذ أن حضرت الى المعبد ، قد أصـبحت الحاميـة لأبيها رع • وتتقابل أيضا مع أجدادها القدامي • والتمس منها هؤلاء الأجداد أن تمدهم بالطاقة الحيوية ، هذه الطاقة التى تخلق بواسطتها الكائنات والمأكولات ، من أجل أن توفر هي نفسهـا شـعائر القـربان الجنـازى اللازم من أجــل بقائهم (٧٧) • وانتهت احتفالات الزواج ، وقضى حتحـور وحورس ليلة زفافهما بداخل المقصورة • ولا شك أن هـذا اللقاء ، الذى تم بكل معنى الكلمة ، هـو بمثـابة مقـدمة لاحتفالات تذكارية عديدة من أجل تمجيد الالهة الأجداد •

وفي اليوم التالى ، أى اليوم الثانى من الشهر القمرى ، يبدأ عيد ادفو • ومنذ بزوغ الفجر تقام الاحتفالات ثانيـا لتستمر طـوال الأربعـة عشر يوما لنمو القمر • وبداخـل المقصورة ، يوجه النداء في بداية الأمر نحـو كافة الأرواح الالهية القائمة في هذا المكان • وعند انتهاء هـذا القداس ، يتوجه الجميع في موكب كبير « الى أعلى » ، أى نحو جبانة تقع على ما يبدو عند الشاطىء الصخرى في أطراف الصحراء ، ففى هذا المكان توجد « آلهة ادفو الموتى » ، التى سوف يقوم كل من حورس وحتحور بتمجيدها • ويبـدو الجمع كبيرا • ويرافق العروسين جميع الآلهـة التى تبعتهما منـذ بداية الاحتفـالات • وكذلك اشـتركت شاراتهما فى المـوكب • وانضم أيضا الى هذا الموكب جميع كهنة المعبد وكذلك أفراد الجوقة ، والموسيقيون والراقصون ، ووجهاء القوم بالمنطقة

وجموع المدنيين • وقدم حورس وحتحور أضحية للالهة الراقدة • انها تسعة آلهة على هيئة مومياوات، أجداد يرجعون الى العصر الأولى ، قد انبثقوا من رب الأرباب الشمسي وماتوا بعد انتهاء عملية الخلق • انها « الآلهة الأحياء التي انبثقت من رع ، تاسوع أبناء أتوم » ، قد اختبأوا بداخل جباناتهم •• بجنوب ـ غرب ادفو منذ أن قام رب الأرباب بالختم على مصيرهم ، وتوقف نسلهم فوق الأرض • وطارت أرواحهم نحو السماء حيث يعيشون بين النجوم • لقد امتلأ قلب رع بالحزن وهو يرى ما حدث لأبنائه • وأمر جلالته بأن تحنط أجسامهم وهم في نفس أماكنهم • وتم لفهم بالضمادات وهم في ادفو ، حيث أصبحت أجسامهم مستحيلة المنال • وتطأ الثيران الأرض من أجل اخفاء مكان مقبرتهم ، ويعمل البستان المقدس على طمس مكان توابيتهم ، وكذلك الأمر بالنسبة لبستان هليوبوليس • وتتضمن المقبرة المقدسة الكبرى بادفو أجساد آلهة الكهوف • ويذهب رع الى هناك ، وقد صحبته الحيات الحامية ، من أجل أن يعتنى بأبنائه ، هذه الأجسام المبجلة الالهية التي ترقد في ادفو الى الأبد • ويقوم رع والحيات الحامية بتقديم القرابين اليهم ••• ويمجدونهم ويستمعون الى صلواتهم حتى تجيء لحظة عودتهم (٧٨) » • « ولن تهدم مقبرتهم أبدا ، ولن يلحق أى ضرر بمومياواتهم ، ولن ترفع الرمال من فوق مقاصيرهم سوف تقدم القرابين من أجل (الكا) الخاصة بهم في كل يوم ، دون توقف والى الأبد (٧٩) » • وفي واقع الأمر ، لا شك أن الآلهة تترك مهمة القيام بكل ذلك الذى ذكر الى البشر لتقوم به • وتنتهى الاحتفالات بشكل أقل قتامة ،

وبذا ، فان الكهنة . بعد تقـديم العناية اللازمة للمقبرة ، يقضون « يوما جميلا فى هذا المكان (٨٠) » • ولقد سمحت الشعائر التى تم أداؤها ، بأن تتلاقى الجثث الالهيـة مـع أرواحها السماوية وأن تستعيد حياتها• وبالرغم من أن هذه الشعائر الجنازية كانت خاصة بالآلهة المتوفية ، فهى تتطابق مع الشعائر التى يؤديها البشر لموتاهم •

والآن ، ها هو الموكب يتحرك من أجل التوجه إلى مكان مقدس آخر ، حيث توجد إحدى المقاصير ، ويقوم الكهنـة بترتيل بعض التراتيل ، ويرددها وراءهم الجمـع بأكمله حتى يصلوا الى ساحة المعبد الآخر • وحالما يصـلون ، تتم التضحية بثور (٨١) أصهب ، ثم تقطع قائمته اليمنى الأمامية وتلقى فى وسط الجمع الحاشد • والأمر يتعلق هنا بشعيرة تمثل ، بشكل صورى ، هزيمة ست ، الثور الأصهب• وبذا يقوم أحد الأفراد وقد تقمص دور حورس ، بمحاربة عدوه بالامساك بالقائمة المقطوعة ويضعها فوق رقبـة الحيـوان الأضحية • .وبسبب المضمون الذى تتضمنه هذه الشعيرة ، فان التضحية تخضع لقواعد محددة ، فعلى ما يبدو يتم التهام الحيوان فور انتهاء الاحتفال ، بما يحتم نزع أحشائه تماما وملء بطنه بالتوابل : مثلما حدث بعـد هزيمة ست وتقطيع أوصاله ، وتم اطلاق أربع اوزات ، تمثـل أبنـاء حـورس الأربعة ، فى اتجاه الجهات الأصلية الأربع ، لكى تعلن أن حورس « البحدتى » المنتصر ، قد ارتدى التـاج المزدوج • وأطلقت بعض السهام فى الجهات الأربع تمثيلا لتدمير جميع أعداء الاله ، فى كل مكان ، ومن أجل القضاء تماما عـلى ست فى كافة أشكاله ، ويتم احراق تماثيل من الشمع تمثل

حيوان فرس النهر وتمساحين حفرت عليها ، أسماء أعداء مصر · وتختتم هذه « الطقوس الخاصة بجميع أعداء الملك » بواسطة شعيرة عجيبة الشأن وهى شعيرة «دهس الأسماك» · وهنا ايضا ، يتعلق الأمر ، بصور وأشكال للأعداء يتحتم تدميرها · وتقول بعض المصادر ، ان هذه الاسماك عددها أربعة تطابقا بذلك مع عدد الجهات الأصلية · وخلال دهسه لها ، يقوم الشعائرى بطعنها بسكين من حجر الصوان · وفى واقع الأمر ، ان هذه الشعيرة تهدف سواء الى قتل الأعداء أو الى تشتيتهم وتوفر السلاح لهم ، من أجل ان يتقاتلوا (٨٢)·

وعند حلول الظلام ، لم يدخل أفراد الموكب الى المعبد الرئيسى · فقد أمضى الحجاج والمحتفلون ـ بالشعائر ، والجمع بأكمله والتماثيل الالهية ليلتهم فى نفس مكان الاحتفال · وفى اليوم التالى، عاود المساهمون نفس الطقوس بكل دقة · واتجه الموكب ثانيا ناحية الجبانة الالهية · وبعد وقت قصير ، عاد أدراجه من أجل عملية قتل الثور الأصهب الأضحية · وفى المساء ، تعود حتحور وحورس الى المعبد الرئيسى · وفى اليوم الثالث ، تتكرر نفس المراسم ولكن دون مغادرة مكان الاحتفال فى المساء ، ولا يدخل الجميع الى المعبد الا فى اليوم التالى · وأخيرا ، وخلال عشرة أيام أخرى ، « كانت تؤدى نفس الاحتفالات ، مثلما سبق » ، حيث يدخل حتحور وحورس فى مقصورتهما كل مساء خلال الأيام العشرة ·

وفى صباح اليوم الرابع عشر ، تبدأ حتحور بسلك طريق العودة · ويبدأ الموكب تجمعه ، فيبدو الكهنة ، وقد

ارتدوا ملابس الاحتفالات ـ فكان كاهن حورس ، على سبيل المثال ، يرتدى رداء من جلد الفهد ـ ، وهم يسيرون بجوار المراكب الالهية • وفى المقدمة بدا وجهاء البلد وهم يفتحون الطريق أمام مركب حورس ، وهم يرفعون شعارات هذا الاله ، فى حين كان الكهنة القائمون بخدمة حتحور خلال اقامتها فى ادفو يتقدمون مركبها وقد أمسكوا بعصاها السحرية عند مستوى صدرهم• وبذا، وصل حورس وحتحور الى رصيف ميناء المعبد حيث يقدم للالهة كأسين من الجعة • ودعيت لشربهما بصفتها ربة النشوة • وتوجه الجمع الى النهر ، وعند الشاطىء ، صعد كل واحد الى سطح مركبه • وهنا ، ساد الصمت على النهر ، وعلى الحيوانات المائية أمام قوة رع المبهرة الذى حضر هذا المشهد (٨٣) • ويبدو أن الوداع كان سيستمر طويلا ، وكأن الزوجين كانا يشعران بصعوبة افتراقهما عن بعضهما بعضا طوال عام كامل • وبدأ ابحارهما متجهين نحو مهبط النهر ، وتوقفا فى مكان يسمى « بمقر رع » ، وهنا دخلا الى ما يشبه المقصورة حيث ذبحت أضحية من أجلهما • وعندئذ أقيمت وليمة فاخرة • « فقد وضعت أصناف المأكولات فوق الموقد والبخور فوق اللهب ، وبدت المأكولات لا أول لهاولا آخر (٨٤) » • وبدأ المغنون ، وعازفات الصلاصل ، والطبالون يضفون لمسة من البهجة على هذا الاحتفال الأخير • ووضعت باقات رائعة من الزهور بجوار حورس ، وأنشدت منأجله تراتيل ترحيب ، وفقا لشعيرة ملكية ترجع الى عصور عتيقة •• وها هو قد اقترب موعد الفراق• «أنه موعد رحيل حورس ادفو•• وهو جالس فوق مقره الذهبى العظيم • ويقوده كاتب الكتاب

الالهى الى مركبه ، تتقدمه الشعارات الخمسة ، حتى يصل الى معبده ·· ثم تحمل حتحور (دندرة) الى مركبها وتبحر فى النهر حتى دندرة ، حيث تستقر فيهـا وهى عـلى مقعـدها الذهبى· «فليدم ذلك دائما ، والى الأبد!(٨٥)»· ويلاحظ هنا الاختصار الشديد فيما يختص بوصف أحداث العودة ، ثم انتهاء الاحتفال ورجوع الجميع الى بيوتهم ·

والأمر الذى يشد الانتباه من خلال هـذه الأحـداث ، هو : مدتها ، ومع ذلك فان الزواج يستهل ويتم منذ اليـوم الأول · كما يمهل الزواج المقدس بين حتحـور وحـورس ، شأنه كشأن أى زواج الهى ، على الاستعانة خاصة بشـعائر الخصب والتجدد السنوى · فبدون هذا الزواج ما كان هناك اثر لتلك المراسم ، فهو ، فى واقع الأمر ، الذى يضفى عليها مغزاها · فالزواج الخصب يسمح بالزيادة المجـددة لحيـاة الآلهة السابقة · انه يعود على سلطة حـورس الملكيـة بكل القوة ويثبت دعائمها ، من خلال العديد من الطقوس التى تفصح عن انتصاره على أعدائه ·

المولد الالهى

يبدو واضحا أن شـعائر الزواج تتم خاصـة لصـالح الزوج ، فى ادفو · وهى لا تكاد تذكر فى دندرة نفسها · ومع ذلك ، فان ابن حتحور ، المدعو حرسمتوس ، يحتل فى معبد ادفو مكانة مهمة ، لا يستطيع الهها نفسـه أن ينازعه فيها · وخلال الدولة الوسطى ، كانت تقام احتفالات سنوية بمناسبة ذكرى مولد هذا الابن أيضا · ولقد ولد «حرسمتوس» (حورس الموحد) فى آن واحد بدندرة وبادفو ، بداخـل

معـابد الـولادة ، التى أسـماها علمـاء الآثار المصرية ، من بعد شامبليون ، «بالماميزى » (٨٦) ٠ ومن المعروف ، أن مولد الوريث الالهي قد تمخض عنـه دوام النظام الـكونى والدنيوى ٠ فان أنفاس الحياة التى تجلت فى الجنين أثناء فترة حمله تنبثق من رب الأرباب نفسه : كما أن مولد الطفل يعتبر ــ كما رأينا من قبل ــ بمثابة تعبير عن ارادة عليـا تعيد الحياة الى الاله الميت وتجسده فى ابنه : تعال فى سلام، يا رب الارباب ، واملأ مكان الحياة بأنفاس بهيجة ٠ فاذا كنت فى السماء ، فتعال مسرعا ، ان طاقات الآلهة الحيوية تسير وراءك ٠ واذا كنت فوق الأرض ، فاذهب الى مكان الولادة ، فى حين يحيط بك سكان المعابد ، واذا كنت على هيئة النسيم الرقيق وتقيم فى العالم الآخر ، بجوار ذى القلب الخـامد (آوزيريس) ، فادخل الى مكان المرقد وافتح الباب ، فى حين تقوم بحمايتك الآلهة التابعة ٠٠ فابنتك حامل ، وأزف موعد ولادتها ، وها هى عيناها تترقب مجيئك (٨٧) » ٠

لقد حملت حتحور فى ابنها حرماو «حرسمتوس» (حورس الموحد) فى يوم القمر الجديد بشهر أبيب ، وبذا فقد وضعته فى شهر برمودة (٨٨) ٠ فلقد استمرت فترة الحمل حـوالى عشرة أشهر ، كما هو الحال بالنسبة للمواليد الالهية ، ربما من أجل ان تولد بأجسام أكثر قوة (٨٩) ٠ وقامت البقرة الأولية بتوفير اللبن اللازم للوليد الجديد ، وهى نفسها التى ساعدت رع على الخروج من المحيط الأولى ، ومن الطبيعى أنها تتماثل بأمة الحقيقية (٩٠) ٠

ويبدو ابن حورس ادفو وحتحور ، فى آن واحـد فى صورة صقر وآدمى ، وهو يجمع فى كيـانه صـور الملكية

الالهية والدنيوية فى نفس الوقت • وهـــو يعتبر أيضـا تجسيدا للملك المتوفى الذى أعاده رب الأرباب الى الحياة • وبذلك ، فهو يجمع بداخله ما بين الشخصيات الثلاث الممثلة لمنبته • فهو الثعبان « ابن الأرض » ، أو القوى السـفلية المستترة المتجسدة فوق الأرض ، بل هو أيضا صورة الهية أولية للخالق • انه ، مثله مثل الخالق ، يتجلى بداخل زهرة اللوتس ويتشابه بابن الشمس (٩١) • انه الوريث الملكى، يتـلاقى بداخله الملك المتـوفى والملك الشـمسى ، سـواء أكان حورس أم رع ، وهو بجوار حتحور ، بمثابة القـائم بالطقوس المثالى القائم بخدمة الملوك الاجداد الأوائل فى الجبانة المجاورة • وكما هـو الحـال فى ادفو ، كانت تتم ممارسة أنشطته الشعائرية فى وقت الأعياد القمرية ، فى اطار الطقـوس الزراعيـة المرتبطة بالخصـوبة • « هأنذا أخصب المحصول من أجلك وأضعه على طريقك خـلال عيـد القمر (باخوس) • انك تطأ الأرض ، وتطأ أعداءك (و) تصل الى (الذوات) السرية المستترة • وتضع القرابين من أجل الآلهة العظمى دون توقف والى الأبد (٩٢) » • اننا نجد هنا ، ارتباطا بين شعائر الآلهة القدامى ، ونفس تفاصـيل أعياد الزواج المقدس بادفو (٩٣) • وتتجلى الاستمرارية الملكية من خلال الطقوس الخاصة بالأجداد القدامى ، ويعبر عنها بشعائر الخصوبة ، التى تتماثل بعض مظاهرها بالصراع ضد الأعداء الكونيين •

ولا شك أن الثالوث المكون من الأب ، والأم ، والابن قد اعتبر بشكل تدريجى بمثابة صـــورة الأسرة الالهيـة المثالية ، وحتمت الضرورة بداية من عصر ما ، أن يبنى على

أساسه مجمع الالهة الخاص بكل معبد من معابد مصر • ويقدم لنا الثالوث الأوزيرى أوضح مثال على ذلك • ومنذ ذاك الحين أصبحت المعابد الخاصة بالولادة بمثابة ملحقات ضرورية للمعبد الرئيسى • وبذا فقد تضمنت قصة الولادة بكل تفاصيلها ، بداية ، من الدولة الحديثة ، من خلال المناظر التى تحكى عن الحمل الالهى فى الملك الدنيوى(٩٤)• ولا شك أن تلك المقصورة ، المتهدمة ، التى شيدت خلال الدولة الحديثة فى ساحة معبد الالهة موت بالكرنك ، تبين على ما يبدو عن هذا الانتقال من الحالة الملكية الى الالهية • وتبين المشاهد الأكثر قدما عن ميلاد ملكى • وفى وقت متأخر ، بعد أن أضيف اليها بعض النصوص التوضيحية ، فسرت على أنها قصة مولد خنسو ، ابن موت وآمون (٩٥) • اذن ، فقد قام معبد الولادة بنوع من التركيب فيما بين الأيديولوجية الملكية الدنيوية وبين ، الالهية ، المتعلقة بحورس ابن ايزيس ، مثال الفرعون الحى ، بأن أضفى عليه هذا المدى الكلى الذى يمثله الطفل «حرماو» «حرسمتوس» ، أى حورس الموحد • وبفضل معابد الولادة هذه ، استطاع كل اله من أبناء مجمع الآلهة المصرى أن يدمج فى هذا المخطط التصورى ، وفى نفس الوقت تتاح الفرصة للفرعون ، حتى ان لم يكن مصرى الأصل ، لأن يؤكد جوهره الالهى •

وفى معبد الولادة بفيله ، يبدو عرض المناظر الخاصة بالحمل ، سواء من ناحية النص أم من ناحية الأشكال ، على قدر كبير من الاختصار • انه يرجع بكل بساطة الى نماذج الدولة الحديثة(٩٦) ، باستثناء أن ايزيس تحل محل الملكة ، أما الرب فهو دائما آمون رع • وقد لقبا على التوالى باسم

« أم الآلهة » و « أب الآلهة » • ولم تعتبر ايزيس أبدا ، في اطار الديانة المصرية ، رفيقة لآمون ، وبذا فان الأمر يتعلق فقط بنوع من النقل للزواج الالهي الملكي ، كما مثل على جدران معابد الدولة الحديثة ، حيث يتجلى آمون رع أمام الملكة • ولكن مولد حورس ، ابن ايزيس ، يرجع الى رواية أخرى مختلفة ، كما سبق أن علمنا • ولذلك ، فان نقل الزواج الملكي الالهي الى معبد ايزيس في فيله ، كما نجد في المحفوظات المقدسة ، قد أثار بعض الصعوبات • فلا شك أن رجال الكهنة ، كانوا يشعرون بصعوبة تطابق بعض المشاهد التي تمثله ، لدرجة أن النصوص المصاحبة ، قد بدت غامضة ومبهمة ، في معظم الأحوال •

ولكن لنعد الآن الى مشهد الحمل • فهنا هما الالهان جالسان فوق سرير قد زينت أركانه الأربعة برؤوس السباع ، ويمد آمون رع شارة الحياة نحو ايزيس• عموما ، يبدو المشهد غير موضح تماما • وخلاف ذلك ، فان الشعيرة لم تكن تتعلق بملك مصر ولكن بمثيله الالهي ، وبذا فان النص الذي يصاحبها لم يكن يتضمن أي ايماء يوضح للقاء الجسدي بين الاله والملكة • واكتفى بالواقع الثيولوجي الذي عبر عنه بعبارات تقليدية • فان الأمر الذي يوجهه آمون رع الى خنوم لكي يشكل الطفل حربوقراط ، هو فقط الذي يبين طبيعة اللقاء الذي يتم • ولا شك أن اجابة الاله الفخراني تبين السمة الأسطورية البحتة لهذا المشهد : « سوف أنفذ أوامرك ، فأنت ملك الآلهة • وسوف أشكله من أجل أن يكون شبيها لك • ان اسمك لمتكامل لأنك اله ، كما أن فكرك لفعال وكل ما تقوله يتحقق في الحال (٩٧) » •

ويبدو واضحا ان عملية الحمل تتم بشكل روحانى بحت، حيث تكفى مجرد الكلمة التى ينطق بها آمون لكى يتم التناسل. ويبين المشهد التالى خنوم وهو يشكل الطفل فوق عجلته . ونجد « حكات » ، الالهة الضفدعة ، وهى تضع علامة الحياة أمام وجهه . وها هو الطفل منذ هذه اللحظة على قيد الحياة ، ولكن الضرورة تستلزم أيضا أن تضفى عليه طبيعته الالهية وأن يحدد مدى سنوات عمره . وهنا يقوم خنوم أيضا بهذا الدور : « لقد شكلتك بيدى ، وعملت من جسمك جسدا الهيا ، وهأنا أتم اكتمالك . وسوف أجعل حياتك تتعدى حياة السماء النائية . فطالما عاشت السماء ، سوف تعيش أنت ملكا (٩٨) » . ولا شك أن فترة الحمل ، التى وصفت خلال المراحل السابقة ، قد وصلت الآن الى نهايتها ، وبذا يستطيع تحوت أن يعلن لايزيس بأنها سوف تلد ملكا . وتبدو هذه الربة ، وهى واقفة ما بين خنوم وحكات وقد أمسك كلاهما بيدها ، ويقودانها نحو سرير الولادة . بعد ذلك ، تشترك عائلة هليوبوليس العظمى وبعض الآلهة الآخرين في هذا المشهد، من أجل أن يسبغوا على الأم ووليدها كل مزايا العالم . وها هو آمون يظهر ثانيا حاملا معه هداياه الشخصية : « هأنا قد حضرت محملا بالحياة والاستقرار ، وبكل الصحة ، والسعادة ، وبكل القرابين والغذاء من أجل ايزيس المبجلة أم حورس ، ابنى ، المنبثق من كيانى(٩٩)» . ويبدو المشهد الموضح لعملية الولادة تلخيصيا هو أيضا ، فلم تمثل سوى اللحظة التى تتلوها مباشرة عملية الولادة . ويجمع المشهد جميع أبطال هذه الشعائر . ويمكن أن يلاحظ هنا أيضا التأثير المباشر للزواج الالهي الملكي ، فتبدو

ايزيس جالسة فوق عرش على سرير فخم خاص بالولادة ٠ ولكن الملك ، ولابد أنه بطلميوس الثالث ، وقد حل محل آمون ، هو الذى يتلقى الابن الالهى من بين يدى الالهة ٠ وخلف الالهة الأم ، يلاحظ وجود ايزيس أخرى راكعة على ركبتيها (١٠٠) ٠ ويرجع هذا الازدواج الى الأصول الملدية للشعائر ، حيث تقوم ايزيس ، وهى واقفة خلف الملكة ، بدور المرضعة ٠ وتتقدم مسخنت ، حامية الفراش ، هذا المشهد حيث تقول : « هأنا قد حضرت ، وأحضرت من آجلك الحياة كلها والاستقرار كله ، وكل الجمال والسعادة ، وكافة القرابين ٠ وسوف أعمل على انعاش هذا الصغير الذى انبثق من جسدها (١٠١)» ٠ بعد ذلك ، ووفقا لكافة المناظر الأخرى المعروفة والمصورة للزواج الالهى ، تقوم ححور بتقديم الطفل الى أبيه ويبدو هنا أيضا فى شكل آمون رع ٠ وتشاهد بعد ذلك عملية ارضاع الطفل من المرضعات الالهيات ، وهى الربات البقرات حسات وسخات حر (١٠٢)٠ ويبدو واضحا أن هيئة الكهنة المقدسة بالمعبد قد أخطرت منذ وقت بعيد برغبة الاله فى انجاب وريث من أجل مصر ٠ ومنذ أن علموا بذلك ، أخذ هؤلاء الكهنة الالهيون ينتظرون موعد تتويج الطفل ٠ ولقد تم هذا التتويج فى حضورهم ٠ وبذا ، فهاهما الهان أصلعان يتقدمان نحو أعضاء المجموعة الخمسة عشر ٠ ويبدو أحد هؤلاء الأشخاص ، وقد أمسك بذراعى الطفل الممددتين ، انه حكا الذى يعلن قائلا : «يتوج الطفل الصغير فى حضور التاسوع الأعظم، من أجل أن يصبح ملك مصر » (١٠٣) ٠ وفى دندرة ، توجد صيغة أكثر اسهابا موضحة لهدف هذه الشعيرة : « اننى أرفع اكتمالك الى

التاسوع ، ها هي نطفة اله عظيم سوف تصبح ملكا يحكم القطرين بأكملهما (١٠٤) » ٠

لقد تم هنا نوع من التشابك والاختلاط الدقيق والارادى في كيان والد الطفل ، حوله في آن واحد الى ملك الآلهة والى الملك الدنيوى ٠ ويتلقى الملك الحاكم الدنيوى الطفل ، الذى يعتبر في آن واحد بمثابة الوريث الالهى ووريثه هو الدنيوى ٠ ان هذا الابن الرمزى يلخص في حد ذاته كافة أبناء الأزواج الالهية ، وهو يكفل للفرعون، بواسطة الشعائر التى تؤدى من أجله ، وبتماثله بالفرعون ،حسن أداء الأيديولوجية الملكية ٠

آلية الكون
فى مواجهة كافة الأخطار

خلال أيام النسيء الخمسة، أى «الزائدة عن العام»(١) . يتعرض الاتفاق الوثيق الذى يربط الآلهة بوريثهم فوق الأرض الى خطر مؤكد ، بسبب الانفصام الذى تحدثه هذه الأيام الخمسة ، التى قد تقضى على كلا الجانبين • ففى أواخر العام ، تعانى كل من السلطة الملكية والطاقة الكامنة فى التماثيل الالهية ضعفا ملحوظا تحتم الضرورة معالجته بأى شكل من الأشكال • وبذا ، يستلزم الأمر أداء شعائر مجددة للحيوية من أجل الملك والآلهة • حقيقة ، ان أنماط وأساليب هذه الشعائر قد تتباين من بعضها بعضا ، ولكنها تتماثل فى العديد من النقاط من ناحية مبادئها الأساسية • فربما قد يركز الضوء خاصة على لحظات معينة وفقا لتباين المتصارعين وللأخطار المحتملة ، ولكن الهدف المحدد لا يتغير أبدا : استتباب السلطة بين أيدى من يعملون من أجل تماسك الكون ويساعدون على عودة الظواهر الطبيعية التى تكفل استقرار الخلق ، وازدهار مصر • وحالما يتم تفادى الخطر ، تجتمع الآلهة والملك من أجل الاحتفال بالعام الجديد• ولا شك أن كليهما يعتبر هذه الشعائر بمثابة أساليب

متجددة ، من آجل قيام التبادلات التى يرتكز عليها التحالف بين الآلهة والبشر الذى يقوم وسيطهما بتمثيله ·

الآلهة وتجدد اسلطه الملكية

تتم المراسم التى تسمح بالتجدد السنوى للسلطة الملكية خلال احتفالات العام الجديد ، التى تستمر طوال خمسة عشر يوما · وخلال هذه الفترة التى تسبق، عادة ، موعد الفيضان يتحتم على الآلهة ان تستعين بكل مهارتهـا من آجـل حماية وريثها فوق الأرض · ومن آجل مساعدة هذا الوريث عـلى التغلب على كافة المخاطر ، تصبح هى نفسها بمثابة الممثلين القائمين بالشعائر ، ولسنا عـلى يقين تماما عما اذا كانت المراسم الصباحية الأولى تتم بداخل القصر ، وفقا لما يعتقد، أو عند مداخل المعبد · ومع ذلك ، فان تدخل بعض الآلهه ، بالرغم من كونه تدخلا نظريا ، قد يجعلنا نعتقد ان كافة المراسم كانت تتم بداخل الساحة المقدسة ، فى مقر الآلهة ، ولكن ، بما أن القصر الملكى كان يجاور المعبد ، فى معظم الأحوال ، فمازال هذا التساؤل معلقا وبدون اجابة محددة · وعموما ،فان الاجابة المحددة عليه لن تغير فى قليل أو كثير من موقف الآلهة ومن الهدف من وراء تدخلها ·

ومثلما هو الحال بالنسبة للشعائر اليوميـة ، تحتم الضرورة أن يتطهر الفرد الذى يتم عن طريقـه أى اتصال ما بين عالم البشر وعالم الآلهة ، حتى لو كان هذا الفرد هو الملك نفسـه · ويقوم اله الفيضان بغسـل الفرعون « من آفات الأمراض التى تهدده » (٢) ، ويقوم حورس بغسـل وجهه ، فى حين يقوم ست بتدليك جسمه · وتقوم « تاييت »

الهة النسيج بالباسه ملابسه • وتعمل هذه الملابس الخاصة على ابعاد أى سوء قد يقترب منه ، وتعمل أيضا على جعله بمنأى عن أية هجمات(٣)• ويتجه الملك عندئذ الى المقصورة، حيث تحفظ المجوهرات ـ التمائم • ويجلس فوق محفة ، وينقل الى المقصورة حيث يتلقى أيضا بعض التعاويذ والدهانات (٤) • ويبدأ الكاهن الذى يقوم بعمل هذه الدهانات للفرعون بربط شريط من الكتان الأحمر اللون حول عنقه ، وفوق هذا الشريط رسم بالحبر ، ثلاثون تاجا أحمر وثلاثون تاجا أبيض ، على جانبى شكل يمثل بتاج • وتستمر هذه العملية لبعض الوقت ، لأن الضرورة تستلزم عمل عدد من العقد يماثل عدد التيجان المرسومة ، وهى ستون تاجا ، فوق الرباطين المثبتين عند طرفى الشريط •

ويبدو هذا الاحتفال وكأنه مولد ، فقد أشير الى عملية ارضاع الملك منذ البداية • ولكن بما أن الملك كان عادة انسانا بالغا ، فقد قدمت له فقط العناصر الغذائية التى ترمز الى هذه الرضاعة ، وكذلك تمائم الحياة والسيادة التى يوفرها هذا الشراب (٥) • ثم يتلى على الملك بعد ذلك تراتيل عن أصول منبته الالهى ووظيفته الالهية ، وهنا يوجه الكلام لايزيس : « هل تستطمين اطعام الفرعون ، هل تستطيعين ارضاعه من هذا (الثدى) الذى وضعت يدك عليه ، مثل ما كنت تفعلين من أجل (ابنك) حورس ! » : وبعد أن يتلقى الملك الأكاليل والتيجان ، يبدأ فى دهانه تسع مرات • وقدم للملك الدهانات الخاصة بالمقصورتين اللتين تمثلان مصر العليا ومصر السفلى ، ويبين ذلك أهمية هذه الشعيرة • وتعتبر هذه الدهانات التسعة بمثابة حماية له ضد الموتى :

« ها هى الحماية آتية ! انها تبعد الموتى ، لكى لا يستطيعوا الصعود من مقابرهم (٦) » • وخلاف ذلك ، يضفى على جسد الفرعون الحماية السحرية من جانب ايزيس ، من أجل أن يستطيع الاحتفال الى الأبد بأعياده اليوبيلية (٧) •

ويضفى الدهان الأول على بشرة الملك صفة الهـيبة ، تحولها الى ما يشبه الغـلاف الحامى لكيانـه • وتعتبر هذه الحصانة بمثابة تهيئة لازمة قبل وضع التاج على رأسه ومن فوقه تثبت الحية الحامية ، فان التـاج يعتبر بمثابة مأوى لسخمت الالهة اللبؤة ، والحية الحامية هى أيضا كائن من اللهب شديد الخطورة • وبذا ، فان الدهان يبطـل مفعـول خطورة التاج بالنسبة لمن يتلقاه ، وفى نفس الوقت يضـع فى خدمته القوى المدمرة التى يتضمنها هـذا التاج (٨) • وسوف يكون لسخمت والحيـة الحامية دور مهم فى عمليـة وضـع الدهانين التاليين • ومن أجل تلقى هذين الدهانين ، جلس الملك فوق منصـة متدرجة ، خصصت عادة من أجـل الاحتفالات اليوبيلية • ويبدو متطابقـا مع اله الشمس • ويعمل الدهان الأول على حمايته من أعدائه خارج الأراضى المصرية ، ويضفى عليه النقاء السماوى، «لقد عبرت الجبال، لقد بددت الأعاصير » ، فهذا ما يقـال له (٩) • أما الدهان الثانى فهو يسمح للملك بأن يتجلى كما تتجلى شمس الشروق عند انبثاقها من العالم الأوزيرى • انها « تضفى عليه ••• حالة الاكتمال والنقاء المنبثقة من أوزيريس»(١٠)• ويمثل الدهانان معـا ، نوعا من التمازيم السحرية من أجل صـد الأعداء الكونيين وبالتـالى صد أعداء الملك ، حيث يبطل مفعولهم الضار على مدى العام كله •

ويعمل كل من الدهانين الرابع والخامس على اتساع مدى تأثيرات ما سبق ، فهما يشيران الى شروق الشمس وغروبها فى مركبيهما ، ومن خلال النص المرافق لهما ، يعملان على مزج هاتين اللحظتين مزجا صميما • ويلاحظ أن الدهان الرابع يوضع على تاج ذى سمة خاصة يرتديه الملك، وهو بمثابة رمز ضرورى من أجل الدخول الى العالم السفلى (١١) • أما آتوم ورع ، اللذان استدعيا هنا ، فهما يعبران عن الحدود النهائية لرحلة الشمس• ويساعد الدهان الخامس على وضع العيد اليوبيلى تحت رمز التجدد ، فها هنا يتألق رأس الكوكب الشمسى ويبدد الظلمات • ويعمل الدهانان معا ، على دفع عملية الآلية الكونية •

ويتضمن الدهان السادس جزءا من أرض هليوبوليس النقية ويساعد الملك على أن يتماثل برب الأرباب ، رع ـ آتوم : « لقد خلق الأرض التى انبثق منها ، لقد جاء الى الوجود فى زمنه الأولى • لقد أقر آتوم أن الفرعون هو من يرى مكانه ويرأسه (١٢) » • وبمساعدة الدهان التالى يصبح الملك شريكا وعضوا فعليا بتاسوع هليوبوليس ، وبذا يستطيع أن يخدم مصالح آتوم ، ويعاونه فى مهامه الأساسية ، من أجل أن تشع الشمس بضوئها على العالم وتحيا كافة المخلوقات (١٣) • وبعد ، وبفضل دهان آخر مركب من حجر الصوان أحمر اللون ، والبخور العطرى والطين النقى ، يستطيع الفرعون أن يقوم بأداء الشعائرازاء آلهة هليوبوليس فهو يقوم بأداء الشعيرةاليومية، من أجل خبرى ورع ـ آتوم ، وعلى ما يبدو ، يؤدى أيضا الشعائر الجنازية من أجل آلهة المنطقة الغابرة (١٤) •

ووفقا لنموذج يتشابه مع ما شاهدناه فى ادفو ، يقدم لهـا القرابين التى تسـمح لهـا بالخروج من مقـابرها لبعض الوقت ، اذن ، ففى كل مرة تخـرج فيهـا « تلك التى وخط المشيب رؤوسـها » من أجـل تحيـة آتوم ، يعـود اليهـا شبابها (١٥) ٠

ويتعلق الدهان الأخير بالرداء الملكى ، فمثله مثـل التاج ، يعتبر هو أيضا رمزا لوظيفته ٠ وتعمل الصيغة التى تصاحب هذا الدهان على تماثل الملك مرة أخرى برب الأرباب الشمسى ٠ وهى تشير الى المعـارك الأولية التى خاضها رب الأرباب فى هليوبوليس واستتباعاتها لحسن مسيرة الخلق ٠ ومن هذا المنطلق ، يضفى على الملك هيئة العلم الكلى الالهى، أى ال « سيا » الذى يسمح له عقليا وعيـانا بتبين حقيقة الخلق قاطبة (١٦) » ٠ وتعتبر الدهانات التسـعة جميعهـا بمثابة تلخيص لمراحل خلق الكون ، وللرحلة اليـومية التى تقوم بها الشمس ، والتجدد الحيوى الالهى ٠٠ وبعد ذلك مباشرة ، يوضع الملك بداخل دائرة مكونة من طينـة أرض هليوبوليس لتجعله تحت حماية صحابة آتوم (١٧) ٠ وهنـا يقوم الملك بتقديم قرابين موجهة خاصة الى كافة آلهة مصر ٠ بعد ذلك يتوقف الموكب عند مقصورة « بيت الحياة » ، فيقوم الملك عندئذ بتمجيد الآلهة القائمة والغائبة فى آن واحد ، وقد كتبت أسماؤها فوق لوحة صغيرة ٠ بعد ذلك يدخل الملك الى المقصورة ، حيث يسلم اليه الارث الملكى ٠

وكما هو الحال بالنسبة لاحتفالات تتويج صـقر ادفو المقدس ، تتعلق الممارسات التالية بالسحر العملى (١٨) ٠

وفوق يد الملك ، ترسم أول علامة ، وهي بمثابة رمز يعنى « الوظيفة (الملكيــة) » ، بواســطة صــمغ الراتنج المبلل باللعاب (١٩) » . ويتم عمل رمز آخر مشابه بواسطة بعض لباب الخبز الممضوغ . ولا يمكن أن يأكله انسان آخر خلاف الملك : فان ابتلاعه هو الذى يكفل له سلطته الحاكمة(٢٠) .
ويتم أيضا اعداد فطيرة محشوة بمختلف العناصر النباتيـة والمعدنية ، ودهنت ببعض الطين المأخوذ من « منطقة الحقول التى غمرها الفيضان » (٢١) وبتكوينها هذا ، لابد أنهـا تشــير ، الى الأشكال الأوزيرية . وربما تتطابق تغطيتهـا ببعض الغرين المأخوذ من الفيضان الجديد ، بنوع من الدفن الرمزى الذى يستتبعه ميلاد جديد (٢٢) . وتصنع أيضـا سبعة تماثيل تمثل آلهة « بيت الحياة » فى هيئتها الحيوانية . لقد صنعت من الفخار ، وبحيث « يبدو بعض اللهيب خارجا من أفواهها(٢٣) » . والكتابات التى تصاحب هذه الشعيرة تقول : « ونتقدم لها القرابين الالهية ، بحيث تكون ســبعة قرابين (٢٤) » ! ويتلو ذلك فقرة مبهمة وغامضة قد يفهم من خلالها أن الملك يقضى ليلته داخل هذه المقصورة . وهو ينام فيها بعد أن يوضــع بين يديه صــولجان من الخشب ، وتحت رأسه ، الارث الملكى المسمى « بارث الثور » ، وهــو يتكون من أربعة أختام، من الخشب أيضا ، اثنان منها يحملان اسم جب اله الأرض ، فى حين أن الاثنين الآخرين ، وقد نقشا على هيئة نيت وماعت ، قد استعملا لأجل وشم الفطائر التى تمت صناعتها آنفا . الأمر يتعلق هنا بشعيرة خاصة بنقــل سلطة الملك المتوفى الى خليفته ، ومن أجل تأكيد شرعيته فى الحكم . ولا شك أن قضاء الملك الليل فى هذا المكان ، سواء

أكان نائما أم مستيقظا ، يومىء الى عملية الحضانة (٢٥) •
فربما أن أختام الملك المتوفى الذى سبق هـذا الملك ، وقد وضعت تحت رأسه ، تؤدى مفعولها وتنقل اليه السلطة التى تتضمنها ، خلال فترة نومه • وقد يفهم أيضـا أن الملك ، وهو بداخل هذه المقصورة ، قد أمضى ليلته ساهرا • وفى آخر أيام السنة ، يقوم الملك بتمثيل موت رمزى ، لكى يبعث من جديد فى أول أيام العام الجديد ، وقد تجـدد وانتعش ثانية (٢٦) •

وهنا نجد طائرين على قيد الحياة من فصيلة غير معروفة ، وربما كانا من فصيلة الجواثم • ويجب أن يستقرا بجـوار الفطيرة التى سبق وصفها ، وقد وضع الملك يده فوقهـا ، وهذان الطائران هما مبعوثا حورس ، وسوف يقومان بدور الوسيطين بين الملك والمسـاهمين فى الاحتفـال • وينطلق أحدهما ، بعد اطلاق سراحه ، من أجل أن يعلن عن نجـاح الشعيرة • فلقد نجح الـوريث الشرعى لحـورس فى تخطى كافة الاختبارات خلال تلك الأيام العصيبة ، واسـتقر فوق عرشه • ولقد تليت على الطائر الرسالة التى كلف بنقلها : « سوف تقول لحورس ان الفرعون قائم هنا ، وهو يدعم من موقفه (٢٧) » • ولقد عبر عن هذا الدعم بنفس العبارات المستعملة عند تأسيس أى معبـد • ويبقى الطائر الثـانى بجوار الملك ، لكى يقوم بدور قد يتشـابه مع دور وسـيط الوحى • انه عندما يشدو ، يفسر شدوه بأنه عبارات محددة . ويتبين من خلاله عما اذا كان الطائر ينحاز الى الملك أو يقف ضده عند نهاية الاحتفالات ، تأكيدا على قدرته على القيـام بمهامه أو عجزه عن ذلك (٢٨) •

وبواسطة هذه الطقوس ، يتم تجديد السلطة الملكية ، ويتم أيضا قتل رمزى للعدو الذى يتمثل في هيئة صفين من النباتات ، يتكون كل صف منهما من سبع شجيرات • ويقوم الملك فى البداية بتشممها وقطع الطرف الأعلى لكل فرع • ثم يرتدى رداء من الكتان الأحمر ، زين صدره ببعض التمائم الواقية • وتسلم اليه العصا الخاصة بالبلاد الأجنبية من أجل ضرب أعدائه ، كما يضع فى قدميه نعلين لونهما أبيض • وتلصق بعض التمائم الأخرى فوق يد الملك اليمنى ، ومن أجل اتمام التعازيم على مخاطر العام ، يقوم أعضاء « بيت الحياة » بانشاد بعض التراتيل • وهنا يخرج الفرعون من المقصورة ، التى قضى فيها ليلته ، من أجل التوجه الى أحد أماكن المعبد وتقديم بعض القرابين للآلهة الأجداد ، ومن المعروف أن هذه الشعيرة بالذات تعتبر بمثابة لحظة الذروة فى اطار الكثير من الاحتفالات •

وتتم المراسم النهائية بداخل مقصورة « بيت الحياة » مرة ثانية ، حيث يوضع بداخلها ، كما ذكر سابقا ، التمثال الطينى الممثل لأوزيريس ـ رع(٢٩) • وهناك ، تقدم للملك تسعة طيور حية من فصائل متباينة • ومن أجل تأكيد الشعيرة التالية تقدم التمائم اللازمة من أجل الملك : وبذا يلف حول رقبته صقر ذهبى ، ونسر من الخزف وقط من اللازورد (٣٠) • ثم يتم احضار « الصقر الحى ، الذى سوف يبجله الملك فى كافة مناسبات هذا العام (٣١) » • وبعد أن قام خادمه بادارة رأس ، الصقر ، استطاع أن يلتقط دمعة « تساقطت من عينه اليسرى » • وهنا يمسح بهذه الدمعة على التميمة الممثلة للصقر الذهبى المعلقة حول عنق الملك ،

حتى توفر له القوة الواقية • وبعد الصقر ، يأتى دور النسر • فيتم دهن رأسه ببعض الدهان ثم ، ومثلما حدث بالنسبة للصقر ، يدار رأسه الى الخلف ، وتنشر جناحاه فوق الملك • وبمثل هذه الطريقة ، توفرت الحماية للملك من غضب وثورة طوال هذا العام (٣٢) • وكذلك ، يتم مسح رأس الحدأة ببعض الدهان ، ويتم نشر جناحيها هى أيضا وهى فوق راس الملك • وهنا يعلن قائلا : « عندما يحلق الطائر في السماء ، سوف يمحو أى خطر شؤم يسبب الموت الذى يتراءى على مقربة من أى اله (٣٣) » • ويتم ذلك أيضا لاحدى اوزات النيل • وهى تسمى بال « مسيت » (٣٤) • ويشير اسمها الى عبارة « مولد » • ويتم ادخالها هى أيضا، فهى تقوم بدور الوسيط فيما بين الطيور التى سبق ذكرها وبين الطيور التالية • ويقول النص، انه ربما قد تم تزقيمها • ثم تقرب الأوزة من الملك ، بحيث تلامس جناحاها رقبته من الخلف (٣٥) • وعند هذه الملامسة ، يولد الملك من جديد وقد تماثل بآلهة هليوبوليس (٣٦) • وكذلك يتم المسح ببعض الدهان على رؤوس طيور المجموعة الثانية بعد ادارة رؤوسها الى الخلف ، ولكن لم يذكر شيء عن نشر أجنحتها فوق رأس الفرعون • ولقد لاحظنا وجود أحد الطيور من فصيلة الجواثم « بيت الحياة » من خلال الشعائر التى ذكرت آنفا (٣٧) • وها هو الآن الدور على الخطاف • ويبدو هذا الطائر وقد تقدم على مقربة من رع الذى اضطر الى التوقف عن تناول غذائه من أجل الاستماع الى رسالته • وصرح هذا الطائر بأنه هو نفسه يعتبر مولودا جديدا ، وبالتالى، فهو يمثل الملك الذى تجدد لتوه • وفعل طائر الكركى نفس ما فعله طائر

الخطاف ، والتمس من اله الشمس أن يقى الملك من مخاطر الخواء البدائى (٣٨) • ولا تفصح الاشارة الخاصة بالطائر الأخير عن أية رسالة ، ثم تختتم هذه الشعيرة الغريبة الشأن بتوجيه هذا الابتهال الى مجموعة الطيور : أن يعملوا على «ان يكون الملك دائما، فى صحة جيدة ، ولا يناله أى أذى(٣٩)» •

ولا شك أن طبيعة هذه الطقوس ، الخاصة جدا ، وطول مداها قد تجعلنا نتساءل عما اذا كان الملك يساهم بالفعل بصفته الشخصية فى هذه المراسم ، وعما اذا كانت تجـرى له كافة الممارسات الشعائرية • فلا ريب أن البعض منهـــا يبدو مضنيا للغاية • وبذا ، يحق لنا الاعتقاد ، بأن تلك العملية التى كانت تركز فى جعل النسر ينشر جناحيه، أو فى جعل أى طائر أخر من الطيور الكواسر يفعل ذلك فوق رأس الملك، كانت تتضمن الكثير من المخاطرة • وربما قد لا يحتمل، بالرغم من التأكيدات بهذا النص ، ان هذه الشعيرة كانت تتم بواسطة طيور فعلية ، أو ربما استعين بطريقة ما لجعلها غير مؤذية • ولا شك أن تأكيد سلطة الملك المسئول ، أمام الآلهة عن التوازن الكونى يعمل على ادماج العديد من الشعائر المتباينة ، غير المألوفة ، والتى ترجع الى طقوس أخــرى مختلفة • فلقد طالعنا الشعائر الخاصة بالبعث الأوزيرى، ثم الخاصة بالتعزيم على الأعداء الكونيين • وعلى ما يبـدو ، تعتبر كافة الوسائل ممكنة ما دامت تعمل على حماية الوسيط الأوحد بين الآلهة والبشر ، خاصة خلال هذا الوقت من العام الذى تتعرض فيه سلطته الإلهية لكافة المخاطر •

الاتحاد بضوء الشمس واحياء التماثيل الالهية

يبدو أن الذى يحدث فى جنوب مصر ، بداخل معبد حورس بادفو ، خلال نفس هذه الفترة من أواخر العام ، لا يتطلب عمل تعازيم على مخاطر هذا العام • وهناك تبدأ المراسم فى اليوم الآخر من نهاية العام ، وتستمر خلال أيام النسىء الخمسة ، واول أيام انعام الجديد والأيام الاربعة التى تليه (٤٠) • ولا يبدو أن هناك شيئا ذا أهمية خاصة ، يتراءى للوهلة الأولى من خلال تلك الشعائر التى كانت تقام وقتئذ • ووفقا لبعض العادات الدارجة تماما فى نطاق كافة المعابد المصرية ، فان اليوم الأخير من نهاية السنة وأيام النسىء الخمسة ، تعتبر بالنسبة لاله المعبد القائم بمثابة مناسبة لتجديد كافة ملابسه تجديدا تاما • ولا تحيد الطقوس بادفو عن هذه القاعدة ، وتحيى ، خلال هذه الأيام الستة ، « أعياد الملابس » • وتحتم الضرورة عند نهايتها أن يحصل حورس على ملابسه الجديدة من أجل ذاك العام • ولا يقطع هذه الرتابة سوى السهرة التى تقع ما بين آخر يوم فى السنة وأول أيام النسىء الخمسة ، الذى يعتبر بمثابة يوم مولده (٤١) • ويخصص هذا اليوم لعيد الملابس المكرس لأوزيريس بصفته دعامة عظمى ومن أجل تاسوعه • ووفقا للأحوال ، يتبوأ تمثاله مكان الصدارة بجوار حورس وحتحور • وسوف نرى فيما بعد أن ظهور أوزيريس فى مثل هذا المظهر النوعى لا يعتبر عديم الفائدة ، بل هو يتضمن هدفا أساسيا فى اطار الاحتفال • وفى الأيام التالية ، يلاحظ أن حورس ، رب المعبد ، هو الذى تخصص من أجله الشعائر وهى نفس شعائر

الأعياد الاعتيادية · جملة القول ، ان هذه الأعياد التى تشد الانتباه في أماكن أخرى كثيرة ، لا تعتبر فى ادفو الا بمثابة تمهيد لعيد العام الجديد ، فى أول شهر توت الذى يعتبر بمثابة يوم العيد اليوبيلى لرع(٤٢)· وبذا ، تعتبر الطقوس التى كانت تقام بمثابة مثيل الطقوس الملكية التى سبق أن شاهدناها ، والتى تسمح بحدوث نوع من التجديد الالهى السنوى · ويعتبر هذا التجديد الالهى مماثلا فى أهميته للتجديد الخاص بوسيط ملكى ذى نمط آخر، ألا وهوالتمثال الالهى · وكانت الضرورة تحتم أداء هذه الشعيرة فى العديد من معابد مصر· وفى ادفو ، بل وفى أماكن أخرى، لا تخص هذه الشعائر المكان الأكثر قدسية بالمعبد ، وهو المقصورة ، بل ولا تخص أيضا تمثال الشعيرة الأساسى (٤٣) · فالتمثال الذى تؤدى من أجله هذه الشعيرة الأساسية ، هو تمثال ذو نمط خاص· انه على ما يبدو يمثل أكثر أشكال الاله صلاحية لتلقى الطاقة التى سوف توصل اليه لنقلها لجميع التماثيل الأخرى ، ولا شك أن الأمر يتعلق هنا بالشكل البدائى للاله ، الذى صور فى ادفو ، على هيئة صقر عضوه منتصب وذى مخالب مثنية (٤٤) ·

وفى بعض الأحيان ، تبدو أحداث الأعياد التمهيدية مفتقدة الى الوضوح من خلال النص الذى تسرده · فى كل صباح ، وعلى مدى الأيام الستة التى تسبق العام الجديد ، يتقدم الملك ، وقد صحبه المحتفلون بالقداس الى باب المعبد· وتبدو القرابين وقد جهزت تماما · وبعد القيام بأعمال التطهير المعتادة ، يتم فتح أبواب الرواق المسمى « بالسرداب الغامض » ــ والذى يحيط بالمقصورة الرئيسية · وعلى هذا

السرداب ، تطل مجموعة المقصورات الخاصة بالآلهة التى كانت سوف تساهم فى الاحتفال ، وتطل عليه ايضا المقصورة الخاصة بالأقمشة والخاصة بالخزينة • ومن هاتين المقصورتين الأخريين ، كانت تستخرج أجمل أدوات الزينة والأدوات النفيسة الخاصة بأداء الشعيرة • ثم يتوجه الجمع بعد ذلك الى احدى المقاصير التى تقع على محور المعبد وبالتالى عند ظهر نفس التمثال الخاص بالشعيرة الأساسية ، وتتضمن هذه المقصورة المحورية تمثالا للصقر وهو جاثم ، ويبدو أحد أشكال حتحور وهو يتقاسم معه نفس المقصورة ، وكذلك سلاحى الاله المحارب ، و « عصا حورس ادفو » ، والحربة المنبثقة من « نون » (٤٥) • ويدخل الملك الى هذا المكان ، ويقوم بالشعائر اليومية (٤٦) • ويقوم الكهنة الحمالون بتقديم محفتين ، احداهما من أجل حتحور ، والثانية من أجل حورس • وهنا يأخذ الملك الصقر من مكانه ويضعه فوق احدى المحفتين • ويفعل نفس الشىء بالنسبة لحتحور ، « يوضع الاله فوق القاعدة الذهبية المسماه بقاعدة الراحة ، وتبدو السماء من فوقه فى لون ذهبى(٤٧) » ووصفت القاعدة الخاصة بحتحور بنفس الوصف تقريبا • والى هذا الموكب المصاحب لهؤلاء الآلهة وحاشيتهم انضم « التاسوع الأعظم » بادفو ، المكون من كل هؤلاء الآلهة والالهات القائمة بداخل مقصورات الممر • ويقوم أفراد الموكب بانشاد بعض التراتيل من أجل حورس وحتحور ، ويتوجهون من المقصورة المحورية الى «القاعة المطهرة(٤٨)» • وهناك فناء مكشوف السقف يؤدى الى هذه القاعة ، التى تتكون واجهتها من جدار على هيئة سور قصير • وبداخل

القاعة ، كان يتم وضـع المحفتين عـلى الأرض • وتبـدو خيمتان وقد توجهتا ناحيـة الجنـوب ، أى نحـو المدخل • ويتم فتح هاتين الخيمتين ، ظهرا ، من أجل كشف وجه الالهين حتى يستطيعا بذلك رؤية القرابين الموضوعة من أجلهما فى الفناء • ولا شك أن الهدف من وراء هذه الشعائر هو الباس حورس ملابسه الجديدة وتزيينه ، وتجهيزه من أجـل لقائه مع قرص الشمس فى أول أيام العام ، ثم يعود المـوكب أدراجه الى المقصورة المحورية من خلال الممر السرى ، حيث يعاد الالهان الى ناووسيهما ، بعد القاء نقاب جديد عليهما •

وخلال هذه الاحتفالات بأيام العيد التى تسبق احتفالات أول أيام العام الجديد ، لا نجد أى أثر للأسى والحزن الذى كان واضحا من خلال بعض الطقوس الخاصة بأيام النسىء الخمسة (٤٩) • ولا تبين طبيعة « قاعة التطهير » التى تتم فيهـا هـذه الاحتفالات ، كيفية تجهيز التمثـال للقـــاء النهائى • وعموما ، فان أهم ما يميز هذه القاعة هـو أن سقفها قد زين بصورة نوت • وتتراءى من خـلال المسـاحة الواقعة بين ساقيها وذراعيها ، اثنتا عشرة مركبا خاصة برع تمثل الاثنتى عشرة ساعة اليومية (٥٠) • ويقـول النص المصاحب لذلك : قبل اللقاء الفعلى فوق السقف ، تتم مواجهة أولى بين التمثال والاله « لكى تتحد روحه (اليا) بصورته » ، ويحدد ذلك أيضا : « أن قبة السماء هى ملك لربها ، وبهـا يتواجد (الخبرو) : فها هو رع فى مركبه عنـد الظهـر • وتحمل كل من مركب الصباح ومركب المساء خبرى وآتوم ، إلى الأبد (٥١) » • وهنا ، يبدو أن التمثال لا يتحد بقرص الشمس ، أى بالكوكب نفسه ، بكل معنى الكلمة خلال هذه

المراسم الخاصة بالسقف • اذن ، فطبيعة اللقاء تبدو مختلفة • انه يتم من صورة الى صورة ، أى بين التمثال وصور الأطوار الشمسية المنقوشة على السقف • وربما يعمل هـذا العرض غير المباشر بوجه خاص على توضيح السمة الضارة المتضمنة بأيام النسىءالخمسة ؛ لأن عرض التمثال لأشعة الشمس الفعلية خلال أيام الانفصام هذه ، لم يكن ليساعده أبدا على التجدد والانتماش • ولكن ، عرضه لتأثير صورتها السماوية الممثلة من خلال سماء بديلة ، يسمح فى آن واحد بتجنب الخطر الناجم من ضعفها الكونى ، وباعداد التمثال من أجل المقابلة المباشرة مع الأشعة القوية المنبثقة من الكوكب الذى تجدد فى أوائل العام • ولا شك أن المناظر التى صورت « بقاعة التطهير » فى دندرة ، حيث كانت تتم مراسم متطابقة ، توضح تأكيـد هذه الممارسة الحذرة (٥٢) •

ويعتبر أول أيام العام ، أى أول أيام شـهر تـوت ، بمثابة لحظة ذروة الأعياد ، ويوافق يوم عيد رع اليوبيلى ، ففيه تتكرر الاحتفالات الخاصة بالأيام السابقـة ، ولـكن بمزيد من الأبهة والفخامة • وبداخل « قاعة التطهير » ، يتم الباس التماثيل الالهية ، ووضـع التيجان عـلى رؤوسـها وتزيينها • وتستلزم الضرورة أن تتم هذه المرحلة الأولى فى الصباح • وتبدو القرابين ، التى توضـع مرة أخـرى فى الفنـاء الذى يسـبق قاعة التطهـير أكثر ثراء وفخـامة • فبالاضافة الى أصناف الطعام المعتادة ، يتم أيضا ذبح أحـد الخنازير ، ويضحى بعنزة أو بأحد الوعول ، وكذلك لاقت الطيـور المعـادية للاله المصـير نفسه • ولقـد ساعد كل

ذلك على الاعداد لهذه المراسم المهمة ، التى ستتم فوق سطح المعبد ، والتى تقام خلالها الشعيرة الرئيسية لهذا اليوم ، أو الالتحام بالقرص ·

ويغادر الموكب « قاعة التطهير » ، وعلى خلاف المعتاد ، تصاحبه القرابين وتصعد معه فوق السطح ، وهى محمولة فوق الأذرع بشكل متواز مع مستوى الرأس ، فهذا ما نجده بالفعل منقوشا فوق الجدران · ويتقدم حاملو الشـمارات الالهية هذا الموكب ، ولا شك أن قوة تأثير هـذه الشـمارات تعمل على ابعاد أية أخطار وأضرار · ثم يتلوها الكهنـة ، ويبدو البعض منهم وقد غطوا وجـوههم بأقنعة ، والبعض الآخر يحمل القرابين ، وغيرهم يحملون الأشياء النفيسـة أو الأقمشة ، والأحجار نصف الكريمة ، والبخور · ثم ، ها هما الملك والملكة ، أخيرا ، يبدوان وقد تقدما حاملى الخيمة · ولا شك أن كل اله وهو بداخل ناووسه المحمول ـ كان يحظى بحاشيته الخاصة · ولابد أن هذا الموكب الالهى كان يبـدو على قدر كبير من المهابة والفخامة ، فقد مثل فيه ثلاثة عشر شكلا لحورس ، وثلاثة أشـكال لحتحور ، وثلاث هيئـات « لحرماو » (حرسماتوس) ، أى حورس الموحد (٥٣) · وجاء فى أثرهم تاسوع المعبد ، أوزيريس ، وجب ، وايزيس العظيم ، ونفتيس ، وآخرون ·

ورويدا رويدا ، بدأ المـوكب يصـعد درجات السـلم الشرقى ، فمن المفروض أن يتبع الموكب ، فى تقدمه ، نفس مسيرة الشمس · ونفس الصعود يتماثل مع الشروق ، وتؤكد النصوص على ذلك تأكيدا واضحا : « هناك سلمان ، أحدهما

على اليمين والآخر على اليسار ، من أجل الشروق والغروب (٥٤) » • ونظرا لكثرة عدد المشاركين ، وضيق مساحة درجات السلم ، فقد أخذ هذا الجمع الصغير يتقدم ببطء نحو السطح ، ومع ذلك فان هذا المظهر المفتقر الى الرفعة والسمو ، قد وصف بتفخيم وتعظيم واضح : « أخذوا يسيرون في سلام ، ويتقدمون وهم مسرورون ، في مسيرتهم المنتصرة • وكانوا يتابعون سيرهم في تمهل وقداسة فائقة (٥٥) » •

وحالما وصل كل هذا الحشد الى السطح ، تم وضع التماثيل الالهية بداخل جوسق حول تمثال حورس • وصفت القرابين أمامها ، بل ووضعت مباشرة تحت رعاية كافة الآلهة المسئولة عن الخصب والرخاء • تقوم كل منها برعاية صف من المأكولات ، وبعض العطور ، وبعض الدهانات وتقدمه باعتباره من انتاجها الشخصي • ولقد لخص مضمون هذه الشعيرة التي تتم وقتئذ بشكل ايمائي ومختصر للغاية : « وتوقف الاله بداخل جوسقه ولامس الشمس ، وقد تزود بقرابينه ، واتجه بوجهه الجميل ناحية الجنوب (٥٦) » • بعد أن تم تطهير القرابين ، استهل الملك مراسم جديدة ، وقد التزم بالنصوص المنقوشة في «كتابات خفية» فوق ألواح من الذهب والفضة • انها تتضمن بعض الصيغ اللازمة «من أجل الوصول الى السطح ومن أجل (الدخول الى) الطريق المستدير القائم به » • وهنا يعلن الملك : « لقد (أخذت) المراسم الخاصة بالاتحاد بالقرص ، المنقوشة فوق اللوح » ، ثم يعدد الملك مختلف الكتب التي يجب عليه قراءتها ، أو

يشدو بها ، أو يرتلها • بعد ذلك ، يبدأ في ترتيل « الصيغ العظمى المستترة الخاصة بالسطح » (٥٧) • وفي هذه اللحظة بالذات تتم ازاحة النقاب عن تمثال الاله • وتلقى عليه آشعة الشمس بضوئها • ها هو حورس ادفو يلامس الكوكب • فبواسطة التمثال الذى غمره الضوء ، يتم اللقاء الروحي بين الاله وبين الشمس • وقبل أن يقوم الكهنة باعادة غلق النواويس المحمولة ، عملوا على أداء المشهد الختامى لهذا الاحتفال فوق السطح ، وذلك بتقديم تمثال حورس الى كل المساهمين المجتمعين فوق سطح المعبد • وعن طريق الغرب ، أى المغيب ، اصطحب أفراد هذا الموكب المهيب ، مرة أخرى ، مجموعة الآلهة كل الى مقصورته المعينة • وهنا ، كان هذا العيد اليوبيلى الخاص برع ، وهو أيضا عيد بقية الآلهة ، قد بلغ لحظة ذروته • ويقال ، انه سوف يستمر بعد ذلك أيضا طوال أربعة أيام ، يتم خلالها اعادة طقوس اليوم السابق •

حقيقة ، ان نصوص ادفو خاصة هى التى أسهبت فى وصف هذه المراسم ، ومع ذلك فانها كانت تمارس أيضا فى كافة آنحاء المعابد الرئيسية • ومع ذلك ، فان التفاوت الذى قد يتراءى بين مختلف المقاصير ، فى اطار الممارسات ، لم يكن ليتعلق الا بطبيعة الاله المحلى • ولقد لاحظنا التشابه القائم بين « قاعة التطهير » بادفو وبين « قاعة التطهير » بدندرة • ومع ذلك ، ففى دندرة ، قد سمح التحام حتحور بالقرص للشمس، بأن تبعث من جديد صورة احدى الالهات، التى تعتبر أيضا بمثابة تجسيد السطح والغطاء الأولى الذى

انبثقت هي نفسها منه • وفي هليوبوليس ، ربما تعتبر المسلة ، الممثلة للربوة الأولية التي انبثقت الشمس منها لأول مرة ، هي الرمز المنتصب عاليا من أجل الالتقاء بأشعة الشمس المجددة للحياة (٥٨) • وفي هذه الشعيرة ، تشترك الالهة المجسدة ليد الاله الأعلى الذي استعان بها بمفرده ، من أجل انجاب أول زوجين الهيين ، وهذا يشير أيضا الى استعادة القوى الخلاقة • وفي معبد اسنا ، يبين الاهتمام الشديد بعدم التفريق بين تمثال الاله خنوم وبين عجلته التي هي بمثابة جزء أساسي من الصورة الأولية الكلية (٥٩) • فان الضرورة تستلزم أن تتخلل أشعة الشمس تمثال الاله نفسه ولكن ، أيضا وقبل كل شيء يجب أن تتخلل بيضة العالم ، الذي يمثل الاله خنوم دائما وهو يشكلها فوق آلته الخلاقة ، اذن ، فها هو العالم نفسه ، في حالته كجنين ، وقد ساعد الاشعاع الضوئي على بعثه •

ويتشابه مجموع هذه المراسم مع بعض مظاهر الطقوس الملكية والعيد اليوبيلي ، التي تهدف أساسا الى تجديد وانعاش من تقام من أجله • ويقوم اله المعبد ، بواسطة تمثاله الذي يمثله ، والذي يشير الى صورته الأولية ، مثله مثل الملك ، بتجديد قواه المستهلكة على مدى العام المنصرم، حيث استنفد معظم طاقته خلاله ، لتتجدد هذه الطاقة بواسطة الشعيرة • ويتم هذا التجدد الحيوي بفضل رب الأرباب الخالق ، هذا

الاله الشمسى الذى صنع العالم من أجــل أن يســتقر به ، ثم يخطط لنفسه فيه نهجا يوفر له الشباب الأبدى • ولا شك أن الالتحام مع التماثيل الالهية ، النوعية والأولية ، يعود بالفائدة المباشرة على رب الأرباب الخــالق ، فهو بتجــديده لقواها ، يعمل على دوام واستمرار الطقوس التى يقدمها له البشر من خلال الوسيط الملكى •

(تم بحمد الله)

قائمة بأسماء الآلهة المصرية

أبوفيس

ثعبان عملاق يقوم يوميا بمهاجمة اله الشمس فى مختلف مراحل جولته السماوية • وفى كل مرة كان يهزمه اله الشمس بمساعدة الآلهة المصاحبة له فى مركبه •

أبيس

اله مدينة منف منذ العصور العتيقة • كان يرتبط فى البداية بالملك ، ويساهم معه ، كل عام ، فى سباق طقسى يهدف الى تحقيق الخصوبة لمصر • بعد ذلك ، ارتبط بالاله بتاح ، حيث أصبح بمثابة « الناطق بلسانه » •

التاسوع

تحدد هذه الكلمة فى البداية الآلهة التسعة لعائلة هليوبوليس، وتجمع فى اطارها الأجيال الالهية الثلاثة التى ظهرت من بعد رب الأرباب• ويدمج رب الأرباب مع التاسوع، فهو اذن بمثابة العضو العاشر فيه وزعيمه أيضا• وعلى نفس

هذا النمط ، يمكن أن يحظى كل معبد بتاسوعه الخاص الذى يجمع فى نطاقه ألهة العائلة المحلية • وفى هـذه الحـالة ، لا تحتم الضرورة التمسك بالعدد تسعة • وبالتالى ، فان مثل هذه التاسوعات يمكن أن تتضمن كل منهـا أكثر من تسـعة أعضاء من الآلهة •

آتـــوم

هو الاله الخالق ، المعبود فى هليوبولس • يمثل المظهر الأولى لرب الأرباب ويتطابق مع رع اله الشمس • وبالرغم من أن رع يمثل الشمس فى سمت السماء ، فان أتوم يمثلها فى مرحلة الأفول ، ولكن الشمس ما تلبث أن تولد من جديد• ومن خلال اسمه رع ــ آتوم ، أصبح نموذجا يحتذى به جميع الآلهة التى تبغى التجلى فى هيئة رب الأرباب •

آكـــر

اله ذو رأس مزدوج يجسد الأرض فى حالهـا المـادى ويؤكد ترابطها • ومنذ المنشأ ، كان يمثل ، على هيئة كتلة من الأرض ذات رأس آدمية عند كل من جانبيها ، ولكنه بعد ذلك اتخذ شكل أبى الهول المزدوج • ولقد كلف بحراسـة مخارج العالم الآخر ، ويقوم أحيانا بمجابهة المتوفى الذى يحاول الدخول فى نطاق هذا العالم الآخـر • ومن مهامه حماية أوزيريس ورعايته•

آمـــون

اله مدينة طيبة الرئيسى ، ويعنى اسمه « الخفى » .
ويبدو منشؤه غامضا ومتواضعا ، ومن المعتقد بصفه عامة
أنه لا يعدو أن يكون سوى أحد أعضاء مجمع الآلهة الاوليين
بهرموبوليس . ويعتبره فراعنة طيبـة ، بداية من الدولة
الوسطى وخاصة فى الدولة الحديثة ، بمثابة الههم الأسرى.
وبذا تألقت عبادته بأهمية فائقـة . ويبين معبده الشـامخ
البناء فى مدينة الكرنك ، مدى الأهمية التى كان يحظى بها
وأيضا مدى ثراء كهنته . وبفضل مثل هذا المفهوم السياسى
المواتى له ، أصبح آمون بمثابة الاله الرئيسى لهذا البلد ، بل
ولقد استقطب الى شخصه سمات رب الأرباب اله الشمس ،
وبالتالى أطلق اسم آمون ــ رع (بل أيضا اسم « آتوم ») .

أنوبيس

اله على هيئة كلب ، أو برأس كلب وهو مكلف خاصـة
بأعمال التحنيط . ولهـذا فقـد قام بتحنيط أوزيريس ،
وحماية جسده خلال هذه العملية وما بعدها . وهو الحارس
المسئول عن الجبانات .

ايزيس

أخت أوزيريس وزوجته . تلك الأرملة الحزينة ، التى
قامت ببحث شاق ، من أجل العثور على أجزاء جسد زوجهـا

المبعثرة من أجل اعادة تكوينه من جديد • ولقد ساعد عملها ذلك على انجابها لحورس الوريث بعد وفاة أبيه • ولقــــد قامت بتربية ابنها فى ظــروف صــعبة ، وفى نفس الوقت قامت بحماية مقبرة أوزيريس وجثمانه المدفون بداخلها • ولا شك أن مختلف أوجه أنشطتها قد عملت تدريجيا عــلى جعلها عاملا مهما وفعالا فى اطار عودة مولده من جديد • ولذا ، فقد اندمجت مع العــديد من الالهــات اللاتى قمن باستقبال هذا الاله المتوفى أو باعادته الى الحيــاة ، مثــل الربة شنتاييت •

اوجــات

ربة بوتو على هيئة الكوبرا • وهى حامية مملكة الشمال مثل نخبت حامية مملكة الجنوب • وتمثل دائما عــلى هيئــة كوبرا ملتفة حول أحد فروع البردى •

اوبواوت

اله على هيئة ابن آوى • ويعنى اسمه : «فاتح الطرق» • وفى مقدمة المواكب ، كان يقــوم بتوســيع الطــريق حتى لا تستطيع أية قوى معادية اعتراض مسيرتها •

أوزيريس

هو الاله المتوفى واله الموتى • وهو أيضا شقيق ايزيس وزوجها • لم يبــدأ وجوده الفعلى الا بعــد أن قتله ست •

ويكاد لا يعرف عنه شيء قبل مقتله • فعندما يقال ان أوزيريس على قيد الحياة ، فان ذلك يعني بعثه من جديد• ولقد تم هذا البعث في العالم الآخر وليس في العالم الدنيوى الذى أقفلت أبوابه تماما في وجهه • وتعمل الشعائر التى تسمح ببعثه على اتاحة الفرصة للملك ولكل المتوفين بأن يلقوا مصيرا مماثلا لمصيره بعد وفاتهم •

باستت

ربة بوباستيس (تل بسطة) مثلت على هيئة قطة ، وهى تمثل المظهر المسالم للربات الخطيرات ، مثل تفنوت أو سخمت وباعتبارها عين آتوم ، فهى ترتبط بالقمر وتقوم بحماية حالات الحمل والولادة •

بتاح

الاله الخالق ، وراعى العمال الحرفيين • كان يعبد في مدينة منف ، ويمثل غالبا على هيئة آدمية مرتديا رداء ملتصقا بجسمه لا تظهر منه سوى يديه • وهو يرتبط بأبيس ، الذى يعتبر بمثابة المتحدث باسمه ، وكذلك ببوخاريس الاله الجنازى ، وأخيرا بالاله الأولى تاتنن •

تاتنن

يعني اسمه : « الأرض المرتفعة » • وهو يجسد الأراضى

الأولية التى انبثقت عند منشأ العالم • وبداية من الدولة الحديثة ، ارتبط بالاله بتاح مكونا الثنائى بتاح ـ تاتنن •

تحـوت

اله قمرى له رأس عجل أبيس • وبفضل ارتباطاته مع القمر أصبح المحاسب الخاص به ، الذى يحدد مختلف أجزاء الزمن • انه ماهر فى علم الحسـاب ، بل هـو أيضـا رب الكتابات • انه هو الذى يعمل على ممارسة الكتابة ، ويسجل الأحداث فى التقويمات ، وينقل المعرفة • وهو يقوم أيضا بمساعدة الخالق فى ادارة شؤون العالم ، كما يقوم بمهمـة المبعوث أو الوسيط فيما بين الآلهة • وله دور أسـاسى فى المحكمة الالهية •

تفنـوت

أخت شو وزوجته ، كونت معه أول زوجين أنجبهما رب الأرباب • انها الربة اللبؤة ، وهى مثل سخمت ، تمثل أيضا العين الشمسية • انها تمثل خاصة الربة التى نفت نفسـها برغبتها فى النوبة • ولقد بعث بشو من أجل احضارها ، واستطاع تحوت بحديثه المعسول ، أن يقنعهـا بالعـودة الى مصر •

جب

اله الأرض ، وشقيق نوت ربة السماء • يخضع الاله آكر لسلطته • وباعتباره اله العالم السفلى ، فهو يستقبل المتوفى

بكل ترحيب ، ويقوم بحمايته • وفى نطاق عائلة هليوبوليس، يمثل جب نموذجا للملكية الوراثية •

حـــابى

تجسيد لفيضان النيل • ويعد بجدارة اله الخصـوبة والنماء •

حتحـور

يترجم اسمها الى عبارة « قصر حورس » ، وهو بالفعل يعنى المجال المقفل الذى يتحرك بداخله حورس الشمسى • وتعتبر حتحور قبل كل شىء بمثابة ربة سماوية تمثـل فى أغلب الأحيان فى صـورة بقرة • وهى تلعب دور الغـلاف الواقى للشمس المجدد للحيوية ، على غرار الدور الذى تقوم به شنتائيت من أجل أوزيريس • ومنذ العصـور العتيقة ، مثلت أيضا، فى صورة وجه أنثوى كرمز للمواجهة بين الشمس وبين العنصر الذى انبثقت منه لحظة الخلق ، وبذا تستطيع حتحور أن تجسـد العين الشمسية وترمز خاصـة لمظهـرها الهادىء • وهى ابنة رع ، وتمثل كزوجة لحورس بوجه عام•

حر سا ايزه

(انظر حورس)

حربوقراط

(انظر حــورس)

حقـــات

. الربة الضفدعة ، رفيقة خنوم، وتقوم، بجانبه ، بمنح أنفاس الحياة للمخلوقات التى يقوم بخلقها .

حـــكا

يوصف للأسف فى العادة بأنه تجسيد للسحر ، ولكنـه يمثل قبل كل شىء الطاقة الحيوية ، انه الكا خلال فعاليتها . وبذلك فهو يمنح كل اله القدرة التى يستطيع من خـلالها التصرف ببديهته ، أى باستخدام الـ « سيا » التى تعبر عن المعرفة البديهية . وبما أن البشر يملكون هم أيضا هذه الطاقة الحيوية التى تمكنهم من البقـــاء ، فهم بالتــالى يســتطيعون الاستعانة بالحكا . وبذا ، فان الحكا تسمح للبشر أن يقيموا حوارا مع العالم الالهى ، أو ربما يستطيعون أيضا أن يؤثروا عليه ، مادام يعيش هو أيضا على نفس هذه الطاقة الحيوية . ويستعان بها ، فى بعض المجالات الدينية والشعائرية المختلفة عادة عن تلك التى تمارس فى المعابد ، وهنا تعتبر تقريبـا شيئا شبيها بالسحر .

حــورس

يشمل هذا الاسم بداخله العديد من الآلهة ، وكان أكثرهم شهرة هو حورس بن ايزيس ، الذى حملت فيه بعد وفاة أبيه

أوزيريس، وقدر له أن يخلفه فوق عرش الآلهة بعد أن انتصر على عمه ست ، ومن خلال اسم حرسا ايزه ، أى « حورس بن ايزيس » ، يجسد الشاب المنتصر • وعندما كان طفلا صغيرا لا حول له ولا قوة ومعرضا لكافة الأخطار ، كان يطلق عليه، بداية من أواخر الدولة الحديثة ، اسم حربوقراط ، أى « حورس الطفل » • ويمثل هذا الطفل في آن واحد الوريث الالهى أو الملكى الضامن للاستمرارية ، وكذلك الشمس التى تولد من جديد فى كل صباح • ويعتبر حورس ادفو (أو حورس البحدتى هو أيضا بمثابة اله شمسى وملكى • ويتألق هذان المظهران لديه تألقا واضحا • ويعتبر حورس القديم، رب ليتوبوليس الها كوكبيا تمثل عيناه كلا من الشمس والقمر • وعندما يختفى هذان الكوكبان ، يصبح هذا الاله كفيفا ويسمى عندئذ « مخنتى ان ارتى » أى « الذى لا عيون له » • وعندما يستعيد نظره ، فهو يصبح « خنتى ارتى » ، أى « من له عيون » • وهو خطر بصفة خاصة خلال الفترات التى يكف فيها بصره • وهذا الحورس هو شقيق أوزيريس وايزيس ، ولكن من الممكن ، فى أحوال أخرى ، أن يكون ابنا لايزيس • وعادة تمثل المظاهر الشمسية العظمى للاله حورس على هيئة صقور أو آلهة لها رؤوس صقور ، وعادة ما تكون حتحور زوجة لهم • وبشكل قاطع ، يعتبر حورس بمثابة النموذج الأصلى للاله الأرضى •

حـو

يجسد انطلاق الصوت الخلاق ، الذى قام رب الأرباب عن طريقه بخلق ما يحدده (ينظر «حكا» و «سيا») •

خبرى

هو تجسيد للشمس الوليدة • ويمثل على هيئة جعران أو انسان له رأس جعران •

خنتى امنتيو

اله قديم لموتى مدينة أبيدوس يعنى اسمه « من يرأس سكان الغرب » ، وسكان الغرب هؤلاء هم المتوفون • ورويدا رويدا أخذ أوزيريس مكانه تماما ، ولم يعد اسمه يفيد الا كمجرد صفة لأوزيريس •

خنوم

اله ذو رأس كبش • يختص بتشكيل الكائنات الحية فوق عجلة الفخراني • وفى اطار بعض المعابد التى كان يحظى فيها بمزيد من التبجيل ، مثل معبد اسنا ، كان يعتقد انه قد قام أيضا بتشكيل البيضة الأولية التى انبثقت منها الشمس عند خلق العالم •

رب الأرباب

هو خالق العالم الذى انبثق من المحيط الأزلى ، أى « نون » وبواسطة فكره وقوله ، أوجد أول عناصر العالم المنظم ، وخلق الربوة الأرضية التى انبثقت منها الشمس ، التى تعتبر كأحد مظاهره ، من أجل اضاءة العالم • وفى هليوبولس ، يمثل آتوم المظهر الأولى لرب الأرباب ، ويمثل رع مظهره الشمسى •

رع

اله الشمس الحق ، كان يعبد بصفة خاصة فى هليوبوليس . يعتبر قرص الشمس بمثابة حدقة عينه . ويمكن تخيله وهو يمخر عباب السماء فى مركبه خلال ساعات الليل . وهو يتماثل بأتوم ، فهو يعتبر بمثابة تجليه الشمسى . وكل اله ، وفقا لظروفه السياسية ، يكلف بالقيام بدور كونى يستطيع أن يقتبس منه وظائفه الشمسية .

ست

شقيق أوزيريس وقاتله الذى استولى على عرشه من بعده بدلا من حورس ، ابن أوزيريس ووريثه الشرعى . واستلزم الأمر نشوب العديد من المعارك ومحاكمات طويلة الأمد ، حتى يرجع ست مقاليد الحكم الى حورس الوريث الشرعى . ويبدو أن ست كان عدوانيا ومقاتلا ، ومع ذلك كان يقدم خدمات طيبة لاله الشمس بمقاتلته للوحش أبوبيس والانتصار عليه . وصوته يجسد قصف الرعود . وباعتباره قاتل أوزيريس ، فقد أصبح المصريون يعزون الى ست تدريجيا المسئولية عن الاضطرابات الكونية ، وانتهى الأمر بابعاده عن الأراضى المصرية . ولكنه لم يهزم أبدا ، واستمر بالرغم من ذلك ، وبصفة دورية يهدد استقرار وطمأنينة الأرباب الآخرين .

سخمت

الهة على هيئة لبؤة تجسد عين الشمس المتوهجة . وترتكز وظيفتها على تدمير أعداء الخالق بلهيبها . ولديها

فريق من المردة أشداء البأس • وخلال الأيام الخمسة الأخيرة من العام ، تنطلق القوى الخطرة التى تجسدها • وفى هذه الفترة ، يعمل البشر على تهدئتها بترتيلهم لبعض التعاويذ ، حتى لا يلحق غضبها المدمر أى ضرر بتوازن العالم •

سرقت

الهة على هيئة العقرب كان يخشى بأس لدغاتها • قامت بحماية الطفل حورس وهو مختبيء فى أدغال البردى، ولكنها لم تستطع أن تمنع احدى مثيلاتها من لدغه • وتمكنت ايزيس بفضل أساليبها السحرية أن تشفيه • واعتبرت بعض الربات العقارب المنبثقات من سرقت ، فيما بعد كزوجات لحورس •

سشات

ربة الكتابة والتخطيط المعمارى • وهى تسدى نصائحها الى الملك وتساعده أثناء بناء المعابد •

سوبك

اله على هيئة التمساح، رب المياه ، يخشى بأسه وشراهته• ويكلف خاصة بالقضاء على الأعداء الذين يعيشون فى المناطق المائية •

سوكر

مثل بتاح يظهر على هيئة رجل يرتدى رداء ضيقا يلتصق بجسده • وهو اله جنازى لمدينة منف ، يصور غالبا

برأس صقر . وهو مثل بتاح أيضا ، يعتبر ربا للعمال الحرفيين . وعلى ما يبدو ، فقد تقاسم كلا الإلهين مهامهما . فارتبط بتاح بأعمال تشكيل الحجارة والأخشاب ، في حين ارتبط سوكر بأعمال المعادن .

سيا

يجسد مجموع العلم البديهي لدى الآلهة ، الذى لا يملكه بأكمله سوى رب الأرباب . يساعد « سيا » بمساعدة « حو » وحكا » رب الأرباب على التفكير فى شئون الخلق وتنظيم الكون .

شنتائيت

منذ المنشأ كانت الهة على هيئة بقرة . يعنى اسمها « الأرملة » ، لارتباطها بأوزيريس المتوفى . وهى تجسد الغلاف الواقى الذى يتجدد أوزيريس المتوفى بداخله . ولقد جعلها هذا الدور الخاص تندمج مع ايزيس تحت اسم « ايزيس شنتائيت » .

شيو

اله الهواء فى نطاق تاسوع هليوبوليس ، وهو يمثل خاصة المجال الذى يسمح بانبثاق ضوء الشمس . ولقد كلفه رب الأرباب بمهمة الفصل ما بين السماء والأرض وذلك برفع ابنته نوت ، ربة السماء ، نحو الأعلى . ويمثل هو وأخته تفنوت ، أول زوجين أنجبهما رب الأرباب بمفرده .

ماعت

الهة ترمز الى الاستقامة والتوازن الكونى الذى أراده رب الأرباب عند بداية الخلق . ومن خلالها يلتزم العـالم الذى خلقه رب الأرباب بالنزاهة والاستقامة . وتقتات الآلهة بها ، أما البشر فهم ملزمون بأن يحترموا ما تجسده حتى تتحقق العودة المنتظمة للظواهر الطبيعية ، التى تكفل استمرارية الحياة .

مـــوت

رفيقة آمون فى طيبة . منشؤها غامض ومبهم مثل زوجها . اسمها يعنى «الأم» ، ويكتب بعلامة على هيئة أنثى النسر ، ربما لأنها ورثت بعض صفات الالهة « نخبت » التى تبدو بهذا الشكل .

مين

اله الخصوبة القديم . ويمثل على هيئة رجل منتصب ، وقد ارتدى رداء يلتصق تماما بجسده يجعله يبـدو وكأنه مومياء . وكانت الأعياد التى يرفع فيها تمثاله عاليا خلال مرور المواكب هى التى تستهل بها أوقات الحصـاد . ومن أجله كان البشر يرجون عبات الخس الذى يعتقد أن خلاصته بيضاء اللون ذات آثار مفيدة للحيوية . كان يعبد فى قفطه وفى أخميم . واعتبر أيضا حاميا للطرق المؤدية من وادى النيل الى سواحل البحر الأحمر .

نخب كاو

انه ثعبان أزلى يعمل على تحقيق ترابط مختلف الطاقات الحيوية (الكا) فى نطاق الخلق . وكان من المعتقد أنه خالد الى الأبد ويعيش فى أعماق المحيط الأزلى ، أى « نون » .

نخبت

الهة على هيئة أنثى النسر ربة مدينة « الكاب » . وهى حامية مملكة الجنوب ، كما كانت الالهة أوجات حامية لمملكة الشمال . وتمثل دائما عـلى هيئـة طائر يحلق فوق رأس الملك . وكانت تعتبر أيضا احدى الهات الأمومة ، وحاميـة المواليد .

نفتيس

شقيقة ايزيس وزوجة ست . وبعد موت أوزيريس ، الذى اغتيل بيد زوجها ، انضمت الى ايزيس فى محنتهـــا ومدت لها يد المساعدة فى الكثير من الأعمال .

نمتى

هو نو تى مركـب الآلهـة ، ويقوم بمهمة عبورها من شاطىء نهر النيل الى آخر . وخلال تأديته لهذه الوظيفة قد يطالب بثمن مقابل لبعض خدماته . إنه يرحب بما يقدم له من هدايا ، وعلى استعداد تام لقبول أية رشوة .

نيت

الهة مدينة سايس ، وتمثل وهى مسلحة بقوس وعـدة سهام • وهى من الوجوه الأنثوية النادرة فى نطاق مجمـع الآلهة المصرية التى اعتبرت فيه بمثابة رب الأرباب • ومن هذا المنطلق ، كانت تمثل كخنثى ، فان ثلثى تكوينها يبدو مذكرا أما الثلث الأخير فهو مؤنث •

نـــون

هو المحيط الأزلى ، والوحيد الذى وجد قبـل الخلق • ولقد سببت عملية الخلق هـذه تنحيته الى أطراف العـالم المخلوق • تختبىء فى أعماقه القوى السلبية التى تحـاول دائما استعادة المجال الذى احتله الخلق ، وكذلك القـوى الايجابية ، التى ، تعد لازمة ، مثل فيضان النيل ، من أجل حسن مسيرة العالم • ان رب الأرباب الذى كان يستقر خامدا فى مياه نون قبل عملية الخلق ، من المفترض أن يعود اليهـا بعد نهاية العالم ، وقد ابتلع بداخله كل ما خلق •

نـوت

هى ربة السماء ، مثلت عـلى هيئـة امرأة منحنية فوق الأرض وقد استندت عليها بأطراف أصابع يديها وأطراف أصـابع قدميها • وكان يفترض أنهـا تبتلع الشمس فى المساء ، وتقوم بولادتها فى الصباح • ولقد أنجبت من أخيها جب ، خمسـة أبناء هـم : أوزيريس ، وحورس القديم ، وست ، وايزيس ، ونفتيس • ويعرف « أولاد نوت » هؤلاء أيضا باسم « أبناء القلاقل » بسبب الاضطرابات التى تسببوا فيها أثناء الخلق بنزاعاتهم •

هوامش

قائمة بالاختصارات المستخدمة

المجلات و الدوريات

ASAE : *Annales du Service des Antiquités de l'Égypte* (Le Caire).
BIE : *Bulletin de l'Institut d'Égypte* (Le Caire).
BIFAO : *Bulletin de l'Institut français d'archéologie orientale* (Le Caire).
BJRL : *Bulletin of John Rylands University Library of Manchester* (Manchester).
BSFE : *Bulletin de la Société française d'égyptologie* (Paris).
CdE : *Chronique d'Égypte* (Bruxelles).
CRAIBL : *Comptes rendus de l'Académie des inscriptions et belles-lettres* (Paris).
CRIPEL : *Cahiers de recherches de l'Institut de papyrologie et d'égyptologie de Lille* (Lille).
GM : *Göttinger Miszellen. Beiträge zur ägyptologischen Diskussion* (Göttingen).
JARCE : *Journal of the American Research Center in Egypt* (New York, Baltimore).
JEA : *Journal of Egyptian Archaeology* (Londres).
JEOL : *Jaarberichte van het vooraziatisch-egyptisch genootschap* (Leyde).
JNES : *Journal of Near Eastern Studies* (Chicago).
MDIAK : *Mitteilungen des deutschen archäologischen Instituts. Abteilung Kairo* (Mayence).
OMRO : *Oudheidkundige Mededelingen uit het Rijksmuseum van Oudheden te Leiden* (Leyde).
RdE : *Revue d'égyptologie* (Paris).

SAK : *Studien zur Altägyptischen Kultur* (Hambourg).
ZÄS · *Zeitschrift für ägyptische Sprache und Altertumskunde* (Berlin).

المراجع

ALLIOT, *Culte d'Horus* : ALLIOT (Maurice), *Le Culte d'Horus à Edfou au temps des Ptolémées.* 2 volumes, Le Caire, 1949-1954.

ASSMANN, *Lit. Lieder* : ASSMANN (Jan), *Liturgische Lieder an den Sonnengott*, Berlin, 1969.

ASSMANN, *Sonnenhymnen* : ASSMANN (Jan), *Sonnenhymnen in thebanischen Gräbern*, Mayence, 1983.

BAKIR, *Cairo Calendar* : ABDEL-MOHSEN BAKIR, *The Cairo Calendar No. 86637*, Le Caire, 1966.

BARGUET, *Livre des Morts* : BARGUET (Paul), *Le Livre des Morts des anciens Égyptiens*, Paris, 1967.

BARGUET, *Textes des Sarcophages* : BARGUET (Paul), *Textes des Sarcophages égyptiens du Moyen Empire*, Paris, 1986.

BARUCQ-DAUMAS, *Hymnes et prières* : BARUCQ (André), DAUMAS (François), *Hymnes et prières de l'Égypte ancienne*, Paris, 1980.

BORGHOUTS, *Magical Texts* · BORGHOUTS (J.F.), *Ancient Egyptian Magical Texts*, Leyde, 1978.

BUDGE, *BD* : BUDGE (E.A. Wallis), *The Book of the Dead. The Chapters of Coming Forth by Day. Text*, Londres, 1898.

CHASSINAT, *Khoiak* : CHASSINAT (É.), *Les Mystères d'Osiris au mois de Khoiak*, Le Caire, 1966-1968.

CT : DE BUCK (Adriaan), *The Egyptian Coffin Texts*, 7 volumes, Chicago, 1935-1961.

DAUMAS, *Mammisis* : DAUMAS (François), *Les Mammisis des temples égyptiens*, Paris, 1958.

DERCHAIN, *Papyrus Salt* : DERCHAIN (Philippe), *Le Papyrus Salt 825 (B.M. 10051) rituel pour la conservation de la vie en Égypte*, Bruxelles, 1965.

GOYON, *Confirmation* : GOYON (Jean-Claude), *Confirmation du pouvoir royal au nouvel an*, Le Caire, 1972.

GOYON, *Dieux Gardiens* : GOYON (Jean-Claude), *Les Dieux-Gardiens et la genèse des temples (d'après les textes égyptiens de l'époque gréco-romaine). Les soixante d'Edfou et les soixante-dix-sept dieux de Pharbaethos*, Le Caire, 1985.

GOYON, *Rituels funéraires* : GOYON (Jean-Claude), *Rituels funéraires de l'ancienne Égypte*, Paris, 1972.

GUTBUB, *Textes fondamentaux* : GUTBUB (Adolphe), *Textes fondamentaux de la théologie de Kom Ombo*, Le Caire, 1973.

HORNUNG, *Conceptions of God* : HORNUNG (Erik), *Conceptions of God in Ancient Egypt. The One and the Many*, Londres, 1983.

HORNUNG, *Himmelskuh* : HORNUNG (Erik), *Der ägyptische Mythos*

von der Himmelskuh. Eine Ätiologie des Unvollkommenen, Fribourg, 1982.

JELINKOVA, *Djed-Her* : JELINKOVA-REYMOND (E.), *Les inscriptions de la statue guérisseuse de Djed-Her-le-Sauveur*, Le Caire, 1956.

KLASSENS, *Behague* : KLASSENS (Adolf), *A Magical Statue-Base (Socle Behague) in the Museum of Antiquities at Leiden*, Leyde, 1952.

KOENIG, *PBoulaq* : KOENIG (Yvan), *Le Papyrus Boulaq 6*, Le Caire, 1981.

LANGE, *Mag. Pap. Harris* : LANGE (H.O.), *Der magische Papyrus Harris herausgegeben und erklärt*, Copenhague, 1927.

LEFEBVRE, *Romans et contes* : LEFEBVRE (Gustave), *Romans et contes égyptiens de l'époque pharaonique*, Paris, 1949.

MASSART, *Leiden Mag. Pap* : MASSART (Adhémar), *The Leiden Magical Papyrus I 343+ I 345*, Leyde, 1954.

NEUGEBAUER-PARKER, *EAT* : NEUGEBAUER (Otto), PARKER (Richard A.), *Egyptian Astronomical Texts*, 3 volumes, Providence, 1960-1969.

P. Bremner-Rhind : FAULKNER (R.O.), *The Papyrus Bremner-Rhind (British Museum, No 10188)*, Bruxelles, 1933.

PIANKOFF, *Livre du Jour et de la Nuit* : PIANKOFF (Alexandre), *Le Livre du Jour et de la Nuit*, Le Caire, 1942.

PIANKOFF, *Quererets* : PIANKOFF (Alexandre), *Le Livre des Quererets. Extraits du Bulletin de l'Institut français d'archéologie orientale, T. XLI, XLII, XLIII, XLV*, Le Caire, 1946.

Pyr. : SETHE (Kurt), *Die altägyptischen Pyramidentexte*, 2 volumes, Leipzig, 1908-1910.

SANDER-HANSEN, *Anchnesneferibre* : SANDER-HANSEN (C.E.), *Die religiösen Texte auf dem Sarg der Anchnesneferibre*, Copenhague, 1937.

Urk. VI : SCHOTT (Siegfried), *Urkunden mythologischen Inhalts*, Leipzig, 1939.

VANDIER, *Jumilhac* : VANDIER (Jacques), *Le Papyrus Jumilhac*, Paris, 1962.

مقدمة

1. J. HANI, *La Religion égyptienne dans la pensée de Plutarque*, Paris, 1976, p. 473.

2. VIVANT DENON, *Voyage dans la Basse et la Haute Égypte*, Le Caire, 1989 (reproduction de l'édition de 1802), p. 114.

3. Voir J. YOYOTTE, « Champollion et le panthéon égyptien », *BSFE*, 95, 1982, p. 76-108.

4. J.-F. CHAMPOLLION, *Lettres écrites d'Égypte et de Nubie en 1828 et 1829*, Paris, 1868, p. 127.

5. J.-J. CHAMPOLLION-FIGEAC, *L'Égypte ancienne*, Paris, 1858, p. 245.

6. A. ERMAN, *La Religion des Égyptiens*, Paris, 1952 (d'après l'édition allemande de 1934), p. 17. La première édition en langue allemande avait paru en 1905.

7. Pour un excellent résumé historique des diverses attitudes de l'égyptologie vis-à-vis de la nature de la religion égyptienne, voir HORNUNG, *Conceptions of God*, p. 15-32.

8. *Ibid.*, p. 17.

9. Sur ce dernier point, *ibid.*, p. 237-243.

10. Au sein de l'œuvre abondante de Ph. DERCHAIN, on lira les articles « Anthropologie. Égypte pharaonique », « Cosmogonie », « Divinité », « Rituels égyptiens » dans *Dictionnaire des mythologies*, Paris, 1981.

11. HORNUNG, *Conceptions of God*.

12. Ph. DERCHAIN, « L'auteur du papyrus Jumilhac », *RdE*, 41, 1990, p. 9-30.

13. Ph. DERCHAIN, *CdE*, LXIII, 1988, p. 85.

14. H.G. FISCHER, *L'Écriture et l'art de l'Égypte ancienne*, Paris, 1986, p. 25.

15. R. A. CAMINOS, *JEA*, 58, 1972, p. 219.

16. Cf. G. POSENER, *Le Papyrus Vandier*, Le Caire, 1985, et *infra*, p. 256-257.

17. M. SMITH, *Enchoria*, 15, 1987, p. 69 (11-12).

18. CT, VI, 193n = BARGUET, *Textes des Sarcophages*, p. 102 (chap. 577).

19. S. SAUNERON, *Villes et légendes d'Égypte*, Le Caire, 1983, p. 84-85. Sur les écrits divins, voir *infra* p. 114, 155 et 158 suiv.

20. Une version des aventures d'Horus et de Seth avait déjà été éditée au Moyen Empire, voir *infra* p. 105. Sur les textes magico-littéraires, voir A. ROCCATI, *Mélanges Adolphe Gutbub*, Montpellier, 1984, p. 201-210.

21. K.A. KITCHEN, *Hommages à François Daumas*, II, Montpellier, 1986, p. 35-39

الفصل الأول

1. H. GRAPOW, *ZÄS*, 67, 1931, p. 34-38.

2. CT, II, 33-34.

3. CT, VI, 280u.

4. D'après CT, I, 332c-334c.

5. CT, I, 354b suiv.; II, 4ab, 29g-30h.

6. CT, VI, 344bd.

7. R.O. FAULKNER, *JEA*, 23, 1937, p. 172 (= P. Bremner-Rhind : XXVI, 21-23).

8. R. PARKER, L. LESKO, dans *Pyramid Studies and Other Essays Presented to I.E.S. Edwards*, Londres, 1988, p. 169-170.

9. ALLIOT, *Culte d'Horus*, p. 515.

10. *Ibid.*, p. 517. Voir *infra*, p. 264.

11. VANDIER *Jumilhac*, p. 243, n. 992.

12. Voir A.H. GARDINER, *The Admonitions of an Egyptian Sage*, Leipzig, 1909, p. 44 (5, 14-6, 1), où un philosophe, constatant le chaos politique dans lequel l'Égypte est tombée, évoque la fin du monde et s'écrie : « Puisse-t-il y avoir extinction des humains, que la terre fasse silence au bruit et que cesse la fureur! »

13. E. HORNUNG, *ZÄS*, 81, 1956, p. 28-32.

14. Voir *infra*, p. 36 et p. 171.

15. KLASSENS, *Behague*, p. 57 (f 25).

16. G. POSENER, *Annuaire de l'Institut de philologie et d'histoire orientales et slaves*, 13, 1953, p. 472.

17. LANGE, *Mag. Pap. Harris*, p. 20 (15).

18. Pyr., § 278-279.

19. BARGUET, *Livre des Morts*, p. 260 (chap. 175).

20. B. VAN DE WALLE, *JNES*, 31, 1972, p. 80, n. k et l.

21. É. CHASSINAT, *Le Temple d'Edfou*, IV, Le Caire, 1929, p. 240 (10-11); Osiris lui-même est appelé à vivre « des millions d'années » : ASSMANN, *Sonnenhymnen*, p. 299, n. b.

22. Sur l'identité du serpent démiurge et du serpent de la caverne du Nil, comparer B. STRICKER, *OMRO*, 31, 1950, p. 57 (II, 16-17) et L. KÁKOSY, *MDIAK*, 37, 1981, p. 255-260. Sur la dualité serpent du chaos/serpent démiurge, voir GOYON, *Dieux-Gardiens*, p. 37, n. 9.

23. Ph. DERCHAIN, *ZÄS*, 81, 1956, p. 4-6.

24. A. NIWINSKI, *GM*, 48, 1981, p. 41-53.

25. Déjà clairement exprimé dans L. HABACHI, *The Sanctuary of Heqaib*, I, Mayence, 1985, p. 36, fig. 3 (l. 8-9).

26. F. DAUMAS, *Le Temple de Dendara*, IX, Le Caire, 1987, p. 152 (14-15).

27. P. TRESSON, *Mélanges Maspero*, I/2, Le Caire, 1935-1938, p. 821 et p. 826, n. 5. Voir aussi K.A. KITCHEN, *Ramesside Inscriptions. Historical and Biographical*, II, Oxford, 1979, p. 633 (12), où le temple de Louxor restauré par Ramsès II est censé exister « après, au-delà de la durée cyclique ».

28. BARUCQ-DAUMAS, *Hymnes et prières*, p. 274 (XII, 4-5). Comparer avec S. SAUNERON, *Esna*, V, Le Caire, 1962, p. 257 n° 206, 3).

29. GOYON, *Dieux-Gardiens*, p. 123.

30. Ce qui suit d'après CT, chap. 154 = Livre des Morts, chap. 115 = BARGUET, *Textes des Sarcophages*, p. 571; Urk. VI, p. 63 (16 suiv.). Cf. J. YOYOTTE, *RdE*, 30, 1978, p. 147-150; J.-Cl. GRE-

NIER, *Tôd*, I, Le Caire, 1980, p. 170: É. DRIOTON, *Médamoud. Les inscriptions*, Le Caire, 1926, p. 46-47, nº 105.

31. BORGHOUTS, *Magical Texts*, p. 95 (§ 145).

32. Le même personnage intervient dans HORNUNG, *Himmelskuh*, p. 39 (vers 70).

33. K. SETHE, *ZÄS*, 63, 1928, p. 50-53.

34. S. SAUNERON, *Esna*, V, Le Caire, 1962, p. 265.

35. Voir *infra*, p. 171.

36. JELINKOVA, *Djed-Her*, p. 43 et n. 3; Urk. VI, p. 115 (17).

37. D'après MASSART, *Leiden Mag. Pap.*, p. 59.

38. Mentionnés dans A. ERMAN, *Zaubersprüche für Mutter und Kind*, Berlin, 1901, p. 50-51.

39. LANGE, *Mag. Pap. Harris*, p. 59 (9).

40. BORGHOUTS, *Magical Texts*, p. 80 (§ 115).

41. *Ibid.*, p. 73 (§ 99).

42. JELINKOVA, *Djed-Her*, p. 40 et p. 45, n. 3.

43. BORGHOUTS, *Magical Texts*, p. 78 (§ 111); Horus : p. 72 (§ 96), p. 75 (§ 102), p. 81 (§ 119); la femme d'Horus l'Ancien : p. 80 (§ 115).

44. *Ibid.*, p. 79 (§ 112).

45. *Ibid.*, p. 80 (§ 117).

46. CT, VII, 463f-464ab; voir BARGUET, *Textes des Sarcophages*, p. 662 (chap. 1130).

47. ASSMANN, *Sonnenhymnen*, p. 204 (51).

48. Ce qui suit d'après GUTBUB, *Textes fondamentaux*, p. 70, n. c, p. 424, p. 429 suiv., p. 107, p. 110, n. 1, p. 67-68; voir aussi S. SAUNERON, *Esna*, V, Le Caire, 1962, p. 324-325.

49. Comparer J.-Cl. GOYON, *BIFAO*, 65, 1967, p. 98 (34); S. SAUNERON, *JNES*, 19, 1960, p. 275 et n. 66.

50. H. W. FAIRMAN, *JEA*, 21, 1935, p. 26-36; A. BLACKMAN, H.W. FAIRMAN, *JEA*, 28, 1942, p. 32-38; 29, 1943, p. 2-36.

51. GUTBUB, *Textes fondamentaux*, p. 509, p. 521 suiv.; S. SAUNERON, *Esna*, V, Le Caire, 1962, p. 26 (77, 15-16), mentionne la révolte des « enfants » de Rê, cf. p. 374-375.

52. D'après H. JUNKER, *Der sehende und blinde Gott*, Münich, 1942, p. 77-78; S. SCHOTT, *Die Reinigung Pharaos in einem memphitischen Tempel*, dans *Göttinger Nachrichten*, 1957/3, p. 61. Comparer GOYON, *Dieux-Gardiens*, p. 373 et n. 2; CT, VII, 20e = BARGUET, *Textes des Sarcophages*, p. 278 (chap. 820), avec les commentaires de P. KAPLONY, *Mitteilungen des Instituts für Orientforschung*, 11, 1966, p. 149, n. 56, et p. 157 suiv., n. 83.

53. J.F. BORGHOUTS, *OMRO*, 51, 1970, p. 199 suiv.

54. BAKIR, *Cairo Calendar*, p. 44 (Vº IV, 11).

55. BORGHOUTS, *Magical Texts*, p. 37 (§ 58).

56. CT, VI, 144d = BARGUET, *Textes des Sarcophages*, p. 283 (chap. 548).

57. D. MEEKS, *Archéo-Nil*, 1, 1991, p. 5-14; J.F. BORGHOUTS, *OMRO*, 51, 1970, p. 22-23.

58. GOYON, *Dieux-Gardiens*, p. 371-373.

59. *Ibid.*, p. 342-343.

60. BAKIR, *Cairo Calendar*, p. 16 (R° VI, 4-7).

61. Comparer encore avec BAKIR, *Cairo Calendar*, p. 24 (R° XIV, 1).

62. Ce qui suit d'après HORNUNG, *Himmelskuh*, p. 38 suiv.

63. BAKIR, *Cairo Calendar*, p. 45 (V° V, 11).

64. F. DE CÉNIVAL, *Le Mythe de l'œil du soleil*, Sommerhausen, 1988, p. 31-33.

65. BAKIR, *Cairo Calendar*, p. 46 (V° VI, 6).

66. Ce canevas déjà dans LANGE, *Mag. Pap. Harris*, p. 17 (I, 9 suiv.).

67. Déjà BAKIR, *Cairo Calendar*, p. 45 (V° V, 1); cf. L. TROY, *Acta Universitatis Upsaliensis Boreas*, 20, 1989, p. 131-132. La légende démotique était déjà connue au Nouvel Empire : G. POSENER, *Catalogue des ostraca hiératiques littéraires de Deir el-Médineh*, III, Le Caire, 1980, n° 1598.

68. CT, VI, 261gh = BARGUET, *Textes des Sarcophages*, p. 204 (chap. 640).

69. Séparation déjà mentionnée dans CT, V, 150c-151a. Dans Pyr., § 1566cd, cette séparation se fait d'avec les dieux « efficients ».

70. F. HERBIN, *BIFAO*, 88, 1988, p. 103.

71. H.S. SMITH, W.J. TAIT, *Saqqâra Demotic Papyri*, I, Londres, 1983, p. 104-105 et p. 107.

72. GOYON, *Confirmation*, p. 86, n. 27.

73. Livre des Morts, chap. 82 = BUDGE, *BD*, p. 180 (8-10); BARGUET, *Livre des Morts*, p. 120.

74. R. ANTHES, *Studia Ægyptiaca*, 9, 1983, p. 120-121.

75. Rappel des sources : MASSART, *Leiden Mag. Pap.*, p. 95-96.

76. Pyr., § 19 et § 831.

77. CT, II, 107b = BARGUET, *Textes des Sarcophages*, p. 238 (chap. 102).

78. BORGHOUTS, *Magical Texts*, p. 45 (§ 72).

79. *Ibid.*, p. 48 (§ 80); VANDIER, *Jumilhac*, p. 126 (XIV, 17).

80. BORGHOUTS, *Magical Texts*, p. 30 (§ 43).

81. J.F. BORGHOUTS, *OMRO*, 51, 1970, p. 16-17 et n. 354.

82. Urk. VI, p. 91 (18-19).

83. Liste des méfaits dressée dans Urk. VI, p. 19-23 et p. 135 suiv.

84. Urk. VI, p. 56.

85. BAKIR, *Cairo Calendar*, p. 27 (R° XVII, 10-11); L. KÁKOSY, *ZÄS*, 117, 1990, p. 151, n. t.

86. A.H. GARDINER, *The Royal Canon of Turin*, Oxford, 1959, col. I.

87. U. LUFT, *Studia Ægyptiaca*, 4, 1978, p. 78-130; W. BARTA, *Untersuchungen zum Götterkreis der Neunheit*, Münich, 1973, p. 41-48.

88. S. SAUNERON, *Villes et légendes d'Égypte*, Le Caire, 1983, p. 171-174.

89. GOYON, *Rituels funéraires*, p. 255; D.B. REDFORD, *Pharaonic King-Lists, Annals and Day-Books*, Mississauga, 1986, p. 65-82.

90. G. GOYON, *Kêmi*, 6, 1936, p. 7 suiv. Voir U. VERHOEVEN, dans *Religion und Philosophie im alten Ägypten. Festgabe für Ph. Derchain*, Louvain, 1991, p. 319-320, où l'on trouve une bibliographie des études de ce texte.

91. G. GOYON, *op. cit.*, p. 7.

92. S. SAUNERON, *Esna*, V, Le Caire, 1962, p. 228. Comparer avec *infra*, p. 52-53.

93. G. GOYON, *op. cit.*, p. 7 et p. 13.

94. BORGHOUTS, *Magical Texts*, p. 51 (§ 84); HORNUNG, *Himmelskuh*, p. 37 (vers 2-3).

95. KLASSENS, *Behague*, p. 61.

96. U. LUFT, *Studia Ægyptiaca*, 4, 1978, p. 70.

97. É. DRIOTON, *ASAE*, 44, 1944, p. 114, BARUCQ-DAUMAS, *Hymnes et prières*, p. 267 (V, 2).

98. G. GOYON, *op. cit.*, p. 19.

99. G. GOYON, *op. cit.*, p. 18

100. U. VERHOEVEN, *op. cit.*, p. 319-330, conteste qu'il y ait eu viol de la mère, mais cette version des faits est confirmée par le papyrus du Delta (XII, 7 et 9).

101. G. GOYON, *op. cit.*, p. 14-15.

102. DERCHAIN, *Papyrus Salt*, p. 31-34; possible allusion dans BAKIR, *Cairo Calendar*, p. 46 (V° VI, 13). Le papyrus Salt fait de Chou, et non de Geb, le père d'Osiris.

103. Quelques éléments dans S. SAUNERON, *Kêmi*, 20, 1970, p. 12-13.

104. DERCHAIN, *Papyrus Salt*, p. 167, n. 72.

105. R.O. FAULKNER, *JEA*, 22, 1936, p. 127 (= P. Bremner-Rhind : IX, 25); pour la compréhension du passage, voir T.G.H. JAMES, *The Hekanakhte Papers*, New York, 1962, p. 29, n. 74.

106. DERCHAIN, *Papyrus Salt*, p. 138 (IV, 2).

107. E. DRIOTON, *ASAE*, 39, 1939, p. 75 (10) et p. 76, n. f; K. SETHE, *Dramatische Texte zu altaegyptischen Mysterienspielen*, Leipzig, 1928, p. 23.

108. DERCHAIN, *Papyrus Salt*, p. 138 (IV, 7).

109. J.-Cl. GOYON, *BIFAO*, 75, 1975, p. 378, n. 2.

110. CT, VI, 306f = BARGUET, *Textes des Sarcophages*, p. 292 (chap. 680).

111. W. SPIEGELBERG, *ZÄS*, 53, 1917, p. 101 suiv. Pour l'arpentage du monde, cf. S. SAUNERON, *Villes et légendes d'Égypte*, Le

Caire, 1983, p. 68 suiv.; BARUCQ-DAUMAS, *Hymnes et prières*, p. 218; pour le titre de propriété, BARUCQ-DAUMAS, *op. cit.*, p. 228, n. cq (tout le « chapitre 700 »).

112. W. HELCK, *Die Prophezeiung des Nfr.tj*, Wiesbaden, 1970, p. 42-43; *id.*, *Urkunden der 18. dynastie*, Berlin, 1958, p. 2027, 11-12; K. SETHE, *Hieroglyphische Urkunden der Griechisch-römischen Zeit*, Leipzig, 1904, p. 3, 15.

113. J. ASSMANN, « Königsdogma und Heilserwartung », dans *Apocalypticism in the Mediterranean and the Near East* (D. Hellholm éd.), Tübingen, 1983, p. 345-377.

الفصل الثانى

1. A.O. ABDALLAH, *JEA*, 70, 1984, p. 71, n. k.

2. ASSMANN, *Sonnenhymnen*, p. 60, n. h, p. 63, n. a, p. 173, n. b, p. 189-190.

3. BARGUET, *Livre des Morts*, p. 105 (chap. 65).

4. BARUCQ-DAUMAS, *Hymnes et prières*, p. 336. La traduction « centaines de mille » est à corriger d'après N.G. DAVIES, *The Temple of Hibis*, III, New York, 1953, pl. 33, col. 25. Comparer avec É. CHASSINAT, *Le Temple d'Edfou*, III, Le Caire, 1928, p. 323, 8, à rapprocher de *id.*, *ibid.*, IV, Le Caire, 1929, p. 241, 14, et VII, Le Caire, 1932, p. 280, 7.

5. H. GOEDICKE, E.F. WENTE, *Ostraka Michaelides*, Wiesbaden, 1962, pl. XV, col. 2.

6. D. MEEKS, *Revue de l'histoire des religions*, 205, 1988, p. 425-446.

7. CT, II, 42-43 = BARGUET, *Textes des Sarcophages*, p. 473 (chap. 80). Voir J. BAINES, *GM*, 67, 1983, p. 13-28.

8. Pyr., § 404ac; CT, II, 157ef = BARGUET, *Textes des Sarcophages*, p. 256 (chap. 132); LEFEBVRE, *Romans et contes*, p. 112; D. KURTH, H.-J. THISSEN, *Kölner ägyptische Papyri*, I, Opladen, 1980, p. 34 (49). Sur les « grands », voir aussi L. TROY, *Acta Universitatis Upsaliensis Boreas*, 20, 1989, p. 130.

9. BARUCQ-DAUMAS, *Hymnes et prières*, p. 352 et n.a.

10. Livre des Morts, chap. 123 = BUDGE, *BD*, p. 243, 5-6; BARGUET, *Livre des Morts*, p. 156.

11. HORNUNG, *Himmelskuh*, p. 23 et p. 45. On considère habituellement que Thoth envoie « de plus grands que lui », mais voir la remarque de G.H. FISCHER, *Egyptian Studies I. Varia*, New York, 1976, p. 86, n. 31.

12. Sur ce statut dérogatoire de Thoth, voir G. POSENER, *Annuaire du Collège de France 1961-62*, p. 290.

13. W. HELCK, *Urkunden der 18. dynastie*, Berlin, 1958, p. 2081, 13.

14. BAKIR, *Cairo Calendar*, p. 25 (R° XV, 1); comparer avec Ph. GERMOND, *Sekhmet et la protection du monde*, Genève, 1981, p. 69.

15. KOENIG, *PBoulaq*, p. 82; J.Yoyotte, *BSFE*, 87-88, 1980, p. 56 suiv.

16. CT, IV, 60jk = BARGUET, *Textes des Sarcophages*, p. 122 (chap. 306); I.E.S. EDWARDS, *Hieratic Papyri in the British Museum. Fourth Series*, Londres, 1960, p. XXII.

17. ASSMANN, *Sonnenhymnen*, p. 210 (15), p. 213, n.e, p. 255, n. b.

18. Sur ces épithètes, voir ASSMANN, *Sonnenhymnen*, p. 83 (13) et p. 173, n. a; p. 175, n. a.

19. LEFEBVRE, *Romans et contes*, p. 200-201.

20. J.-Cl. GOYON, *JARCE*, 20, 1983, p. 56 (10).

21. L. TROY, dans *The Religion of the Ancient Egyptians. Cognitive Structures and Popular Expressions*, Uppsala, 1989, p. 19-21; E. GRAEFE, dans *Hommages à François Daumas*, Montpellier, 1986, p. 345-349.

22. Cf. Urk. VI, p. 101, 3-4.

23. Voir H. TE VELDE, *JEA*, 57, 1971, p. 80- 86, qui rappelle que la triade peut s'analyser comme une façon de réduire le polythéisme en un trithéisme ou « monothéisme différencié ».

24. VANDIER, *Jumilhac*, p. 125 (XIV, 9 suiv.).

25. *Ibid.*, p. 115, § 5.

26. Cf. BARUCQ-DAUMAS, *Hymnes et prières*, p. 335 : « Qui donc est dieu comme toi ? »

27. Cf. D. MEEKS, *Revue de l'histoire des religions*, 205, 1988, p. 425-446.

28. Livre des Morts, chap. 151 = BARGUET, *Livre des Morts*, p. 215, § I = BUDGE, *BD*, p. 382, 14.

29. Urk. VI, p. 27.

30. B.H. STRICKER, *OMRO*, 29, 1948, p. 64. Seth se « détournant des règles » : Urk. VI, p. 7, 11.

31. CT, I, 20c suiv. = BARGUET, *Textes des Sarcophages*, p. 96 (chap. 7). Sur Thoth vizir, voir en dernier lieu M.-Th. DERCHAIN-URTEL, *Thot à travers ses épithètes dans les scènes d'offrandes des temples d'époque gréco-romaine*, Bruxelles, 1981, p. 95-106.

32. BAKIR, *Cairo Calendar*, p. 33 (R° XXIII, 1). Il s'agit du serment *sédjéfa-téry* dont K. BAER, *JEA*, 50, 1964, p. 179, dit qu'il s'agit d'une promesse garantissant que l'on n'abusera pas des prérogatives d'une fonction qui vous échoit. Voir en dernier lieu S.N. MORSCHAUSER, *JARCE*, 25, 1988, p. 93-103, dont l'explication ne paraît pas convenir au cas présent.

33. CT, IV, 93g; SANDER-HANSEN, *Anchnesneferibre*, p. 66, cf. p. 68; S. SAUNERON, *Kêmi*, 20, 1970, p. 11; BAKIR, *Cairo Calendar*, p. 26 (R° XVI, 7-8), p. 33 (R° XXIII, 2); H. JUNKER, *Das Götter-*

dekret über das Abaton, Vienne, 1913, p. 7-8. Sur les ordonnances divines en général, voir U. Luft, *Beitrage zur Historisierung der Götterwelt und der Mythenschreibung*, Budapest, 1978, p. 32-49.

34. Livre des Morts, chap. 183 = Budge, *BD*, p. 485, 9= Barguet, *Livre des Morts*, p. 270; Vandier, *Jumilhac*, p. 126 (XIV, 19). Pour les rapports existants entre le document original de l'ordonnance et la stèle qui sert à son affichage, voir J.-M. Kruchten, *Le Décret d'Horemheb*, Bruxelles, 1981, p. 214-223.

35. Cf. une autre proclamation de Thoth dans W. Golénischeff, *Catalogue général des antiquités égyptiennes du musée du Caire. Papyrus hiératiques*, I, Le Caire, 1927, p. 106, 15 suiv.

36. Barucq-Daumas, *Hymnes et prières*, p. 355. et n. h; Sander-Hansen, *Anchnesneferibre*, p. 137.

37. Urk. VI, p. 25, 22-23.

38. Sander-Hansen, *Anchnesneferibre*, p. 69.

39. J. Quaegebeur, dans *Funerary Symbols and Religion. Essays dedicated to Prof. Heerma van Voss*, Kampen, 1988, p. 105-126; H. De Meulenaere, *CdE*, LXIII, 1988, p. 234-241.

40. Borghouts, *Magical Texts*, p. 4 (§ 9).

41. J. Osing, *Aspects de la culture pharaonique. Quatre leçons au Collège de France*, Paris, 1992, p. 49 suiv.

42. E. Suys, *Orientalia*, 3, 1934, p. 71 (II, 8) et p. 74.

43. Hornung, *Himmelskuh*, p. 37 (vers 10 suiv., 19 suiv.).

44. Sander-Hansen, *Anchnesneferibre*, p. 94.

45. A.H. Gardiner, *Hieratic Papyri in the British Museum. Third Series*, Londres, 1935, pl. 69 (XIV A,2).

46. Bakir, *Cairo Calendar*, p. 42 (V° II, 2-3).

47. *Ibid.*, p. 44 (V° IV, 7).

48. Les dieux peuvent être jugés : Barucq-Daumas, *Hymnes et prières*, p. 405, n. bx. Le reproche adressé à Osiris est mentionné dans Bakir, *Cairo Calendar*, p. 46 (V° VI, 13); celui concernant Maât : *id.*, *ibid.*, (V° VI, 5). Pour Osiris, cf. aussi *supra*, p. 50-51.

49. Ce qui suit d'après le conte d'Horus et de Seth : Lefebvre, *Romans et contes*, p. 184 suiv.; Vandier, *Jumilhac*, p. 129 (XVI, 23 suiv), complétés par d'autres sources mentionnées au passage. La plainte en question peut être appuyée par Osiris lui-même : W.C. Hayes, *Ostraka and Name Stones from the Tomb of Sen-Mut (No. 71) at Thebes*, New York, 1942, n° 149.

50. CT, VII, 37i suiv. = Barguet, *Textes des Sarcophages*, p. 201 (chap. 837). Et déjà Pyr., § 958.

51. Lefebvre, *Romans et contes*, p. 184.

52. *Ibid.*, p. 181.

53. Vandier, *Jumilhac*, p. 131; mais déjà Lange, *Mag. Pap. Harris*, p. 14 (I, 6-7); Urk. VI, p. 8 suiv., et K. Sethe, *Dramatische Texte zu altaegyptischen Mysterienspielen*, Leipzig, 1928, p. 278-279.

54. Bakir, *Cairo Calendar*, p. 16 (R° VI, 1).

55. Ce qui suit : Vandier, *Jumilhac*, p. 128 (XVI, 10 suiv.); d'autres allusions à cette affaire sont signalées par Ph. Derchain, *RdE*, 9, 1952, p. 31; Koenig, *PBoulaq*, p. 36, n. h.

56. S. Schott, « Thot, le dieu qui vole les offrandes et qui trouble le cours du temps », dans *CRAIBL*, 1970, p. 547-556.

57. CT, II, 233b suiv. = Barguet, *Textes des Sarcophages*, p. 436 (chap. 149).

58. CT, VI, 209ef = Barguet, *Textes des Sarcophages*, p. 405 (chap. 587).

59. CT, II, 234b = Barguet, *Textes des Sarcophages*, p. 436 (chap. 149).

60. CT, II, 235bc, 249d suiv = Barguet, *Textes des Sarcophages*, p. 436-437 (chap. 149). Comparer avec le Mythe d'Horus : H.W. Fairman, *JEA*, 21, 1935, p. 32.

61. Livre des Morts, chap. 19-20 = Barguet, *Livre des Morts*, p. 67-69. Mais voir S. Hassan, *Hymnes religieux du Moyen Empire*, Le Caire, 1928, p. 98.

62. Lefebvre, *Romans et contes*, p. 189 (5,5 suiv.), p. 199 (14, 2 suiv.); Vandier, *Jumilhac*, p. 120 (X, 7 suiv.).

63. CT, I, 166af = Barguet, *Textes des Sarcophages*, p. 180 (chap. 39).

64. É. Drioton, *BIE*, 34, 1952, p. 291-316; et deja CT, I, 4ad; IV, 128f; Gutbub, *Textes fondamentaux*, p. 247, n. s.

65. Koenig, *PBoulaq*, p. 94, n. a.

66. Vandier, *Jumilhac*, p. 120 (X, 7-8) et p. 126 (XV, 1).

67. *Ibid.*, p. 126 (§ XXII).

68. Assmann, *Sonnenhymnen*, p. 109, n. h, et CT, IV, 303b.

69. Borghouts, *Magical Texts*, p. 12 en bas.

70. Gutbub, *Textes fondamentaux*, p. 242-243, p. 246, n. 1; Koenig, *PBoulaq*, p. 28, n. f. En général, voir L. Kákosy, *Oikumene*, 3, 1982, p. 163 suiv. D'autres génies ont ce caractère stellaire : Goyon, *Dieux-Gardiens*, p. 461 et p. 473.

71. Borghouts, *Magical Texts*, p. 12.

72. CT, I, 278ab = Barguet, *Textes des Sarcophages*, p. 113 (chap. 65).

73. CT, VI, 174i suiv. = Barguet, *Textes des Sarcophages*, p. 216 (chap. 572).

74. Voir CT, VI, 271c, où l'œil est dans le ventre, comme doit l'être le pouvoir magique. Voir *infra*, p. 146.

75. La « confédération » d'Horus : CT, VII, 48f.

76. K. Sethe, *Thebanische Tempelinschriften aus griechisch-römischer Zeit*, Berlin, 1957, p. 28 (32e).

77. Goyon, *Dieux-Gardiens*, p. 4 et p. 46-110.

78. Assmann, *Sonnenhymnen*, p. 76 (3).

79. Bakir, *Cairo Calendar*, p. 38 (R° XXVIII, 13).

80. A. Massart, *MDIAK*, 15, 1957, p. 178.

81. R.A. CAMINOS, *JEA*, 58, 1972, p. 211.

82. I.E.S. EDWARDS, *Hieratic Papyri in the British Museum. Fourth Series*, Londres, 1960, p. XXII.

83. R. STADELMANN, *Syrisch-palästinensische Gottheiten in Ägypten*, Leyde, 1967, p. 8-9; G. MATTHIAE, F. XELLA, *Rivista di Studi Fenici*, 9, 1981, p. 147-152.

84. CT, VII, 222i = BARGUET, *Textes des Sarcophages*, p. 543 (chap. 1006); cf B. ALTENMÜLLER, *Synkretismus in den Sargtexten*, Wiesbaden, 1975, p. 133.

85. Voir R. STADELMANN, *op. cit.*, en général; C. ZIVIE, *Bulletin de la Société française des fouilles de Tanis*, 2/3, 1989, p. 139-175.

86. Remarques de R. STADELMANN, *op. cit.*, p. 124-133.

87. LEFEBVRE, *Romans et contes*, p. 106-113. Voir l'analyse détaillée de G. POSENER, *Annuaire de l'Institut de philologie et d'histoire orientales et slaves*, 13, 1953, p. 461-478, et les remarques de J. VAN DIJK, *Scripta Signa Vocis. Studies Presented to Prof. J.H. Hospers*, Groningen, 1986, p. 31-32.

88. En dernier lieu, voir J. VAN DIJK, *op. cit.*, p. 31-51.

89. Bribes de la même légende dans E. SUYS, *Orientalia*, 3, 1934, p. 65; A. DE BUCK, B. STRICKER, *OMRO*, 21, 1940, p. 58 (II, 9-11); MASSART, *Leiden Mag. Pap.*, p. 65.

90. L. KÁKOSY, *ZÄS*, 117, 1990, p. 145 (B, 8), p. 147 (C,4) et p. 155-156. Également G. POSENER, *Annuaire de l'Institut de philologie et d'histoire orientales et slaves*, 13, 1953, p. 465-466, et J. LEIBOVITCH, *ASAE*, 48, 1948, p. 435-444.

91. BAKIR, *Cairo Calendar*, p. 27 (R° XVII, 11).

92. Ainsi Hauron dont J. VAN DIJK, *GM*, 107, 1989, p. 59-68, a montré comment ses différentes fonctions en Égypte pouvaient dériver de celles qu'il avait dans son pays d'origine. Voir BORGHOUTS, *Magical Texts*, p. 50-51, où il joue le rôle d'un bouvier. Sur le bouvier des dieux, voir *infra*, chapitre IV, p. 130 et n. 29.

93. J.-Cl. GOYON, *BIFAO*, 75, 1975, p. 386, n. 5. Cf. déjà P. LACAU, H. CHEVRIER, *Une chapelle d'Hatchepsout à Karnak*, Le Caire, 1977, p. 149, où les dieux étrangers acclament Hatchepsout couronnée. Ainsi que la statuette divine envoyée par le roi hittite Touchratta à Aménophis III: W.L. MORAN, *Les Lettres d'El Amarna*, Paris, 1987, p. 137-138.

94. C. ZIVIE, *Bulletin de la Société française des fouilles de Tanis*, 2/3, 1989, p. 155.

95. En ce sens Ph. DERCHAIN, *RdE*, 41, 1990, p. 25-28. Pour les dieux égyptiens hors d'Égypte, voir *infra*, p. 140-141.

1. CT, IV, 75e = BARGUET, *Textes des Sarcophages*, p. 440 (chap. 312). Cf. ASSMANN, *Sonnenhymnen*, p. 204 (156, 26) et p. 206, n. p.

2. GUTBUB, *Textes fondamentaux*, p. 35 et p. 353, n. u; DAUMAS, *Mammisis*, p. 411 suiv.

3. S. SAUNERON, *Villes et légendes d'Égypte*, Le Caire, 1983, p. 61-64.

4. R.O. FAULKNER, *JEA*, 23, 1937, p. 172 (= P. Bremner-Rhind XXVI, 15).

5. Sur le difficile problème des khéperou et des irou, voir les différents commentaires de J. ASSMANN, *Lexikon der Ägyptologie*, II, p. 759, § c, p. 764-765; *Lit. Lieder*, p. 42-43; *Biblische Notizen*, 11, 1980, p. 50. Un irou est quelque chose que le dieu peut revêtir au sens propre : *id.*, *Sonnenhymnen*, p. 14 (15, 4). Il s'agit bien de « revêtir une apparence ».

6. LEFEBVRE, *Romans et contes*, p. 183, n. 14; p. 192, n. 61.

7. VANDIER, *Jumilhac*, p. 114 (II, 23, et III, 13-14).

8. En ce sens, ASSMANN, *Lit. Lieder*, p. 43, n. 20.

9. ASSMANN, *Sonnenhymnen*, p. 204 (156, 26) et p. 206, n. p.

10. H.-W. FISCHER-ELFERT, *Literarische Ostraka der Ramessidenzeit in Übersetzung*, Wiesbaden, 1986, p. 29 (3); ASSMANN, *Sonnenhymnen*, p. 307, n. c.

11. CT, IV, 110g, 112df = BARGUET, *Textes des Sarcophages*, p. 482-483 (chap. 317).

12. CT, IV, 120a = BARGUET, *Textes des Sarcophages*, p. 484 (chap. 317).

13. En suivant le raisonnement de J. BAINES, *Fecundity Figures*, Warminster, 1985, p. 117.

14. Autre exemple de ce procédé dans VANDIER, *Jumilhac*, p. 117 (VI, 11 suiv.), examiné *infra*, p. 119-120. Voir aussi *infra*, chap IV, p. 138-139 et n. 85-87, où l'apparence et le nom ne suffisent pas à identifier un personnage : il lui faut également posséder un attribut, en l'occurence une coiffe. C'est sur ce schema que se fonde le jeu des questions-réponses entre le défunt qui veut accéder à l'au-delà et le passeur qui doit lui faire traverser l'étendue d'eau qui l'en sépare (CT, chap. 395-398 = BARGUET, *Textes des Sarcophages*, p. 344-355). À la demande du passeur, le mort doit nommer l'embarcation et chacune de ses parties en les liant à des attributs divins pour leur donner une matérialité. Les parties non nommees n'existant pas, il est impossible de reconstituer l'embarcation, ce qui amène de nouvelles questions et de nouvelles réponses. Par ce dialogue, le mort crée littéralement le bac qui va le transporter. En

réponse à ces questions, il est également amené à se définir lui-même dans son nom et ses attributs. Il acquiert ainsi la nouvelle identité qui sera la sienne et prouve sa capacité de reconnaissance des irou, des autres identités qui peuplent le monde divin. Il affirme donc sa capacité à vivre au sein de la communauté des dieux.

15. Ce qui suit d'après le conte d'Horus et Seth = LEFEBVRE, *Romans et contes*, p. 189-190.

16. On notera que cette situation est très similaire à celle évoquée plus haut (n. 14).

17. Pour ce détail, voir W. C. HAYES, *Ostraka and Name Stones from the Tomb of Sen-Mut (No. 71) at Thebes*, New York, 1942, n° 149, V° 4. Cf. KOENIG, *PBoulaq*, p. 77, n. b; J. BAINES, *op. cit.*, p. 125. Une scène identique se trouve dans BAKIR, *Cairo Calendar*, p. 23 (R° XIII, 9-10), mais ne paraît pas se rapporter à l'épisode du procès.

18. Voir *infra* p. 117.

19. Un texte, après avoir nommément désigné une série de divinités, reprend cette énumération par l'expression « tous ces hommes » (c'est-à-dire : « tous ces individus ») en employant le terme *sa* qui est d'usage pour les humains : SANDER-HANSEN, *Anchnesneferibre*, p. 67.

20. B. OCKINGA, *Die Gottebenbildlichkeit im Alten Ägypten und im Alten Testament*, Wiesbaden, 1984, en général. Voir cependant, dans ASSMANN, *Sonnenhymnen*, p. 76 (l. 7), un texte mutilé qui semble dire que les êtres ont été créés à la ressemblance du démiurge. Le terme utilisé pour désigner les êtres (*ouneniou*) paraît ne pouvoir s'appliquer qu'aux dieux et aux humains.

21. J.E. REYMOND, *The Mythical Origin of the Egyptian Temple*, Manchester, 1969, p. 67.

22. VANDIER, *Jumilhac*, p. 124 et n. 370; LANGE, *Mag. Pap. Harris*, p. 38 (3-4); S. AUFRÈRE, *L'Univers minéral dans la pensée égyptienne*, Le Caire, 1991, p. 311 suiv.; KOENIG, *PBoulaq*, p. 117; S. SAUNERON, *Esna*, V, Le Caire, 1962, p. 143; Livre des Morts, chap. 172 = BUDGE, *BD*, p. 445, 16 = BARGUET, *Livre des Morts*, p. 255; S. SCHOTT, *Kanais. Der Tempel Sethos I. im Wadi Mia*, dans *Göttinger Nachschriften*, 1961/6, C, 3; Ch. KUENTZ, *ASAE*, 25, 1925, p. 228, n. 1. Les os d'argent : GOYON, *Rituels funéraires*, p. 237; HORNUNG, *Himmelskuh*, p. 52, n. 6; BARUCQ-DAUMAS, *Hymnes et prières*, p. 330 et n. b.

23. A. MASSY, *Le Papyrus de Leyde I 347*, Gand, 1885, p.2; cf. variante dans A. DE BUCK, B. STRICKER, *OMRO*, 21, 1940, p. 57 (II, 2) : « entouré d'uræus ».

24. GOYON, *Rituels funéraires*, p. 278 et n. 1; BARUCQ-DAUMAS, *Hymnes et prières*, p. 331 et n. p.

25. J. v. BECKERATH, *ZÄS*, 119, 1992, p. 99 (conte de Khon-

semhet et de [illegible]) cf. GOYON, *Rituels funéraires*, p. 71 : « Ton cadavre durera éternellement, comme la pierre des montagnes », à comparer avec les textes de la note 22.

26. CT, VI, 108h = BARGUET, *Textes des Sarcophages*, p. 138 (chap. 519); G. BURKARD, *Grabung im Asasif III. Die Papyrusfunde*, Mayence, 1986, p. 64 (x+4, 5. 8-9).

27. Voir également GOYON, *Rituels funéraires*, p. 73 : « Ta carnation aura une couleur dorée grâce à l'orpiment pur. »

28. Sur cette question, voir les remarques de A.H. GARDINER, *The Library of A. Chester Beatty. Description of a Hieratic Papyrus*, Oxford, 1931, p. 31, n. 3; R.O. FAULKNER, *JEA*, 54, 1968, p. 42, n. 8; H. GOEDICKE, *GM*, 39, 1980, p. 28. Contre S. AUFRÈRE, *op. cit.*, p. 466-467.

29. S. CAUVILLE, *BIFAO*, 90, 1990, p. 93, n. 8.

30. S. AUFRÈRE, *op. cit.*, p. 336 et p. 473 suiv.

31. Explicitement dans CT, V, 376t et 385v. À propos de Rê, voir CT, VI, 206m.

32. LEFEBVRE, *Romans et contes*, p. 195.

33. VANDIER, *Jumilhac*, p. 125 (XIV, 6); Ph. DERCHAIN, *RdE*, 41, 1990, p. 18-19.

34. BARUCQ-DAUMAS, *Hymnes et prières*, p. 335.

35. É. CHASSSINAT, *Le Temple d'Edfou*, II, Le Caire, 1892, p. 206, 14. La nouvelle lune est aussi un « œil noir » : Livre des Morts, chap. 116 = BUDGE, *BD*, p. 238, 11 = BARGUET, *Livre des Morts*, p. 153.

36. Livre des Morts, chap. 32 = BARGUET, *Livre des Morts*, p. 77.

37. Livre des Morts, chap. 166 Pleyte = BARGUET, *Livre des Morts*, p. 239; GOYON, *Rituels funéraires*, p. 110, n. 1; A. BLACKMAN, H.W. FAIRMAN, *JEA*, 29, 1943, p. 14 (B) et p. 36, n. 29.

38. LANGE, *Mag. Pap. Harris*, p. 59 (6-7); L. KAKOSY, *ZÄS*, 117, 1990, p. 149, n. g; J.-Cl. GOYON, *BIFAO*, 75, 1975, p. 346, n. 1; Urk. VI, p. 75, 19 suiv.; BARUCQ-DAUMAS, *Hymnes et prières*, p. 328. Sur ces nombres, GOYON, *Dieux-Gardiens*, p. 185, n. 5.

39. ASSMANN, *Sonnenhymnen*, p. 125 et n. e; BARUCQ-DAUMAS, *Hymnes et prières*, p. 221 (IV, 2), p. 227, n. cl.

40. H.S. SMITH, W.J. TAIT, *Saqqâra Demotic Papyri*, I, Londres, 1983, p. 90 (1), p. 91 (18-19) et p. 104-105. Le dieu semble ensuite apparaître trônant sous une forme humaine mais le passage est en lacune, ce qui nous prive de la description de ses « chairs », qui sont cependant évoquées.

41. Ces formes ne sont pas très différentes de celles que les dieux prennent pour paraître dans un songe. Voir S. SAUNERON, dans *Les Songes et leur interprétation*, Paris, 1959, p. 24 suiv.

42. Y. KOENIG, *Institut français d'archéologie orientale. Livre du centenaire*, Le Caire, 1980, p. 137 (V° 1) et p. 140, n. q et u; H.S.

SMITH, W.J. TAIT, *op. cit.*, p. 105b. Cf. GOYON, *Confirmation*, p. 126, n 370.

43. Y. KOENIG, *op. cit.*, p. 137.

44. S. SAUNERON, *Le Papyrus magique illustré de Brooklyn*, Brooklyn, 1970, p. 24.

45. LEFEBVRE, *Romans et contes*; p. 86-87.

46. *Ibid.*, p. 27.

47. J. YOYOTTE, *BIFAO*, 77, 1977, p. 147 (2°). La coudée fait environ 0,52 m et se subdivise en 7 palmes ou 28 doigts (4 doigts par palme).

48. DIODORE, I, XLIV, 4.

49. Livre des Morts, chap. 149 = BUDGE, *BD*, p. 368, 3; p. 369, 5 = BARGUET, *Livre des Morts*, p. 209. Certains ont un fessier large de 7 coudées : BUDGE, *BD*, p. 371, 4.

50. A.M. BLACKMAN, H.W. FAIRMAN, *JEA*, 29, 1943, p. 27, n. 11 et p. 28, n. 12.

51. ASSMANN, *Sonnenhymnen*, p. 168 (10-11); Livre des Morts, chap. 101 = BUDGE, *BD*, p. 212, 13-14 = BARGUET, *Livre des Morts*, p. 138. Voir sur la question F. HOFFMANN, *GM*, 132, 1993, p. 37-38.

52. On verra encore le texte grec du Songe de Nectanébo qui attribue à Onouris une taille de 21 coudées (presque 11 m) : S. SAUNERON, dans *Les Songes et leur interprétation*, Paris, 1959, p. 44.

53. CT, VII, 430ab = BARGUET, *Textes des Sarcophages*, p. 653 (chap. 1104).

54. LANGE, *Mag. Pap. Harris*, p. 73 (15 suiv.), p. 80 (9 suiv.); L. KÁKOSY, *ZÄS*, 117, 1990, p. 152, n. n.

55. Sur la question en genéral, voir H. BRUNNER, *Die Geburt des Gottkönigs*, Wiesbaden, 1964, p. 51; HORNUNG, *Conceptions of God*, p. 133-134.

56. CT, VII, 511g = BARGUET, *Textes des Sarcophages*, p. 678 (chap. 1169); K. SETHE, *Urkunden der 18. dynastie*, Leipzig, 1927, p. 219, 13; Livre des Morts, chap. 140 = Budge, *BD*, p. 314, 15 = BARGUET, *Livre des Morts*, p. 184; Livre des Morts, chap. 149 (12e butte) = BARGUET, *Livre des Morts*, p. 212.

57. Voir R.J. LEPROHON, *Corpus Antiquitatum Aegyptiacarum. Boston 3*, Mayence, 1991, p. 121 (19), à comparer avec p. 116 (24).

58. *Lexikon der Ägyptologie*, II, 757.

59. BORGHOUTS, *Magical Texts*, p. 1 (§1).

60. Conte d'Astarté, LEFEBVRE, *Romans et contes*, p. 112.

61. GOYON, *Confirmation*, p. 62 (III, 13).

62. F. DE CENIVAL, *Le Mythe de l'œil du soleil*, Sommerhausen, 1988, p. 15.

63. K. SETHE, *Dramatische Texte zu altaegyptischen Mysterienspielen*, Leipzig, 1928, p. 32.

64. La fréquente nudité du dieu Bès (*Lexikon der Ägyptologie*, I, 721) s'explique sans doute aussi par ses liens avec l'enfance et les

naissances prématurées. Sur ces liens, D. MEEKS, dans *Intellectual Heritage of Egypt. Studies Presented to L. Kákosy*, Budapest, 1992, p. 423-436.

65. BORGHOUTS, *Magical Texts*, p. 36 (§ 53).

66. H. TE VELDE, *Studia Ægyptiaca*, 3, 1977, pp 165-166.

67. Ces representations de Nout sont bien connues. Pour Hathor, voir HORNUNG, *Conceptions of God*, p. 122, n. 39. Pour Qadech, voir E.S. BOGOSLOVSKI, *Vestnik Drevnij Istorii*, 1972/2, p. 84; R. STADELMANN, *Syrisch-palästinensische Gottheiten in Ägypten*, Leyde, 1967, p. 115 suiv.

68. CT, II, 219b = R.H. O' CONNELL, *JEA*, 69, 1983, p. 74.

69. VANDIER, *Jumilhac*, p. 114 (III, 1-2; III, 15, 19).

70. CT, VI, 394d = BARGUET, *Textes des Sarcophages*, p. 141 (chap. 820).

71. HÉRODOTE, II, 42, et quelque chose de comparable dans CT, VI, 353j-m = BARGUET, *Textes des Sarcophages*, p. 374 (chap. 723).

72. ASSMANN, *Sonnenhymnen*, p. 193, n. a. et p. 199, n. b.

73. H. GRAPOW, *ZÄS*, 71, 1935, p. 45-47; KOENIG, *PBoulaq*, p. 23, n. o, et p. 26, n. b.

74. Références dans L. FOTI, *Bulletin du musée hongrois des Beaux-Arts*, 40, 1973, p. 5-6.

75. H. TE VELDE, « Some egyptian deities and their piggishness », dans *Intellectual Heritage of Egypt. Studies Presented to L. Kákosy*, Budapest, 1992, p. 571-578.

76. A. GASSE, *BIFAO*, 84, 1984, p. 203; même idée dans ALLIOT, *Culte d'Horus*, I, p. 414-415.

77. JELINKOVA, *Djed-Her*, p. 44.

78. D. MEEKS, dans *Intellectual Heritage of Egypt. Studies Presented to L. Kákosy*, Budapest, 1992, p. 432-433.

79. BORGHOUTS, *Magical Texts*, p. 90 (§ 134), p. 91 (§ 135); comparer avec DERCHAIN, *Papyrus Salt*, p. 180, n. 154. Sur ce reliquaire, voir BORGHOUTS, *Magical Texts*, p. 81 (§ 119); GOYON, *Dieux-Gardiens*, p. 200 et p. 334-335; *id.*, *BIFAO*, 75, 1975, p. 384 et n. 2. Dans ce dernier cas, le dieu en devenir a la forme d'un scarabée.

80. VANDIER, *Jumilhac*, p. 125 et p. 121.

81. *Ibid.*, p. 81-83. Voir aussi J.F. BORGHOUTS, *RdE*, 32, 1980, p. 41.

82. S. SAUNERON, *Un traité égyptien d'ophiologie*, Le Caire, 1989, p. 11, n. 7, et p. 12, n. 7.

83. VANDIER, *Jumilhac*, p. 128 (XVI, 6).

84. *Ibid.*, p. 89-90, p. 92 et p. 127 (§ XXV, 3).

85. Voir *infra*, p. 191.

86. CT, V, 348c = BARGUET, *Textes des Sarcophages*, p. 77 (chap. 465).

87. CT, VI, 41f = BARGUET, *Textes des Sarcophages*, p. 314 (chap. 479).

88. BORGHOUTS, *Magical Texts*, p. 95 (§ 145); GOYON, *Dieux-Gardiens*, p. 186 et n. 4.

89. CT, VII, p. 150 (48-49) = BARGUET, *Textes des Sarcophages*, p. 550 (chap. 939).

90. Y. KOENIG, *Institut français d'archéologie orientale. Livre du centenaire*, Le Caire, 1980, p. 137. Il s'agit d'un texte très fragmentaire. Pour la mise à mort des animaux divins, comparer encore avec VANDIER, *Jumilhac*, p. 90 et n. 2.

91. LEFEBVRE, *Romans et contes*, p. 189-190.

92. *Ibid.*, p. 195.

93. GOYON, *Rituels funéraires*, p. 274.

94. G. POSENER, *Catalogue des ostraca hiératiques littéraires de Deir el-Médineh*, III, Le Caire, 1980, n° 1640 (V° x+4 suiv.).

95. On peut comprendre « abattu avec un couteau ». Il s'agirait alors de viande provenant d'un animal abattu selon les règles rituelles.

96. VANDIER, *Jumilhac*, p. 133 (XXIII, 8).

97. G. POSENER, *Festschrift für Siegfried Schott*, Wiesbaden, 1967, p. 106-111.

98. BARUCQ-DAUMAS, *Hymnes et prières*, p. 474.

99. S. SAUNERON, *Esna*, III, Le Caire, 1968, p. 94, n° 233 (§ 54-55).

100. BORGHOUTS, *Magical Texts*, p. 32 (§ 46).

101. BARUCQ-DAUMAS, *Hymnes et prières*, p. 443, n. c; J.-Cl. GOYON, *Bulletin du Cercle d'égyptologie Victor-Loret*, 6, 1992, p. 7-16.

102. A.H. GARDINER, E. PEET, *The Inscriptions of Sinai*, Londres, 1955, p. 138 et pl. n° 137.

103. S. CAUVILLE, *BIFAO*, 82, 1982, p. 22.

104. Voir J.-L. SIMONET, *CdE*, LXII, 1987, p. 56 et p. 59-72.

105. F. DE CÉNIVAL, *CRIPEL*, 7, 1985, p. 102 (8-9).

106. Livre des Morts, chap. 153 = BARGUET, *Livre des Morts*, p. 223 = BUDGE, *BD*, p. 398, 9.

107. BORGHOUTS, *Magical Texts*, p. 25 (§ 35).

108. J.F. BORGHOUTS, *OMRO*, 51, 1970, p. 72, n. 111.

109. ALLIOT, *Culte d'Horus*, I, p. 233-234; cf. D. DIXON, dans *Population Biology of the Ancient Egyptians*, Londres, 1973, p. 440.

110. KLASSENS, *Behague*, p. 54 (Metternich, l. 171-172).

111. CT, VI, 208-209 = BARGUET, *Textes des Sarcophages*, p. 404-405 (chap. 587).

112. CT, V, 30f = BARGUET, *Textes des Sarcophages*, p. 406 (chap. 368).

113. CT, V, 31bd.

114. BORGHOUTS, *Magical Texts*, p. 47 (§ 75); J.G. GRIFFITHS,

Plutarch, De Iside et Osiride, Cambridge, 1970, p. 534; B.H. STRICKER, *MDIAK*, 37, 1981, p. 455-467.

115. BORGHOUTS, *Magical Texts*, p. 41-42 (§ 65-66); *id.*, *OMRO*, 51, 1970, p. 98 et n. 2; A. ERMAN, *Zaubersprüche für Mutter und Kind*, Berlin, 1901, p. 12.

116. BORGHOUTS, *Magical Texts*, p. 41 (§ 65 en bas). Comparer avec S. SAUNERON, *Un traité égyptien d'ophiologie*, Le Caire, 1989, p. 203 suiv., à propos des serpents.

117. *Pyr.*, § 2083; BORGHOUTS, *Magical Texts*, p. 42 (§ 66); sur la plante, S. AUFRÈRE, *BIFAO*, 86, 1986, p. 6-9.

118. CT, III, 234a suiv. = BARGUET, *Textes des Sarcophages*, p. 105 et n. 47 (chap. 225).

119. S. AUFRÈRE, *RdE*, 34, 1982-1983, p. 19; CT, VI, 250pq = BARGUET, *Textes des Sarcophages*, p. 285 (chap. 629); W. WESTENDORF, *Festschrift Jürgen von Beckerath*, Hildesheim, 1990, p. 253 et p. 254, n. 3; LEFEBVRE, *Romans et contes*, p. 199 et n. 90; Livre des Morts, chap. 80 = BUDGE, *BD*, p. 177, 5-7 = BARGUET, *Livre des Morts*, p. 118. Ce que les humains ne pourraient faire : BARUCQ-DAUMAS, *Hymnes et prières*, p. 500.

120. J. ASSMANN, *Der König als Sonnenpriester*, Glückstadt, 1970, p. 64; *id.*, *Sonnenhymnen*, p. 249 (12), p. 250, n. d, p. 269 (21).

121. Livre des Morts, chap. 65 = BARGUET, *Livre des Morts*, p. 106.

122. CT, VI, 270h = BARGUET, *Textes des Sarcophages*, p. 217 (chap. 648).

123. CT, VI, 229a = BARGUET, *Textes des Sarcophages*, p. 282 (chap. 617).

124. CT, II, 161a = BARGUET, *Textes des Sarcophages*, p. 257 (chap. 136); ASSMANN, *Sonnenhymnen*, p. 146 et n. a, p. 153 (31); BARUCQ-DAUMAS, *Hymnes et prières*, p. 320, n. j.

125. La chose demeure vraie lorsque le démiurge androgyne est une femme, comme c'est le cas de Neith (S. SAUNERON, *Mélanges Mariette*, Le Caire, 1961, p. 242-244). Cette deesse n'est jamais représentée comme androgyne.

126. LANGE, *Mag. Pap. Harris*, p. 32 (8).

127. K. SETHE, *Dramatische Texte zu altaegyptischen Mysterienspielen*, Leipzig, 1928, p. 57; J. VAN DIJK, *JEOL*, 26, 1980, p. 13.

128. J. VAN DIJK, *JEOL*, 26, p. 13, n. 22.

129. LEFEBVRE, *Romans et contes*, p. 186.

130. B. VAN DE WALLE, *JNES*, 31, 1972, p. 82.

131. H.D. BETZ, *The Greek Magical Papyri in Translation including the Demotic Spells*, Chicago, 1986, p. 39 (PGM IV, 94-153); J.F. BORGHOUTS, *OMRO*, 51, 1970, p. 38-39; J.G. GRIFFITHS, *Plutarch De Iside et Osiride*, Cambridge, 1970, p. 316-317.

132. Livre des Morts, chap. 183 = Budge, *BD*, p. 485, 2-4 = BARGUET, *Livre des Morts*, p. 270.

تخيل المصرى القديم أن أربابه ومعبوداته تؤلف مجتمعاً على غرار المجتمعات البشرية يتدرج فى المراتب والقوة والنفوذ والسلطان، ويتفاعل أفراده مع بعضهم البعض كما يتفاعل أفراد المجتمع البشرى فى حياتهم اليومية، بل وتصور أنهم يؤلفون أسراً من أزواج وزوجات وأبناء. وتروى لنا الأساطير المصرية طرفاً من حياة هؤلاء الأرباب، نرى فيها لمحة شائقة من الحياة فى مصر القديمة وأفكار المصريين وتصوراتهم عن الكون. وقد أثار هذا الكتاب عند صدوره فى فرنسا مناقشات عديدة بين علماء المصريات حول ما تناوله من تفسير لأعمال الآلهة، تلك التى تتعامل مع بعضها البعض كقبيلة أو مجتمع يثير اهتمام العلماء والباحثين.

ويرصد الكتاب، العادات المألوفة والنصوص غير المعروفة جيداً التى توضح علاقة الآلهة بالفرعون، الذى يمثلها على الأرض عن طريق بعض الشعائر التى يقوم بها، مما يؤدى إلى إحداث توازن دقيق بين السماء مقر إله الشمس، وبين العالم السُّفلىّ لأوزيريس والموتى، وبين الأرض. ولما كان كل عالم منها مستقلاً عن الآخر وله مفاهيمه الدينية الخاصة به، نجد أن بينها تكاملاً تاما فى الوظائف التى تقوم بها. هذا بالإضافة إلى موضوعات أخرى كثيرة يناقشها هذا الكتاب الجاد والجديد فى فكرته، والذى وضعه عالمان فرنسيان لهما العديد من الأبحاث المتقدمة فى اللغة والديانة المصرية القديمة.

المؤلفان: ديمترى ميكس مدير أبحاث الآثار المصرية فى المركز القومى للبحوث العلمية بجامعة دى بروفنس بفرنسا ،له العديد من المؤلفات والمقالات العلمية عن الآثار المصرية.اشترك مع زوجته كريستين ميكس لبرمجة اللغة الهيروغليفية على الكمبيوتر.

كريستين ميكس أستاذة الآثار المصرية فى كلية الدراسات العليا بالسربون بباريس. قامت بتأليف عشرات المراجع والمقالات عن الآثار المصرية.

الترجمة: فاطمة عبد الله محمود مترجمة متخصصة لها اهتمام واسع بالآثار المصرية والدراسات التاريخية، ومن أهم ترجماتها "المرأة الفرعونية"، و"حتح... " و"... والسحرة فى مصر القديمة".

المراجع: د. محمود ماهر طه رئيس مركز تسجيل الآثار الم... القالات والمؤلفات عن الآثار المصرية. قام بمراجعة وترجمة العديد ... والإنجليزية إلى العربية، عن الآثار المصرية.



مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب